الكافي

في البلاغة

البيان والبديع والمعاني

أيمن أمين عبد الغني

أستاذ علوم اللغة بجامعة باكستان الاسلامية

تقديم

أ.د/ رشدي طعيمة

أستاذ مناهج وطرق تدريس اللغة العربية والعميد الأسبق لكليات التربية بدمياط والمنصورة والدمام

أ.د/ فتحي حجازي

أستاذ البلاغة والنقد كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر

فضيلة الشيخ د/ ياسر برهامي

الداعية الإسلامي المعروف

دار التوفيقية للتراث

الكافي في البلاغة

البيان والبديع والمعاني

يشمل تدريبات وافية

تأليف

أيمن أمين عبد الغني

أستاذ علوم اللغة بجامعة باكستان الاسلامية

تقديم

أ.د/ رشدي طعيمة

أستاذ مناهج وطرق تدريس اللغة العربية
والعميد الأسبق لكليات التربية
بدمياط والمنصورة والامارات وسلطان قابوس

أ.د/ فتحي حجازي

أستاذ البلاغة والنقد كلية اللغة العربية
جامعة الأزهر

فضيلة الشيخ د/ ياسر برهامي
الداعية الاسلامي المعروف

دار التوفيقية للتراث
١ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾

الكـــــتاب: الكافي في البلاغة

المؤلـــــف: أيمن أمين عبد الغني

الناشـــــر: دار التوفيقية للتراث - القاهرة

رقـم الإيـداع: ٢٠١١/٩١٩٧

دار التوفيقية للتراث

١ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر القاهرة

تليفون: ٢٥١٠٥٦٦٢

lisanarabs.blogspot.com

اللَّهُمَّ

اللَّهُمَّ اكْتُبْ لَنَا....

وَلِمَنْ عُنِيَ بِهَذَا الْكِتَابِ....

أَوْ رَاجَعَهُ..، أَوْ قَرَأَ فِيهِ..، أَوْ حَمَلَهُ....

أَوْ سَاعَدَ فِى نَشْرِهِ مِنَ الأَجْرِ..

عَدَدَ أَنْفَاسِ الْكَائِنَاتِ..

وَنُجُومِ السَّمَاوَاتِ..

وَعَدَدَ ذَرَّاتِ التُّرَابِ... وَعَدَدَ قَطَرَاتِ الْمَاءِ..

وَعَدَدَ الْحُرُوفِ الَّتِي كُتِبَتْ فِي كُلِّ اللغَاتِ..

وَعَدَدَ أَوْرَاقِ الشَّجَرِ، وَمِلْءَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا..

وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيءٍ بَعْدَهُ.

مقدمة الطبعة الجديدة

حمدًا لك يا ربِّ أن أتممْتَ علينا نِعمةَ الإسلامِ لكَ، وشَرْفَ الإيمانِ بكَ، وصلاةً وسلامًا على خيرِ رسلِكَ، وصَفْوَةِ أنبيائِكَ محمدٍ ﷺ وعَلَى آلِهِ وأصحابِهِ الطيبينَ الطاهرينَ ...، وبعد:

فَالْـقُرْآنُ كُلُّهُ فِى أَعْلَى دَرَجَاتِ الْـبَلاغَةِ الْـعَرَبِيَّةِ كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ، وقد اجْتَهَدَ الْـعُلَمَاءُ فِى بَيَانِ أَسْرَارِ بَلاغَتِهِ، فَأَدْرَكُوا بَعْضَهَا، وخَفِىَ عَلَيْهِمْ بَعْضُهَا الآخَرُ، وَوُضِعَتْ فِى ذَلِكَ كُتُبٌ خاصَّةٌ، مثل: غَرَائب آيِ التنزيلِ لزينِ الدينِ الرَّازِى الخلفى المتوفى سنة ٦٦٦ هـ، وَالْـبُرْهَان فِى تَوْجِيهِ مُتَشَابِهِ الْـقُرْآنِ لِمَا فِيهِ مِنَ الْـحُجَّةِ وَالْـبَيَانِ، لمحمود بن حمزة الكرمانى المتوفى سنة٥٠٥ هـ، وفتح الرحمن بكشف ما يلتبس فى القرآن، للشيخ زكريا الأنصارى...، وغير ذلك.

وَعُلُومُ اللغةِ العربيةِ - نَحْوًا وَصَرْفًا وبَلاغَةً - علومٌ خَادِمَةٌ لِلْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ، ومهمةٌ غَايَةَ الأَهَمِّيَّةِ لِفَهْمِ الْـقُرْآنِ الْـكَرِيمِ. وَالْـجَهْلُ بالْـعَرَبِيَّةِ يُؤَدِّى إِلَى الْـوُقُوعِ فِى كَثِيرٍ مِنَ اللبْسِ وَالْـغُمُوضِ.

وَحَقًّا فَالْـقُرْآنُ مُعْجِزٌ للبَشَرِ قَاطِبَةً إِعْجَازًا مستمرًّا على مَرِّ الْـعُصُورِ، وَهَذَا مِنْ جُمْلَةِ ما شَمِلَهُ قَوْلُ أَئِمَّةِ الدِّينِ: إِنَّ الْـقُرْآنَ هُوَ الْـمُعْجِزَةُ الْـمُسْتَمِرَّةُ عَلَى تَعَاقُبِ السِّنِينَ؛ لأَنَّهُ قد يُدْرِكُ إِعْجَازَهُ العُقَلاءُ من غيرِ الأمة العربيةِ بواسطةِ تَرْجَمَةِ مَعَانِيهِ.

وَحَسْبُنَا أَنَّ اللَّـهَ - تعالى - تَحَدَّى بُلَغَاءَ العَرَبِ أَنْ يأتوا بسورةٍ منْ مِثلِهِ فلَمْ يَتَعَرَّضْ واحدٌ إلى مُعَارَضَتِهِ، اعترافًا بالحق وخَوفًا على أنفسهم من الافتضاحِ، مع أنهم أهلُ القدرةِ فِي أفانينِ الكلامِ نَظْمًا وَنَثْرًا، وَقَدْ خُصُّوا منْ بينِ الأَمَمِ بقوةِ الذِّهْنِ، وشِدَّةِ الحَافِظَةِ، وَفَصَاحَةِ اللسَانِ، وتِبْيَانِ الْـمَعَانِي، فلا يَسْتَصْعِبُ عليهم شَيءٌ.

قال عياض في (الشفاء): فلم يَزَلْ يَقْرَعُهُمْ النبيُّ ﷺ أشدَّ التَّقْرِيعِ، وَيُوَبِّخُهُمْ غايةَ التوبيخِ، وَيُسَفِّهُ أَحْلامَهُمْ، وهم في كُلِّ هذا ناكصون عاجزون عن مُعَارَضَتِهِ، مُحْجِمُونَ عن مُمَاثَلَتِهِ، يخادِعُونَ أنفسَهُمْ بالتكذيبِ والافتراءِ والسِّحْرِ: ﴿ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [المائدة: ١١٠]، ولما سمع الوليد ابْنُ المغيرة قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآىِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل: ٩٠]، قال: والله إنَّ له لحلاوةً وإنَّ عليه لطلاوةً، وإن أَسْفَلَهُ لَمُغْدِقٌ، وَإِنَّ أَعْلاهُ لَمُثمِرٌ، وما هو بكلام بَشْرٍ.

وذَكَرَ أبو عبيدة أن أعرابيًّا سَمِعَ رجلا يقرأ: ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ [الحجر: ٩٤] فسَجَدَ، وقال: سَجَدْتُ لفصاحَتِهِ، وكان موضعُ التأثيرِ في هذه الجملة هو كلمة (اصْدَعْ) في إبانتها عن الدعوة والجهر بها والشجاعة فيها، وكلمة ﴿ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ في إيجازها وجمعها.

لقد كانت قريشٌ على ثقةٍ من أن الذي يسمعُ القرآنَ يهتدي به، لذلك أَوْصَى بعضُهم بَعْضًا ألا يسمعوا القرآنَ، وإن سَمِعُوه فَعَلَيْهِمْ أن يُحَرِّفُوا فيهِ أو أن يَصْنَعُوا ضَجِيجًا يَحُولُ بين السَّامِعِ للقرآنِ وتدَبُّرِهِ، ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [فصلت: ٢٦].

إنهم واثقون من أنَّ القرآنَ يَقْهَرُهُمْ بالْـحُجَّةِ، ويُفْحِمُهُمْ بالبَيِّنَاتِ، وأَنَّهُم لو استمعوا إليهِ لَوجدوا فيه حَلاوَةً وَطَلاوَةً تَسْتَلُّ من قلوبِهِمْ الْـجُحُودَ وَالنُّكْرَانَ. وكأنهم بذلك يشهدون أن للقرآن أثرًا في الفطرةِ الطبيعيةِ للإنسان، وهم أصحابُ الْـمَلَكَةِ في البلاغةِ العربيةِ.

فالبلاغة كما أَسْمَوْهَا هي النحو العالي، إنها قِمَّةُ الْـخِبْرَةِ بالتراكيبِ ودِلَالاتِها معًا، والإعرابُ بلا شَكٍّ صُلْبُ النَّحْوِ العربي ونَشَاطٌ من أنشِطَتِهِ.

فهذا كتاب «**الكافى فى البلاغة**» على أربعة أبواب، يشمل: (التمهيد - علم البيان - علم البديع - علم المعانى - تطبيقات - تدريبات)، وَجَاءَتْ مَادَّتُهُ بلُغَةٍ وَاضِحَةٍ مُشَوِّقَةٍ، دونَ تعقيدٍ أو حَشْوٍ، وقد اخْتِيرَتْ أمثلتُه وَشواهدُه ناصعةً بارعةً في توضيح القاعدةِ، إلى جَانِبِ ما تَتَمَتَّعُ بِهِ، من سُمُوِّ التعبيرِ، وَرَوْعَةِ الأُسْلُوبِ، وَجَمَالِ الأَدَاءِ، وللَّـهِ الْـفَضْلُ وَالْـمِنَّةُ.

وَرَاعَيْتُ أنْ تُعْرَضَ القَوَاعِدُ مُيَسَّرةً مُوَضَّحَةً بالشَّوَاهِدِ المتباينةِ، من القرآنِ الكريمِ، والحديثِ الشريفِ، والشِّعْرِ العربيِّ، والآثارِ، والْـحِكَمِ، والأمثلةِ العاليةِ الرفعيةِ.

واشْتَمَلَ الكتابُ على تدريباتٍ متنوعةٍ متدرجةٍ شاملةٍ، تُثَبِّتُ القَاعِدَةَ، فيستفيد الدارسُ منها.

وما نَدَّعِي لهذا العملِ الكمالَ المطلقَ، فما نحن إلا بشرٌ، تَجْرِى عَلَيْنَا سُنَّةُ اللَّـهِ فى خَلْقِهِ، فَيَثْبُتُ مِنَّا الْـقَلَمُ أو يَزِلَّ، ويَحْضُرُ مِنَّا الْـفَهْمُ أو يَغِيبُ، فَاللَّـهُمَّ ياوليَّ المؤمنين، ومتوليَ الصالحين، اجعلْ عَمَلِي هذا قُرْبَةً؛ أَدْنُو بها منك، واجعلْهُ صَحيحًا مقبولًا، وسعيي فيه مَرْضِيًّا مَشكُورًا، وانفعْ به اللَّـهُمَّ مَنْ قَرَأَ فيهِ، إنَّكَ وَحْدَكَ القَادِرُ عَلَى ذَلِكَ.

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [النمل: ١٩].

وصل اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم

و الحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الأولى

حمدًا لك يا ربِّ أن أتممْتَ علينا نِعمةَ الإسلامِ لكَ، وشَرْفَ الإيمانِ بكَ، وصلاةً وسلامًا على خيرِ رسلِكَ، وصَفْوَةِ أنبيائِكَ محمدٍ ﷺ، وعَلَى آلِهِ وأصحابِهِ الطيبينَ الطاهرينَ ...، وبعد:

فإنَّ مَوْضِعَ البلاغةِ من العربيةِ موضعُ الرأْسِ من الإنسانِ، فَهِيَ مستودِعُ سِرِّهَا، ومَظْهَرُ جلالِهَا؛ ولذا فقد اتجهَتْ هِمَمُ العلماءِ والباحثين فِي مختلفِ العصورِ إلى التأليف فيها، وبَسْطِ القولِ في بَيَانِ مَرَامِيهَا.

فاختلافُ البعضِ إذا في علاقات المجازِ ليسَ دَليلًا على صِحَّةِ رَأْيٍ وفسادِ الآخرين مادام لكلٍّ واحدٍ فهمُهُ الدقيقُ وذَوقُهُ الرفيعُ، فالبلاغةُ لم تُصَنَّفْ لتوضعَ في قوالبَ جامِدةٍ إزاءَ عقولٍ مُتحَجِّرَةٍ.

والحقُّ أنَّ للغةِ العربيةِ شيئًا لم يتوافرْ فِي أيةِ لغةٍ من اللغاتِ، وذلك لاتساعِهَا ومرونَتِهَا، فقد يكون اللفظُ الواحدُ صالحًا للمجازِ فيكونَ مجازًا مرسلا واستعارة في وقتٍ واحدٍ، أو قد يكون للمجاز علاقتانِ أو أكثرُ، فالأمرُ هنا ما لاحَظَهُ المتكلمُ، فإن لم يُعْرَفْ مَقْصَدُهُ صَحَّ للمخاطبِ أن يعتبر ما يشاء، لكنْ بعدَ أنْ يُمعِنَ النَّظْرَ، ويُرَجِّحَ أكثرَهَا قوةً وأشدَّهَا ملاءَمَةً للغَرَضِ.

فعلينا أنْ نكثرَ من القراءةِ فيما خَلَّفَهُ لنا العَرَبُ منْ تراثٍ أدبيٍّ من النظيمِ والنثيرِ في مختلفِ العصورِ، فإننا إنْ فَعَلْنا ذلك ظَفِرْنَا بِمَلَكَةٍ مُوَاتيةٍ وحَظٍّ من

الأدبِ عظيمٍ، ونسأل الله أن يجنبنا الزَّلَل، ويَعْفُوَ عنِ الخَطأ، وأنْ يجدَ الْقُرَّاءُ بُغْيَتَهُمْ في هذا العملِ، والحمدُ لله ربِّ العالمين.

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

مقدمة المؤلف

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الكريم ﷺ، سيدنا محمد عليه أفضل الصلةم والتسليم، وعلى آله وأصحابه الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد...

فَرُبَّ كلمةٍ حَسُنَتْ في موطنٍ، ثم كانت مُسْتكْرَهَةً في موطنٍ آخرَ، وتلك من البلاغة التي هي تأدية المعنى الجليل واضحًا بعبارةٍ صحيحةٍ فصيحةٍ، لها في النَّفْسِ أثرٌ خَلابٌ، مع ملاءمةِ كلِّ كلامٍ للموطنِ الذي يقال فيه، وللأشخاصِ الذين يخاطبون.

وقد حَاوَلْتُ - بفضل الله تعالى - شَرْحَ علومِ البلاغةِ (البيان - البديع - المعاني) بعيدًا عن التعقيداتِ والأمثلةِ المفتعلة التي لا وجودَ لها في استخدام المعاصرين للفصحى، وأَنْهَيْتُ هذا الشرح بتدريباتٍ يجيبُ عنها الطالب؛ ليكسب دُرْبَةً وَخِبْرَةً.

وأرجو أن يكونَ هذا العملُ خالصًا لوجْهِ اللّـهِ سبحانه، وأنْ يفيدَ منه القُرَّاءَ من طَلَبَةِ العلمِ، على قَدْرِ نُبْلِ الْهَدَفِ وإِخْلاصِ القصد، وأنْ يكونَ سَبِيلًا مُيَسَّرًا لِخِدْمَةِ لغتِنَا العربيةِ، والحمدُ للّـهِ ربِّ العالمينَ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مكتبة لسان العرب

تقديم أ. د/ رشدي طعيمة

﴿ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الأعراف: ٨٩].

إنه لمن دواعي السرور أن أكتب هذا التقديم لشقيقٍ عزيز، وهو العالِمِ الجليل الأستاذ (أيمن أمين) الذي لا أستكثر عليه موقعًا في مُجمع الخالدين، وفي زمرة العلماء البارزين، وهو واحد من خِيرة العلماء والباحثين، وجدير بذلك.

ولقد تصدى الأستاذ **أيمن أمين** لقضية شائكة وشائقة تلك هي قضية اللغة التي تعدُّ مفتاح العلوم، والتي تعدّ منطلق الفكر وهمزة الوصل بين قطاعات العلم المختلفة.

فاللغة تواصل ولا يُتصَوَّرُ حوار بين فردين إلا وكانت اللغة وسيلته.

من هنا تبرز القيمة الكبيرة لهذا الكتاب العظيم الذي يضم بين دفتيه موسوعة علمية غزيرة، فضلًا عمَّا تميز به من منهجية، ولئن كان العلماء قد فرَّقوا بين الأصالة والمعاصرة من عدة وجوه؛ فإن العمل الذي بين أيدينا يجمع بينهما في منظومة متكاملة تجمع بين العلم والفن.

فالكتاب موسوعة علمية ذات أبعاد مختلفة، ومنهجية علمية بارزة، ففيها تَسَلسُل في عرض الموضوعات، وسلاسةِ في الأداء اللغوي، مما يجعل له قيمة علمية متميزة، وأصالة لا يخفى على أحد أبعادها.

ولقد اشتمل الكتاب على تدريبات كثيرة ومتنوعة، إضافةً إلى ما تميّز به هذا العمل من أبعاد الثقافة العربية الإسلامية، ومِن القيم الإسلامية المستمدة من

كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فضلًا عن الشواهد والمقتطفات الشرعية التي وضعت في مكانها مما يجعل له دلالة خاصة ويجعل من الكتاب عملًا علميًّا وموسوعيًّا بكل المعايير.

إنني من أعمق أعماقي أهنئ تهنئة صادقة لهذا الكاتب المبدع، والعالِم المحقق، والمفكر الذكي، والرجل الجاد **أيمن أمين**، الذي لا يألو جهدًا في سبيل التدقيق، والذي لا يدخر وُسعًا في سبيل الإجادة.

وتحيةً مني لهذا الجهد العلمي الخلَّاق الذي يضعه بلا تجاوز في مصاف علماء اللغة البارزين، وليس من قبيل الثناء أن توضح قيمة هذا الكتاب على ما به من قضايا وأفكار، تجعله على رأس كتب البلاغة، فقد ربط بين عَبَق التراث وأصالته، وسهولة الحديث وسلاسته.

وأسأل الله أن ينفع به، وأن يجعل هذا العمل في ميزان حسنات كاتبنا العظيم.. وبالله التوفيق.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الأستاذ الدكتور فتحي حجازي

كلمة وتقدير

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وتتواصل المرادات، حمدًا يوافي نعمه المتواليات ويكافئ مزيد فضله في الأرض والسماوات، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه.

والصلاة والسلام الأتمان الأكملان الجليلان على أفصح مَن نطق بالضاد، وأفاد المراد، وأجاد البيان، وعلَّم الإنسان، وعلى آله الأطهار، وصحابته الأبرار، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، واجعلنا منهم يا رب العالمين.

وبعد...

فالله الكريم على عباده يقول في محكم آياته: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤ ﴾ [الرحمن:١- ٤] .

ويقول المصطفى الذي لا ينطق عن الهوى فيما رواه سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا حَسَدَ إلا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّـهُ مَالًا فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْـحَقِّ وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّـهُ الْـحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا**». رواه البخاري ومسلم.

ومنذ أن نزل القرآن العظيم والنبي ﷺ يشرح للناس بكل بيان أسرار هذه الحياة، ويشرِّع لهم ما به تكون سعادتهم في الأولى والآخرة، ومعلوم أن السعادة كل السعادة في التَّعرُّف على من وبه قامت الكائنات، وبيده أمر الأرض والسموات:

وليست السعادة جمع مال ولكن التقي هو السعيد
وتقوى الله خير الزاد ذخرًا وعند الله للأتقى مزيد

لهذا، كان ميراث الأنبياء والمرسلين علمًا ينتفع به، وفيضًا من الأنوار نستضيء منه:

أبا بكر دعوتك لو أجبنا إلى ما فيه رشدك لو عقلنا
إلى علم تكون به إمامًا مطاعًا إن أمرت وإن نهينا
لئن جلس الغني على الحشايا فأنت على الكواكب قد جلستا
لئن رفع الغني لواء مال فأنت لواء علمك قد رفعتا

وأفضل العلوم ما يتصل بهذه المعرفة بالله العلي العظيم، وأولها علم التوحيد، وبعده سائر علوم الشريعة، لكن لا يستطيع المتعلم والعالم فهم هذه الفنون إلا بعلوم العربية، فعلوم اللسان هي آلة البيان، والموصل إلى الواجب فهو واجب، لذا كانت العلوم العربية مفتاحًا للعلوم الشرعية فصارت من هذا الباب علومًا دينية، الأخذ بها واجب العلماء، قبل الشروع في فهم الأحكام، ومعرفة الحلال والحرام.

وانظر إلى علماء الأمة إلى يوم الناس هذا فإنك تجد العلوم اللسانية في مقدمة العلوم الشرعية لأن علم اللسان مفتاح الأحكام، واقرأ عن الإمام الأعظم أبي حنيفة، والشافعي، ومالك، وأحمد، ترى علم اللسان قبل تدبر القرآن واستخراج الأحكام، ومن لم يكن على هذا المنوال فقد ضلّ السبيل، وصارت أحكامه بلا بيان.

وأول علم في ميدان العربية: النحو لضبط أواخر الكلمات في نظم العبارات، ثم الصرف لبناء الكلمات في التصاريف المتفرعة، ثم اللغة لضبط الحركات والسكنات قبل النهايات، ثم يأتي علم البلاغة لإخراج الأسرار من علاقات الكلم في نظم المعاني ببديع العبارات.

وبهذا التحديد نلاحظ أن هذا الفن (البلاغة) يجمع سائر الفنون العربية، ويزيد عليها بالوقوف أمام النظم لاستخراج بديع الأسرار، والتقاط جواهر المعاني من خلال علاقات المباني في هذه البحار، ولعمري لقد أنفق العلماء أعمارهم في هذا الميدان، واقرأ كتب المفسرين وطالع شروح المحدثين، وانظر آثار الناصحين والمرشدين، فإنك ترى فيضًا من علوم البيان، فهذا العلم يملأ النفس ببديع الأسرار، ويحرك الأذهان بجميل الأفكار، ويدعو المشاعر للتجوال آناء الليل وأطراف النهار.

وبعد..

فهذا أخونا وابننا الأستاذ الشيخ/ أيمن أمين عبد الغني يدلو بدلوه في علوم العربية؛ نحوًا، وصرفًا، وضبطًا، وبلاغة، ليكون له أثره في هذا السبيل، فينتفع الناس بفقه العربية في هذه الحياة، وله ولهم الثواب الجزيل من الله الجليل ﴿ **يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾** ﴾ [الانفطار: ١٩].

وقد قدَّم أعماله بلسان عربي مستقيم، وله بيانه الرائق الصافي في هذا السبيل، وقد جمع من هذه العلوم ما استطاع ﴿ **لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا** ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، فجزاه الله من فضله على ما قدَّم، وهدى به الأمة في هذا الزمان الذي عمت فيه الفتن، وبَعُد الناس فيه عن دينهم، ولغتهم، وآدابها في حياتهم، وكفانا - سبحانه- ما أهمنا وغمنا، ونصرنا بديننا، وأيدنا بآداب رسولنا ﷺ ورضي عنا في الدنيا والآخرة، إنه نعم المولى ونعم النصير، والحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم الدكتور الشيخ ياسر برهامي

إِنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا.

من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد...

فقد اطلعت على الجزء الماتع الذي كتبه الأخ الفاضل/ أيمن أمين عبد الغني إلى المجاز في القرآن واللغة، ولكتابه **(الكافي في البلاغة)** وهي مسألة مهمة وحساسة.

وما وصل إليه فيها من وقوع المجاز في القرآن، كما هو واقع في اللغة، هو ما أراه صوابًا.

وإن كنت أرى الخلاف بين الجمهور وبين شيخ الإسلام ابن تيمية فيها هو خلاف لفظي عند التأمل؛ خاصة أن شيخ الإسلام ابن تيمية في الرسالة المدنية قد أثبت صحة استعمال الكلمة في المعنى المؤول، وهو في الحقيقة المعنى المجازي بشروط أربعة... ذكرها، فقد أقرَّ إذن صحَّة المجاز بشروط منتفية في باب الصفات الذي حاول منه أهل البدع نفي الصفات.

جزى الله خيرًا مؤلف هذا الكتاب، ونفع به قارئه وناشره، وأسأل الله أن يتقبله منه... آمين.

الباب الأول

تمهيد

تمهيد

ليستِ البلاغةُ قواعدَ جامدةً كالْـجُثَّةِ الْـهَامِدَةِ، لاحِسَّ فيها ولا حَرَكَةَ، ولا رُوحَ ولا حياةَ، وليستْ كَمَا يظُنُّهَا بعضُنَا عباراتٍ مصنوعةً جامدةً وُضِعَتْ في قَوَالِبَ ثابتةٍ، لا يجوز مخالفتُها.

البلاغة في اللغة:

تفيدُ البلاغةُ معنَى البلوغِ والوصولِ والانتهاءِ، فعندما نقول: بَلَغَ الْـغُلامُ، أي: أَدْرَكَ وَوَصَلَ سِنَّ الْـبُلُوغِ والرُّشْدِ.

ويقال: بَلَغْتُ الْـمَنْزِلَ، أي: وَصَلْتُ إليهِ.

وقوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَـٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟** ﴾ [النور: ٥٩].

أي: وَصَلُوا إِلَى سِنِّ الْبُلُوغِ.

ومنه قوله: ﴿ **فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ** ﴾ [الطلاق: ٢].

أي: قَارَبْنَهُ وَوَصَلْنَ إليهِ.

إذن: فالبلاغةُ عند أهلِ اللّغةِ هي حُسْنُ الكلامِ مع فَصَاحَتِهِ وأَدَائِهِ لِغَايَةِ الْـمَعْنَى الْـمُرَادِ.

والرجلُ البليغُ هو مَنْ كَانَ فَصِيحًا، حَسَنَ الكلامِ، يَبْلُغُ بعبارةِ لِسَانِهِ غَايَةَ الْـمَعَانِي الّتِي فِي نَفْسِهِ، مِمَّا يُرِيدُ التعبيرَ عنْهُ وتوصيلَهُ لمن يُرِيدُ إبلاغَهُ ما في نفسِهِ.

وأصلُ مادَّةِ الكلمة في اللّغة تدورُ حول وُصُولِ الشيءِ إلى غايتِهِ ونهايتِهِ، أو إيصَال الشيء إلى غايتِهِ ونهايَتِهِ.

تقول لغةً: بلغَ الشّيءُ يَبْلُغُ بُلوغًا وبلاغًا، إذا وَصَلَ وانتهَى إلَى غايتِهِ.

وتقول: أبلغْتُ الشيءَ إبلاغًا وبَلاَغًا، وبلَّغتُهُ تَبْليغًا، إذا أَوْصَلَتْهُ إلى غايَتِهِ ونهايتِهِ.

وبَلَغَ الْـغُلاَمُ وبَلغتِ الجاريةُ، إذا وصَلا إلى انتهاءِ مرحلةِ ما دونَ التكليفِ، ودخلا في مرحلةِ التكليفِ، ويكونُ ذلك باحتلامِ الغلامِ وحيضِ الجاريةِ، ويُقَال: ذَكَرٌ بَالِغٌ، وأُنْثَى بالغٌ وبالغةٌ.

والأَمْرُ البالغُ، هو الأَمْرُ الذي وَصَلَ إلى غَايَتِهِ فَكَانَ نَافِذًا.

والبَلاغَةُ تكونُ وَصْفًا للكلامِ، ووصفًا للمتكلِّم.

بلاغة الكلام في الاصطلاح:

هي مطابقةُ الكلامِ لمقتضَى حَال مَنْ يُخَاطَبُ بِهِ مع فَصَاحَةِ مُفْرَدَاتِهِ وَجُمَلِهِ.

فيشترط في الكلام البليغ شرطان:

١- أن يكونَ فَصِيحَ الْـمفرداتِ والجملِ.

٢- أن يكون مطابقًا لمقتضَى حالٍ من يُخَاطبُ به.

ولَمَّا كانت أحوالُ المخاطبين مختلفة، وكانت كلُّ حالةٍ منها تحتاج طريقةً من الكلامِ تُلائِمُهَا، كانت البلاغةُ في الكلام تَسْتَدْعِي انتقاءَ الطّريقةِ الْـمُلائِمَةِ لحالةِ المخاطَب به، لبلُوغِ الكلامِ مِنْ نَفْسِهِ مَبْلَغَ التَّأْثِيرِ الأَمْثَلِ المرجوِّ.

الأحوال التي تستدعى اختلافًا في طرائق الكلام وأساليبه:

١- ما يستدعِى من الكلام إيجازًا.

٢- ما يستدعِى من الكلام بَسْطًا متوسِّطًا.

٣- ما يستدعِى من الكلام بَسْطًا مُطَوَّلا.

البلاغة في الاصطلاح:

البلاغةُ هي أن يبلِّغَ الْـمُتَكَلِّمُ مُرَادَهُ مِنَ الْـمَعَانِي مِنْ خلالِ الكلامِ.

أو هي الإيجازُ من غَيْرِ خَلَلٍ، أو التَّفْصِيلُ مِنْ غَيْرِ مَلَلٍ.

أو هي مطابقةُ الكلامِ لِمُقْتَضَى الْـحَالِ مَعَ فَصَاحَتِهِ.

وَمِنْ مَجْمُوعِ هذه التعريفاتِ للبلاغةِ نَفْهَمُ أَنَّ البَلاغَةَ هي تأْديةُ المعنَى الْـجَلِيلِ واضِحًا بعبارةٍ صحيحةٍ فصيحةٍ، لَهَا في النَّفْسِ أَثرٌ جَذَّابٌ، مع تَنَاسُبِ كلِّ كَلامٍ للمَوْقِفِ الذي يُقالُ فيه، والأشْخَاصِ الذين يُخَاطَبُونَ.

أو هِيَ مَلَكَةٌ ومَوْهِبَةٌ في نَفْسِ هذا المتكلمِ يَسْتَطِيعُ هذا المتكلمُ أنْ يُعَبِّرَ عَنِ الْـمَعْنَى الموجودِ في نفسِهِ مع مُراعاةِ حالِ المخاطبِ من حيثُ الذَّكاءُ والغباءُ والتوسُّطُ، ومن حيثُ تَصْدِيقُ المخاطبِ بما يقال أو شَكُّهُ فيهِ أو جُحُودُه وإنكارُهُ له.

ومن هنا يتضح لنا أن المتكلمَ البليغَ يَخْتَلِفُ كلامُه على حسبِ المخاطبِ، سَواءٌ أكانَ المخاطبُ مُنْكِرًا جاحدًا، وسواءٌ أكان مُخاطبًا شَاكًّا، أم مُصَدِّقًا.

ولذلك فقد اسْتَدَلَّ البلاغيون بتلك الروايةِ التي تُرْوَى عَنْ أبي عَبَّاسٍ الْـمُبَرِدِ النحوي، حيث رَوَى الكندي (الفيلسوف) جاء يومًا يقول: «إني أجد في كلام العرب حَشْوًا» ، يقولون:

- عَبْدُ اللَّـهِ قَائِمٌ.
- إِنَّ عَبْدَ اللَّـهِ قَائِمٌ.
- إِنَّ عَبْدَ اللَّـهِ لَقَائِمٌ.

والمعنَى واحدٌ.

فقالَ أبو العباس: بل المعانِي مختلفةٌ، فـ(عَبْدُ اللَّـهِ قَائِمٌ) إخبار عن قيامه، و(إنَّ عبدَ اللَّـهِ قائمٌ) جواب عن سؤال سائل، و(إنَّ عبدَ اللَّـهِ لَقَائِمٌ) جواب عن إنكارِ مُنْكِرٍ.

ملاحظات:

فإذا كانَ المخاطبُ جاحدًا مُنْكِرًا فَيَجِبُ أنْ تكلِّمَهُ بأكثرَ مِنْ مُؤَكِّدٍ؛ لأنَّ التوكيدَ هو المناسبُ له، حيثُ تقول له: واللَّـهِ إنَّ البلاغةَ لمفيدةٌ، وإذا كان المخاطبُ مُتَرَدِّدًا أو شَاكًّا فيكفي مُؤَكِّدٌ واحدٌ، حيث تقول له: إنَّ البلاغةَ مفيدةٌ، وإذا كان المخاطبُ مُصَدِّقًا مُسَلِّمًا فلا داعِيَ للتوكيد، حيث تقول له: البلاغةُ مفيدةٌ.

وإذا كان المخاطبُ ذَكِيًّا فَيُفَضَّلُ أنْ تكَلِّمَهُ بـ (الايجاز) أي: الاختصار في الكلام؛ لأنَّ الذَّكِيَّ يَفْهَمُ بالإشارةِ والتَّلْمِيحِ.

بينما المخاطَبُ الغَبِيُّ يُفَضَّلُ أن تكلِّمَهُ بـ (الإطناب) أي التفصيل والإكثار من الكلام؛ لأنَّ الغبيَّ يَفْهَمُ بالتَّكْرَارِ والتصريح، إذ إنَّه بَلِيدٌ فى الإِحْسَاسِ.

وإذا كان الْـمُخَاطِبُ متوسِّطًا بين الذكاءِ والغباءِ فيفضَّلُ أنْ تكلِّمَهُ بـ(بالتوسُّطِ والمزاوجة والمساواة) أي: الجمع بين الإيجاز والتفصيل.

ولهذا كان القرآنُ الكريمُ أَعْلَى طبقاتِ البلاغةِ، وهو أعلمُ بأحوالِ البشرِ كلِّها ظاهرِهَا وخفيِّهَا.

ألا تَرَى أَنَّ الأَبَ تختلف مُعَامَلَتُهُ مع ابنِهِ الصغيرِ عن مُعَامَلَتِهِ لابنِهِ الكبيرِ عند محاولته إرضاءَ كلٍّ منهما ؟!

ألا ترى - أيها القارئ - أن معاملتَكَ لوالدِكَ أو لأستاذِكَ أو لِرَئِيسِكَ فى العملِ تختلفُ عن معامَلَتِكَ لصديقِكَ أو مَنْ هو أَقَلُّ منك ؟!

كيف يمتلكُ الإنسان البلاغة؟

لا سبيلَ إلى امتلاكِ البلاغةِ إلا بِمُدَاوَمَةِ النَّظَرِ فِي كتابِ اللَّـهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وأحاديثِ الرسولِ ﷺ والاطلاعِ على روائعِ الكلامِ العربيِّ شِعْرًا ونَثْرًا، وخاصةً بعد وجودِ مَوْهِبَةٍ، يَمُنُّ اللَّـهُ تعالى بها على من يشاءُ من عبادِهِ، وعندئذٍ يستطيعُ المتكلمُ أن يستخدمَ البلاغةَ في أيِّ مَوْقِفٍ من المواقفِ، وفي أيِّ فَنٍّ مِنْ فُنُونِهِ كالْـمَدْحِ، وَالذَّمِّ، والْـفَخْرِ، والرِّثاءِ، حيثُ يستخدمُ ذلك كُلَّهُ متى شَاءَ دُونَ عَنَاءٍ، ويَكُونُ أسلوبُه واضحَ المعنَى، رائعَ التعبيرِ، مكتملَ الفصاحةِ، قويَّ التأثيرِ.

وللتدريبِ والتمرينِ دَوْرٌ كبيرٌ في تكْوِينِ الذَّوْقِ الْـفَنِّيِّ، وتنشيطِ الموهبةِ الفاتِرة، ولابدَّ للطالبِ - إلى جانب ذلك - منْ قراءَةِ طرائفِ الأَدبِ، ونقدِ الآثار الأدبية والمقارنة بينها، وأنْ يكونَ له من الثقةِ بنفسه ما يدفعُه إلى الحكمِ بحسن ما يراه حسنًا وبقبْحِ ما يَعُدُّه قبيحًا.

وليسَ هناك مِنْ فَرْقٍ بينَ البليغِ والرَّسامِ إلا أنَّ البليغَ يَتَنَاوَلُ المسموعَ من الكلامِ، بينما الرَّسَامُ يجمع بين المرْئيِّ من الألوانِ والأَشكالِ.

فالرَّسامُ إِذا همَّ بِرَسْمِ صورةٍ فَكَّرَ في الألوانِ الملائمةِ لها، ثم في تَنَاسُقِ هذه الأَلوانِ بحيث تجْذِبُ الأَبصارَ وتُثير الوجدان.

والبليغُ إِذا أَراد أَن يُنْشئَ قصيدةً أَو مقالةً أو خطبةً فكَّر في أَجزائِها، ثم دعا إِليه من الأَلفاظِ والأَساليبِ أَخفَّهَا على السمْعِ، وأكثرَهَا اتصالا بموضوعهِ، ثم أَقواها أثرًا في نفوسِ سَامِعِيهِ وأَرْوَعَها جمالًا.

فوائد دراسة البلاغة:

١- تَذَوُّقُ اللغةِ، والتَّمَتُّعُ بها، وفَهْمُهَا فَهْمًا دَقِيقًا.

٢- تُساعِدُ الأعاجمَ في الوصولِ إلى المعنَى المقصودِ من النَّصِّ.

٣- تُساعِدُ الْـمُتَلَقِّى فى التفرقة بين الحقيقية والمجاز.

٤- تبينُ مواطنَ الجمالِ، وتَكْشِفُ أسرارَ الكلام.

٥- تُعْطِى ميزانًا للدارسِ يستطيع من خلال هذا الميزان معرفةَ ما هو جيدٌ، وما هو غَثٌّ، كما يمكنه أن يُفَرِّقَ بين الماءِ المالح، والماء العذبِ، وكذلك الطعام السَّائغِ والطعامِ العَلْقَمِ.

٦- حصولُ المتعةِ والسعادةِ للدارسِ عندما يقرأُ أساليبَ العربِ ويحاكِيهَا.

٧- وسيلةٌ مباشرةٌ لفهمِ كتابِ الله وهَدْيِ رَسُولِهِ ﷺ.

وظائف:

- **وظيفة علم الصرف:** النظرُ في أبنيةِ الألفاظِ واشتقاقها.
- **وظيفة علم النحو** : النَّظَرُ في إعرابِ الألفاظِ وضبط آخرها.
- **وظيفة علم المعاني:** يساعد في توصيل المعنى بطريقةٍ صحيحةٍ من نفسِ المتكلمِ إلى ذِهْنِ السامعِ.
- **وظيفة علم البيان:** يجعل الكلام واضحًا في الدلالةِ على المعنى المراد.
- **وظيفة علم البديع:** يساعد في تحسين الكلام تحسينًا لفظيًّا ظاهرًا .

والكلام من حيث المعاني والبيان يقال إنه:

فصيح: من حيث اللفظ؛ لأنَّ الفصاحةَ تَنْظُرُ إلى اللفظِ دونَ المعنَى.

بليغ : من حيث اللفظِ والمعنَى جميعًا؛ لأن البلاغةَ تَنْظُرُ إلى اللفظ والمعنى.

وعلى هذا فإنَّ الْـبَبَّغَاءَ يُسَمَّى فصيحًا ولا يُسَمَّى بليغًا؛ لأنه يقيمُ حروفًا، وليس له قَصْدٌ إلى المعنى.

ويجوز أن يُسَمَّى الكلامُ الواحدُ فصيحًا بليغًا إذا كان سَهْلَ اللفظِ، وَاضحًا.

وبعضُ العلماءِ يَرَونَ أن الفصاحةَ والبلاغةَ بمعنًى واحدٍ، ويدلان على شيءٍ واحدٍ، كعبد القاهر الجرجاني وأبي هلال العسكري والرَّازِي والجوهري رحمهم الله.

الغرض من دراسة علوم البلاغة والأدب:

البلاغة بفنونها الثلاثة (الْـبَيَانُ - الْـبَدِيعُ - الْـمَعَانِي) وسائر الفنون الأدبية التي نَبَّهَ عليها العلماء، لَيْسَتْ إِلاَّ بُحُوثًا وتتبُّعاتٍ لاكتشافِ عناصرِ الْـجَمَالِ الأَدَبِيِّ في الكلامِ، ومُحَاوَلاتٍ لتحديدِ معالِمِهَا، وَوَضْعِ بعضِ قواعِدِها، دُونَ أن تستطيعَ كُلُّ هذه البحوثِ والدّراساتِ جَمْعَ كلِّ عناصرِ الْـجَمَالِ الأَدَبِيِّ في الكلامِ، أو استقصاءَها، واكتشافَ كلِّ وجوهِها.

فالجمالُ كثيرًا ما يتذوّقه الحسُّ الظاهرُ والشعورُ البَاطِنُ، دُونَ أن يستطيعَ الفكرُ تحديدَ كلِّ العناصرِ التِي امتلكَتِ اسْتحسانَهُ وإعجابَه، وإنْ عَرَفَ منها الشيءَ الكثيرَ، واستطاع أن يُفْرِزَه ويُحَدِّدَ مَعَالِمَهُ.

إنَّ آفاقَ الْـجَمَالِ أَوْسَعُ من أنْ تُحَدَّدَ أو تُحْصَرَ، ولكنْ يُمْكِنُ اكْتشَافُ بَعْضِ عناصرِ الجمالِ، وكُلِّيَّاتِه العامَّةِ، وطائفةٍ مِنْ مَلامِحِهِ.

والْـغَرَضُ من عَرْضِ فُنُونِ البلاغةِ وعلومِها، وللمذاهبِ الأدبيّةِ الْـمختلفةِ، وللأمثلةِ الأدبيّةِ الراقيةِ الْـمَقْرونةِ بالتحليلِ الأدبيِّ والبلاغيِّ، تَرْبيةُ القدرةِ على الإِحساسِ بعناصرِ الْـجَمَالِ الأَدَبِيِّ في الكلامِ الأدبيّ الرفيعِ، وتربيةُ القدرةِ عَلَى فَهْمِ النصوصِ الْـجميلةِ الراقية، والقدرة على محاكاة بعضها في إنشاءِ الكلامِ، والقدرة على الإِبداع والابتكار لدى الذين يملكون في فطرهم الاستعداد لشيء من ذلك.

وليس الغرضُ من دِرَاسَةِ هذه الفنونِ والعلومِ والْـمذاهبِ والنصوصِ،

الجمودَ في قوالِبِ ما اسْتُخْرِجَ من العناصرِ الْـجَمالية، وما وُضع من قواعدَ، دونَ اكتسابِ الإِحساسِ الْـمرهفِ بمواطنِ الجمالِ، لتقديمِ الأفكار، وصياغة الكلام صياغةً أدبيّة بليغة.

فَمَعَ ضَرُورَةِ التَّسَلُّحِ بهذه الدراسةِ، والاطّلاعِ الواسعِ على النصوصِ الأدبيّةِ الجميلة الراقية، ودراستها دراسةً تَحْلِيلِيَّةً تكشفُ عن جوانِبِ الجمالِ والإِبداعِ فيها على قَدْرِ الاسْتِطَاعَةِ، لا يصِحُّ بحالٍ من الأحوال الجمود عندها دون محاولاتِ الابتكارِ والإِبداعِ والتجديدِ، بشرطِ أَنْ يكونَ ذلك الابتكارُ قَادِرًا على انتزاعِ إعجابِ ذوي الإحساسِ الْـمُرْهَفِ، والذَّوْقِ الرَّفيعِ في إدراكِ الكلامِ الأدبيِّ الجميلِ البليغِ.

هذه الحقيقةُ لابُدَّ من ملاحظَتِهَا دومًا لدى أَيَّةِ دراسَةٍ بلاغيّةٍ وأدبيّة، ولَدَى إنشاءِ أيِّ نَصٍّ أدبيٍّ جديدٍ.

ومن الخيرِ دومًا للإنسان أنْ يضَعَ الصورة الأدبيَّةَ الّتِي دَرَسَها بلاغيًّا أو أدبيًّا، وينشِىءَ كلامَهُ على قَالَبِها، فإذا فَعل ذلِكَ أَحْسَنَ كلامَه.

إنّ تربيةَ الذوقِ والْـمَلَكَةِ البيانيّةِ، مع تلقائيَّةِ الأداءِ التعبيريِّ لَدَى إنشاءِ الكلام كتابةً أو ارتجالًا، عند منْ يَمْلك الاستعدادَ لأنْ يكونَ أديبًا بليغًا، هي الكفيلةُ بتفجيرِ الإِبداعِ المطلوب في الأدبِ، بِشَرْطِ عَدَمِ الخروجِ عنْ ضَوَابطِ قَوَاعِدِ اللُّغَةِ وأصولِ البَيَانِ.

ومن جَيِّدِ ما قَرَأْتُ في التعريف بخير الكلام، قول «خالدِ بْنِ صَفْوانَ» وهو من فصحاء العرب المشهورين، كان يجالس عُمَر بن عبدالعزيز، وهشام بن عبدالملك، تُوُفِّيَ نحو (١٣٣ هجرية): (خَيْرُ الكلام مَا طَرُفَتْ مَعَانيه، وشَرُفَتْ مَبَانِيهِ، وَالْـتَذَّه آذانُ سَامِعِيهِ).

الفصاحة

الفصاحة في اللُّغة:

الإفصاح والوضوح والبيان والظهور.

يقال: فَصُحَ الرَّجُلُ فَصَاحةً فَهُو فصيحٌ، إذا كانَ في كلامِهِ قادرًا على أن يُبيِّن مُرَاده بوضوحٍ دون عَجْزٍ، ولا تَلكُّؤٍ، أو تعثُّرٍ، في نُطْقِ الألْفَاظ، أو في اختيار الكلمات الدالاَّتِ على ما يُريدُ إيضاحَهُ من المعاني للْمُتَلقّين.

ويُجْمَعُ (فَصيح) على فُصَحَاء، وفِصاحٍ، وفُصُح. والأنْثَى فصيحةٌ، وتُجْمَعُ على: فَصَائح.

ويقالُ: كلامٌ فصيحٌ، إذا كان المرادُ منْهُ واضحًا.

ويقالُ: لسانٌ فصحيٌّ، إذا كان طَلْقًا في نُطْقِ الْـكَلاَمِ مُبينًا لاَ يَتعَثَّر.

والرجلُ الفصيح هو المنطلق اللّسان في القولِ، الّذي يَعْرِفُ جَيِّدَ الكلام من رديئه.

قال تعالى: ﴿ وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ ﴾ [القصص: ٣٤].

أي: أَوْضَحُ مِنِّى كلامًا، وأَبْيَنُ نُطْقًا، وَأَظْهَرُ قَوْلًا.

ويقال: أَفْصَحَ الصَّبيُّ فِي كَلامِهِ، أي بَانَ كَلامُهُ وظَهَرَ وَوَضَحَ.

ويقال: أَفْصَحَ الْـفَجْرُ، أي: أَضَاءَ وَبَانَ وَظَهَرَ.

ويقال: أَفْصَحَ الأَعْجَمِيُّ، أي: أَبَانَ كَلامُهُ وَظَهَرَ.

ويقال: أَفْصَحَ الصُّبْحُ، أي: ظَهَرَ.

وأَفْصَح المتَحَدِّثُ عن مُرادِهِ إذا بيَّنَهُ.

وفَصُحَ اللَّبَنُ إذا أُزِيلَتِ الرَّغْوَةُ مِنْ سَطْحِهِ فَبَانَ وَظَهَرَ.

الفصاحة عند علماء البلاغة:

ذَكَرَ عُلَمَاءُ البلاغةِ أنَّ الفصاحة تأتي وصفًا للكلمة الواحدة، ووصْفًا للكلام، ووصْفًا للمتكلّم، فيقال: كلمةٌ فَصِيحَةٌ، وكلامٌ فصيحٌ، ومتكلّم فَصِيحٌ.

فَقَدْ تَجِدُ طَالِبَ عِلْمٍ صَغِيرًا، غَيْرَ أَنَّ لُغَتَهُ بَلِيغَةٌ عَظِيمَةٌ، وَقَدْ تَجِدُ عَالِمًا كَبِيرًا، غَيْرَ أَنَّ لُغَتَهُ ضَعِيفَةٌ، وَأَيْضًا تَجِدُ بَعْضَ النَّاسِ يَكُونُ فَصِيحًا فِى الْـكِتَابَةِ، لَكِنَّهُ غَيْرُ فَصِيحٌ فِى الْـخَطَابَةِ.

فَلْتَنْظُرْ إِلَى كَلام ابْنِ الْـجَوْزِى الْـوَاعِظِ الْـمَشْهُورِ، وَإِلَى كَلامِ ابْنِ تَيْمِيَةَ رَحِمَهُمَا اللَّـهُ، تَجِدُ بَيْنَهُمَا فَرْقًا كَبِيرًا مِنْ حَيْثُ التَّأْثِيرُ وَالأَدَاءُ اللغَوِىُّ، وَلا أَقْصِدُ الْـقُوَّةَ الْـمَعْنَوِيَّةَ وَالاسْتِدْلالَ وَالأَدِلَّةَ.

فَابْنُ الْـجَوْزِى كَانَ يَحْضُرُ لَهُ عَشَرَاتُ الآلافِ، يَسْمَعُونَ خُطْبَتَهُ، وَيَتَأَثَّرُونَ بِهَا، بَيْنَمَا ابْنُ تَيْمِيَةَ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ.

والكلامُ الفصيحُ ما كان واضحَ المعنى، سَهْلَ اللفظِ، جيِّدَ السَّبكِ، وتكون ألفاظُه بَيِّنَةً في معناها، مفهومةً عَذْبةً سَلِسَةً. وإنما تكونُ الكلمةُ كذلك إذا كانت مألوفَةَ الاستعمالِ بَينَ الناسِ من الكتَّابِ والشعراءِ.

والذوقُ السليمُ هو العُمْدةُ في معرفةِ حُسْنِ الكلماتِ وسَلاسَتِها، وتمييزُ ما فيها من وُجُوهِ البَشَاعَةِ ومَظَاهِرِ الاسْتِكْرَاهِ؛ لأنَّ الألفاظَ أَصْوَاتٌ، فالذي يُطْرَبُ لصوْتِ البُلْبُلِ، وينْفِرُ من أصواتِ الْـبُومِ والغِرْبان، ينْبُو سمعُه عن الكلمة إذا كانت غريبةً مُتَنَافِرَةَ الحروف.

ألا ترى أن كلمتَي (الْـمُزْنَة - الدِّيمَة) للسَّحابة الْـمُمْطِرة، كلتاهما سَهلَة عذْبَةٌ يسكنُ إليها السمعُ، بخلاف كلمة (البُعَاقِ) التي في معناهما؛ فإنها قبيحةٌ تَصُكُّ الآذانَ. وأمثال ذلك كثير في مُفْردات اللغة تستطيع أَن تُدْركه بذَوْقكَ.

شروط الكلام الفصيح:

لكى يكون الكلامُ فَصِيحًا يَجِبُ أن يَسْلَمَ من:

١- الغرابة.

٢- تَنَافُر الحروف.

٣- مخالفة القياس النحوي أو الصرفي.

٤- كراهية السمع لها.

أولا: الغرابة:

والغرابة في الكلمة كونُها قليلةَ الوضوحِ، غيرَ ظاهرةِ الْـمَعْنَى ولا مألوفةِ الاستعمال، عند فُصحاء العرب، وبلغائهم، في شعرهم ونثرهم، لا عند المولّدين ومَن بعدهم، فأكثرُ الكلامِ العربيِّ الفصيحِ غريبٌ عند غَيْرِ فُصَحَاءِ العربِ وبلغائِهِمْ.

والغرابة إمّا أنْ تكونَ بسببِ نُدْرةِ استعمالِ الكلمة عند العرب، وإمّا أن تكون بسبب أنّ التوصّل إلى المراد منها في الكلام يحتاج إلى تخريجٍ مُتكَلَّفٍ بعيدٍ، ومثَّلُوا للغريب النادر بما يلي:

كلمة (مُسْحَنْفِرَة) بمعنى (متّسِعَة). و(بُعَاق) بمعنى (مَطَر).

و(جَرْدَحْل) بمعنى (الوادى). و(جَحْمَرِش) للمرأة العجوز.

و(اطْلَخَمَّ) بمعني: اشتد.و(تَكَأْكَأْتُمْ) بمعنى: اجتمعتم.

فهذه الكلمات غير فصيحة لغرابتها.

ثانيًا: تنافر الحروف:

أي كون الكلمةِ ثقيلةً على السمعِ، وصَعْبَةً في أداءِ اللسان، مثل:

(مُسْتَشْزِرَات) بمعنى: مرتفعات. و(الْـهُعْخُعُ): اسم نبات.

وقد تكون الكلماتُ فصيحةً غيْرَ أنَّ اجتماعَهَا مع بعضِهَا يحدث تنافرًا وثقلا، مثل قول الجاحظ:

وَقَــبْرُ حَــرْبٍ بِمَكَــانٍ قَفْــرُ وَلَـيْسَ قُــرْبَ قَــبْرِ حَــرْبٍ قَــبْرُ

رُفع لفظ (قَفْر) مع أنه نعتٌ للفظ (مكان) لضرورة الشعر، وخرّجوه على أنّه من قبيل الصفة المقطوعة عن موصوفها.

وقد جَاءَ الثقَلُ مِنْ تَكْرَارِ الرَّاءِ وَالْـبَاءِ في البيتِ.

قيلَ: إنَّ هذا البيتَ لا يَتَهيَّأُ لأحدٍ أن يُنْشدَهُ ثلاثَ مرات متوالياتٍ دونَ أن يَتَتَعْتَعَ؛ لأَنَ اجتماعَ كلماتِه وقُرْبَ مخارجِ حروفِهَا، يحدِثانِ ثِقلًا ظاهرًا، مع أَنَّ كلَّ كلمةٍ منه لو أُخذتْ وحدها كانت غيرَ مُستكْرهةٍ ولا ثقيلةٍ.

وتنافُرُ حروفِ الكلمةِ صِفَةٌ فيها تجعلها ثقيلةً على اللِّسان، يَصْعُبُ النُّطْقُ بها. وهذا التنافُرُ مِنْهُ ما هُو شديدٌ غايةٌ في الثِّقلِ، ومنْهُ مَا هُو دون ذلِكَ، ويُحِسُّ به الذّوق السَّليم، ومن علامات التنافر في حروفِ الكلمةِ أنْ يصعُبَ على معظم أَلْسِنَةِ الناطقين بالعربيّة النُّطقُ بها.

ومن أمثلة ما هو شديدُ التَنَافُرِ ما يلي:

كلمة (صَهْصَلِق) يقال لغة: رجُلٌ صَهْصَلِقُ الصَّوْتِ، إذا كان ذا صوتٍ شديدٍ، ويقالُ: امرأةٌ صَهْصَلِق وصَهْصَلِيق، أي: شديدة الصّوتِ صَخَّابة.

وكلمة (طَسَاسِيج) جمع (طَسُّوج) اسم للناحية، واسمٌ لمقدار من الوزن يعْدِلُ

رُبْعَ دانِقٍ، فالدَّانِق أربعةُ طَسَاسِيج، وهو سُدْسُ الدِّرْهَم.

وكلمة (**اطْرَغَشَّ**) يقال: اطرغَشَّ الْـمريضُ، إذا شُفِيَ من مرضه، وإذا قام وتحرّك ومشى.

ومن أمثلة ما هو غير شديد التنافر ما يلي:

كلمة (**النُّقاخ**) يقال لغة: ماءٌ نُقَاخٌ، إذا كان ماءً عذبًا.

وكلمة (**مُسْتَشْزِرَاتَ**) بمعنى منفتلات ومرتفعات، قال امرئُ القيسِ:

غَدَائِـرُهُ مُسْتَـشْزِرَاتٌ إِلَى الْـعُلاَ ... تَـضِلُّ الْـمَـدَارِي فِي مُثَنَّى وَمُرْسَل

ثالثـًا: مخالفة القياس النحوي أو الصرفي:

أي كَوْنُ الكلمةِ شَاذةً خَارِجِيَّةً مخالفةً لقواعدِ النحوِ أو الصَّرْفِ، ومن أمثلة ما هو مخالف للقياسِ من الكلمة فكُّ الحرف المضعّف في الكلمة التي يقتضي القياسُ فيها إدغامَهُا بحرفٍ مُشَدَّدٍ، نحو: كلمة (الأجْلَلِ) والقياسُ أَنْ يُقَالَ فيها (الأجَلّ) بإدغام اللام، ولا مسموع لِفَكِّهِ.

ومنه قول أبي النّجم بن قُدامة:

الْـحَمْـدُ لِلَّـــهِ الْـــعَلِيِّ الأَجْلَـــ ... ـــلِ أَنْتَ مَلِيـكُ النَّاسِ ربًّا فَـاقْبلِ

وكقول المتنبي:

إِذَا كَـانَ بَعْـضُ النَّاسِ سَيْفًا لِدَوْلَةٍ ... فَفِـي الـنَّاسِ بُـوقَاتٌ لَهَـا طُـبُولُ

والقياس: (أبواق) وليس بوقات، وهذا مخالف للقياس الصرفي.

وكقول الفرزدق:

وَعَـضُّ زَمَـانٍ يَا ابْنَ مَرَوَانَ لَمْ يَدَعْ ... مِـنَ الْـمَالِ إِلامُـسْحَتًا أَوْ مُجَلَّـفُ

فسأل عبدُ اللَّـهِ بْنُ أَبِي إسحاقَ الفرزدقَ: لِمَاذَا رَفَعْتَ (مجلف) وحقها النصب؛ لأنها معطوفة؟ فقال: عَلَى مَا يَسُوءُكَ، عَلَيَّ أَنْ أقولَ وعليكَ أَنْ تُؤَوِّلَ، ثم هَجَاهُ قائلا:

وَلَـوْ كَـانَ عَـبْدُ اللَّـهِ مَوْلًى هَجَوْتُهُ وَلَكِـنَّ عَـبْدَ اللَّـهِ مَـوْلَى مَوالـيًا

فقال: والله لا أدري أَخَطَؤُهُ في البيت أشد أو هجاؤه لى ؟ إنما هو مولى موالٍ.

وممّا هو مخالف للقياس استعمال هَمْزَةِ القطْعِ بدلَ همزة الوصْل، واستعمالُ همزةِ الوصلِ بدلَ همزةِ الْـقَطْعِ، ويكثُرُ مِثْلُ هذَا في الشِّعْرِ لِمُرَاعَاةِ الوزن، ومنه قول جميل:

ألاَ لاَ أرَى «إِثْنَـيْنِ» أحْـسَنَ شِـيمَةً عَـلَى حَـدَثَانِ الدَّهْـرِ مِنِّي وَمِنْ جُمْل

فقطع همزة (اثنين) مع أنّها همزةُ وصْلٍ، وحدَثان الدهر نوائبه، وأراد بِكَلِمَةِ (جُمْلٍ) فَرَسَهُ أو جَمَلَه.

رابعًا: كراهية السمع لها:

كون الكلمة مكروهةً في السمع أي: كونُها خشنَةً وَحْشِيَّةً، تَأْنَفُ منها الطِّبَاع، ومثَّلوا لهذا العيب، بنفور السَّمْعِ عن كلمة (الْـجِرِشَّى) بمَعْنَى (النفس) فعابوا على أبي الطيّبِ المتنبّي استعمالَهَا في قَوْلِهِ يمدحُ سيف الدولة:

مُـبَارَكُ الاسْـمِ أغَـرُّ اللَّقَـبْ كَـرِيمُ الْـجِرِشَّـى شَرِيـفُ النَّـسَبْ

كَرِيمُ الجِرِشَّى: أي: كريمُ النفس.

ملاحظة:

هناك فصاحة للكلمة، وفصاحة للمتكلم.

فصاحة المتكلم: هي ملكة يستطيع بها المتكلم أن يُعَبِّرَ عَنِ الْـمَقْصُودِ بكَلامٍ فَصِيحٍ فِي أيِّ غَرَضٍ كَانَ.

وفصاحة المتكلم نوعان:

١- **غريزة:** يَمُنُّ اللَّـهُ بها عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، فيجعله فصيحًا قويَّ الكلامِ، شَدِيدَ الْـحُجَّةِ وَالإِقْنَاعِ.

٢- **مُكْتَسَبَة:** وذلك بالتَّمَرُّنِ عَلَى الخطابةِ، والتَّدْرِيب على الفصاحة، ودراسة فنون العربية من نحو وصرف وبلاغة، إلى غير ذلك.

فَقَدْ تَجِدُ طَالِبَ عِلْمٍ صَغِيرًا، غَيْرَ أَنَّ لُغَتَهُ بَلِيغَةٌ عَظِيمَةٌ، وَقَدْ تَجِدُ عَالِمًا كَبِيرًا، غَيْرَ أَنَّ لُغَتَهُ ضَعِيفَةٌ، وَأَيْضًا تَجِدُ بَعْضَ النَّاسِ يَكُونُ فَصِيحًا فِى الْـكِتَابَةِ، لَكِنَّهُ غَيْرُ فَصِيحٌ فِى الْـخَطَابَةِ.

فَلْتَنْظُرْ إِلَى كَلامِ ابْنِ الْـجَوْزِى الْـوَاعِظِ الْـمَشْهُورِ، وَإِلَى كَلامِ ابْنِ تَيْمِيَةَ رَحِمَهُمَا اللَّـهُ، تَجِدُ بَيْنَهُمَا فَرْقًا كَبِيرًا مِنْ حَيْثُ التَّأْثِيرُ وَالأَدَاءُ اللغَوِىُّ، وَلا أَقْصِدُ الْـقُوَّةَ الْـمَعْنَوِيَّةَ وَالاسْتِدْلالَ وَالأَدِلَّةَ.

فَابْنُ الْـجَوْزِى كَانَ يَحْضُرُ لَهُ عَشَرَاتُ الآلافِ، يَسْمَعُونَ خُطْبَتَهُ، وَيَتَأَثَّرُونَ بِهَا، بَيْنَمَا ابْنُ تَيْمِيَةَ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ.

أقوال مأثورة اشتملت على مفردات غير فصيحة لعَيْب ما فيها:

١- كتب بعض أُمَراء بغداد رُقْعةً طرحها في المسجد الجامع حين مَرِضتْ أُمُّهُ، جاءَ فيها: (صِينَ امْرُؤٌ وَرُعِي، دَعَا لِامْرَأةٍ إِنْقَحْلَةٍ مُقْسَئِنَّةٍ، فَقَدْ مُنِيَتْ بِأَكْلِ الطُّرْمُوخِ، فَأَصَابَهَا مِنْ أَجْلِهِ الاسْتِمْصَالُ، أَنْ يَمُنَّ اللَّـهُ عَلَيْهَا بِالاطْرِغْشَاشِ والابْرِغْشاشِ).

إِنْقَحْلَة: أي: مُسِنَّةٌ هَرِمَةٌ يَبِسَ جلْدُهَا وسَاءَ حَالُهَا.

مُقْسَئِنَّة: أي: كبيرة السّنّ، ليس لها قدرة على الحركة.

الطُّرْمُوخ: الْـخُفَّاش.

الاسْتِمْصَال: إسهالُ الطبيعة.

الاطرغْشَاش والابرغْشاش: كلاهما بمعنى البرء من المرض.

٢- جاء في خُطْبَةٍ لابْنِ نُبَاتة، يَذْكُرُ فيها أَهْوَالَ يَوْمِ القيامة، قولُه: (اقْمَطَرَّ وَبَالُهَا، واشْمَخَرَّ نَكَالُهَا، فَمَا سَاغَتْ وَلاَ طَابَتْ).

اقْمَطرَّ وَبَالُهَا: أي: اشتَدَّ وعَظُمَ ثِقَلُها.

واشْمَخَرَّ نَكَالُهَا: أي: اشْتَدَّ وارتَفَعَ وعَظُمَ عِقَابُهَا.

فَمَا سَاغَتْ وَلاَ طَابَتْ: أي فَمَا سَهُلَتْ ولاَ كانَتْ طيّبَة.

٣- قال امرؤ القيس حين أَدْركَتْهُ المنيَّةُ، وَكان قَدْ ذَهَبَ إلى مَلِكِ الرُّوم يَسْتَنْجِدُهُ عَلَى قَتَلَةِ أَبيه: (رُبَّ جَفْنَةٍ مُثْعَنْجِرَةٍ، وَطَعْنَةٍ مُسْحَنْفِرَةٍ، وَخُطْبَةٍ مُسْتَحْضَرَةٍ، وَقَصِيدَةٍ مُحَبَّرَةٍ، تَبْقَى غدًا بأَنْقِرَةٍ).

رُبَّ جَفْنَةٍ مُثْنْجِرَةٍ: أي: رَبِّ قَصْعَةِ طَعَامٍ مَلأَى.

وطَعْنَةٍ مُثْعَنْجِرَةٍ: أي: ورُبَّ طَعْنَةٍ برُمْحٍ في الْـقِتَالِ واسِعَةٍ.

٤- رُوِيَ أنَّ أُمَّ الهيْثَمِ الأَعْرَابيَّةَ قَالت لأَبي عُبَيْدة الرَّاوِية، حِينَ عَادَهَا فِي علَّةٍ أصابَتْها: (كُنْتُ وَحْمَى سَدِكَةً، وَشَهِدْتُ مَأْدُبَةً، فَأَكَلْتُ جُبْجُبَةً مِنْ صَفِيفِ هِلَّعَةٍ، فَاعْتَرَتْنِي زُلَّخَةٌ).

فَقِيلَ لَهَا: أيَّ شَيْءٍ تُقُولِينَ؟

فقالَتْ: (أَوَلِلنَّاسِ كَلاَمَانِ؟ والله مَا كَلَّمْتُكُمْ إلاَّ بالْـعَرَبِيِّ الْـفَصيح).

كُنْتُ وَحْمَى سَدِكَةً: وَحِمَتِ الْـحُبْلَى، إذا اشْتَهَتْ شيئًا عَلَى حَبَلِهَا، فَهِي وَحْمَى.

سَدِكَةً: أي: مُولَعَةً بِنَوْعِ طَعَامٍ لِوَحَمِهَا.

وَشَهِدْتُ مَأْدُبَةً: المَأْدُبَةُ: الطَّعَامُ الَّذِي يُصْنَعُ لِدَعْوَةٍ.

جُبْجُبَةً: الـجُبْجُبَةُ: الكَرِشُ يُجْعَلُ فيها اللّحم المقطّعُ، ويُغْلَى ثُمَّ يُقَدَّدُ.

من صَفِيفِ هِلَّعَة: الصّفِيفُ: رقائقُ اللَّحْم تُشْوَى.

والْـهِلَّعَةُ: الأُنْثَى مِنْ أولاد المعز والغنم.

فاعْتَرَتْني زُلَخَةٌ: الزُّلْخَةُ: داءٌ يأخُذُ في الظَّهْرِ والجنب.

◈ ◈ ◈

كراهة التقعير في الكلام والتشدُّق

يُكْرَهُ التقعيرُ في الكلامِ، والتشدُّق فيه وتكلف الفصاحة واستعمال وحشي اللُّغة ودقائق الإعراب في مخاطبة العوام ونحوهم، ومما ورد من ذلك:

١ - عن ابن مسعود رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ، قال:«هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ» قَالَهَا ثَلاَثًا. رواه مسلم.

الْمُتَنَطِّعُونَ: الْمُبَالِغُونَ فِي الأمُورِ.

٢ - عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أنَّ رسُولَ اللَّـهِ ﷺ قال: «إنَّ اللَّـهَ يُبْغِضُ البَلِيغَ مِنَ الرِّجَالِ الَّذي يَتَخَلَّلُ بِلِسَانِهِ كَمَا تَتَخَلَّلُ البَقَرَةُ» رواه أبو داود والترمذي، وقال: حديث حسن.

٣ - عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أنَّ رسُولَ الله ﷺ، قال: «إنَّ مِنْ أحَبِّكُمْ إِلَيَّ، وأقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يومَ القِيَامَةِ، أحَاسِنكُمْ أَخْلاَقًا، وإنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ، وأبْعَدَكُمْ مِنِّي يَومَ القِيَامَةِ، الثَّرْثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ وَالْمُتَفَيْهِقُونَ». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن.

الثَّرْثَارُونَ : مفردها ثرْثار، وهو كثير الأكل والكلام .

الْمُتَشَدِّقُونَ: مفردها مُتَشَدِّق، وهو المتوسعُ فى الكلامِ مِنْ غَيْرِ احْتِيَاطٍ، وقيل المستهزئُ بالنَّاسِ .

الْمُتَفَيْهِقُونَ: مفردها مُتَفَيْهِق، وهو المتوسع فى الكلامِ الْـمُتَنَطِّع.

البَابُ الثانِى

عِلْمُ البَيانِ

- التشبيه .
- الاستعارة .
- الكناية .
- المجاز المرسل .

الفصل الأول

التشبيه

الفصل الأول

التشبيه

علم البيان:

البيانُ هو الكشف والإيضاح، وعلم البيان يشمل: (التشبيه - الاستعارة - الكناية - المجاز) ويعرف علم البيان بـ «الصورة البيانية» أو «الألوان البيانية» أو «الصور البيانية» أو «اللون الخيالي».

عَنْ عَبْدِ اللَّـهِ بْنِ عُمَرَ ﷺ أَنَّهُ قَدِمَ رَجُلَانِ مِنَ الْـمَشْرِقِ فَخَطَبَا فَعَجِبَ النَّاسُ لِبَيَانِهِمَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ: «**إِنَّ مِنَ الْـبَيَانِ لَسِحْرًا أَوْ إِنَّ بَعْضَ الْـبَيَانِ لَسِحْرٌ**» رواه البخاري.

أي أنَّ بَعْضَ البَيَانِ سِحْرٌ؛ لأنَّ صاحبَهُ يوضِّحُ المشكِلِ، ويكشفُ عن حقيقتِهِ بلغَتِهِ وَبَيَانِهِ، فَيَسْتَمِيلُ الْـقُلُوبَ كَمَا تُسْتَمَالُ بالسِّحْرِ.

وقال بعضُهُمْ: ما يَجْذِبُ السمع بالسحر الحقيقى، وهو الذي يقال له السحر الحلال.

فالبيانُ مثلُ السِّحْرِ لاسْتِمَالَتِهِ قلوبَ السَّامعينَ بتَحْسِينِهِ وَتَنْمِيقِهِ كما يُمِيلُهَا السِّحْرُ، قيل: القصدُ بهذَا الكلامِ الذَّمُّ؛ لأنَّ البَيَانَ يفعلُ في القلوبِ مِنَ الإمَالَةِ والتَّحْرِيكِ ما يفعلُهُ السِّحْرُ، وقيل القصد به المدح، فإنَّ الله تعالَى امْتَنَّ على عبادِهِ بالبيانِ، فقال: ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ ۝ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝ ﴾ [الرحمن: ٣، ٤].

المراد بالإنسان: جِنْسُهُ، والمراد بالبيان: الْـفَهْمُ وَالنُّطْقُ والإفْصَاحُ عَمَّا يريدُ الإفصاحَ عَنْهُ بالكلام الذي أداتُهُ اللسَانُ.

وقد اهتمَّ علماءُ البلاغةِ بشرحِ وتفصيلِ «عِلْم البيان» إذْ تبرُزُ في هذه الطُّرق مَهَاراتُ المتكلّمين في الإبانة عمّا يريدون التعبيرَ عنه، مَقْرُونَةً هذه الإبانة بصُورٍ جماليةٍ ذاتِ تأثيرٍ في النفوسِ، وإمتاعٍ للأذهانِ، ورياضةٍ بديعةٍ للأفْكَارِ.

البيان في اللغة: الوضوح والظهور، يقال لغة: بَانَ الشَّيْءُ بَيَانًا إِذَا اتَّضَحَ وَظَهَرَ.

واضع هذا العلم:

ذكروا أنَّ أوَّل من دَوّن مسائل علْم البيان أبو عبيدة (مَعْمَرُ بن المثنَّى) في كتابه: (مجاز القرآن)، وتَبِعَهُ (الجاحظ)، ثمَّ (ابْنُ المعتزّ)، ثُمَّ (قُدَامَةُ بْنُ جعفر)، ثُمَّ (أبو هِلاَل العسكري)، ثم جاء الشيخ (عبد القاهر الجرجاني)، فَأَحْكَمَ أَسَاسَهُ، وَأَكْمَلَ فِي بنْيَانِهِ.

أولاً: التَّشْبِيهُ:

هو تَصْوِيرُ شَيءٍ بشَيءٍ آخَرَ لِوُجُودِ عَلاقَةٍ بينهما تُسَمَّى (علاقة الْـمُشَابهَة)، مثل: الأُمُّ كالْـجَمَلِ في الصَّبْرِ.

تشبيهٌ للأُمِّ بالْـجَمَلِ بواسطةِ حرفِ التشبيهِ (الكاف)، وَوَجْهُ الشَّبَهِ بينهما هو الصَّبْرُ، أي قوة التَّحَمُّلِ.

ومثل قول الله: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ [البقرة: ٧٤].

فَشَبَّهَ قلوبَهُمْ بالحجارةِ، بجامع القَسَاوَةِ في كُلٍّ منهما، لكِنّ قَسَاوَةَ قلوبِهِمْ قَسَاوَةٌ معنويَّةٌ تجاهَ الحقِّ والخيرِ والفضيلةِ، أمَّا الحجارةُ فَقَسَاوَتُهَا مَادِّيَّةٌ.

أركان التشبيه:

١ - الْـمُشَبَّهُ.

٢ - الْـمُشَبَّه بِهِ.

٣ – أداة التشبيه.

٤ – وجه الشبه.

ونلاحظ أن أداةَ التشبيه، تكون حرفًا، أو اسمًا، أو فعلًا.

حروف التشبيه:

١ – (الكاف) ويليها المشبّه به، مثل: مُحَمَّدٌ كَالأَسَدِ.

٢ – (كأنّ) ويليها المشبّه، مثل: كَأَنَّ مُحَمَّدًا أَسَدٌ.

قالوا: والتشبيه بكأنَّ أَبْلَغُ منَ التشبيه بالكاف؛ لأنَّهَا مُرَكَّبَةٌ من الكافِ وأَنَّ.

أسماء التشبيه:

ولها ألفاظ، منها: مِثْل – مَثِيل – شِبْه – شَبِيه – نَظِير..، ونحوها.

أفعال التشبيه:

ولها ألفاظ، منها: «يُشْبِه – يُشَابِهُ – يُماثل – يُنَاظر – يُحَاكِي – يُضَارِع» ونحوها من كُلّ ما يدلُّ على تشبيه بشيءٍ.

ما وجه الشبه؟

وجْهُ الشَّبَه، وهو مَا لُوحِظَ عند التشبيه اشتراكُ المشبَّه والمشبَّه به في الاتّصاف به، من صفة أو أكثر، ولو لم يتساويا في المقدار، ولو كانت ملاحظةُ الاشتراك خياليّة غير حقيقيّة، كتشبيهِ رَأْسِ إِنْسَانٍ مُنَفِّرٍ مُرْعِبٍ برَأْسِ الْـغُوْلِ، وتَشْبيهِ السَّاحِرَةِ بأنَّ وَجْهَهَا كَوَجْهِ شَيْطَانٍ.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْـخُدْرِيِّ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ فِي أَضْحَى أَوْ فِطْرٍ إِلَى الْـمُصَلَّى فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ فَقَالَ: «**يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي أُرِيتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ**»، فَقُلْنَ وَبِمَ يَا رَسُولَ اللَّـهِ؟ قَالَ: «**تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ وَتَكْفُرْنَ الْـعَشِيرَ مَا رَأَيْتُ مِنْ**

نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الْـحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ»، قُلْنَ: وَمَا نُقْصَانُ دِينِنَا وَعَقْلِنَا يَا رَسُولَ اللَّـهِ؟ قَالَ: «**أَلَيْسَ شَهَادَةُ الْـمَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ؟**» قُلْنَ: بَلَى، قَالَ: «**فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا، أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ؟**»، قُلْنَ: بَلَى، قَالَ: «**فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا**» رواه البخاري.

حيث شَبَّهَ (شَهَادَةَ الْـمَرْأَةِ) بـ (نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ).

عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً تَكُونُ مِثْلَ الْـمُسْلِمِ وَهِيَ النَّخْلَةُ**» رواه البخاري.

حيث شَبَّهَ (الشَّجَرَة) بـ (الْـمُسْلِمِ).

ومثل قول المعريّ يخاطب ممدوحه:

أَنْـتَ كَالشَّمْسِ فِي الضِّيَاءِ وَإِنْ جَا ... وَزْتَ كِـيوَانَ فِي عُلُـوِّ الْـمَكَـانِ

كيوان: اسمٌ لِكَوْكَبِ زُحَل أبْعَدِ الكواكب السّيارة بالنسبة إلى الأرض.

فالمشبّه: في هذا التشبيه هو ما دلَّ عليه لفظ «أَنْت» .

والمشبَّهُ به: ما دل عليه لفظ «الشمس» .

وأداة التشبيه: «الكاف» في عبارة «كالشمس» .

ووجه الشّبه: ما دلّ عليه عبارة: «في الضياء» .

ومثل قول آخر يخاطب ممدوحه:

أَنْـتَ كَاللَّـيْثِ فِي الشَّجَاعَةِ وَالإِقْـ ... ـدَامِ والـسَّيْفِ فِي قِرَاعِ الْـخُطُوب

قِرَاع الْـخُطُوب: أي: مصارعة الشدائد والتَّغَلُّبِ عليها.

في هذا البيت تشبيهان لمشبَّه واحد.

فالمشبّه: «أنت» .

والمشبّهُ به: «اللّيثُ» في التشبيه الأول و «السّيف» في التشبيه الثاني.

وأداة التشبيه: «الكاف» .

ووجه الشبه: «الشجاعة والإِقدام» في التشبيه الأوّل، و «قِرَاع الخطوب» في التشبيه الثاني.

❁ ❁ ❁

أنواع التشبيه

١ - التَّشْبِيهُ الْمُفَصَّلُ:

وهو ما ذُكِرَتْ فيهِ أركانُ التشبيهِ الأربعةِ.

نحو: مُحَمَّدٌ كَالْبَحْرِ فِي الْجُودِ.

محمد: مشبه.

البحر: مشبه به

أداة التشبيه: هي الكاف.

وجه الشبه: في الجود.

ومثل: زَيْدٌ كَالأَسَدِ فِي الشَّجَاعَةِ.

زيد: مشبه.

الأسد: مشبه به

أداة التشبيه: هي الكاف.

وجه الشبه: في الشجاعة.

ومثل قول الشاعر:

خُلِقْتَ طَلِيقًا كَطَيْفِ النَّسِيمِ وَحُرًّا كَنُورِ الضُّحَى فِي سَمَاه

المشبه هو: (التاء) المتصلة بالفعل (خُلِقْتَ).

المشبه به: هو طيف النسيم.

أداة التشبيه: هي الكاف.

وجه الشبه: الطلاقة والحرية.

مثل قول الشاعر:

الْـعُمْـــرُ مِـــثْلُ الـــضَّيْفِ أَوْ كَالطَّـــيْفِ لَـــيْسَ لَـــهُ إِقَامَـــة

الْـعُمْرُ: مُشَبّه.

مثل: أداة التشبيه.

الضيف، الطيف: مشبَّه به .

ليْسَ له إقامة: وجه الشبه.

هذا تشبيه مفصّل.

٢ - التشبيه الْـمُجْمَلُ:

هو الذي يُحْذَفُ منه أحدُ الركنين الآتيين (أداة الشبه - وجه الشبه)، فإذا حَذَفْنَا أداةَ التشبيهِ فقط، فهو تشبيهٌ مُجْمَلٌ، وإذا حَذَفْنَا وَجْهَ الشَّبَهِ فقط فهو تشبيهٌ مُجْمَلٌ أيضًا.

إذن: التشبيه المجمل يتكون من ثلاثة أركان هى: المشبه، والمشبه به، وركن من الركنين الباقيين.

مثل: مُحَمَّدٌ كَالأَسَدِ.

محمد: مشبه.

الأسد: مشبه به.

أداة التشبيه: هي الكاف.

ومثل: مُحَمَّدٌ أَسَدٌ فِي الشَّجَاعَةِ.

محمد: مشبه.

أسد: مشبه به.

وجه الشبه: في الشجاعة.

ومثل: طَارِقٌ كَالثَّعْلَبِ.

طارق: مشبه.

الثعلب: مشبه به.

أداة التشبيه: هي الكاف.

ومثل: طَارِقٌ ثَعْلَبٌ فِي الْـمَكْرِ.

طارق: مشبه.

ثعلب: مشبه به.

وجه الشبه: في المكر.

ومثل قول البحتري يمدَحُ أميرَ المؤمنين المتوكّل على الله:

يَا ابْنَ عَمِّ النَّبِيِّ حَقًّا ويَا أَزْكَـ ـى قُرَيْشٍ نَفْسًا وَدِينًا وَعِرْضًا
بِنْتَ بالْفَضْلِ والْعُلُوِّ فَأَصْبَحْـ ـتَ سَمَاءً وأَصْبَحَ النَّاسُ أَرْضًا

المدوح: مُشَبَّه.

سماءً: مشبَّهٌ به.

بالفضل والْعُلُو: وَجْهُ الشبه.

وأداة التشبيه غير مذكورة.

هذا التشبيه مُجْمَلٌ ذُكِرَ فيه وَجْهُ الشبَهِ، ولم تُذْكَرْ فيه أداة التشبيه.

٣ - التشبيه الْبَلِيغُ:

هو الذي يُحْذَفُ منه الركنان الآتيان (أداة الشبه - وجه الشبه)، ويبقى الركنان الآخران (المشبه - المشبه به).

مثل: مُحَمَّدٌ أَسَدٌ.

محمد: مشبه.

أسد: مشبه به.

ومثل: طَارِقٌ ثَعْلَبٌ.

طارق: مشبه .

أسد: مشبه به.

ومثل: الْـعَالِمُ سِرَاجٌ.

العالم: مشبه .

سراج: مشبه به.

ومثل قول الشاعر:

فَـالأَرْضُ يَاقُـوتَةٌ وَالْـجَـوُّ لُؤْلُـؤَةٌ وَالنَّـبْتُ فَـيْرُوزَجٌ وَالْـمَاءُ بلـورُ

الأرض: مشبه.

ياقوتة: مشبه به.

الجو: مشبه .

لؤلؤة: مشبه به.

النبت: مشبه .

فيروزج: مشبه به.

الماء: مشبه .

بلور: مشبه به.

ومثل قول المرقّش الأكبر (شاعر جاهلي):

النَّشْرُ مِسْكٌ، والْوُجُوهُ دَنَـ ـانِيرٌ وَأَطْرَافُ الأَكُفِّ عَنَمٌ

في هذا البيت ثلاثة تشبيهات، هي من التشبيه البليغ، إذْ لم يذكر فيها أداة التشبيه وَلا وجْهُ الشبه.

النشر: الرائحة الطيبة.

الْـعَنَم: نبات أملس له أزهار قِرْمِزِيّة، يُتَّخَذُ خِضَابًا.

التشبيه الأول: النَّشْرُ مِسْكٌ.

التشبيه الثاني: والْـوُجُوهُ دَنَانِيرٌ.

التشبيه الثالث: وَأَطْرَافُ الأَكُفِّ عَنَمٌ.

ويرى البيانيون أنّ التشبيه البليغ يعتَمِد على المبالغة والإغراق في ادّعاء أنَّ المشبَّهَ هو المشبَّهُ به نَفْسه، لذلك لا تُذْكَرُ فيه أداة التشبيه، ولا وجْهُ الشّبه.

ويأتي التشبيه البليغ على الصور التالية:

- **المبتدأ والخبر**، نحو: مُحَمَّدٌ أَسَدٌ - الْـجَمَلُ سَفِينَةُ الصَّحْرَاءِ.
- **الحال وصاحبها**، نحو: هَجَمَ الْـجُنْدِيُّ عَلَى الْـعَدُوِّ أَسَدًا.

حَيْثُ شَبَّهَ الْـجُنْدِيَّ بالأَسَدِ، و(أسدًا) هنا حال، وصاحب الحال هو الجندى.

- **المفعول المطلق** ، نحو: أَسْرَعَ الْـحِصَانُ إِسْرَاعَ الطَّائِرَةِ.

حيث شَبَّهَ الْـحِصَانَ بالطَّائرَةِ.

- **إضافة المشبه به، مثل:** ظَهَرَ مِصْبَاحُ الْـحَضَارَةِ فِي مِصْرَ.

نلاحظ هنا أن المشبه به مضاف وهو(مصباح)، والمشبه مضاف إليه وهو (الحضارة)، والأصل فى القول: الْـحَضَارَةُ مِصْبَاحٌ.

ومثل: نُورُ الْـعِلْمِ.

نلاحظ هنا أن المشبه به مضاف وهو(نور)، والمشبه مضاف إليه وهو(العلم)، والأصل فى القول: العلم نور.

شواهد على التشبيه من القرآن:

(١) قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ ﴾ [إبراهيم: ٤٢، ٤٣].

﴿ أَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴾: تشبيه بليغ، إذ هي كالهواء في الْـخُلُوّ منَ الإدراكِ لِشِدَّةِ الْـهَوْلِ، والْـهَوَاءُ في كلامِ الْـعَرَبِ: الْـخَلاءِ.

(٢) قوله عز وجل: ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ ﴾ [الأنعام: ١٤٥].

﴿ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ ﴾: تشبيه بليغ، شبه الأوثان بالرجس أنها رجس معنوي في النفوس بمنزلة تعلق الخبث بالأجساد فإطلاق الرجس عليها تشبيه بليغ.

والرجس: حقيقته الخبث والقذارة.

(٣) قوله عز وجل: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الفرقان: ٢٣].

﴿ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً ﴾: تشبيه بليغ، وهو تشبيهٌ لأعمالِهِمْ بالْـهَبَاءِ في عَدَمِ الانتفاعِ بها.

الهباء: كائنات جسمية دقيقة لا تُرَى إلا في أشعة الشمس، تلوح كأنها سابحة في الهواء، وهي أَدَقُّ من الغبار، أي فجعلناه كهباءٍ منثور.

(٤) قوله عز وجل: ﴿ لَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ٣].

فـ﴿ لَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ ﴾ : تشبيه بليغ، شبه الله رسوله بمهلِكَ نفسِه أو قاتِلِهَا؛ حسرةً على الكافرين الذين لا يؤمنون.

والباخع: قاتِلُ نَفْسِهِ، يقال: بَخَعَ الشاة، أي ذَبَحَهَا، كذا فسَّره ابن عباس ومجاهد والسدي وابن جبير. وفَسَّرَهُ البخاري بمُهْلِك. وتفسيره يرجع إلى أبي عبيدة، وهو عِرْقٌ مُسْتَبْطِنٌ في القَفَا، فإذا بلغ الذابحُ البخاعَ فذلك أعمق الذبح، فالبخع: أصله أن يَبْلُغَ الذَّابحُ بالذَّبْحِ إلى القَفَا، ثم أطلق على القتل المشوب بغيظ.

(٥) قوله عز وجل: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾ [فصلت: ١١].

﴿ وَهِىَ دُخَانٌ ﴾: تشبيه بليغ، أي وهي مثل الدخان، وقيل: أراد بالدخان هنا شيئًا مظلمًا، ومعنى ﴿ وَهِىَ دُخَانٌ ﴾ أنَّ أَصْلَ السماءِ هو ذلك الكَائِنُ المشبه بالدُّخَانِ، أي أنَّ السماءَ كُوِّنَتْ مِنْ ذَلِكَ الدُّخَانِ.

(٦) قوله عز وجل: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ﴾ [غافر: ٦٤].

﴿ وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً ﴾: تشبيه بليغ، حيث شبه السماءَ بالبناءِ، وجعل لكم السماءَ بمنزلة القبة المبنية المضروبة فوق رءوسكم، فأنتم ترونها بأعينكم مرفوعة فوقكم بغير عمدٍ.

قال الآلوسى: قوله: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً ﴾ قبة، ومنه أبنية العرب لقبابهم التى تضرب (تُبْنَى)، وإطلاق ذلك على السماء على سبيل التشبيه، وهو تشبيه بليغ.

٣ - التشبيه التمثيلي:

هو ما كان وجه الشبه فيه منتزعًا من عدةِ أمورٍ، مثل قول الله: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ

ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [يونس: ٢٤].

شبه الله حالَ الدنيا في سرعةِ زوالِهَا، وانقراضِ نعيمِهَا بعد إقبالها، واغترارِ الناسِ بهَا، وركونِهم إليها بِحَال نباتِ الأرضِ ذهبَتْ نضرتُهُ فجأةً، فَجَفَّ وَصَارَ حُطَامًا بَعْدَمَا زَهَا، وَالْتَفَّ وَتَكَاثفَ وَزَيَّنَ الأرضَ بِخُضْرَتِهِ، وعَمَّ نفعُه الإنسانَ والحيوانَ، واطْمَأَنَّ الناسُ إلى دُنُوِّ ثمَرِهِ، وظَنُّوا أنه قد سَلِمَ من الهَلاك. ووجهُ الشبه هو الهيئة الحاصلة من سُرْعَةِ الزَّوَالِ وانقراضِ النَّعِيمِ بعد الإقبال وعموم النفع واغترار الناس به واعتمادهم عليه.

ومثل قول الله: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾ ﴾ [الجمعة: ٥].

فالمشبَّهُ: همُ الذين حُمّلوا التوراةَ ولم يعقلوا ما بها.

والمشبَّهُ به: (الحمارُ) الذي يحملُ الكتبَ النافعةَ، دونَ استفادتهِ منها.

وأداةُ التشبيه: الكافُ.

ووجهُ الشبَّهِ: الهيئةُ الحاصلةُ منَ التعبِ في حملِ النافعِ دونَ فائدةٍ.

فهذه الآيةُ تُشَبِّهُ اليهودَ الذين نَزَلَتْ عليهم (التوراة) فعَلِمُوا ما بها مِنْ شَرَائعَ وأحكام، وحَفِظُوا ما فيها، ثمَّ لَمْ يُنَفِّذُوهَا، ولَمْ يَعْمَلُوا بهَا، شَبَّهَتْهُمْ بالحمارِ الذي يَحْمِلُ فوقَ ظَهْرِهِ أثقالًا منَ الكُتُبِ والأَسْفَارِ النافعةِ.

وَوَجْهُ الشَّبَهِ: هو شَقَاءُ كُلٍّ باستصحابِ ما يتضمن المنافعَ العظيمةَ والفوائدَ

الشريفةَ من غَيْرِ أنْ يَحْصُلَ على شَيءٍ من تلك المنافع أو يعود عليه بعض تلك الفوائد.

ومثل قول الشاعر:

مِـنْ دُونِهَـا لِلْحَادِثَـاتِ مَـصَائِدُ   نِهَايَـةُ أَهْـوَاءِ الْـقُلُـوبِ بَعِـيدَةٌ

فَـنَحْنُ كَطَيْرٍ يَبْتَغِي الْـحَبَّ مُسْرِعًا   وَدُونَ الـذِي يَبْغِـيهِ فَـخٌّ وَصَـائِدُ

شَبَّهَ الشَّاعِرُ حَالَ الناسِ في الدنيا يَجِدُّونَ ويَجْتَهِدُونَ في الوصول إلى آمالِهم وأمانيِّهِم، فتقفُ الْـخُطُوبُ والأحداثُ في طريقهم، وتَحُولُ بينهم وبينها بحالِ الطَّيْرِ تُسْرِعُ إلى التَقَاطِ الْـحَبِّ فيَقِفُ الفَخُّ والصَّائِدُ في طريقها ويَحُولانِ بينها وبين الْـحَبِّ.

ووجْهُ الشبه: هو الطَمَعُ في الوصول إلى شَيءٍ مَحْبُوبٍ مَعَ وجودِ العَوَائِقِ التي تَمنَعُ من الوصول إليه.

ومثل قول الله عز وجل: ﴿ **مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾** ﴾ [البقرة: ٢٦١].

فقد شَبَّهَتِ الآيَةُ الْـمَالَ الذي يُنْفَقُ في سبيلِ الله فيَتَضَاعَفُ ويَتَزَايَدُ ثوَابُه إلى سَبْعِمَائِةِ ضِعْفٍ، يُشْبِهُ حَبَّةَ الْـقَمْحِ التي زُرِعَتْ فأَخْرَجَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مائةُ حَبَّةٍ.

عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ: «**مَثَلُ الْـمُؤْمِنِينَ فِى تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْـجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْـجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْـحُمَّى**» رواه مسلم.

حيث شَبَّهَ الْـحَدِيثُ حَالَةَ الْـمُؤْمِنِ بينَ إِخْوَانِهِ الْـمُؤْمِنِينَ، كَحَالَةِ عضو من

أعْضَاءِ الْـجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى من تَعَبٍ وأَلَمٍ، فَيَشْكُو بَاقِي الأَعْضَاءِ من التَّعَبِ والأَلَمِ.

وبهذا يَتَضِحُ أَنَّ التَّشْبِيهَ التَّمْثِيلِيَّ يُشَبِّهُ حَالَةً بِحَالَةٍ أُخْرَى.

ومثل: (فَاطِمَةُ حَوْلَهَا صَدِيقَاتُهَا كَالْـقَمَرِ حَوْلَهُ النُّجُومُ - زَيْدٌ يُوَاصِلُ الْـمُذَاكَرَةَ وَالاجْتِهَادَ كَالْـقَائِدِ الّذِي يُهَيِّئُ نَفْسَهُ وَجُنُودَهُ لِلْفَوزِ فِي الْـمَعْرَكَةِ - الشَّمْسُ وَقَدْ غَطَّاهَا السَّحَابُ فَتَاةٌ حَسْنَاءُ مُنْتَقِبَةٌ).

٤ - التشبيه الضِّمْني:

هو ما لم يُصَرَّحُ فيه بأركانِ التشبيه (المشبه - المشبه به) على الطريقة المعلومة؛ بل يُفْهَمُ من مَضْمُونِ الْـكَلامِ وَسَيَاقِ الْـحَدِيثِ، ولذلك سُمِّيَ بالتشبيهِ الضِّمْنِي، مثل قول أبي الطيب المتنبي:

وَمَـنْ يَهُـنْ يَـسْهُلِ الْـهَـوَانُ عَلَـيْهِ   وَمَـا لِـجُـرْحٍ بِـمَـيِّتٍ إِيـــلام

أيْ أنَّ الذي اعتادَ الهوانَ، يَسْهُلُ عليه تحمّلُه، ولا يتألمُ له، وليس هذا الادعاءُ باطلًا؛ لأنَّ الميتَ إذا جُرِحَ لا يتألمُ، وفي ذلك تلميحٌ بالتشبيهِ في غير صراحةٍ، وليس على صورةٍ من صورِ التشبيهِ المعروفة.

فالشطر الثاني تشبيه ضمني، جاء لِيَدُلَّ على صِحَّةِ المعنَى في الشطر الأول؛ حيثُ إنَّنا قد عرفنا من البيت أنَّ الشاعرَ يُشَبِّهُ الشخصَ الذي يَقْبَلُ الذُّلَّ والْـهَوَانَ، ولا يَغَارُ لِكَرَامَتِهِ بمثل الْـمَيِّتِ الذي يُجْرَحُ جسدُهُ فلا يَشْعُرُ بأيِّ أَلَمٍ.

ومثل قول الله: ﴿ **وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ** ﴾ [الحجرات: ١٢].

هذا تشبيه ضمنيّ لِمَا يَنَالُهُ الْـمُغْتَابُ الظالِمُ مِنْ عِرْضِ الْـمُغْتَابِ الْـمظلوم على أفحش وجه، ولم يَقْتصر على تمثيل الاغتياب بأكل لحم مطلق الإنسان، بجعله أخًا للآكل، ومنها: أنه لم يقتصر على أكل لحم الآخر حتى جعله ميتًا.

وعن قتادة: كما تكره إن وجدت جِيفَةً مُدَوَّدةً أن تأكل منها، كذلك فاكْرَهْ لَحْمَ أَخِيكَ.

شَبَّهَ الاغْتِيَابَ من حيثُ اشْتِمَالِهِ على تَنَاوُلِ عِرْضِ الْـمُغْتَابِ بآكلِ لَحْمِ الإِنْسَانِ مَيِّتًا تشبيهًا تمثيليًّا، وَعَبَّرَ بالحالة الْـمُشَبَّهِ بها عَنِ الْـحَالَةِ الْـمُشَبَّهَةِ، وَلا شَكَّ أنَّ الحالةَ الْـمُشَبَّهَ بهَا أَفْحَشُ وَأَقْبَحُ، فَيَكُونُ التَّمْثِيلُ الْـمَذْكُورُ تَصْوِيرًا للاغْتِيَابِ بأَقْبَحِ الصُّوَرِ، وذلك أنَّ الإنسانَ يَتَأَلَّمُ قَلْبُهُ من سَبِّ عِرْضِهِ، كما يَتَأَلَّمُ جِسْمُهُ من قَطْعِ لَحْمِهِ؛ بلْ عِرْضُهُ أَشْرَفُ مِنْ لَحْمِهِ وَدَمِهِ، فَإِذَا امْتَنَعَ العَاقِلُ عن أَكْلِ لُحُومِ الناسِ امتنعَ كذلك عن سَبِّ عِرْضِهِمْ.

ومثل قول المتنبّي يمْدَحُ الْـحُسَيْنَ بْنَ عليّ الْـهَمَدَانِي ويَمْدَحُ أَبَاهُ:

وَأَصْبَحَ شِعْرِي مِنْهُمَا فِي مَكَانِهِ ... وَفِي عُنُقِ الْـحَسْنَاءِ يُسْتَحْسَنُ الْـعِقْدُ

جاء في الشطر الثاني تشبيهٌ ضِمْنيٌّ، وهو أنَّ شِعْرَه في ممدوحَيْهِ يُشْبِهُ الْـعِقْدَ النَّفِيسَ فِي عُنُقِ الْـمَرْأَةِ الْـحَسْنَاء.

ومثل قول البحتري يَمْدَحُ «مُحَمَّد بْنَ عَلِيٍّ الْـقُمّي»:

ضَحُوكٌ إِلَى الأَبْطَالِ وَهُوَ يَرُوعُهُمْ ... ولِلسَّيْفِ حَدٌّ حِينَ يَسْطُو ورَوْنَقُ

يُفْهَمُ منَ الشطرِ الثاني ضِمْنًا تشبيهٌ، وهو أنَّ مَمْدُوحَ الشَّاعِرِ كالسيفِ له صِفَتَانِ، يَسُرُّ الأَبْطَالَ بإِشْرَاقِهِ وَبَسَمَاتِهِ، وَيُرَوِّعُهُمْ بِسَطْوَةِ سُلْطَانِهِ.

ومثل قول أبي العتاهية:

تَرْجُو النَّجَاةَ وَلَمْ تَسْلُكْ مَسَالِكَهَا ... إِنَّ السَّفِينَةَ لاَ تَجْرِي على الْيَبَسِ

الشطر الثاني تَضَمَّنَ تَشبيهًا، ولم يأتِ مثلَ التشبيهِ المعهودِ من ذِكْرِ الْـمُشبَّهِ والمشبَّهِ به.

وإيضاح هذا التشبيه الضمني هو أنّ مَنْ لم يسْلُكْ مسَالِكَ النَّجَاةِ تكون حالُهُ مثلَ حالِ السَّفينةِ البحريَّةِ إذا وُضِعَتْ في البَرِّ علَى اليابسة، فإنَّها لا تجري.

ومثل قول أبي تمّام:

اصْــبِرْ عَــلَى مَـضَضِ الْـحَسُـ ـــودِ فَـــإِنَّ صَـــبْرَكَ قَاتِلُـــهْ
الـنَّــــارُ تـــأْكُــلُ بَعْـضهَا إِنْ لَمْ تَجِـــدْ مَـــا تَأْكُلُـــهْ

البيت الثاني اشتمل على تشبيهٍ ضمني واضح الدلالة.

ومثل قول أبي تمّام فى رِثاءِ طِفْلَيْنِ لعَبْد الله بن طاهر:

لَـهَفِـي عَـلَى تِلْـكَ الشَّوَاهِدِ مِنهُمَا لَـوْ أُمْهِلَـتْ حَتَّـى تَكُـونَ شَـمَائِلا
إِنَّ الْـــهِلاَلَ إِذَا رَأَيْــتَ نُمُـــوّهُ أَيْقَـنْتَ أَنْ سَيَـصِيرُ بَـدْرًا كـامِلا

البيت الثاني اشتمل على تشبيه ضِمْنِيٍّ واضحِ الدلالة.

ونلاحظ من هذا التشبيه ما يلي:

- طرفا التشبيه «المشبه – المشبه به» لا يفهمان بسهولة ، وإنما يفهمان بتأمل معنى الأبيات ومضمونها.
- التشبيه الضمني لا تذكر فيه أداة للتشبيه إطلاقًا.
- الطرف الثاني «المشبه به» يأتي على هيئة حكمة غالبًا .

من أمثلة التشبيه الضمني أيضًا قول الشاعر:

هُـوَ ذَا الْـفَجْـرُ فَقُومِـي نَنْـصَرِف عَـنْ دِيَـارٍ مَـا لَـنَا فِـيهَا صَـدِيق
مَـا عَـسَى يَـرْجُو نَـبَاتٌ يَخْـتَلِفُ زَهْــرُهُ عَــنْ كُـلِّ وَرْدٍ وَشَـقِيقِ؟
وَجَدِيــدُ الْـقَلْـبِ أَنَّــى يَأْتَلِـف مَـعَ قُلُـوبٍ كُـلِّ مَـا فِـيهَا عَتِـيق؟

فالأبياتُ تدورُ حولَ اختِلافِ طبيعةِ الشَّاعِرِ عن طبيعةِ مجتمعِهِ؛ ولذا طَلَبَ من نفسِهِ الرحيلَ والانصِرَافَ، منْ أَجْلِ هذا فالْـبَيْتُ الثاني يُعَدُّ تشبيهًا ضِمْنِيًّا لِلْبَيْتِ الأول، حيث تستحيلُ حياةُ الشاعرِ وتصعُبُ بينَ أفرادِ المجتمع، كما يَسْتَحِيلُ أَنْ يَعِيشَ كُلُّ ذِي عَقْلٍ مُفكِّرٍ بينَ أولئك الجامدين الرَّجْعِيِّينَ من الشُّيُوخِ الْـمُسِنِّينَ.

ومثل قول المتنبي:

وَجَاهِـلٍ مَـدَّهُ فِي جَهْلِـهِ ضَـحِكِي حَتَّـى أَتَـتْهُ يَـدٌ فَرَّاسَـةٌ وَفَـمُ

إِذَا رَأَيْـتَ نُـيُوبَ اللّـيْثِ بَـارِزَةً فَـلا تَظُـنَّنَّ أَنَّ اللّـيْثَ يَبْتَـسِمُ

يُشَبِّهُ الشَّاعِرُ نفسَهُ فِي البيتِ الثاني بالأَسَدِ الذي يُكَشِّرُ عن أَنْيَابِهِ عند الْـهُجُومِ عَلَى الفَرِيسَةِ، فَيَظُنُّهُ الْـجَاهِلُ مُبْتَسِمًا، وهذا التشْبيهُ يُوَضِّحُ مَعْنَى البَيْتِ الأَوَّلِ، وَيُؤَكِّدُ صِحَّتَهُ؛ لِذَا فَهُوَ تَشْبِيهٌ ضِمْنِيٌّ.

ومثل: أَيُّهَا الْـمُقَاتِلُ الْـمِحْجَامُ، لا تَخَفْ فَأَعْضَاؤُكَ لَنْ تَتَأَلَّمَ بَعْدَ تَمْزِيقِهَا، وَهَلْ يَضُرُّ الشَّاةَ سَلْخُهَا بَعْدَ ذَبْحِهَا ؟.

ومثل قول الشاعر:

أَحَـرَامٌ عَـلَى بَلابِلِـهِ الـدَّوْحُ حَـلالٌ لِلطَّـيْرِ مِـنْ كُـلِّ جِـنْسِ

الْفَائِدَةُ الْبَلاغِيَّةُ للتشبيه:

للتشبيه أَثَرٌ بَلاغِيٌّ وَجَمَالِيٌّ، وذلك أنه يُوَضِّحُ الْـفِكْرَةَ، وَيُقَوِّي الْـمَعْنَى من خلال التشخيص أو التجسيم أو التوضيح.

- **التشخيص**، نحو: (هذا الكتابُ جَلِيسٌ)، حيثُ يجعلُ غيرَ العاقلِ شَخْصًا عَاقِلًا.

- **التجسيم**، نحو: (العِلْمُ كالنُّورِ - الصَّبْرُ مِفْتَاحُ الْـفَرَجِ)، حيث يجعل الأمر المعنويَّ مَحْسُوسًا نَلْمَسُهُ أو نَرَاهُ.
- **التوضيح**: عندما يكون الطرفانِ مَحْسُوسَيْنِ أو مَعْنَوِيَّيْنِ، نحو: (الْـجَمَلُ سَفِينَةُ الصَّحْرَاءِ - الصَّدِيقُ جَنَّةٌ خَضْرَاءُ).

ملاحظة:

وهناك أَيضًا تشبيهٌ مقلوبٌ، وهذا التشبيهُ مظهرٌ من مظاهرِ الفَنِّ والإبداع، كقوله تعالى حكايةً عن الكفار: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، في مقامِ أنَّ الرِّبا مثلُ البيعِ، عكسوا ذلك لِظَنٍّ أنَّ الرِّبا عندهمْ أحلُّ من البيعِ؛ لأنَّ الغرضَ الربحُ، وهو أثبتُ وجودًا في الرِّبا منه في البيعِ، فيكونُ أحقَّ بالحلِّ على حدِّ زعمِهم.

تنبيهان:

١ - بعضُ أساليب التشبيهِ أقوى من بعضٍ في المبالغةِ، ووضوحِ الدلالةِ ولها مراتبُ ثلاثةٌ:

أ - **أعلاها وأبلغُها**: ما حذفَ فيها الوجهُ والأداةُ، نحو: (محمد أسدٌ)، وذلك سُمِّيَ تشبيهًا بليغًا؛ لأنَّهُ يَسْمَحُ لِلْمُتَلَقِّى أَنْ يَصِلَ إِلَى وَجْهِ الشَّبَهِ، فَيَشْتَرِكَ فِى الأَمْرِ.

ب- **المتوسطةُ**: ما تحذفُ فيها الأداةُ وحدها، كما تقول: (محمدٌ أسدٌ شجاعةً)، أو يحذف فيها وجهُ الشبهِ، فتقولُ: (محمدٌ كالأسدِ)، وبيانُ ذلك أنكَ بذكركِ الوجهَ حصرتَ التشابهَ، فلم تدعْ للخيالِ مجالًا في الظنِّ بأن التشابهَ في كثيرٍ من الصفاتِ، كما أنك بذكرِ الأداةِ أقررتَ على وجودِ الاختلاف بين المشبَّهِ والمشبَّهِ به.

جـ - **أقلُّها**: ما ذكرَ فيها الوجهُ والأداةُ، وحينئذٍ فقدتِ المزيتينِ السابقتينِ، مثل: محمدٌ كالأسدِ في الشجاعةِ.

٢ - قدْ لا يوفَّقُ المتكلِّمُ إلى وجهِ الشَّبهِ، أو يصلُ إليه بعد صعوبةٍ، وما أَقْبَحَ مِثْلَ هذا النوعِ، لِمَا فيه من القُبْحِ والشَّنَاعَةِ، حيثُ يَنْفِرُ مِنْهُ الطَّبْعُ السَّلِيمُ.

تدريبات

(١) بَيِّنْ أَركان التشبيه فيما يأتي:

١ – زُرْنَا حَدِيقَةً كأنها الفِرْدوْسُ في الجمال والبهاء.

٢ – العالِمُ سِراجُ أُمَّتِه في الهِداية وَتبديدِ الظلاَم.

٣ – أَنْت كالريح في العطاء والإنفاق.

٤ – العُمْرُ مِثْلُ الضَّيْفِ لِيْس لَهُ إِقامة.

٥ – كلامُ الشيخ كالشَّهْدِ في الحلاوة.

٦ – الناسُ كأَسْنان المُشْطِ في الاستواء.

٧ – أَقوالُ الملوك كالسيوف القاضية في القَطع والفصل.

٨ – قلبُ الكافر كالحجارةِ قَسْوةً وصلابةً.

٩ – جبِينُ فلانٍ كَصفْحةِ المِرْآة صفاءً وتلألُؤًا.

١٠ – قول الله: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [العنكبوت: ٤١].

(٢) ضع مكان النقط مشبهًا به:

١ – اللاعب مثل .... في السرعة.

٢ – العلماء يشبهون .... نورًا وهدًى.

٣ – كأنَّ القطَّ .... افتراسًا وقوةً.

٤ - الأمُّ كـ .... في الصبر والجلد.

٥ - المعلم كـ .... يَحْرِقُ نَفْسَه؛ لِيُضِيءَ لِغَيْرِهِ .

(٣) ضع مكان النقط مشبهًا:

١ - .... مثل الفيل في الضخامة.

٢ - .... كالساعة في الانضباط.

٣ - .... يشبه الأب في الشكل.

٤ - .... في الكلام كالملح في الطعام.

٥ - .... كالنخلة تلقى بالحجر فتنزل الثمر.

(٤) اجْعل كلَّ واحدٍ مما يأْتي مُشبَّهًا به:

(بَحْر - أسَد - ريح شديد - مِرْآةٌ صافيةٌ - فاكهة).

(٥) بيِّن كلَّ نوع من أَنواع التشبيه فيما يأْتي:

١ - خالد ثعلب في المكر.

٢ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ: «**مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ وَلَا يَقْبَلُ اللَّـهُ إِلَّا الطَّيِّبَ وَإِنَّ اللَّـهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْـجَبَلِ**» رواه البخاري.

٣ - قول النابغة الذبياني:

فإنـك شـمس والملـوك كـواكب ... إذا طلعـت لم يبدمـنهن كـواكب

٤ - القناعة كنز لايفنى .

٥ - قول الشاعر:

أحلامنا تزن الجبال رزانةً وتخالنا جنا إذا ما نجهل

٦ - قول الله: ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَث ﴾ [الأعراف: ١٧٥، ١٧٦].

٧ - قول الشاعر:

تَجِدُ الْكُتْبَ عَلَى النَّقْدِ كَمَا تَجِدُ الإِخْوَانَ صِدْقًا وكِذَابا

٨ - قول الأعشى:

كَأَنَّ مِشْيَتَها مِنْ بَيْتِ جَارَتِهَا مَرُّ السَّحَابِ لا رَيْثٌ ولا عَجَل

٩ - المدرس يشبه البحر الفياض .

١٠ - مصر أمنا ، ونحن بدونها كالغرباء .

١١ - قول الشاعر:

وَمَنْ يَهُنْ يَسْهُلِ الهَوانُ عَلَيْهِ ومَا لِجُرْحٍ بِمَيِّتٍ إِيلام

١٢ - قال علي رضي الله عنه : «مثل الذي يعلم العلم ولا يعمل به مثل السراج الذي يضيء للناس ويحرق نفسه» .

١٣ - قال صاحب كليلة ودمنة: «الدنيا كالماء المالح كلما ازددت منه شربًا ازددت عطشًا» .

١٤ - الكتاب خير جليس .

١٥ - الكلب يُشْبهُ الذِّئبَ .

١٦ - هادم الأخلاق كناشر الفساد .

١٧ - وجهُ الطائع القائم كالبدرِ.

١٨ - طبعُ فريدٍ كالنسيمِ رقّةً.

١٩ - يد أبي كالبحرِ جودًا.

٢٠ - كلام الشيخ كالدرِّ حسنًا، وألفاظُهُ كالعسلِ حلاوةً.

(٦)- اجعلْ كلَّ تشبيهٍ مما يلي مفصَّلًا ثم بليغًا:

١ - وجه مريم كالقمر.

٢ - ظفر الطفل مثل المخلب.

٣ - صوت الإمام يشبه البلبل.

٤ - المؤمن كالنخلة.

(٧) اجعل التشبيه التالي تشبيها تمثيليًا مع تغيير ما يلزم:

١ - أبي معروف كالشمس .

٢- الكتب مثل الأصدقاء .

٣- زيد وسعيد وعلي يشبهون الزهور.

الفصل الثاني

الاستعارة

الْفَصْلُ الثانِي

الاسْتِعَارَةُ

الاسْتعَارَةُ:

أو هو طَلَبُ الإعَارَةِ، مثل: (اسْتَعَارَ الطَّالِبُ كِتَابًا مِنَ الأُسْتَاذِ).

الطالب: مُسْتعير.

الأستاذ: مُسْتعار منه.

الكتاب: مُسْتعار.

وهذه العمليةُ تُسَمَّى اسْتِعَارَةً.

الاستعارة في اللغة:

هي طلبُ شيءٍ ما للانتفاع به، زَمَنًا ما دُونَ مُقَابل، على أن يَرُدَّهُ الْـمُسْتَعِيرُ إلى الْـمُستعار منه، عند انتهاءِ الْـمُدَّةِ الْـمَمْنُوحَةِ له، أو عند الطلب.

الاستعارة عند البيانيين:

هي استعمالُ لَفْظٍ ما، في غير ما وُضِع له، لعلاقة المشابهة، مع قرينةٍ مَانِعَةٍ عن إرادة المعنى الموضوع له في اصطلاحٍ به التخاطب.

فمثلا عندما تقول: (تَكَلَّمَ شَيْخٌ شُجَاعٌ فَوْقَ الْـمِنْبَرِ) فالمعنى هنا خالٍ من الاستعارة، لكن إذا أردت الاستعارة فإنك تستعمل أو تستعير كلمة أخرى من بيئة أخرى بشرط أن تكون هناك علاقة بين الكلمة المستعارة والمعنى المراد توضيحه، فتقول: (تَكَلَّمَ أَسَدٌ فَوْقَ الْـمِنْبَرِ).

فأنتَ هنا استعرتَ كلمةَ (أسد) من بيئة الحيوان، وهى كلمةٌ تدلُّ على الشجاعة، ثمَّ استخدَمْتَهَا فى بيئة الإنسانِ، لتستفيدَ من هذه الصفة لعلاقة المشابهة.

فالاستعارةُ تَشْبيهٌ حُذِفَ واحدٌ من طرفيه (المشبه - المشبه به)، وهي أكثر بلاغةً من التشبيه، ويتضح ذلك أَنَّكَ إذا قُلْتَ: (خَالِدٌ كَالأَسَدِ فِي الشَّجَاعَةِ) فهذا تشبيهٌ مُفَصَّلٌ.

فإذا أَرَدْتَ أنْ تَبَالِغَ أَكْثَرَ قُلْتَ: (خَالِدٌ كَالأَسَدِ - خَالِدٌ أَسَدٌ شَجَاعَةً).

فكلا المثالين تشبيهٌ مُجْمَلٌ.

فإذا أَرَدْتَ أنْ تُبَالِغَ أَكْثَرَ قُلْتَ: (خَالِدٌ أَسَدٌ) فهذا تشبيهٌ بليغٌ، وهذه نهاية المبالغة في التشبيه.

انظر إلى هذه الأمثلة:

١ - خَالِدٌ كَالأَسَدِ في الشَّجَاعَةِ.

٢ - خَالِدٌ كَالأَسَدِ.

٣ - خَالِدٌ أَسَدٌ.

نجد أن المشبه (خالد)، والمشبه به (أسد) هما ركنان أساسيان للتشبيه، لا يحذفان فى التشبيه المفصل، ولا المجمل، ولا البليغ. بينما الركنان الآخران للتشبيه (أداة التشبيه - وجه الشبه) قد يحذفان.

إذن: عندنا ركنان أساسيان لا يُحْذَفَانِ، وهما (المشبه - المشبه به).

وركنان غير أساسيين، هما: (أداة التشبيه - وجه الشبه) وقد يُحْذَفَانِ على حسب رغبة المتكلم.

فإذا أردت أن تبالغ أكثر، وحَذَفْتَ أحدَ الركنين الأساسيين للتشبيه، أى (المشبه - المشبه به) تكون بذلك قد انْتَقَلْتَ من التشبيهِ إِلَى الاسْتِعَارَةِ، وهذا معنى الاستعارة عند بعض البلاغيين، حيث يقولون: الاستعارة عبارةٌ عن تَشْبِيهٍ حُذِفَ منه أَحَدُ طَرَفَيْهِ أو رُكْنَيْهِ.

وهي من قبيل المجاز في الاستعمال اللّغوي للكلام، وأصلُها تشبيهٌ حُذِفَ منه المشَبّه وأداةُ التشبه ووجْهُ الشَّبَه، ولم يبق منه إلاَّ ما يدلُّ على المشبّه به، بأسلوب استعارة اللفظ الدالّ على المشبَّه به، أو استعارة بعض مشتقّاته، أوْ بعض لوازمه، واستعمالها في الكلام بدلًا عن ذكر لفظ المشبَّه، مُلاَحَظًا في هذا الاستعمال ادّعاءُ أنَّ المشبَّه داخل في جنس أو نوع أو صِنْف المشبّه به، بسبب مشاركته له في الصفة الّتي هي وجه الشَّبَهِ بينهما، في رؤية صاحب التعبير.

أنواع الاستعارة

أولا: الاستعارة التصريحية:

وهي التي يُصَرَّحُ فيها بالمشبه به ويُحْذَفُ المشبه.

مثل: (تَكَلَّمَ أَسَدٌ فَوْقَ الْـمِنْبَرِ)، حيث شبه الشيخ بالأسد.

الشيخ: مشبه.

الأسد: مشبه به.

والمذكور هنا المشبه به، وهو (الأسد)، والمحذوف، هو المشبه (الشيخ)؛ لذا فهى استعارة تصريحية.

ومثل قول الله تعالى: ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ۝١ ﴾ [إبراهيم: ١].

شَبَّهَ اللَّـهُ - سبحانه وتعالى - الْـكُفْرَ بالظلماتِ.

الكفر: مشبه.

الظلمات: مشبه به.

والمذكور هنا المشبه به، وهو (الظلمات)، والمحذوف، هو المشبه (الكفر)، لذا فهى استعارة تصريحية؛ لأنه صرح بالمشبه به.

كما شَبَّهَ اللَّـهُ - سبحانه وتعالى - الإسلامَ بالنُّورِ.

الإسلام: مشبه.

النور: مشبه به.

والمذكور هنا المشبه به، وهو (النور)، والمحذوف، هو المشبه (الإسلام)، لذا

فهي استعارة تصريحية؛ لأنه صرح بالمشبه به، فهنا استعارتان تصريحيتان .

ومثل: (رَأَيْتُ أَسَدًا عَلَى فَرَسِهِ)، شَبَّهَ الرجل الشجاع بالأسد.

الرجل الشجاع: مشبه.

الأسد: مشبه به.

والمذكور هنا المشبه به، وهو (الأسد)، والمحذوف، هو المشبه (الرجل الشجاع)؛ لذا فهي استعارة تصريحية؛ لأنه صرح بالمشبه به.

ففي لفظة (أسد) في هذا المثال، استعارة تصريحية كما سبق، فإنه أراد تشبيه الرجل الشجاع بالأسد لعلاقة الشجاعة، فحذف المشبّه الذي هو الرجل الشجاع، وصرّح بالمشبّه به الذي هو الأسد، على سبيل الاستعارة التصريحية.

ومثل قوله: ﴿ **يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ٨** ﴾ [الصف: ٨].

شَبَّهَ اللَّـهُ – سبحانه وتعالى – الدِّينَ بالنُّورِ.

الدين: مشبه.

نور: مشبه به.

والمذكور هنا المشبه به، وهو (النور)، والمحذوف، هو المشبه (الدين)، لذا فهي استعارة تصريحية؛ لأنه صرح بالمشبه به.

ومثل قوله: ﴿ **وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ** ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

شَبَّهَ اللَّـهُ – سبحانه وتعالى – الدِّينَ بالْـحَبْلِ.

الدين: مشبه.

الحبل: مشبه به.

والمذكور هنا المشبه به، وهو (الحبل)، والمحذوف، هو المشبه (الدين)، لذا فهى استعارة تصريحية؛ لأنه صرح بالمشبه به.

ومثل قول الْـحُطَيْئَةِ مُسْتَعْطِفًا الخليفةَ عُمَرَ بْنَ الخطاب:

مَـاذَا تَقُـولُ لأَفْـرَاخٍ بِـذِي مَـرَخٍ   حُمْـرِ الْـحَوَاصِـلِ لا مَـاءُ وَلا شَجَرُ
أَلْقَـيْتَ كاسِـيَهُمْ في قَعْـرِ مُظْلِمَـةٍ   فَاغْفِـرْ، عَلَـيْكَ سَـلامُ الله يَـا عُمَـرُ

الأولاد: مشبه.

الأفراخ: مشبه به.

والمذكور هنا المشبه به، وهو (الأفراخ)، والمحذوف، هو المشبه (الأولاد)؛ لذا فهى استعارة تصريحية؛ لأنه صرح بالمشبه به.

فقد شبه الشاعر أولادَه بالأفراخ الصغيرة، وحذف المشبه (الأولاد) وصرح بالمشبه به (الأفراخ)؛ لذا فهي استعارة تصريحية.

ومثل: (حَرَّرَ أُسُودُنَا مِصْرَ مِنْ ظُلْمِ الفَاسِدِينَ) حيث شبه الشبابَ بالأسود، وحذف المشبه (الشباب)، وصَرَّحَ بالمشبه به (الأسود)؛ لذا فهي استعارة تصريحية.

وكذلك قولك: (أَبْصَرْتُ قَمَرًا يُنَظِّفُ الْـبَيْتَ).

شَبَّهَ الْـمُتَكَلِّمُ الْـبِنْتَ الْـجَمِيلَةَ بالْـقَمَرِ.

البنت: مشبه.

القمر: مشبه به.

والمذكور هنا المشبه به، وهو (القمر)، والمحذوف، هو المشبه (البنت)، لذا فهى استعارة تصريحية؛ لأنه صرح بالمشبه به.

ومثل قوله تعالى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ ﴾ [الفاتحة: ٦].

شَبَّهَ اللَّـهُ - سبحانه وتعالى - الدِّينَ بالطَّرِيقِ، أى: الصِّرَاط.

الدين: مشبه.

الصراط: مشبه به.

والمذكور هنا المشبه به، وهو (الصراط)، والمحذوف، هو المشبه (الدين)، لذا فهى استعارة تصريحية؛ لأنه صرح بالمشبه به.

ومثل قوله تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ۝ ﴾ [الإسراء: ١٣].

شَبَّهَ اللَّـهُ - سبحانه وتعالى - عَمَلَ الإنسانِ بالطائرِ.

العمل: مشبه.

الطائر: مشبه به.

والمذكور هنا المشبه به، وهو (الطائر)، والمحذوف، هو المشبه (العمل)، لذا فهى استعارة تصريحية؛ لأنه صرح بالمشبه به.

والمراد بطَائِرِهِ: عَمَلُهُ الصَّادِرُ عنه باخْتِيَارِهِ وَكَسْبِهِ، حَسْبَمَا قَدَّرَهُ اللَّـهُ - تعالى - عليه من خَيْرٍ وَشَرٍّ.

أى: وألزمْنَا كُلَّ إنسانٍ مُكَلَّفٍ عَمَلَهُ الناتج عنه، إلزامًا، لا فِكَاكَ لَه منه، ولا قُدْرَةَ له عَلَى مُفَارَقَتِهِ.

وعَبَّرَ - سبحانه - عن عَمَلِ الإنسانِ بطَائِرِهِ؛ لأنَّ العَرَبَ كانوا - كما يقول الآلوسى - يَتَفَاءَلُونَ بالطَّيْرِ، فإذَا سافرُوا وَمَرَّ بِهِمُ الطَّيْرُ من جِهَةِ الشِّمَالِ إِلَى الْـيَمِينِ - تَيَمَّنُوا وتَفَاءَلُوا، وإنْ مَرَّ من جِهَةِ اليمينِ إلى الشمالِ تَشَاءَمُوا، فلما نَسَبُوا

الْـخَيْرَ وَالشَّرَّ إلى الطائر، استعير استعارة تصريحية، لما يشبههما من قدر الله - تعالى - وعمل العبد؛ لأنه سببٌ للخير والشر.

وقوله - سبحانه وتعالى-: ﴿ فِى عُنُقِهِۦ ﴾ تصوير لشدة اللزوم وكمال الارتباط بين الإنسان وعمله.

وَخَصَّ - سبحانه - العُنُقَ بالذِّكْرِ من بينِ سائرِ الأعضاءِ؛ لأنَّ اللزُومَ فيهِ أَشَدُّ، ولأنه العضو الذى تارةً يكونُ عليهِ ما يُزَيِّنُهُ كالقِلادَةِ وما يُشْبِهُهَا، وتارةً يكونُ فيه ما يَشِينُهُ كَالْـغُلِّ والقَيْدِ وما يُشْبِهُهُمَا.

قال الإِمَامُ ابْنُ كَثِيرٍ: ﴿ طَـٰٓئِرَهُۥ ﴾: هو ما طَارَ عنه مِنْ عَمَلِهِ، كما قالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ، وغير واحد - من خير أو شر، يلزم به ويجازى عليه

وقوله - سبحانه -: ﴿ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ كِتَـٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴾ بيان لِحَالِهِ فى الآخرة بعد بَيَانِ حَالِهِ فِى الدُّنْيَا.

والمراد بالكتابِ هنا صَحَائِفُ أعمالِهِ التى سُجِّلَتْ عليهِ فى الدُّنْيَا.

أى: أَلْزَمْنَا كُلَّ إنسانٍ مُكَلَّفٍ عَمَلَهُ الصَّادِرَ عنه فى الدنيا، وجعلناه مسئولا عنه دُونَ غيرِهِ. أَمَّا فى الآخرةِ فَسَنُخْرِجُ لهُ مَا عَمِلَهُ من خَيْرٍ أو شَرٍّ (في كتاب يلقاه منشورا) أى: مفتوحًا بحيث يستطيع قراءَتَهُ، ومكشوفًا بحيث لا يملك إخفاءَ شيءٍ منه، أو تَجَاهُلَهُ، أو الْـمُغَالَطَةَ فيه.

كتابٌ ظهرَتْ فيه الْـخَبَايَا والأسرار ظهورًا يغنى عن الشهود والجدال.

كتاب مشتمل على كل صغيرة وكبيرة من أعمال الإنسان.

انتبه!

الاستعارة كما قلنا: هى تشبيه حُذِفَ أَحَدُ طَرَفَيْهِ.

مثل: (مَرْيَمُ كَالْـقَمَرِ فِى الْـجَمَالِ) هذا تشبيهٌ مُفَصَّلٌ.

احْذِفْ وَجْهَ الشَّبَهِ، تقول: (مَرْيَمُ كَالْـقَمَرِ).

ثم احْذِفْ الأداةَ، تقول: (مَرْيَمُ قَمَرٌ).

ثم احْذِفْ أحدَ الطرفين، تقول: (رَأَيْتُ قَمَرًا يَمْشِى عَلَى الأَرْضِ)، الآن لم يبق لنا من أركان التشبيه إلا طرف واحد، وهو المشبه به.

وعلى هذا فإذا أردت أن تذكر استعارة اذكر تشبيهًا تامًّا أولًا، ثم احذف منه، هكذا:

١ - احْذِفْ وَجْهَ الشَّبَهِ.

٢ - احْذِفْ أَدَاةَ التَّشْبِيهِ.

٣ - احْذِفْ الْـمُشَبَّهَ.

٤ - ثمَّ كَوِّنْ جُمْلَةً يَتِمُّ بِهَا الْـكَلامُ.

وإذا أردت أن تمدح يوسف بالكرم، تقول: (يُوسُفُ كَالْـبَحْرِ فِى الْـكَرَمِ) هذا تشْبِيهٌ مُفَصَّلٌ.

احْذِفْ وَجْهَ الشَّبَهِ، تقول: (يُوسُفُ كَالْـبَحْرِ).

ثم احْذَفِ الأَدَاةَ، تقول: (يُوسُفُ بَحْرٌ).

ثم احْذَفْ أَحَدَ الطرفين، تقول: (جَاءَنَا بَحْرٌ يُنْفِقُ وَلا يَخَافُ الْـفَقْرَ)، الآن لم يبق لنا من أركان التشبيه إلا طرف واحد، وهو المشبه به.

وإذا أردت أن تمدح إبراهيمَ بالشجاعة، تقول: (إِبْرَاهِيمُ كَالأَسَدِ فِى الشَّجَاعَةِ) هذا تشْبيهٌ مُفَصَّلٌ.

احذف وجه الشبه، تقول: (إِبْرَاهِيمُ كَالأَسَدِ).

ثم احذف الأداة، تقول: (إِبْرَاهِيمُ أَسَدٌ).

ثم احذف أحد الطرفين، تقول: (تَكَلَّمَ أَسَدٌ فَوْقَ الْـمِنْبَرِ)، الآن لم يَبْقَ لنا من أركان التشبيه إلا طرف واحد، وهو المشبه به.

وهذا معنى أَنَّ الاستعارةَ هى عبارةٌ عن تشبيهٍ حُذِفَ أَحَدُ طَرَفَيْهِ.

وإذا أردت أن تمدح الوزير بالْـمَكْر، تقول: (الْـوَزِيرُ كَالثعْلَبِ فِى الْـمَكْرِ) هذا تشبيهٌ مُفَصَّلٌ.

احْذِفْ وجه الشبه، تقول: (الْـوَزِيرُ كَالثعْلَبِ).

ثم احْذِفْ الأداة، تقول: (الْـوَزِيرُ ثعْلَبٌ).

ثم احْذِفْ أحد الطرفين، تقول: (تَوَلَّى ثعْلَبٌ الْـوِزَارَةَ)، الآن لم يَبْقَ لنا من أركان التشبيه إلا طرف واحد، وهو المشبه به.

ثانيًا: الاستعارة المكنية:

هي ما حُذِفَ فيها المشَبَّهَ بِهِ ورُمِزَ لهُ بشيء مِنْ لوازِمِهِ، مع ذِكْرِ الْـمُشَبَّهِ، مثل قوله تعالى: ﴿ **وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤** ﴾ [الإسراء: ٢٤].

شَبَّهَ اللَّـهُ – سبحانه – الذُّلَّ بطَائِرٍ لهُ جَنَاحٌ.

الذل: مشبه.

الطائر: مشبه به.

والْـمَذْكُورُ هُنَا الْـمُشَبَّه، وَهُوَ (الذُّل)، وَحَذَفَ الْـمُشَبَّه بِهِ (الطائر)، لَكِنَّهُ ذَكَرَ شَيْئًا يَدُلُّ عَلَيْهِ، وَهُوَ (الْـجَنَاحُ)، لِذَا فَهِىَ اسْتِعَارَةٌ مَكْنِيَّةٌ؛ لأنَّه ذَكَرَ الْـمُشَبَّهَ وَحَذَفَ الْـمُشَبَّهَ بِهِ.

ومثل حديث ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ: «**بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى**

خَمْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّـهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّـهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَالْـحَجِّ وَصَوْمِ رَمَضَانَ» رواه البخاري.

شَبَّهَ الرَّسُولُ ﷺ الإسلامَ بالبيتِ.

الإسلام: مشبه.

البيت: مشبه به.

والْـمَذْكُورُ هُنَا الْـمُشَبَّه، وَهُوَ (الإسلام)، وَحَذَفَ الْـمُشَبَّهَ بِهِ (البيت)، لَكِنَّهُ ذَكَرَ شَيْئًا يَدُلُّ عَلَيْهِ، وَهُوَ (بُنِيَ)، لِذَا فَهِيَ اسْتِعَارَةٌ مَكْنِيَّةٌ؛ لأَنَّه ذَكَرَ الْـمُشَبَّهَ وَحَذَفَ الْـمُشَبَّهَ بِهِ.

ومثل: (بَكَتِ السَّمَاءُ عَلَى الشَّهِيدِ) شَبَّهَ السَّمَاءَ بِإِنْسَان يَبْكِي.

السماء: مشبه.

الإنسان: مشبه به.

والْـمَذْكُورُ هُنَا الْـمُشَبَّه، وَهُوَ (السماء)، وَحَذَفَ الْـمُشَبَّهَ بِهِ (الإنسان)، لَكِنَّهُ ذَكَرَ شَيْئًا يَدُلُّ عَلَيْهِ، وَهُوَ (يَبْكِي)، لِذَا فَهِيَ اسْتِعَارَةٌ مَكْنِيَّةٌ؛ لأَنَّه ذَكَرَ الْـمُشَبَّهَ وَحَذَفَ الْـمُشَبَّهَ بِهِ.

ومثل قول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَـٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَـٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَـٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَـٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ﴾ [يونس: ٢٤].

شَبَّهَ اللَّـهُ - سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى - الأَرْضَ بِالْـمَرْأَةِ التِي تَتَزَيَّن.

الأرض: مشبه.

المرأة: مشبه به.

والـمَذْكُورُ هُنَا الـمُشبَّه، وَهُوَ (الأرض)، وَحَذَفَ الـمُشَبَّهَ بِهِ (المرأة)، لَكِنَّهُ ذَكَرَ شَيْئًا يَدُلُّ عَلَيْهِ، وَهُوَ (ازَّينت)، لِذَا فَهِيَ اسْتِعَارَةٌ مَكْنِيَّةٌ؛ لأنَّهُ ذَكَرَ الـمُشبَّه وَحَذَفَ الـمُشَبَّهَ بِهِ.

والزخرف: اسم الذهب، وأُطْلِقَ عَلَى ما يُتَزَيَّنُ به مما فيه ذَهَبٍ وتَلْوِينٍ مِنَ الثيابِ والـحُلِيِّ، وَشَبَّهَتِ الأرضَ بالمرأةِ حين تريد التَّزَيُّنَ، فَتُحْضِرُ أَحْسَنَ ثِيَابَهَا من حُلِيٍّ وألوان.

وذكر ﴿ **وَٱزَّيَّنَتۡ** ﴾ بعد ﴿ **زُخۡرُفَهَا** ﴾؛ لأن المرأة تأخذ زخرفَهَا للتزين. وأصل (ازَّيَّنَتْ): تَزَيَّنَتْ، فَقُلِبَتْ التاءُ زَايًا؛ لتدغم في الزاي فَسُكِّنَتْ وَأُدْغِمَتْ واجتلبت همزة الوصل لأجل النطق بالساكن.

ومثل قول تعالى: ﴿ **وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢١٥﴾** ﴾ [الشعراء: ٢١٤، ٢١٥]، شَبَّهَ اللَّـهُ - تَعَالَى - الرَّسُولَ ﷺ بِالطَّائِرِ الذى له جناحٌ.

الرسول: مشبه.

الطائر: مشبه به.

والـمَذْكُورُ هُنَا الـمُشَبَّه، وَهُوَ (الرسول) الذى خُوطِبَ بِهَذِهِ الآياتِ، وَحَذَفَ الـمُشَبَّهَ بِهِ (الطائر)، لَكِنَّهُ ذَكَرَ شَيْئًا يَدُلُّ عَلَيْهِ، وَهُوَ (جناحك)، لِذَا فَهِيَ اسْتِعَارَةٌ مَكْنِيَّةٌ؛ لأنَّهُ ذَكَرَ الـمُشَبَّهَ وَحَذَفَ الـمُشَبَّهَ بِهِ.

ومثل قوله تعالى: ﴿ **وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ** ﴾ [الحجر: ٨٨]، وَخَفْضُ الـجَنَاحِ تَمْثِيلٌ للرفق والتواضُع بحال الطائر إذا أراد أن يَنْحَطَّ للوقوع خَفَضَ جَنَاحَهُ يُرِيدُ الدُّنُوَّ، وكذلك يَفْعَلُ إذا لاعَبَ أُنْثَاهُ، حيث يَمِيلُ إِلَى الـمُسَالَمَةِ والرفق، أو الذي يَتَهَيَّأُ لاحْتِضَانِ فِرَاخِهِ.

وقد انتشرَ أَمْرُ الْـجناح حتى صار كالمثل في التواضع واللين في المعاملة. وضد ذلك رفع الجناح تمثيل لِلْجَفَاءِ وَالْـقَسْوَةِ وَالشِّدَّةِ.

ومثل قوله تعالى حكايةً عن فرعون: ﴿ فَأَخَذْنَـٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَـٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [القصص: ٤٠].

شَبَّهَ اللَّـهُ - سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى - فرعونَ وجُنُودَهُ بِحَصَيَاتٍ أَوْ حِجَارَةٍ أَخَذَهُنَّ فِي كَفِّهِ فَأَلْقَاهُنَّ في البحر.

فرعونُ وجُنُودُهُ: مشبه.

حَصَيَات: مشبه به.

والْـمَذْكُورُ هُنَا الْـمُشَبَّه، وَهُوَ (فرعونُ وجُنُودُهُ)، وَحَذَفَ الْـمُشَبَّهَ بِهِ (حَصَيَات أَوْ حِجَارَة)، لَكِنَّهُ ذَكَرَ شَيْئًا يَدُلُّ عَلَيْهِ، وَهُوَ (فنبذناهم)، لِذَا فَهِيَ اسْتِعَارَةٌ مَكْنِيَّةٌ؛ لأَنَّهُ ذَكَرَ الْـمُشَبَّهَ وَحَذَفَ الْـمُشَبَّهَ بِهِ.

ومثل قوله تعالى: ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَـٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّـٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الزمر: ٥٦] شَبَّهَ اللَّـهُ - تَعَالَى - الْـحَسْرَةَ بالعَاقِلِ الذِى يُنَادَى لِيُقْبِلَ.

الحسرة: مشبه.

العاقل: مشبه به.

والْـمَذْكُورُ هُنَا الْـمُشَبَّه، وَهُوَ (الحسرة)، وَحَذَفَ الْـمُشَبَّهَ بِهِ (العاقل)، لَكِنَّهُ ذَكَرَ شَيْئًا يَدُلُّ عَلَيْهِ، وَهُوَ النداء (يا)، لِذَا فَهِيَ اسْتِعَارَةٌ مَكْنِيَّةٌ؛ لأَنَّهُ ذَكَرَ الْـمُشَبَّهَ وَحَذَفَ الْـمُشَبَّهَ بِهِ.

ومثل قوله تعالى: ﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَـٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [القلم: ٥١، ٥٢].

عَرَّفَ اللَّـهُ رسولَه ﷺ بعضَ ما تَنْطَوِي عَلَيْهِ نُفُوسُ الْـمُشرِكينَ تِجَاهِ النبيِّ ﷺ من الْـحِقْدِ وَالْـغَيْظِ وإِضْمَارِ الشَّرِّ عندما يَسْمَعُونَ الْـقُرْآنَ.

لَيُزْلِقُونَكَ: أي يُسْقِطُونَكَ وَيَصْرَعُونَكَ ويُهْلِكُونَكَ. وقال القرطبي: يقال: زَلَقَ السَّهْمُ وزَهَقَ، إذا نَفَذَ.

شَبَّهَ اللَّـهُ - سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى - الأَبْصَارَ بالسِّهَامِ التى يُضْرَبُ بها.

الأَبْصَارَ: مشبه.

السِّهَام: مشبه به.

والْـمَذْكُورُ هُنَا الْـمُشَبَّه، وَهُوَ (الأَبْصَارَ)، وَحَذَفَ الْـمُشَبَّهَ بِهِ (السِّهَام)،

لَكِنَّهُ ذَكَرَ شَيْئًا يَدُلُّ عَلَيْهِ، وَهُوَ (يُزْلِقُونَكَ)، لِذَا فَهِيَ اسْتِعَارَةٌ مَكْنِيَّةٌ؛ لأَنَّهُ ذَكَرَ الْـمُشَبَّهَ وَحَذَفَ الْـمُشَبَّهَ بِهِ.

ومثل: (جُنُودُنَا يَفْتَرِسُونَ الأَعْدَاءَ) شَبَّهَ الجنود بأُسُودٍ يفترسونَ الأعداءَ.

الجنود: مشبه.

الأسود: مشبه به.

والْـمَذْكُورُ هُنَا الْـمُشَبَّه، وَهُوَ (الجنود)، وَحَذَفَ الْـمُشَبَّهَ بِهِ (الأسود)، لَكِنَّهُ ذَكَرَ شَيْئًا يَدُلُّ عَلَيْهِ، وَهُوَ (يَفْتَرِسُونَ)، لِذَا فَهِيَ اسْتِعَارَةٌ مَكْنِيَّةٌ؛ لأَنَّهُ ذَكَرَ الْـمُشَبَّهَ وَحَذَفَ الْـمُشَبَّهَ بِهِ.

ومثل: (لِلْحُرِّيَّةِ بَابٌ) شَبَّهَ الحرية بمنزلٍ له باب.

الحرية: مشبه.

منزل: مشبه به.

والْـمَذْكُورُ هُنَا الْـمُشَبَّه، وَهُوَ (الحرية)، وَحَذَفَ الْـمُشَبَّهَ بِهِ (منزل)، لَكِنَّهُ

ذَكَرَ شَيْئًا يَدُلُّ عَلَيْهِ، وَهُوَ (باب)، لِذَا فَهِيَ اسْتِعَارَةٌ مَكْنِيَّةٌ؛ لأَنَّهُ ذَكَرَ الْـمُشَبَّهَ وَحَذَفَ الْـمُشَبَّهَ بِهِ.

ومثل قول الشاعر:

نَسِيَ الطِّينُ سَاعَةً أَنَّهُ طِينٌ حَقِيرٌ فَصَالَ تِيهًا وَعَرْبَدَ

شَبَّهَ الشاعر الطين بإنسان ينسى.

الطين: مشبه.

إنسان: مشبه به.

والْـمَذْكُورُ هُنَا الْـمُشَبَّه، وَهُوَ (الطين)، وَحَذَفَ الْـمُشَبَّهَ بِهِ (إنسان)، لَكِنَّهُ ذَكَرَ شَيْئًا يَدُلُّ عَلَيْهِ، وَهُوَ (ينسى)، لِذَا فَهِيَ اسْتِعَارَةٌ مَكْنِيَّةٌ؛ لأَنَّهُ ذَكَرَ الْـمُشَبَّهَ وَحَذَفَ الْـمُشَبَّهَ بِهِ.

ومثل: (الْـقَائِدُ يَزْأَرُ فِي حَدِيثِهِ) شَبَّهَ المتكلمُ القائدَ بِأَسَدٍ يَزْأَرُ.

القائد: مشبه.

أسد: مشبه به.

والْـمَذْكُورُ هُنَا الْـمُشَبَّه، وَهُوَ (القائد)، وَحَذَفَ الْـمُشَبَّهَ بِهِ (أسد)، لَكِنَّهُ ذَكَرَ شَيْئًا يَدُلُّ عَلَيْهِ، وَهُوَ (يزأر)، لِذَا فَهِيَ اسْتِعَارَةٌ مَكْنِيَّةٌ؛ لأَنَّهُ ذَكَرَ الْـمُشَبَّهَ وَحَذَفَ الْـمُشَبَّهَ بِهِ.

إذن الاستعارة المكنية: يَتِمُّ حَذْفُ الْـمُشَبَّهِ به، وإبقاء صفة من صفاته، أو لازمة من لوازمه، مثل: (الأَزْهَارُ تَبْتَسِمُ) حيث شبه الأزهار (المشبه) بالإنسان (المشبه به) وحذف المشبه به، وهو الإنسان، وأبقى على شيء من صفاته، وهو الابتسام، على سبيل الاستعارة المكنية.

ثالثًا: الاستعارة التمثيلية:

وهي أنْ تَسْتَعِيرَ مثلا مِنَ الأمثالِ مْنْ قِصَّتِهِ الأَصْلِيَّةِ، وَتطْلِقَهُ عَلَى مَوْقِفٍ جَدِيدٍ يُشْبهُ الْـمَوْقِفَ الأَصْلِي، ومنها: (وَمْنْ يَبْذُر الشَّوْكَ يَجْنِ الْـجِرَاحَ).

وهذا المثلُ يُقَالُ في أَيَّةِ قِصَّةٍ حاضرةٍ مُشَابِهةٍ لِهَذِهِ القصة القديمة؛ لكن يُحَافَظُ على لفظِه وشكلِه على سبيل الاستعارة التمثيلية، وهكذا باقي الأمثال.

والاستعارة التمثيلية كانت في الأصل تشبيهًا تمثيليًّا حذف منه المشبه، أي القصة الحاضرة، وذكر فيها المشبه به أي: القصة القديمة مع الحفاظ على كلمات المثل وشكله، ومن هذه الأمثال:

١ - قول الرسول ﷺ: «**لاَ يُلْدَغُ الْـمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ مرَّتَيْنِ**» رواه البخارى ومسلم.

هذه العبارة النبوية تُسْتَعْمَل على سبيل (الاستعارة التمثيليّة) للتحذير من تَكْرَارِ العمل الذي سَبَّبَ مشكلةً، وتقال لمن نَالَ أَذى وَيَخْشَى تَكْرَارَ ذلك الأذى.

٢ - إذا رأى الناسُ اجْتِماعَ جُمهورٍ كَثِيرٍ على عالمٍ، أو واعظٍ، أو زعيم، أو كثرةَ إقبالهم على سوقٍ من أسواق التجارة، تمثّل قائلهم بقول الشاعر:

وَالْـمَوْرِدُ الْعَذْبُ كَثِيرُ الزِّحَامِ

هذا القول يُسْتَخْدَمُ على سبيل (الاستعارة التمثيليّة) مرادًا به غير معناه الأصلي الذي قاله الشاعر للدلالة به عليه.

٣ - ويُقالُ لِمَنْ يُنْصَحُ بأنْ يَتَّخِذَ من وسائل القوة مَا يَصْلُح لتحقيق تَغَلُّبه على الصِّعاب الشديدة الَّتي تواجهه: (إِنَّ الْـحَدِيدَ بِالْـحَدِيدِ يُفْلَحُ).

٤ - ويقال لمن يعمل جاهدًا في إقامة الفروع قبل العمل بتأسيس الأصول: (مَنْ بَنَى عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَبِنَاؤُه مُنْهَارٌ).

أو (قَبْلَ أَنْ تَرْفَعَ بِنَاءَكَ أَرْسِ أُسُسَهُ وَدَعَائِمَهُ).

٥ - ويقال لمن يَتْرُكُ العملَ زاعمًا أنَّ التوكُّلَ على الله يكفيه، ما قال الرسول ﷺ للأعرابي حين سأله: أَأَعْقِلُ نَاقَتِي يَا رَسُولَ اللَّـهِ أَمْ أَتَوَكَّلُ؟ قال: «**اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ**».

٦ - ومثل (سَبَقَ السَّيْفُ الْـعَزْلَ) يُقالُ لمن ضَاعت منه الفرصة التي كان يَرْجُو تَحْقِيقَهَا.

٧ - ومثل (كَيْفَ أُعَاوِدُكَ وَهَذَا أَثَرُ فَأْسِكَ؟) يقال لِمَن أَخْلَفَ وعْدَهُ مَرَّةً ويخشى تكرار ذلك الأذى حيث وَرَدَ في قصة خيالية أن حَيَّةً لَدَغَتْ شَخْصًا، فَخَافَتْ أن يقتلَهَا أَخُو هذا الشَّخْصِ بالثَّأْرِ، فَعَقَدَتْ مَعَهُ صُلْحًا عَلَى أَلا يَضُرَّهَا بِشَرْطِ أَنْ تَتْرُكَهُ يَرْعَى فِي أَرْضِهَا.

وفي يوم وَجَدَهَا عِنْدَ بَابِ جُحْرِهَا، فتذكر أنها قاتلةُ أخيه فثارتْ نَفْسُهُ، فَضَرَبَهَا بِالفَأسِ، فلم يَقْتُلْهَا، وهَرَبَتْ منه، وقَدْ تَرَكَت الفأس أثرًا عَلَى بَابِها، فَخَافَ منها وطلب إليها أن تجددالعهد السابق معها، فقالت: كَيْفَ أُعَاوِدُكَ وَهَذَا أَثَرُ فَأْسِكَ ؟

٨ - ومثل (قَطَعَتْ جَهِيزَةُ قَوْلَ كُلِّ خَطِيبٍ) يُقالُ لِمَنْ جَاءَ بالْـحَلِّ الْـفَاصِلِ عِنْدَ الاخْتِلافِ .

وهذا النوع من الاستعارة يستعملها الناس في مخاطباتهم وأمثالهم الدارجة، في فصيح الكلام العربي، وفي اللِّسان العامّي الَّذي يتخاطبُ عامَّةُ الناس به، ويُسْتَعْمَل أيضًا في غير العربيَّة من اللُّغات الإنسانيَّة الأخرى.

فمن العاميّ قولُ النَّاسِ إِذَا رَأَوْا صَاحِبَ صَنْعَةٍ أَوْ مَهْنة يُهْمِلُ أَشْيَاءَهُ الْـخَاصَّةَ التي يَصْنَعُ مِثْلَهَا لِغَيْرِهِ بِإِتقَانٍ: (بَابُ النَّجَّارِ مخلَّع) أو (السّكَافِي حَافِي وَالْـحَايك عُرْيَانِ).

تنبيه:

حين تجري العبارة مَجْرَى الأمثال، وتُصْبِحُ مثلًا، فإنَّها تُسْتَعار بلفظها دُونَ تَغْيِيرٍ، فيخاطَبُ بها المفرد والمذكر وفروعهما: (المؤنث - المثنى - الجمع) وَفْقَ صِيغَتِهَا التي وَرَدَتْ دُونَ تَبْدِيلٍ وَلا تَعْدِيلٍ.

ومنها الأمثال التالية:

١ - قولهم: (أَحَشَفًا وَسُوءَ كِيلَة).

الْحَشَفُ: التمْر الردئ الذي فَقَدَ خصائصه، الكِيلَةُ: هَيْئة الكَيْل.

هذا مثل يُقال لمن يُظْلَمُ مِنْ جِهَتَيْنِ.

٢ - قولهم: (الصَّيْفَ ضَيَّعْتِ اللَّبَنَ)، مثلٌ يُقال لِمَن فَرَّطَ بطَلَبِ حَاجَتِهِ عِنْدَ تَمَكُّنِهِ، ثمَّ طَلَبَهَا بَعْدَ فواتِ أَوَانِهَا.

وأصل المثل أنّ امرأةً طَلَبَتْ الطَّلاقَ من زَوْجِهَا الْـغَنِيِّ، وكانَ ذلك في زَمَنِ الصَّيْفِ، فَطَلَّقَهَا، فتَزَوَّجَتِ ابْنَ عَمِّهَا، وَكَانَ شَابًّا مُعْدَمًا، فَمَرَّتْ فِي الشِّتَاءِ بأَرْضِهَا، إِبِلُ زَوْجِهَا السَّابِقِ، فَأَرْسَلَتْ خَادِمَهَا إليه تَطْلُبُ مِنْهُ لَبَنًا، فَقَالَ: «الصَّيْفَ ضَيَّعْتِ اللَّبَنَ» فسَارَتْ عبارتُه مثلًا.

ملاحظة:

والحقائقُ السَّامِية في مَعَانيهَا وأهدافِهَا تأخذُ صورتَها الرَّائعَةَ إذا صِيغَتْ في قَالِبٍ حِسِّيٍّ يُقَرِّبُهَا إلى الأفهامِ بقياسِهَا عَلَى المعلوم اليقيني، والتمثيل هو القالبُ الذي يُبْرِزُ المعاني في صورة حَيَّةٍ تَسْتَقِرُّ في الأذهان، بتشبيهِ الغائبِ بالحاضر، والمعقول بالمحسوس. وقياس النظير على النظير، وكم من معنى جميل أكسبه التمثيل روعةً وجَمَالًا، فكان ذلك أَدْعَى لتقبل النفس له، واقتناع العقل به، وهو من أساليب القرآن الكريم في ضروب بيانه ونواحي إعجازه.

ومن العلماء من أفرد الأمثال في القرآن بالتأليف، ومنهم من عَقَدَ لها بَابًا في كتابٍ من كتبه، فأفردها بالتأليف أبو الحسن الماوردي، وعَقَدَ لَهَا السيوطي بَابًا في الإتقان، وابن القيم في كتاب أعلام الموقعين. حيث تتبع أمثال القرآن التي تَضَمَّنَتْ تَشْبِيهَ الشَّيءِ بنظيرِهِ، والتسوية بينهما في الحكم - فبلغت بضعة وأربعين مثلا.

وَذَكَرَ الله في كتابه العزيز أنه يضرب الأمثال، مثل:

قوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ [الرعد: ١٧].

وقوله تعالى: ﴿ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [إبراهيم: ٢٥].

وقوله تعالى: ﴿ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [النور: ٣٥].

وقوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [الزمر: ٢٧].

وعن عليٍّ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللَّـهَ أَنْزَلَ الْـقُرْآنَ آمِرًا وَزَاجِرًا، وَسُنَّةً خَالِيَةً، وَمَثَلًا مَضْرُوبًا».

الفائدة البلاغية للاستعارة:

للاستعارة فَوَائِدُ بَلاغِيَّةٌ وجَمَالِيَّةٌ، ذلك أنها تُوَضِّحُ الْـفِكْرَةَ، وَتُقَوِّي الْـمَعْنَى من خِلالِ التَّشْخِيصِ، أو التَّجْسِيمِ، أو التَّوْضِيحِ.

التشخيص، نحو: (بَكَتِ السَّمَاءُ عَلَى الشَّهِيدِ) استعارة مكنية ، حيث شبه السماء بإنسان يبكي، سر جمالها التشخيص .

التجسيم، نحو: (لِلْحُرِّيَّةِ بَابٌ) استعارة مكنية، حيث شبه الحرية بمنزل له باب، سِرّ جَمَالِهَا التجسيم، أي تجسيم معنوي.

التوضيح، نحو: (عَبَرَ أُسُودُنَا الْـقَنَاةَ) استعارة تصريحية، حيث شبه الجنود بالأسود، وسِرُّ جَمَالِهَا التوضيح؛ لأنَّ كلا من الْـمُشَبَّهِ وَالْـمُشَبَّهِ به حِسِّيَّان .

تدريبات

(١) عين الاستعارة التصريحيةَ والمكنيةَ مما يلي:

١ - قول الله: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَـٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

٢ - قول تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ۝٢١٤ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢١٥ ﴾ [الشعراء: ٢١٤، ٢١٥].

٣ - قول الرسول ﷺ: «لاَ يُلْدَغُ الْـمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ مرَّتَيْنِ» رواه البخارى ومسلم.

٤ - قول الشاعر:

سَيَرَانا الدَّهْرُ نَمْضِي خَلْفَهَا ... وَحْدَةً مَشْبُوبَةً بِاللَّهَبِ

٥ - قول الشاعر:

فَهَيَّا نَنْزِع الشَّرَّا ... وَهَيَّا نَحْطِمُ الطُّغْيَان

وتَبْحَث في ثَنَايَاك ... عَنِ الخيرِ عَنِ الإيمَان

٦ - قول الشاعر:

نَسِيَ الطِّينُ سَاعةً أَنَّهُ طِينٌ ... حَقِيرٌ فَصَالَ تِيهًا وعَرْبَد

٧ - قول الله: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ ﴾ [الفاتحة: ٦].

٨ - قول الشاعر:

يَخْطُو بِرَجَاءٍ بَسَّام ... وَطَنِي وَصَبَايَ وَأَحْلامِي

هَتَفَ التَّارِيخُ بِهِ فَصَحَا ... وَمَضَى وَثبًا وَمَشَى مَرْحًا

٩ - قول الشاعر:

أَحَــرَامٌ عَــلَى بلابلِــهِ الــدُّوحُ حَـلالٌ لِلطَّـيرِ مِـنْ كُـلِّ جِـنْسِ

١٠ - لا تَعجَبْ يَا أَخِي مِنْ رَجُلٍ ضَحِكَ الْـمَشِيبُ بِرَأْسِهِ فَبَكَى.

١١ - الفَاسِدُونَ قَوْمٌ يَصُومُونَ عَنِ الْـمَعْرُوفِ، ويُفْطِرون عَلَى الْـفَحْشَاءِ.

١٢ - الْـجَاهِلُ سَمِينُ الْـمَالِ مَهْزُولُ الْـمَعْرُوفِ.

١٣ - وقال البحتري:

فَـمَا قَاتَلَـتْ عَـنْهُ الْمَـنَايَا جُـنُودُهُ وَلاَ دَافَعَــتْ أَمْلاَكُــهُ وَذَخَائِــرُهْ

١٤ - قال الشاعر:

وَإِذَا الـسَّعَادَةُ لاحَظَـتْكَ عُـيُونُهَا نَـمْ فَالْـمَخَـاوِفُ كُلُّهُــنَّ أَمَــانُ

١٥ - قال أبو العتاهية:

أتــــتْهُ الخِلاَفَــــةُ مُــــنْقادَةً إلَــــيْهِ تُجَــــرِّرُ أذْيالَهَــــا

١٦ - قول الشاعر:

نَــبُثُّ بِهَــا رُوحَ الْـحَــيَاةِ قَــوِيَّةً وَنَقْـتُلُ فِـيهَا الـضَّنْكَ وَالـذُّلَّ وَالْفَقْـرَا

سَلامًا شَبَابَ النِّيلِ فِي كُـلِّ مَوْقِفٍ عَلَى الدَّهْرِ يَجْنِي المَجْدَ أَوْ يَجْلِبُ الْفَخْرَا

تَعَالَـوْا نَقُـلْ لِلـصَّعْبِ أَهْـلا فَإِنَّـنَا شَـبَابٌ أَلِفْـنَا الصَّعْبَ وَالمَطْلَبَ الْوَعْرَا

١٧ - قول الشاعر:

وَطَنِـي الْكَبِـير أَسَـامعٌ أَمْ يَـا تَرَى صُــمَّتْ بِــكَ الآذَانُ لا تَتَــأَثَّــرُ

عَــرَبِيَّةٌ أَرضًــا .. سَـمَاءً .. مُحْـتِدًا عُمــرًا .. وتَاريخًــا يُـضِئُ ويُزْهِــرُ

عَــربيَّــةٌ عَــلَّمْتِـنَا أنَّ الـفِـــدَا دَرْبٌ إلى الحــقِّ الـسَّليبِ ومَعْــبَرُ

١٨ - قول الشاعر:

حينما قيل اعبروا فاندفعوا يصنعون الفجر والنصر المبينا
يا بناة النصر صناع السلام يا حماة الحق من بغي اللئام
من سنا نيرانكم قد أشرقت عزة العرب الميامين الكرام

١٩ - كيف أعاودُك وهذا أثرُ فأسك ؟

٢٠ - رأيت ثعلبا يجيد قيادة الجيش.

٢١ - قول الشاعر:

والعلم إن لم تكتنفه شمائل تعليه كان مطية الإخفاق
لا تحسبن العلم ينفع وحده ما لم يتوج ربه بخلاق

٢٢ - قول الشاعر:

أعد الله للشعراء مني صواعق يخضعون لها الرقابا

٢٣ - قول الشاعر:

بكاؤكما يشفي وإن كان لا يجدي فجودا فقد أوي نظيركما عندي
توخى حمام الموت أوسط صبيتي فلله كيف أختار واسطة العقد ؟!

٢٤ - قول أبي العلا المعري:

سر إن استطعت في الهواء رويدًا لا اختيالًا على رفات العباد
رب لحد قد صار لحدًا مرارًا ضاحك من تزاحم الأضداد

٢٥ - احذر سيفا بين فكيك.

٢٦ - حضر مطر يعطي الدراهم والدنانير.

٢٧ - قول الشاعر:

يا سماء الشرق طوفي بالضياء   وانشري شمسك في كل سماء

(٢) اجعل التشبيهات التالية استعارة تصريحية أو مكنية:

١ - اللسان كالسيف في الإيذاء.

٢ - في البحر سفن كالجبال.

٣ - الكتاب صديق مخلص.

٤ - محمد كالغيث في العطاء.

٥ - دعاء مثل البدر في الحسن والبهاء.

(٣) استعمل هذه الكلمات بحيث تكون استعارة تصريحية مرة ومكنية أخرى:

(قمر - الظلام - الصباح - الربيع).

(٤) اختر الإجابة الصحيحة مما بين كل قوسين فيما يلي:

١ - ابتسم الزمان لنا (تصريحية - مكنية - تشبيه).

٢ - طلع البدر علينا قادما من مكة(تشبيه - تصريحية - مكنية).

٣ - قطعت جهيزة قول كل خطيب (مكنية - تصريحية - مكنية).

٤ - أتاك الربيع مختالًا(مكنية - تشبيه - استعارة).

٥ - المعلم بحر فياض في العلم(تصريحية - مكنية - تشبيه).

الفصل الثالث

الكناية

الْفَصْلُ الثالِثُ

الْكِنَايَةُ

الكناية في اللغة:

هي أَنْ تَتكَلَّمَ بِشَيءٍ وَتُرِيدُ غَيْرَهُ، يُقَالُ لُغةً: كَنَى عَن الأمْر بغيره يَكْنِي كِنَايَةً، أي: تكلّم بغيره ممّا يُسْتَدَلُّ به عليه.

ويُقَالُ: تَكنَّى إذَا تَسَتَّرَ، مِنْ كَنَى عَنْهُ إذا وَرَّى.

فأصل الكناية تَرْكُ التصريح بالشيء، وسَتْرُهُ بحجابٍ ما، معَ إرادةِ التعريف به بصورة فيها إخفاءٌ ما بحجابٍ غير ساترٍ سِتْرًا كاملًا.

الكناية فى الاصطلاح:

هي إِخْفَاءُ الْمَعْنَى مَعَ ذِكْرِ الدَّلِيلِ وَالْإِشَارَةِ عَلَيْهِ، مثل: الرَّفَث وَالغَائِطِ.

أو اللَّفظُ الَّذي استَتَرَ مَعْنَاهُ وَاخْتَفَى، ولاَ يُفْهَمُ إلاَّ بقَرِينَةٍ.

مثال: (زَيْدٌ أَنْفُهُ فِي السَّمَاءِ) فَإِنَّ ذلك كِنَايَةٌ عَنِ (الْكِبْرِ)، فإِنَّهُ هُنَا قَدْ أَخْفَى الْمَعْنَى، وذَكَرَ الدَّلِيلَ عَلَيْهِ؛ لأنه لم يَقُلْ: (زَيْدٌ مُتكَبِّرٌ)؛ بل قال:«أَنْفُهُ فِي السَّمَاءِ» ؛ دَلِيلًا عَلَى المعنَى الذي أَخْفَاهُ، أى الكبر.

مثال: (يَوْمَ ظُهُورِ النَّتِيجَةِ يَعَضُّ الرَّاسِبُ عَلَى أَنَامِلِهِ قَائِلًا يا لَيْتَنِي اجْتَهَدْتُ فِي دَرَاسَتِي) فَإِنَّ هَذَا الْكَلامَ كِنَايَةٌ عَنِ (النَّدَمِ)، فَإِنَّهُ هُنَا قَدْ أَخْفَى الْمَعْنَى، وَذَكَرَ الدَّلِيلَ عَلَيْهِ؛ لأَنَّهُ لَمْ يَقُلْ: (الرَّاسِبُ نَادِمٌ)؛ بل قال: (يَعَضُّ الرَّاسِبُ عَلَى أَنَامِلِهِ)؛ دَلِيلًا عَلَى الْمَعْنَى الذي أَخْفَاهُ، أى الندم.

ومثلُ: كناياتِ الطَّلاقِ، وهيَ الألفاظُ الَّتي لا تدلُّ بلفظِهَا على الطَّلاقِ،

كقولِ الرَّجلِ لزوجتهِ: (أمرُكِ بيدِكِ)، أو (الْـحَقِي بأَهْلِكِ)، أو: (أَنْتِ عَلَيَّ حَرَامٌ)، أو (اذْهَبِي فَتَزَوَّجِي مَنْ شِئْتِ)، أو: (خَلَّيْتُ سَبِيلَكِ)، أو: (انْتَهَى مَا بَيْنَنَا)، أو غير ذلكَ من الألفاظِ ممَّا هو ليسَ بصريحٍ في الطَّلاقِ.

حكمها:

لا يترتَّبُ على الكنايَةِ أَثرٌ بمجرَّدِ اللَّفظِ حتَّى يقترِنَ بالنِّيَّةِ.

فلو قالَ رجلٌ لزوجتِهِ: (خَلَّيْتُ سبيلَكِ) لم يدلَّ بنفسهِ على الطَّلاقِ حتَّى يقترِنَ بنيَّةٍ، ولهُ أن يقولَ: (لم أقصِدِ الطَّلاقَ)، فيُصدَّقُ بدَعواهُ.

أقسام الكناية:

أ - كناية عن صفة:

وهي إِخْفَاءُ الصِّفَةِ مَعَ ذِكْرِ الدَّلِيلِ عَلَيْهَا.

مثل: اصْفَرَّ وَجْهُ الطَّالِبِ عِنْدَ الامْتِحَانِ. (كناية عن الْـخَوْفِ).

حيث يَسْتَعْمِلُ النَّاسُ (اِصْفِرَارِ الْـوَجْهِ) كِنَايَةً عَنِ الْـخَوْفِ الشَّدِيدِ.

احْمَرَّ وَجْهُ الْـفَتَاةِ عِنْدَمَا رَأَتْ رَجُلًا. (كناية عن الْـحَيَاءِ).

حيث يَسْتَعْمِلُ النَّاسُ (اِحْمِرَارِ الْـوَجْهِ) كِنَايَةً عَنِ الْـحَيَاءِ وَالْـخَجَلِ.

مُحَمَّدٌ بَيْتُهُ مَفْتُوحٌ. (كناية عن الْـكَرَمِ).

حيث يَسْتَعْمِلُ النَّاسُ (بَيْتُهُ مَفْتُوحٌ) كِنَايَةً عَنِ الْـكَرَمِ وَالسَّخَاءِ.

طَارِقٌ نَظِيفُ الْـيَدِ. (كِنَايَةٌ عَنِ العِفَّةِ وَالأَمَانَةِ).

حَيْثُ يَسْتَعْمِلُ النَّاسُ (نَظَافَة اليَدِ) كِنَايَةً عَنِ الطَّهَارَةِ والعِفَّةِ وَالأَمَانَةِ.

الْـوَزِيرُ بَطْنُهُ كَبِيرٌ.(كناية عن الْـجَشَعِ وَالطَّمَعِ).

حيث يَسْتَعْمِلُ النَّاسُ كِبَرَ الْـبَطْنِ كِنَايَةً عَنِ الْـجَشَعِ وَالطَّمَعِ وَظُلْمِ النَّاسِ بأَكْلِ أَمْوَالِهِمْ بِالبَاطِلِ.

والأصلُ في هذه الكنَايَةِ أَنّ الشَّرِهِينَ فِي الطَّعَام الّذين يأكلونَ كَثيرًا تَكْبُرُ بُطُونُهُمْ، والشَّرَهُ في الطَّعَام كَثِيرًا مَا يُصَاحِبُهُ شَرَهٌ مُشَابهٌ فِي جَمْعِ الْـمَالِ وَكَنْزِهِ، وَهَذَا يَدْفَعُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَحْوَالِ إِلَى كَسْبِ الْـمَالِ بالظُّلْمِ وَالْـعُدْوَانِ.

ومثل قوله تعالى: ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ ﴾ [الكهف: ٤٢].

حيث يَسْتَعْمِلُ النَّاسُ (يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ) كِنَايَةً عَنِ الْـكَرَمِ وَالسَّخَاءِ.

ومثل قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٩].

حيث يَسْتَعْمِلُ النَّاسُ (يَدَكَ مَغْلُولَةً) كِنَايَةً عَنِ الشُّحِّ والْـبُخْلِ، كَمَا يَسْتَعْمِلُ النَّاسُ (تَبْسُطهَا كُلَّ الْـبَسْطِ) كِنَايَةً عَنِ التَّبْذِيرِ وَالإِسْرَافِ.

ب – كناية عن موصوف:

وَهِيَ إِخْفَاءُ الْـمَوْصُوفِ مَعَ ذِكْرِ الدَّلِيلِ عَلَيْهِ.

مثل: ضَرَبْتُهُ فِي مَوْطِنِ الأَسْرَارِ. (كناية عن القلب).

حَيْثُ يَسْتَعْمِلُ النَّاسُ (مَوْطِنِ الأَسْرَارِ) كِنَايَةً عَن مَوْصُوفٍ، وهو الْـقَلْبُ.

وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ. (كناية عن ذات، وهو الله سبحانه).

حَيْثُ يَسْتَعْمِلُ النَّاسُ (وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ) كِنَايَةَ ذَاتٍ، وَهُوَ اللَّـهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

نَحْنُ أَبْنَاءُ النِّيلِ. (كِنَايَة عَنْ مَوْصُوفٍ، وَهُوَالْـوَطْنُ مِصْر).

حَيْثُ يَسْتَعْمِلُ النَّاسُ (أَبْنَاءُ النِّيلِ) كِنَايَةَ مَوْصُوفٍ، وَهُوَالْـوَطْنُ مِصْر.

وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ (كِنَايَة عَنْ مَوْصُوفٍ، وَهُوَالسفينة).

حَيْثُ يَسْتَعْمِلُ النَّاسُ (أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ) كِنَايَةً عَنْ مَوْصُوفٍ، السَّفِينَة.

جَاءَ قَابِضُ يَدِهِ.(كِنَايَة عَنْ مَوْصُوفٍ، أي: جَاءَ الْـبَخِيلُ).

حَيْثُ يَسْتَعْمِلُ النَّاسُ (قَابِضُ يَدِهِ) كِنَايَةً عَنْ مَوْصُوفٍ، الْـبَخِيل.

وكما يُقَالُ: (الصِّدِّيقُ) كِنَايَةٌ عَنْ أَبِى بَكْرٍ رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهُ.

وكذلك (الفَارُوقُ) كِنَايَةٌ عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهُ.

وأيضًا (أَمِينُ هَذِهِ الأُمَّة)، كِنَايَةٌ عَنْ أَبِى عُبَيْدَةَ بْنِ الْـجَرَّاحِ رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهُ.

وَكَذَلِكَ (سَيْفُ اللَّـهِ الْـمَسْلُول)، كِنَايَةٌ عَنْ خَالِدِ بْنِ الْـوَلِيدِ رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهُ.

كما تقولُ: (النَّاطِقِينَ بالضَّادِ) كِنَايَةٌ عَنِ الْـعَرَبِ.

وَأَيْضًا تقول:(أَرْضُ الْـكِنَانَةِ)، كِنَايَةٌ عَنْ مِصْرَ.

وَأَيْضًا (دَارُ السَّلامِ) كِنَايَةٌ عَنْ بَغْدَادَ.

و(طيبةُ) كِنَايَةٌ عَنِ الْـمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ.

و(أَبو الأَنْبِيَاءِ) كِنَايَةٌ عَنْ آدَمَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ.

و(خَاتَم الأَنْبِيَاءِ) كِنَايَةٌ عَنِ الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ.

و(كَلِيمُ اللَّـهِ) كِنَايَةٌ عَنْ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ.

و(رُوحُ اللَّـهِ) كِنَايَةٌ عَنْ عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ.

ج – كناية عن نسبة لموصوف:

وهي أن تذكر الصِّفَةَ وَالْـمَوْصُوفَ، وتَذْكُرُ الدَّلِيلَ عَلَى اخْتِصَاصِ الصِّفَةِ

بالْـمَوْصُوفِ. مثل:

سَارَ الْكَرَمُ خَلْفَ عَثْمَانَ.	(كِنَايَةٌ عَنْ نِسْبَةِ الْـكَرَمِ لِعُثْمَانَ).
الْـعَدْلُ فِي رِكَابِ عُمَرَ.	(كِنَايَةٌ عَنْ نِسْبَةِ الْـعَدْلِ لِعُمَرَ).
مَشَى الْـعِلْمُ خَلْفَ ابْنِ عَبَّاسٍ.	(كِنَايَةٌ عَنْ نِسْبَةِ الْـعِلْمِ لابْنِ عَبَّاسٍ).
تَتَبَّعَ الْـحَيَاءُ خُطُوَاتِ مَرْيَمَ.	(كِنَايَةٌ عَنْ نِسْبَةِ الْـحَيَاءِ لِمَرْيَمَ).
الصِّدْقُ فِي لِسَانِهِ.	(كِنَايَةٌ عَنْ نِسْبَةِ الصِّدقِ لِلِسَانِهِ).
الأَدَبُ حَوْلَ الطَّالِبِ.	(كِنَايَةٌ عَنْ نِسْبَةِ الأَدَبِ لِلطَّالِبِ).

وقوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ ﴾ [فاطر: ٤١].

كناية عن نِسْبَةِ إِمْدَادِهِ لَهَا بِالبَقَاءِ فِي الْـوُجُودِ، كَالْـكَهربَاءِ لِبَقَاءِ النُّورِ فِي الْـمِصْبَاحِ الكهربائي إذا انْقَطَعَ إِمْدَادُهُ انْعَدَمَ النُّورُ مِنْهُ، وللَّـهِ الْـمَثَلُ الأَعْلَى.

ملاحظات:

١ - يجوز أن يجتمع لونان بيانيان فِي مثالٍ واحدٍ.

مثل: (الذِينَ يُدَافِعُونَ عَنْ أَوْطَانِهِمْ مِثْلُ الأُرْزِ) حيثُ يَصْلُحُ هذا الْـمِثَالُ أَنْ يَكُونَ كِنَايَةً عَنِ الْـكَثْرَةِ، كَمَا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ تَشْبِيهًا مُجْمَلًا.

ومثل قول الشاعر:

أَصَبْرًا عَلَى مَسِّ الْـهَوَانِ وَأَنْتُمُ ... عَدِيدُ الْـحَصَى؟ إِنِّي إِلَى اللَّـهِ رَاجِعُ

حيثُ يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ هذا التعبيرُ كِنَايَةً عَنِ الْـكَثْرَةِ، وَيَكُونُ تَشْبِيهًا بَلِيغًا.

٢ - كُلُّ كِنَايَةٍ عَنْ نِسْبَةٍ تُعَدُّ اسْتِعَارَةً مَكْنِيَّةً وَلَيْسَ الْـعَكْس.

مثل: (سَارَ الْـكَرَمُ خَلْفَ عُثْمَانَ) فهذا التعبيرُ كِنَايَةٌ عَنْ نِسْبَةِ الْـكَرَمِ لِعُثْمَانَ كما تقدم، ويَصْلُحُ أَيْضًا أَنْ يَكُونَ اسْتِعَارَةً مَكْنِيَّةً، حيثُ شَبَّهَ الْـكَرَمَ بِإِنْسَانٍ يَسِيرُ، وسِرُّ جَمَالِ الاسْتِعَارَةِ هُنَا التَّشْخِيصُ.

٣ - نُفَرِّقُ بَيْنَ الاسْتِعَارَةِ وَالْـكِنَايَةِ، أَنَّ الاسْتِعَارَةَ لا يُقْصَدُ مَعْنَاهَا الْـحَقِيقِي لِوُجُودِ الْـمَانِعِ، غيرَ أَنَّ الْـكِنَايَةَ لا مَانِعَ فِيهَا مِنَ الْـمَعْنَى الْـحَقِيقِيِّ لِعَدَمِ وُجُودِ الْـمَانِعِ، ويَتَّضِحُ ذَلِكَ مِنَ الْـمِثَالِ التَّالِي:

حِينَ تَصِفُ إِنْسَانًا بِأَنَّهُ لِصٌّ، فَإِنَّكَ تَقُولُ: (فُلانٌ يَدُهُ طَوِيلَةٌ) فَإِذَا رَأَيْتَ أَنَّ قَوْلَكَ هَذَا يُسَبِّبُ لَكَ مُشْكِلَةً اسْتَطَعْتَ أَنْ تَقُولَ: إِنِّي أُرِيدُ الْـمَعْنَى الْـحَقِيقِيّ، وهو أَنَّهُ طَوِيلُ الْـيَدِ فِعْلًا مُقَارَنَةً بِيَدِي.

ومِمَّا تَقَدَّمَ نَجِدُ أَنَّ الْـكِنَايَةَ قَدْ يُرَادُ مِنْهَا الْـمَعْنَى الْـحَقِيقِي أو الْـمَعْنَى الذِي أَرَدْنَا أَنْ نكني به. أَمَّا الاستعارَةُ فلا يُقْصَدُ بِهَا مَعْنَاهَا الْـحَقِيقِيّ أَبَدًا لِوُجُودِ مَانِعٍ، مِثْلُ قَوْلِكَ: (تكَلَّمَ أَسَدٌ فِي الْـفَصْلِ) فَلا يُمْكِنُ أَنْ نَقُولَ: إِنَّ أَسَدًا يَتَكَلَّمُ.

٤ - الْـكِنَايَةُ تَعْبِيرٌ وجْدَانِيٌّ يَخْتَلِفُ مِنْ بيئَةٍ إِلَى أُخْرَى، فَمَثَلًا كَانَ الْـعَرَبُ يكنونَ عَنْ طُولِ الليْلِ بقَوْلِهِمْ (لَيْلٌ بَطِيءُ الْـكَوَاكِبِ)، وَالْـيَومَ نَقُولُ: (إِنَّ عَقَارِبَ السَّاعَةِ لاتَتَحَرَّكُ).

الفائدة البلاغية للكناية:

للكنايةِ فَوَائِدُ بَلاغِيَّةٌ وَجَمَالِيَّةٌ، وذلك أنها تَأْتِي بِالْـمَعْنَى مَصْحُوبًا بالدليل في إِيجَازٍ وَتَجْسِيمٍ، وَفِيهِ إِقْنَاعٌ وَإِمْتَاعٌ.

أسلوب الكناية:

الكناية أسلوبٌ ذكيٌّ من أساليب التعبير عن المراد غير مباشرة، وهي من أبدع وأجمل فنون الأدب، ولا يستطيعُ تَصَيُّدَ الْـجَمِيلِ النَّادِرِ منها، ووضْعَهُ في

الْـمَوْضِعِ الملائم لمقتضى الحال إلاَّ أذكياءُ البُلَغَاءِ وفُطَنَاؤُهُمْ، وَمُمَارِسُو التعبيرِ عَمَّا يريدونَ التعبيرَ عنه بطُرُقٍ جميلةٍ بَدِيعَةٍ غيرِ مُبَاشِرَةٍ.

إنَّ الذَّكِيَّ اللَّمَّاح إذا أراد أن يتحدّث عن شيءٍ ما، صفةً كانَ، أو موصوفًا، أو نسبةً حكميّة، جالَ ذهْنُهُ لِيَدُلَّ على ما يُريد التعبير عنه بطريقة غير مباشرة، وطافَ في محيط ذلك الشيء لينتقي ممّا يلاحظ ما يُدلُّ به عليه، فَيُبْعِدُ حينًا، ويَقْرُبُ حينًا، ويتوسطُ حينًا آخر، ويستَبْعِدُ ما لا يَراه حسنًا جميلًا، ومَا لاَ يرى دلالته مناسبةً لمقتضى الحال.

إنَّهُ يُرِيدُ مثلًا أنْ يتحدّث عن السّاحرات، فَيَرَى من خَصَائِصِهِنَّ أنَّهُنَّ يَعْقِدْنَ فِي الْـخُيُوطِ، وتتحرَّكُ أَلْسِنَتُهُنَّ بِهَمْهَاتٍ وَغَمْغَمات، ويَنْفُثْنَ فِي الْـعُقَدِ، فيَدُلُّ عليهنَّ بعبارة: (النَّفَّاثات في الْـعُقَد) على سبيلِ الكنايةِ التي تدلُّ على المعنى المراد بطريقٍ غير مباشر.

ويريد مثلًا أن يتحدّثَ عن البخيلِ، ولكنْ لا يستَحْسِنُ استعمال لفظة (البخيل) في كلامِهِ؛ لأنّ دلالتها دلالَةٌ مباشرة، وليس فيها إبداعٌ فكريّ، فيلاحظ أنّ من سِمَات البخيل قبض يَدَيْه عن العطاء، فيكنّى عن الْـبُخْل بعبارة (قبض اليدين)، أو (قَبَضَ الْـيَدَ) ويكنّى عنِ البخيل بعبارة (قابض اليدين)، أو (قابض اليد) وعبارة (قبض الْـيَد) أدقّ؛ لأنّ العطاء يكون بيد واحدة في الناس.

ويريدُ أن يتحدَّثَ عن شديد الْـبُخْلِ الّذِي لا يستطيعُ أَنْ يَمُدَّ يَدَهُ بعطاء، فيكنّي بعبارة: (مَغْلُول الْـيَدِ إلى العُنق)؛ لأنّ من كانت يدُهُ مَغْلُولَةً إلى عُنُقِهِ كان غيرَ قادرٍ على أن يَبْسُطَهَا لو أراد بَسْطَهَا ويُعْطِي بهَا أو يَأْخُذ، وكذلك الشحيحُ الذي يكون بُخْلُهُ شدِيدًا، تكون حالةُ يدِهِ الّتي يعطي بها عادةً مع شُحّ نفسِهِ، كَحَالَةِ مَنْ غُلَّتْ يَدُهُ إلى عُنُقِه.

هذا التعبيرُ اشتمَلَ على مَزْجِ الكنايةِ بتشبيهٍ ضِمْنِيٍّ، وتقديم ذلك بعبارةٍ جَمِيلَةٍ بَدِيعَةٍ تَدُلُّ على الْـمَقْصُودِ بطَرِيقَةٍ غيرِ مباشرةٍ.

وفي مقابلِ هذِهِ الكنايةِ تأتِي بَسْطُ اليَدِ للدّلالَة بها على الْـجُودِ. وتَأْتِي كِنَايةُ الإفراطِ فِي الْـبَسْطِ لِلدّلالَة بهَا عَلَى الإسْرَافِ.

هُنَا نُدْرك الإبداعَ وَالجَمَالَ فِي التعبيرِ الْـقُرْآنِيِّ الذِي قَالَ الله- عَزَّ وَجَلَّ - فيه: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٩].

وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [المائدة: ٦٤].

ولعامَّة الناس في تعبيراتهم الدارجات كناياتٌ كثيرات، فَبَدَلَ أَنْ يقولَ قائلهم: «أنا أكبرُ من فلانٍ سنًّا» يأتي في تعبيراتهم: لَمَّا كنتُ مُدَرِّسًا كَانَ في المرحلة الابتدائية - كُنْتُ أَحْمِلُهُ وهو ابنُ سَنَتَيْنِ - وتقول المرأة: هو ابني من الرضاعة.

ويقول قائل عَنْ أُسْرَةٍ غَنِيَّةٍ: كانوا يَسْتَجْدُونَ صَدَقَاتِ النَّاسِ قَبْلَ الحربِ، أي: هم أَثرِيَاءُ حَرْبٍ - كانوا فُقَرَاءَ قبلَ أَنْ يُعيَّنَ وَلِيُّهُمْ مُدِيرًا للمالية.

وقال مَنْ يُرِيدُ إِخْفَاءَ مِهْنَةِ أَبِيهِ: أنا ابْنُ مَنْ خَضَعَتْ لَهُ الرُّءُوسُ، أي: ابنْ حَلاَّقٍ. إلى غير ذلك من تعبيرات لا تُحْصَى.

فوائد الكناية:

تُستَخدم الكناية لأغراضٍ بلاغيّة كثيرة، منها الأغراض التالية:

١ - إيثار الأسلوب غير المباشر في الكلام، إذا كان مُقْتَضَى الحالِ يستدعِي ذلك، فَمِنَ المعلومِ أنَّ الأسلوبَ غيرَ المباشرِ أكثرُ تأثيرًا فِيمَنْ يُقْصَد توجيهُ الكلامِ له غالبًا.

٢ - كَوْنُ التَّعْبِيرِ المكَنَّى به ينبّه على معنًى لا يؤدّيه اللّفظُ الصَّرِيحُ المكنَّى عنه. فلو خَاطَبَ اللّـهُ الناسَ فقال: هو الذي خَلَقَكُمْ مِنْ آدمَ، لَمْ يَكُنْ في هذا التعبيرِ التنبيهُ على عظيمِ قُدْرَتِهِ، وبالغِ حِكْمَتِهِ الجليلةِ في قَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، وَوَاسِعِ عِلْمِهِ، مثلُ قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النساء: ١].

إنَّ عبارة: ﴿ مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ جاءت كنايةً عن آدمَ، لكِنْ نَبَّهَتْ على أَمْرٍ جليلٍ لا تُنَبِّهُ عليه عبارة: «مِنْ آدم» .

إنّما تُنَبِّه عَلَى أنَّ السّلالَة الإنسانيَّةِ كُلَّهَا مشتقةٌ بتقديرِ العزيزِ العليمِ القديرِ الحكيمِ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ.

٣ - كَوْنُ المكنَّى به أَسْهَلَ فَهْمًا مِنْ لَفْظِ الْـمُكَنَّى عنه.

٤ - كَوْنُ المكنَّى به أَجْمَلَ عِبارةً، وأَعْذَبَ لفظًا من المكنَّى عنه، فَمُرَاعَاةُ الْـجَمَالِ الفَنِّي مِنَ الأغراضِ الْـمُهِمَّةِ التي تُقْصَدُ في الكلامِ.

٥ - كَوْنُ المكَنَّى عنه مِمَّا يَحْسُنُ سِتْرُهُ، ويقبُحُ في الأَدَبِ الرَّفِيعِ التصريحُ به، إذْ هو مِنَ العَوْرَاتِ، أو من الْـمُسْتَقْذِرَاتِ، أو مِنَ الْـمُسْتَقْبَحَات.

٦ - إرادة التَّعْمِيَةِ والإلغاز، ويكونُ هذا فِي الكنايات التي يَصْعُب علَى غَيْرِ الأذكياء اللَّمَّاحِينَ إدْراكُ المقصود بها.

٧ - إرادةُ بيانِ بعضِ صفاتِ المكنَّى عنه مع الاختصار، بالاقتصارِ على ما يُذْكَرُ من صِفَاتِهِ لِغَرَضٍ يَتَعَلَّقُ بذِكْرِهَا.

٨ - إرادة مَدْح المكنَّى عنه أو ذمّة بذكر ما يُمْدَحُ به أو يُذَمّ به، مع الاقتصارِ عَلَى ذِكْرِ اللفظِ الْـمُكَنَّى به.

وَأَنَبِّهُ هنا عَلَى أَنَّهُ لا تُحْمَدُ الْكِنَايَةُ لِمُجَرَّدِ كَوْنِهَا كناية، بل لابُدَّ من ملاحظةِ غَرْضٍ بَلاغِيٍّ فيها، أدناه كونها أَجْمَلَ من التعبيرِ الصَّرِيحِ فِي أَذْوَاقِ الأُدَبَاءِ وَالْبُلَغَاءِ.

ولا بدّ أيضًا من أن تكونَ خَالِيَةً من الْعُيُوبِ الْجَمَالِيَّةِ، والْمُسْتَقْبَحَاتِ الْفِكْرِيَّةِ.

أمثلة من الكناية:

١ - فِي عَرْضِ قِصَّةِ إلقاءِ أمِّ موسَى ولدَهَا الطفلَ «مُوسَىْ» عليه الصلاة السلام في اليمّ خَوْفًا عليه من جُنود فرعونَ أن يَذْبَحُوهُ تَنْفِيذًا للأمر الفِرْعَوْنِي بقَتْلِ كُلِّ مَوْلُودٍ ذَكَرٍ من بنِي إسرائيلَ.

لقد أَوْحَى الله إليها أن تَضَعَهُ فِي صُنْدُوقٍ، وَتُلْقِيَهُ فِي الْيَمِّ إذا خافت عليه من جنودِ فرعونَ أن يَذبَحُوهُ، فَفَعَلَتْ، وَجَرَى به النهر، حَتَّى إذا بَلَغَ شَاطِئَ الْقَصْرِ الْفِرْعَونِيِّ الْتَقَطَهُ آلُ فرعونَ، وقَالَتِ امرأةُ فرعونَ له: قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ، لا تَقْتُلُوهُ، عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أو نَتَّخِذَهُ وَلَدًا، بَعْدَ هذا الْعَرْضِ، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [القصص: ١٠].

لقد كان فُؤادُها وهو عُمْقُ قلْبِها الشامل لأفكارها وعواطفها مَشْحُونًا بالْقَلَقِ وَالاضْطِرَابِ والْخَوْفِ عليه، فلمَّا أَلْقَتْهُ فِي الْيَمِّ وَعَلِمَتْ بما جَرَى لَهُ، أُزِيحَتْ عَنْ فُؤَادِها الْغُمَّةُ، وأصْبحَ فارغًا من القَلَقِ والاضطرابِ والخوفِ عليه، فجاءت عبارةُ: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ﴾ كنايةً عن طُمَأْنينتِهَا على وَلَدِها، وسَكِينَتِهَا، واسْتِمْتَاعِهَا بِمَشَاعِرِ السَّعَادَةِ؛ لأنَّ مِنْ شَأْنِ فَرَاغِ الْفُؤَادِ من الأفكارِ وَالعَوَاطِفِ الْمُثِيرَةِ لِلْقَلَقِ والاضطرابِ والْخَوْفِ أَنْ تُصَاحِبَهُ الطُّمَأْنينةُ والسَّكِينَةُ ومشاعرُ السّعادة.

٢ - قول الخنساء «تُماضر بنت عمرو» تصف أخاها صخرًا:

طَـويلُ الـنِّجَادِ رَفِـيعُ الْـعِمَاد ... سَـادَ عَـشِيرَتَهُ أَمْـرَدَا

طَوِيلُ النِّجَادِ. (كِنَايَةٌ عَنِ طُولِ الْقَامَةِ).

رَفِيعُ الْـعِمَاد. (كِنَايَةٌ عَنِ الشَّرَفِ وَالرِّفْعَةِ).

سَادَ عَشِيرَتَهُ أَمْرَدَا. (كِنَايَةٌ عَنِ الْـخَوْفِ).

النِّجاد: حمائل السيف، إذ من المعلوم باللّزوم الذهْنِي أنَّ الرجلَ ذَا الْـقَامةِ القصيرةِ لا يتَّخِذُ حمائل طويلة لسيفه، إنّما يَتَّخذُ الْـحَمَائِلَ الطويلة مَنْ كَانَ مِنَ النَّاسِ طويلَ القَامةِ.

وَكَنَّتْ عن كونِ أخيها ذا منزلةٍ رفيعةٍ في قومِهِ بقولها: «رفيع العماد» أي: بيتُهُ بينَ بُيُوتِ العربِ ذو أعمدةٍ عاليةٍ، إذْ يلزم ذهنًا من ارتفاعِ أعمدةِ سُكَّانِ الخيامِ في البادية أن تكون هذه الأعمدةُ لبيوتٍ عظيمةٍ كبيرةٍ، وجَرَتِ الْـعَادَةُ أن تكونَ هذه الخيامُ الْـعَظِيمَةُ لِذَوِي المكانةِ الرَّفِيعَةِ في أقوامِهِم، أم سائر سُكَّان البادية فتتشابَهُ خِيَامُهُم في ارتفاعِهَا وَأَحْجَامِهَا وأطوالَ أَعْمِدَتِهَا.

وَكَنَّتْ عن كَوْنِ أَخِيهَا جَوَّادًا مِضْيافًا بقولها: «سَادَ عَشِيرَتَهُ أَمْرَدَا» وقد سبق شرح دلالة هذه الكناية.

٣ - ما جاء في سورة الأعراف بشأن بني إسرائيل الذين اتّخذوا العجل الذَّهبيّ يعبدونه من دون الله، حينما ذَهَبَ موسَى عليه الصلاة والسلام لِمُنَاجَاةِ رَبِّه؛ لأنَّهم اسْتَبْطَئُوا عَوْدَتَهُ إذْ زادَ اللّـهُ له الميعادَ من ثلاثين ليلةً إلى أربعين ليلةً، ثمَّ لَمَّا رَأَوْهُ من بعيدٍ رَاجِعًا إليهم وبيده الألواحُ نَدِمُوا عَلَى ما فَعَلُوا نَدَمًا شديدًا وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا، قال الله عزَّ وجلَّ فيها: ﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾ [الأعراف: ١٤٩].

جاء في هذه الآيةِ الكنايةُ عَنْ نَدَمِهِمْ وخَوْفِهِمْ من سَطْوَةِ موسَى عليه السلام وعقابِهِ، إذ خالفوا مَوْعِدَهُمْ الذي واعدُوهُ إيَّاهُ أَنْ لا يُغَيِّرُوا ولا يُبَدِّلُوا في الدينِ شيئًا بعبارة: ﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ ﴾.

قال أهل التفسير: أي: نَدِمُوا وتَحَيَّرُوا.

قال الزّجاج: هُوَ نظمٌ لم يُسْمَعْ قبلَ القرآنِ ولم تَعْرِفْهُ العربُ.

فهو كنايَةٌ عن نَدَمِهم وشدّة خوفهم، وأَصْلُ هذه الكناية أنّ الْـمُجْرِمَ إذا أدْرَكَهُ الجنودُ أَسْرَعُوا فأسقطوا بعُنُقٍ في يَدَيْهِ الْـقَيْدَ الحديديّ حتَّى لاَ يَفِرَّ، فإذا فعلُوا به ذلك ارْتَخَتْ أَعْصَابُهُ، وَوَهَنَتْ عَزَائِمُهُ، وأيْقَنَ أنَّه مَسُوقٌ لِلْعِقَابِ.

وهؤلاء الذين اتّخذوا الْـعِجْلَ الذهبيَّ الذي عَبَدُوه أَحَسُّوا بمثل هذا لَمَّا رَأَوْا من بعيدٍ موسَى عليه السلام راجعًا إليهم ومعه الأَلواحُ، كأنّه قد حَصَل سُقوطُ قيدٍ حَدِيدىٍّ في أيديهم، وسيلاقون عقابهم.

هذه الكناية أُرِيدَ منها لاَزِمُها وهو الشعورُ بالندمِ والخوفِ من العقابِ مع العجزِ عن الفرار، وهي كنايةٌ ذاتُ إبداعٍ فنِّيٍّ رائع، وهي من الكنايات الخفيَّةِ مع عَدَمِ وجودِ وسائط بينَ المكنَّى به والمكنَّى عنه.

٤ – قول المتنبّي يمدح سيف الدولة:

فَمَسَّاهُمْ وَبُسْطُهُمْ حَرِيرٌ ... وصَبَّحَهُمْ وَبُسْطُهُمْ تُرَابُ
وَمَنْ فِي كَفِّهِ مِنْهُمْ قَنَاةٌ ... كَمَنْ فِي كَفِّهِ مِنْهُمْ خِضَابُ

بُسْطُهُمُ حَرِيرٌ. (كِنَايَةٌ عَنْ عِزَّتِهِمْ وغِنَاهُمْ).

بُسْطُهُم تُرَاب. (كِنَايَةٌ عَنِ الذُّلِّ وَالْـمَهَانَةِ).

كَنَّى بعبارة: «وبُسْطُهُمُ حَرِيرٌ» عن أَنَّهُمْ كَانُوا في عزّةٍ وسيادة قبل محاربته لهم؛ لأنَّ من كان عزيزًا سيدًا كانت بُسْطُهُ غالبًا من حريرٍ.

وكنّى بعبارة «وبُسْطُهُم تُرَاب» عن حالة الذُّلّ والمهانة التي وصَلُوا إليها بعد أن حَارَبَهُمْ وظَفِرَ بهم؛ لأنّ الذَّلِيلَ المهين لا يجدُ غيرَ التُّرَابَ يَفْتَرِشُهُ.

وَوَصَفَ رِجَالَهُمْ في البيت الثاني بأنّهم صاروا من ضَعْفِهِم عن مقاومة جيشِهِ كالنِّسَاءِ اللّواتي يخضِبْنَ أكفَّهُنّ بالحنّاء، فكنّى عن النساء بالوَصْفِ الذِي يَتَّصِفُ بِهِ نِسَاءُ عَصْرِهِ، وَكَنَّى عَنِ الرِّجال بالوصف الخاصّ بهم، وهو القبض على قَنَوَاتِ الرِّمَاحِ.

٥ - قول البحتري:

أَوَ مَا رَأَيْتَ الْـمَجْدَ أَلْقَى رَحْلَهُ فِي آلِ طَلْحَةَ ثُمَّ لَمْ يَتَحَوَّلِ

البيت كله. (كِنَايَةٌ عَنْ نِسْبَةِ الْـمَجْدِ وَالشَّرَفِ إِلَيْهِمْ).

كنّى بهذا التعبير عن كون آل طلْحَةَ سادةً ثُمَّ أشرافًا أَهْلَ مَجْد، فَمَنْ ألقى المجدُ رحْلَهُ في داره ولم يتحوّل عنها، فلا بُدَّ أنْ يكون المجدُ منسوبًا إليه لِعَظِيمِ شَرَفِهِ وَرَفِيعِ مَنْزِلَتِهِ.

وفي هذه الكناية إمتاعٌ للأديب بصورة أدبيَّةٍ جميلة.

٦ - قول الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمۡ عَلَيۡهِنَّ مِنۡ عِدَّةٖ تَعۡتَدُّونَهَاۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴿٤٩﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤٩].

﴿ إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ﴾: أي: تَزَوْجْتُمُوهُنَّ.

النكاح في الأصل: الْـوَطْءُ، تَنَاكَحَتِ الأشجارُ: إذا الْـتَصَقَ بعضُهَا ببعْضٍ، ولم يَرِدْ لَفْظُ النكاحِ فِي كتابِ اللّـهِ إلا فِي معنَى العقدِ؛ لأنّهُ لو اسْتُعْمِلَ في الْـوَطْءِ لَكَانَ تَصْرِيحًا بِهِ.

وَمِنْ آدَابِ الْـقُرْآنِ الْـكِنَايَةُ بِلَفْظِ الْـمُلامَسَةِ، وَالْـقُرْبَانِ، وَالإِتيَانِ، تَعْلِيمًا لِلأَدَبِ وَالْـحَيَاءِ. وفي تخصيصِ المؤمناتِ، مع أن الكتابياتِ تُساوي المؤمناتِ في هذا الحُكمُ، إشارةً إلى أن الأَوْلَى للمؤمنِ أنْ يَنْكَحَ المؤمنة، تَخْيِيرًا لِلنُّطْفَةِ.

﴿ فَمَتِّعُوهُنَّ ﴾ بشيءٍ من الْـمَالِ، وهذا في المفوض لها قبل الفرض، وأما الْـمَفْرُوضُ لَهَا، أو الْـمُسَمَّى صَدَاقُهَا، فتأخذُ نِصْفَ مَهْرِهَا، ولا مُتْعَةَ لَهَا عَلَى الْـمَشْهُورِ.

﴿ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً ﴾ أي: لا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا، وأَخْرِجُوهُنَّ من بُيُوتِكُمْ؛ إذ لا عِدَّةَ لَكُمْ عليهن.

قال القشيري: ﴿ سَرَاحًا جَمِيلاً ﴾ لا تذكروهن بعد الفراق إلا بِخَيْرٍ، ولا تستردوا منهن شيئًا، ولا تَجْمَعُوا عليهنَّ سُوءَ الْـحَالِ وَالإِضْرَارِ من جِهَةِ الْـمَالِ.

٧ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**ثَلاثَةٌ لا يُكَلِّمُهُمُ اللَّـهُ يَوْمَ الْـقِيَامَةِ وَلا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ رَجُلٌ حَلَفَ عَلَى سِلْعَةٍ لَقَدْ أَعْطَى بِهَا أَكْثَرَ مِمَّا أَعْطَى وَهُوَ كَاذِبٌ وَرَجُلٌ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ كَاذِبَةٍ بَعْدَ الْـعَصْرِ لِيَقْتَطِعَ بِهَا مَالَ رَجُلٍ مُسْلِمٍ وَرَجُلٌ مَنَعَ فَضْلَ مَاءٍ فَيَقُولُ اللَّـهُ الْـيَوْمَ أَمْنَعُكَ فَضْلِي كَمَا مَنَعْتَ فَضْلَ مَا لَمْ تَعْمَلْ يَدَاكَ**» رواه البخارى.

لا يُكَلِّمُهُمُ اللَّـهُ: كناية عن الغضب.

❁ ❁ ❁

التَّعْرِيضُ

التَّعْرِيضُ فِي اللُّغَةِ:

ضِدُّ التصريح، ومعناه أن يضمن كلامُه ما يصلح للدلالة على مقصودِهِ ويَصْلُحُ للدَّلالَةِ على غير مقصوده إلا أن إشعاره بجانب المقصود أتم وأرجح.

أو أن تقول كلامًا لا تُصرّح فيه بمرادكَ منه، لكنّه قد يشير إليه إشارة خفيَّةً، ويُمْكِنُكَ أَنْ تَتَهَرَّبَ من التزام ما أشرتَ به إليه إذا صِرْت مُحْرَجًا، يقال: عَرَّضَ لِي فُلانٌ تَعْرِيضًا: أي: قال فلم يُبَيِّن بصراحة اللفظ.

التعريض في الاصطلاح:

هُوَ مَا يَفْهَمُ بِهِ السَّامِعُ مُرَادَ الْـمُتَكَلِّمِ مِنْ غَيْرِ تَصْرِيحٍ.

كأن يقول الراغب بِخِطْبَةِ امرأةٍ معينةٍ: (كُلُّ رَجُلٍ رَاغِبٍ فِي الزَّوَاجِ يُحِبُّ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْـمَرْأَةُ زَوْجَةً لَهُ)، تَعْرِيضًا بأَنّهُ يرغب في الزواج منها.

أَعْراضُ الكلام ومَعَارِضُهُ ومعاريضُه: كلامٌ غير ظاهر الدلالة على المراد، وفي الحديث: عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ: «**إِنَّ فِي الْـمَعَارِيضِ لَمَنْدُوحَةً عَنِ الْـكَذِبِ**» .

أي: فيها سعة يتخلّص بها المتحدّث من الكذب إذا لم يرد التصريح.

والتعريض في خطبة المرأة: أنْ يتكلّم الخاطب بكلام يشبه خطبتها دون تصريح.

وقد يكون التعريض بضرب الأمثال وذكر الألغاز في جملة المقال.

ويقول الناس بشأن التعريض: إيّاكِ أعني، واسْمَعِي يا جارة.

فما يدور حوله المعنى اللّغويُّ قريب جدًّا من المعنى الذي ذكره البيانيّون للتعريض، أو إنّ المعنى الاصطلاحي مأخوذٌ من المعنى اللّغويّ بزيادة شيء من التحليل.

عرفنا في المقدمة أن التعريض طريقة من الكلام أَخفى من الكنايةِ فلا يشترط في التعريض لزوم ذهني، ولا مصاحبةٌ، ولا مُلابسة ما بين الكلام وما يُرادُ الدّلالة به عليه، إنّما قد تكفي فيه قرائن الحال، وما يفهم ذهنًا بها من توجيه الكلام، وبهذا يظهر الفرق بين الكناية والتعريض.

الشرح التحليلي مع الأمثلة:

قد يتوسَّل الإنسان بالتعريض العملي لدلالة حاله:

فقد يلبسُ الفقير المحتاج ثيابًا مقطَّعةً، أو مرقّعة، دون أنْ يقول شيئًا، تعريضًا بأَنَّهُ من مُسْتَحِقِّي الزَّكَاةِ، ويَكْتَفِي بدلالة الحالِ عن دلالةِ المقال، فيراه المتصدِّقُون فَيَبْذُلُونَ له من زَكَوَاتِ أَمْوَالِهِمْ.

وكان يأتي بعضُ أصحابِ الرسول ﷺ في بعضِ الغَزَوَاتِ، وقد رَبَطَ كُلٌّ منهم على بَطْنِهِ حَجَرًا، تعْرِيضًا بأن الجوع قد بَلَغَ منه مبلغًا شديدًا، فيكشفُ الرُّسُولُ ﷺ لهم عن بطنِهِ، فَيَرَوْنَ أنَّه قد رَبَطَ حَجَرَيْنِ.

وربّما حمل الْعُضْو في حِزْبٍ من الأحزابِ أو منظمةٍ من المنظماتِ شعار الْحِزْبِ أو المنظمة، تَعْرِيضًا بأنّه عضوٌ في ذلك الحزب، أو تلك المنظمة.

وَرُبَّمَا خَرَجَ البخِيلُ من بيتِهِ، وهو يُخَلِّلُ أَسْنَانَهُ، تَعْرِيضًا بأنّه قد أَكَلَ هو وأهلُه اللَّحْمَ الكثيرَ، وقد يكون الواقعُ بخلافِ ذلك.

ونظير هذا التعريضِ العَمَلِيِّ يكونُ التَّعْرِيضُ فِي الكلام.

فقد يقولُ الشَّابُّ الرَّاغِبُ في الزّوَاجِ لِوَالِدَيْهِ: ابْنَةُ عَمِّي صَارَتْ نَاضِجَةً ومناسبةً لِمَنْ يَخْطُبُهَا، تعريضًا بأنّه يريدُ أن يَتَزَوَّجَ ولا مانع لديه من خِطْبَتِهَا لَهُ.

ويقول من يَرَى نظراتِ كَيْدٍ وعداءٍ مِمَّنْ هُوَ نِدٌّ له: جَاءَنِي اليومَ بعضُ المنافسين وتطاوَلَ عَلَيَّ ببعضِ القول، فَسَلَّطْتُ عليه بعضَ رجالي، فأمطروهُ ضربًا ولكمًا حتّى غابَ عن وَعْيِهِ، ولَمَّا عَلِمَ أَهْلُهُ بأمرِهِ جاءُوا فَحَمَلُوهُ مَرِيضًا يَئِنُّ من الألَمِ، تَعْرِيضًا للمُخَاطَبِ بأنّه إذا أراد التطاول عليه أنزل به مثل ذلك، فهو ذو عزوة وأنصار وقُدْرَة.

ويقولُ طالبُ وظيفةٍ ذاتِ راتبٍ في الدولة، بحضور من يَمْلِكُ توظيفَهُ، أو باسْتِطَاعَتِهِ أنْ يَتَوَسَّطَ لَهُ لَدَى مَنْ يَمْلِكُ توظيفَهُ: أنا لا عَمَلَ عندي أَكْسِبُ منه مالًا، وَعِنْدِي مِنَ الْـمُؤَهلاتِ كذا، وعندي أسرةٌ مِنْ خَمْسَةِ أَشْخَاصٍ أنا مَسْئُولٌ عن إِعَالَتِهِمْ، تعريضًا بأن يُوَظِّفَه أو يَتَوَسَّطَ له.

فالتعريضُ فَنٌّ من فُنونِ القولِ غيرِ المباشر يُعْتَمَدُ فيه غالبًا على قَرَائِنِ الْـحَالِ لاَ عَلَى قَرَائِنِ المقال، والتعريضُ - كما سبق - أَخْفَى من الكناية؛ لأنَّ الكنايةَ لا تقتصر قرائِنُهَا الحال، بل لها من قرائنِ المقالِ ما يَدُلُّ على المراد بها.

الفوائد البلاغية للتعريض:

قد يتحقق باستخدام التعريض أغراض بلاغيةٌ تشبه الأغراض البلاغيَّة التي تتحقق باستخدام الكناية، وهي التي سبق بيانها من قبل، دون حصر.

وفي التعريض مزيدُ إخفاءٍ يجعلُهُ أكثرَ قولًا حينما يكون التصريح مثيرًا لغضبٍ، أو نقدٍ، أو اتّهام، أو عَذْلٍ وتَلْوِيم، أو يكشف أمرًا يجب سَتْرُه عن الرُّقباء، فيقوم التعريض مقام الإلغاز والرَّمْزِ الخفيّ، وما يُسمَّى في اصطلاح الجيوش «الشيفرة».

أمثلة على التَّعْرِيض:

١ - قول الله - عزّ وجلّ - خطابًا لرسوله: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الزمر: ٦٥].

ومن المعلوم في أصول الدين أنّ الرَّسُولَ الّذِي يصطفيه الله لتبليغ رسالته للناس، لا بدّ أن يكون معصومًا عن أن يشرك بالله شيئًا، فقول الله للرسول محمّد ﷺ ولكل رسول اصطفاه الله من قبله: ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾.

هو خطابٌ بصريح العبارة للرّسول ﷺ، وهُوَ تَعْرِيضٌ لكِلّ من آمَنَ به واتّبَعَهُ أنْ يَحْذَروا من الشِّرْكِ لئلاَّ تحبَطَ أَعْمالُهُمْ ويكونوا من الخاسرين.

هذا التعريضُ أبْلَغُ منْ مواجَهة غير الرسول ﷺ بصريح الخطاب، وذلك لأنّ الرسول إذا كان لا يَمْلك لنفسه عند ربّه الحماية من أن يَحْبَطَ عملُه ويكونَ من الخاسِرين إذا أشرك، وهو ذو المكانة العالية عند ربّه والمحظوظ بالاصطفاء، فكيف يكون حال سائر الناس ليس لهم عند ربِّهم مثل ذلك.

وهذا نظيرُ مَنْ يُهدِّدُ ولَدَه بالعقاب الشديد إذا كَسَرَ له شيئًا من تُحَفِ بَيْتِه، أمَامَ أولاد الآخرين، وكان قد حَذَّرَ كُلَّ مَنْ يكْسِرُ له شيئًا منها بالعقابِ الشديدِ، وهو قَادِرٌ عَلَى تنفيذ عقوباته.

إنّهم يدركون أنّ عقابهم سيكون أشدَّ وَأَقْسَى إِذَا فعلوا ما نَهَى عنه، وَحَذَّرَ مِنَ الاقترابِ مِنْهُ.

٢ - ما جاء في القرآن من مثل قول الله عزّ وجلّ: ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران: ٧].

و﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [الرعد: ١٩].

و﴿ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [إبراهيم: ٥٢].

و﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة: ١٠٠].

و﴿ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأٓيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٢].

و ﴿ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [يونس: ٢٤].

و ﴿ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾ [الأنعام: ٩٨].

في هذه الآيات تعريضٌ بالكافرين الذين لا ينتفعونَ من آيات الله في كونه، وآياته في بياناته، بأنّهم لا ألبابَ لَهُمْ، وبأنَّهُمْ لا يتفكَّرون، وبأنّهم لا يفقهون، دون أن تكون هذه المعاني منصوصًا عليها، لكنّها تُفْهَمُ إلماحًا.

٣ - قول الله عزّ وجلّ: ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ [التوبة: ٨١].

إنّ عبارة: ﴿ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴾ لم يُقْصَدْ مِنْها إعْلامُ المنافقينَ الْـمُخَلَّفِينَ عن رسولِ اللّـهِ فِي غزوةِ تَبُوكٍ، بأنَّ نَارَ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا من حَرَارَةِ الفصلِ الصيفي الذي خرج فيه الرسول والمؤمنون إلى غزوةِ تَبُوكٍ، فهذا أَمْرٌ واضحٌ، لكنّ المقصود التعريض بأَنَّ هؤلاء المنافقين هم من أهل جهَنَّمَ الّتِي تَكْوِيهم بحرّها يوم الدين.

٤ - دُعَاءُ مُوسَى عليه السلام عند ماء مَدْيَنَ إذْ خرج من مصر خائفًا: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [القصص: ٢٣- ٢٥].

نُلاحظ في دعاء موسَى عليه السلام بقوله: ﴿ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ احتمال التعريض بحاجته إلى المأوى والرزق والزوجة، ورأى أنّ الله قد ساق له مقدّمات ما هو بحاجة إليه، فقال: ﴿ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ ﴾ بصيغة الفعل

الماضي، ولم يَقُل: لما سَتُنْزِل، إذْ شَعَر أَنّ بشائر ما هو مفتقر له قد ظهرت بفرحة المرأتين به لَمَّا سقَى لهما، وعَلِمَ أنّ أباهما شيخٌ كبير يحتاج إلى معين رجل.

لذلك جاء في النصّ بعد حكاية دُعائه قول الله تعالى: ﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ ﴾ فدلّت الفاء العاطفة على الترتيب مع التعقيب، وفي هذا إشعارٌ بأنّ الله استجاب له دُعاء الذي دَعا به تعريضًا لاَ تصريحًا.

وتضمَّنَت الْـقصَّة بعد ذلك تحقيق ما هو مفتقر إليه، فَأَوَى عند أبيهما الشيخ الكبير، وأصاب رزقًا، وزوجةً صالحة.

٥ – قول الله عزّ وجلّ: ﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَـٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَأَيَّدْنَـٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ وَلَـٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

ففي قوله: ﴿ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَـٰتٍ ﴾ تَعْرِيضٌ بارْتفاعِ مُحَمّد خاتم الرُّسُلِ دَرَجَاتٍ على سائر الرُّسل، ولمْ يَأْتِ هذا البيان بعبارةٍ صريحةٍ فيها نصٌّ على ارتفاع منزلته فوق سائر الأنبياء والمرسَلِين تعليمًا للمسلمين أن يتأدّبوا مع جميع الرُّسل ولا يَتَّخِذُ من أفضليّة محمّد ﷺ ذريعةً للتنافُسِ والتفاخُرِ به على سائر الأمم، فمثل هذا قد يولّد شقاقًا، ويَصُدُّ أتباع الرسُل السابقين عن اتّباع محمّد خاتم المرسلين ﷺ، ولعامّة الناس في تعبيراتهم الدّارجات وَالْـمُبْتَكِرَات تعبيراتٌ هي من أمثلة التعريض، وهي كثيرة.

الْفَرْقُ بَيْنَ الْكِنَايَةِ وَالتَّعْرِيضِ والتَّوْرِية:

الْـكِنَايَةُ: هي إِخْفَاءُ الْـمَعْنَى مَعَ ذِكْرِ الدَّلِيلِ وَالْإِشَارَةِ عَلَيْهِ.

مثل: اِبْتَسَمَ وَجْهُ الْـمَيِّتِ عِنْدَ الاحْتِضَارِ (كِنَايَةٌ عَنْ حُسْنِ الْـخَاتِمَةِ).

التَّعْرِيضُ: هُوَ تَضْمِينُ الْـكَلاَمِ دَلاَلَةً لَيْسَ فِيهَا ذِكْرٌ، كَقَوْلِ الْـمُحْتَاجِ: (جِئْتُكَ لأُسَلِّمَ عَلَيْكَ)، فَيَقْصِدَ مِنَ ذلك طَلَبَ الْـحَاجَةِ .

التَّوْرِيَةُ: وَهِيَ أَنْ تُطْلِقَ لَفْظًا ظَاهِرًا (قَرِيبًا) فِي مَعْنًى، تُرِيدُ بِهِ مَعْنًى آخَرَ (بَعِيدًا) يَتَنَاوَلُهُ ذَلِكَ اللَّفْظُ، لَكِنَّهُ خِلاَفُ ظَاهِرِهِ.

فَائِدَةُ التَّوْرِيَةِ تُرَادُ مِنَ اللَّفْظِ، فَهِيَ أَخَصُّ مِنَ التَّعْرِيضِ، الَّذِي قَدْ يُفْهَمُ الْـمُرَادُ مِنْهُ مِنَ السِّيَاقِ وَالْـقَرَائِنِ، أَوِ اللَّفْظِ، فَهُوَ أَعَمُّ.

تدريبات

(١) عَبِّرْ عَنْ مَعْنَى كُلِّ كِنَايَةٍ فِيمَا يَلِي بِجُمْلَةٍ حَقِيقِيَّةٍ:

١ - هِنْدٌ نَاعِمَةُ الْـكَفَّيْنِ.

٢ - أَبِي يُشَارُ إِلَيْهِ بِالبَنَانِ.

٣ - هَذَا الرَّجُلُ لَهُ ظَهْرٌ كَبِيرٌ.

٤ - الطَّالِبُ أَظْفَارُهُ نَاعِمَةٌ.

٥ - خَالِدٌ لا يَأْكُلُ الْـخُبْزَ النَّاعِمَ.

٦ - حَمْزَةُ يَأْكُلُ الْـحَدِيدَ.

٧ - نَشْرَبُ مِنْ دِمَاءِ الأَعْدَاءِ.

٨ - مَاتَتْ مِنْ كُنْتَ تُرْزَقُ مِنْ أَجْلِهَا.

٩ - أَبِي لا يَعْرِفُ الْـمُسْتَحِيلَ.

١٠ - نُحِبُّ فَلْذَةَ أَكْبَادِنَا.

١١ - أُحِبُّهَا؛ فَهِيَ الَّتِي رَبَّتْنِي.

١٢ - الْـبَيْتُ مَفْتُوحٌ دَائِمًا.

١٣ - هِنْدٌ تَقُولُ لِلْقَمَرِ: اِنْزِلْ وَأَنَا أَجْلِسُ مَكَانَكَ.

١٤ - اصْفَرَّ وَجْهُ اللِّصِّ عِنْدَمَا دَخَلَ الْـمَحْكَمَةَ.

١٥ - جَدِّي سَقَطَتْ أَسْنَانُهُ، وَابْيَضَّ شَعْرُهُ، وَوَهَنَتْ عِظَامُهُ.

(٢) عَيِّنْ كُلَّ كِنَايَةٍ فِيمَا يَلِي:

١ - اصْفَرَّ وَجْهُ الطَّالِبِ عِنْدَ الامْتِحَانِ.

٢ - احْمَرَّ وَجْهُ الْـفَتَاةِ عِنْدَمَا رَأَتْ رَجُلًا.

٣ - مُحَمَّدٌ بَيْتُهُ مَفْتُوحٌ.

٤ - طَارِقٌ نَظِيفُ الْـيَدِ.

٥ - الْـوَزِيرُ بَطْنُهُ كَبِيرٌ.

٦ - قوله تعالى: ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ ﴾ [الكهف: ٤٢].

٧ - قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٩].

٨ - ضَرَبْتُهُ فِي مَوْطِنِ الأَسْرَارِ.

٩ - وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ.

١٠ - نَحْنُ أَبْنَاءُ النِّيلِ.

١١ - وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ.

١٢ - جَاءَ قَابِضُ يَدِهِ.

١٣ - سَارَ الْـكَرَمُ خَلْفَ عُثْمَانَ.

١٤ - الْـعَدْلُ فِي رِكَابِ عُمَرَ.

١٥ - مَشَى الْـعِلْمُ خَلْفَ ابْنِ عَبَّاسٍ.

١٦ - تَتَبَّعَ الْـحَيَاءُ خُطُوَاتِ مَرْيَمَ.

١٧ - الصِّدْقُ فِي لِسَانِهِ.

١٨ - الأَدَبُ حَوْلَ الطَّالِبِ.

١٩ - مثل: الذِينَ يُدَافِعُونَ عَنْ أَوْطَانِهِمْ مِثْلُ الأُرْزِ.

٢٠ - مثل: سَارَ الْـكَرَمُ خَلْفَ عُثْمَانَ.

٢١ - فُلانٌ يَدُهُ طَوِيلَةٌ.

٢٢ - إِنَّ عَقَارِبَ السَّاعَةِ لا تَتَحَرَّكُ.

٢٣ - قول الخنساء في أخيها صخر:

طَوِيلُ النِّجَادِ رَفِيعُ الْعِمَاد سَادَ عَشِيرَتَهُ أَمْرَدَا

٢٤ - قول الشاعر:

فَمَسَّاهُمْ وَبُسْطُهُمْ حَرِيرٌ وصَبَّحَهُمْ وَبُسْطُهُمْ تُرَابُ

وَمَنْ فِي كَفِّهِ مِنْهُمْ قَنَاةٌ كَمَنْ فِي كَفِّهِ مِنْهُمْ خِضَابُ

٢٥ - قول البحتري:

أَوَمَا رَأَيْتَ الْمَجْدَ أَلْقَى رَحْلَهُ فِي آلِ طَلْحَةَ ثُمَّ لَمْ يَتَحَوَّلِ

٢٦ - قول الله: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الفرقان: ٢٧، ٢٨].

٢٧ - قول الله: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾ [لقمان: ١٨، ١٩].

٢٨ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: قَالَ اللَّهُ: «كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ» رواه البخاري.

٢٩ - قول الله: ﴿ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ﴾ [نوح: ٧].

٣٠ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّـهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ» رواه مسلم.

٣١ - يقول الشاعر في حرية الإنسان:

كَـذَا صَاغَكَ اللَّـهُ يَا ابْنَ الْـوُجُودِ وَأَلْقَـتْكَ فِي الْـكُـوْنِ هَـذِي الْـحَيَاهْ

فَـمَا لَـكَ تَـرْضَى بِـذُلِّ الْـقُـيُود وَتَحْنِي لِمَـنْ كَـبَّلُـوكَ الْـجِـبَـاهْ

٣٢ - قول الشاعر:

شَـعْبُنَا الْـحُـرُّ الـذِي كَـانَ طَعِينًا طَـاوِيَ الـصَّدْرِعَلَى الْـجُـرْحِ سِنِينَا

عَـادَ عِمْـلاقًـا قَـوِيًّا شَـامِـخًا عَـالِيَ الـرَّايَاتِ لا يَحْنِي الْـجَـبِينَـا

٣٣ - قول الشاعر:

الْـجُـودُ بَـيْنَ ثِـيَابِهِ وَالْـفَـضْلُ حَـوْلَ رِكَابِـهِ

٣٤ - قول الله: ﴿ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴾ [القمر: ١٣].

٣٥ - عَنِ الشَّعْبِيِّ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الْـجَعْدِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْـخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْـخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْـقِيَامَةِ» رواه البخاري.

٣٦ - قول الشاعر:

إِذَا مَا غَزَوْا بِالْـجَيْشِ حَلَّقَ فَوْقَهُمْ عَـصَائِبُ طَـيْرٍ تَهْـتَدِي بِعَـصَائِب

٣٧ - قول الشاعر:

كِلِينِـي لِهَـمٍّ يَـا أُمَـيْمَةُ نَاصِـبِ وَلَـيْلٍ أُقَاسِـيهِ بَطِـيءِ الْـكَـوَاكِبِ

٣٨ - قول الشاعر في ابنه الفقيد:

أَنْـتَ وَإِنْ أُفْـرِدْتَ فِي دَارِ وَحْـشَةٍ فَـإِنِّي بِـدَارِ الأُنْـسِ فِي وَحْشَةِ الْـفَرْدِ

٣٩ - قول الشاعر:

أَنَا الَّذِي نَظَرَ الأَعْمَى إِلَى أَدَبِي … وَأَسْمَعَتْ كَلِمَاتِي مَنْ بِهِ صَمَمُ
الْخَيْلُ وَاللَّيْلُ وَالْبَيْدَاءُ تَعْرِفُنِي … وَالسَّيْفُ وَالرُّمْحُ وَالْقِرْطَاسُ وَالْقَلَمُ

٤٠ - قول الشاعر:

مُتَفَرِّدٌ بِصَبَابَتِي مُتَفَرِّدٌ … بِكَآبَتِي مُتَفَرِّدٌ بِعَنَائِي

٤١ - قول الله عز وجل: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤٩].

٤٢ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «ثَلاثَةٌ لا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ رَجُلٌ حَلَفَ عَلَى سِلْعَةٍ لَقَدْ أَعْطَى بِهَا أَكْثَرَ مِمَّا أَعْطَى وَهُوَ كَاذِبٌ وَرَجُلٌ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ كَاذِبَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ لِيَقْتَطِعَ بِهَا مَالَ رَجُلٍ مُسْلِمٍ وَرَجُلٌ مَنَعَ فَضْلَ مَاءٍ فَيَقُولُ اللَّهُ الْيَوْمَ أَمْنَعُكَ فَضْلِي كَمَا مَنَعْتَ فَضْلَ مَا لَمْ تَعْمَلْ يَدَاكَ» رواه البخاري.

(٣) اختر الإِجَابَةَ الصَّحِيحَةَ مِمَّا بين كل قوسين فيما يلي:

١ - زيدٌ بيتُهُ مَفْتُوحٌ. كناية عن: (نسبة - صفة - موصوف).

٢ - أُحِبُّهُ؛ لأَنَّنِي تَرَبَّيْتُ عَلَى أَرْضِهِ. كناية عن: (نسبة - صفة - موصوف).

٣ - نَحْنُ نُطْلِقُ أَسْرَابَ الْحَمَامِ. (كناية - تشبيه - استعارة).

(٤) ما الفائدة البلاغية للكناية؟

الفصل الرابع
المجاز المرسل

الْفَصْلُ الرَّابِعُ

الْمَجَازُ الْمُرْسَلُ

تَمْهِيدُ

الْمَجَازُ مُشتقٌّ من جازَ الشيء يَجوزُه إذا تَعَدَّاهُ، سَمَّوا به اللّفظَ الذي نُقِلَ من معناهُ الأصلي، واستُعمِلَ ليدُلّ على معنى غيرِهِ، مناسبٍ لهُ.

والْمَجَازُ من أحسنِ الوسائل البيانيَّةِ الّتي تهدي إليها الطبيعةُ؛ لإيضاحِ المعنى، إذْ به يخرجُ المعنى متَّصِفًا بصفةٍ حِسّيةٍ، تكادُ تعرضهُ على عيانِ السَّامع، لهذا شغفتِ العربُ باستعمالِ الْمَجَاز لِمَيْلِها إلى الاتساعِ في الكلام، وإلى الدلالَةِ على كثرةِ معاني الألفاظِ، ولما فيه من الدِّقَّةِ في التعبيرِ، فيحصلُ للنفس به سرورٌ وسعادةٌ، ولأمرٍ ما كَثرَ في كلامِهم، حتى أتوا فيه بكلِّ معنًى رائقٍ، وزيّنوا به خُطبَهم وأشعارَهم.

المجاز لغة:

مصدر «جَازَ» يقال لغة: جَازَ الْمُسَافِرُ الطَّرِيقَ، وجَازَ بِهِ جَوْزًا وجَوَازًا ومَجَازًا، إذا سَارَ فِيهِ حَتَّى قَطَعَهُ.

ويُطْلَقُ لَفْظُ (الْمَجَاز) على المكان الذي اجْتَازَهُ مَنْ سَارَ فيه حتَّى قَطَعَهُ.

ويقالُ: جَازَ القَولُ، إذا قُبِلَ وَنَفَذ. وكذا يقال: جَازَ الْعَقْدُ وغَيْرُه، إذا نَفَذَ ومضَى على الصِّحَّةِ.

الْمَجَازُ اصطلاحًا:

اللَّفظُ الْمُسْتَعْمَلُ في غير مَا وُضِع له لعلاقةٍ مع قرينةٍ مَانِعَةٍ عن إرادة ما وُضِع له اللّفظ، أَيْ الْمَعْنَى السَّابق.

مثل لفظ (أَسَد) فى قولك: (هَذَا أَسَدٌ يَأْكُلُ غَزَالَةً) اسْتُعْمِلَ اللفْظُ هُنَا؛ لِيَدُلَّ عَلَى الْـحَيَوَانِ الْـمُفْتَرِسِ الْـمَعْرُوفِ فَهُوَ اسْتِعْمَالٌ حَقِيقِىٌّ، أَىْ أَنَّ اللفْظَةَ مُسْتَعْمَلَةٌ فِيمَا وُضِعَتْ لَهَا.

أَمَّا إِذَا اسْتُعْمِلَ لفظ (أسد) فى مثل قولك: (هَذَا أَسَدٌ يُمْسِكُ سَيْفًا)؛ لِيَدُلَّ بِهِ عَلَى الرَّجُلِ الشُّجَاعِ فَهُوَ مَجَازٌ، أَىْ أَنَّ اللفْظَةَ مُسْتَعْمَلَةٌ فِى غَيْرِ مَا وُضِعَتْ لَهَا.

وعندما اسْتُعْمِلَ لفظ (أسد) لِيَدُلَّ بِهِ عَلَى الرَّجُلِ لِعَلاقَةِ الْـمُشَابَهَةِ بَيْنَهُمَا فِى الشَّجَاعَةِ، وَالذِى يَمْنَعُ مِنْ إِرَادَةِ الْـمَعْنَى الْـحَقِيقِىِّ قَرِينَةٌ، وَهِىَ: (يُمْسِكُ سَيْفًا) لأنَّ الأَسَدَ لا يُمْسِكُ السَّيْفَ، فَصَارَ قَوْلُهُ(يُمْسِكُ) قَرِينَةً مَانِعَةً مِنْ إِرَادَةِ الْـمَعْنَى الْـحَقِيقِىِّ.

فالقرينةُ هي الْـمَانعة عن الحقيقة إلى المجاز، إذِ اللّفظ لا يَدُلُّ على المعنى الْـمَجَازيّ بنفسه دون قرينة.

فَكَمَا أَنَّ لَفظَ (أسد) إذا اسْتُعْمِلَ في الْـمَجَالاتِ الْـمَذْكُورَةِ لِلدّلالةِ عَلَى الْـحَيَوَانِ الْـمُفْتَرِس الْـمَعْرُوفِ فَهُوَ حَقِيقَةٌ.

وإذا استعمل للدلالة به على الرجل الشجاع فهو مَجَازٌ، وعلاقتُه الْـمُشَابَهَة.

ومثل لفظ (الذَّهَب) فى قولك: (طَارِقٌ يَبِيعُ الذَّهَبِ) اسْتُعْمِلَ اللفْظُ هُنَا؛ لِيَدُلَّ عَلَى الْـمَعْدَنِ الْـمَعْرُوفِ فَهُوَ اسْتِعْمَالٌ حَقِيقِىٌّ، أَىْ أَنَّ اللفْظَةَ مُسْتَعْمَلَةٌ فِيمَا وُضِعَتْ لَهَا.

أَمَّا إِذَا اسْتُعْمِلَ لفظ (الذَّهَب) فى مثل قولك: (طَارِقٌ يَتَكَلَّمُ بالذَّهَبِ)؛ لِيَدُلَّ بِهِ عَلَى الْـكَلامِ النَّفِيسِ فَهُوَ مَجَازٌ، أَىْ أَنَّ اللفْظَةَ مُسْتَعْمَلَةٌ فِى غَيْرِ مَا وُضِعَتْ لَهَا.

وعندما اسْتُعْمِلَ لفظ (الذَّهَب) لِيَدُلَّ بِهِ عَلَى الْـكَلامِ لِعَلاقَةِ الْـمُشَابَهَةِ بَيْنَهُمَا فِى حُسْنِ هَذَا الْـكَلامِ وَعَظَمَتِهِ، وَالذِى يَمْنَعُ مِنْ إِرَادَةِ الْـمَعْنَى الْـحَقِيقِىِّ قَرِينَةٌ،

وَهِيَ: (يَتَكَلَّمُ بالذَّهَبِ) لأنَّ الذَّهَبَ لا يُمْكِنُ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الْـفَمِّ، فَصَارَ قَوْلُهُ: (يَتكَلَّمُ) قَرِينَةً مَانِعَةً مِنْ إِرَادَةِ الْـمَعْنَى الْـحَقِيقِيِّ.

شروط الْمجاز:

١ - اللَّفظُ الْـمُسْتَعْمَلُ فِي غَيْرِ مَا وُضِعَ لَهُ.

٢ - أَنْ تُوْجَدَ عَلاقَةٌ بَيْنَ الْـمَعْنَى الْـحَقِيقِيِّ وَالْـمَعْنَى الْـمَجَازِيِّ.

٣ - أَنْ تُوْجَدَ قَرِينَةٌ مَانِعَةٍ عَنْ إِرَادَةِ الْـمَعْنَى السَّابقِ.

الحقيقة اصطلاحًا:

اللّفظ المستَعْمَل فيما وُضِع له على المعنى الحقيقى المباشر، وليس بمجازٍ ولا استعارة ولا تشبيه، وهذا أكثر الكلام وأكثَرُ آياتِ القرآن وشعرُ العرب.

◈ ◈ ◈

وَقْفَةٌ حَوْلَ الْـمَجَازِ

الْـمَجَازُ مصطلح معروف عند أهل اللغة، والبلاغة، والتفسير، والأصول وغيرهم.

كما أنه يَرِدُ كثيرًا في كتب العقائد، خصوصًا في باب الأسماء والصفات؛ ذلك أنَّ كثيرًا من أهل التعطيل اتخذوه وَسِيلَةً لِنَفْيِ صفات الله سبحانه.

ولأجل أن تتضح صورةُ الْـمَجَاز إليك هذا العرض الْـمُجْمَل الْـمُيَسَّر الذي يبين معالمه، وحقيقة الخلاف فيه.

وقبل الدخول في ثنايا الحديث عن المجاز يحسن الوقوف عند مصطلح (الحقيقة) وذلك؛ لأن المجاز - عند من يقول به - ضِدُّ الْـحقيقة .

ينقسم الكلام إلى: (حقيقة - مجاز):

أولاً: تعريف الحقيقة:

هي الكلمةُ الْـمُسْتَعْمَلَةُ فيما هي موضوعةٌ له من غَيْرِ تأويلٍ فِي الْـوضْعِ. أو هي: استعمالُ اللفْظِ فِيمَا وُضِعَ لَهُ فِي الأَصْلِ.

مثل كلمة (أسد) تدل على الحيوان المعروف، وكلمة (الشمس): تدل على الْـكَوْكَبِ العظيم المعروف، وكلمة (البحر): تدل على الماء العظيم الملح ..، وهكذا جميع ألفاظ اللغة.

ثانيًا: تعريف المجاز:

المجاز في اللغة: اسم مكان كالْـمَطَاف والْـمَزَاز. والألف فيه منقلبة عن واو، وقيل: هو مصدر ميمي.

وفي الاصطلاح: هُوَ اسْتِعْمَالُ اللفْظِ فِي غَيْرِ مَا وُضِعَ لَهُ فِي الأَصْلِ؛ لِعَلاقَةٍ بَيْنَ الْـمَعْنَيَيْنِ - الْـحَقِيقِيِّ وَالْـمَجَازِيِّ - مَعَ قَرِينَةٍ مَانِعَةٍ مِنْ إِرَادَةِ الْـمَعْنَى الْـحَقِيقِيِّ.

شرح تعريف المجاز:

قوله: (فِي غَيْرِ مَا وُضِعَ لَهُ): أي الْـمَعْنَى الْـوَضْعِي للَّفظِ، وَيُسَمَّى الْـحَقِيقِيّ أو الأَصْلِي الذِي ذَكَرَتْهُ مَعَاجِمُ اللغَةِ، كَوَضْعِ كَلِمَةِ الأَسَدِ لِلْحَيَوَانِ الْـمَعْروفِ الْـمُفْتَرِسِ، وكذلك الْـقَمَرُ.

وقوله: (لِعَلاقَةٍ): العَلاقَةُ هِيَ الشَّيءُ الذِي يَرْبِطُ بَيْنَ الْـمَعْنَى الأَصْلِيّ لِلفْظِ، وَالْـمَعْنَى الْـمَجَازِي، كَالشَّجَاعَةِ فِي قَوْلِكَ: (رَأَيْتُ أَسَدًا يَضْرِبُ بِسَيْفِهِ) فَالأَسَدُ هُنَا لا يُقْصَدُ بِهِ الْـحَيَوَانِ؛ وَإِنَّمَا يُقْصَدُ بِهِ الرَّجُلُ الشُّجَاعُ، إذًا فَقَدَ انْتَقَلَ مِنْ مَعْنَاهُ الْـحَقِيقِيّ إِلَى الْـمَعْنَى الْـمَجَازِيّ، وَالْـعَلاقَةُ هِيَ الشَّجَاعَةُ.

قوله: (الْـقَرِينَةُ): هِيَ الّتِي تَمْنَعُ الذَّهْنَ مِنْ أَنْ يَنْصَرِفَ إِلَى الْـمَعْنَى الْـوَضْعِي الأَصْلِيّ لِلَّفْظِ، مِثْلَ قَوْلِكَ: (يَضْرِبُ بِسَيْفِهِ) فِي قَوْلِكَ: (رَأَيْتُ أَسَدًا يَضْرِبُ بِسَيْفِهِ) لأَنَّ الأَسَدَ لا يَضْرِبُ بِالسَّيْفِ، فَعُلِمَ أَنَّ الْـمَقْصُودَ بِاللفْظِ مَجَازُهُ لا حَقِيقَتُهُ؛ لأَنَّ الأَسَدَ لا يَضْربُ بِالسَّيْفِ.

وَكَذَلك قَوْلُكَ فِي الرَّجُلِ الْـكَرِيمِ: (جَاءَ الْـبَحْرُ)، ونحو ذلك من الأمثلة مما سيأتي ذكره.

أمثلة لألفاظ يتبين فيها الحقيقة من المجاز:

١ - الشمس لها دلالتان: إحداهما حقيقية، وهي دلالة الكوكب العظيم المعروف، والأخرى مَجَازِيّة وهي: الْـوَجْهُ الْـمَلِيحُ.

٢ - البحر له دلالتان: إحداهما حقيقته، وهي دلالته على الماء العظيم الملح .

والأخرى مجازية وهي: دلالته على الرجلِ الْـجَوَّادِ الْـكَثيرِ الْـعَطَاء أو العالِمِ الغَزِيرِ العِلْم.

كيف يُفرَّق بين الحقيقة والمجاز؟

يُفَرَّقُ بسياقِ الكلامِ، وقرائن الأحوال. ولا يمكن أن يقال: إن كِلا الدلالتين - الحقيقية والمجازية - سواء؛ بحيث إذا أطلق اللفظ دل عليهما معًا، كأن يقال: إن الشمس حقيقية في دلالتها على الكوكب والوجه المليح، وأن البحر حقيقة في الماء العظيم الملح والرجل الجواد؛ بل لابد من قرينة تخصص المعنى المراد.

لِمَ سُمِّيَ المَجَازُ بهذا الاسم؟

لأنه مأخوذ من قولهم: جاز هذا الموضع إلى هذا الموضع، إذا تخطاه إليه.

فالْـمَجَاز - إذَنْ - اسم للمكان الذي يُجَازُ فيه كالْـمَزَار.

وحقيقته: الانتقال من مكان إلى مكان؛ فجعل ذلك لنقل الألفاظ من محل إلى محل، كقولنا: زيد أسد؛ فإن زيدًا إنسان، والأسد هو ذاك الحيوان المعروف.

وقد جُزْنا الإنسانية، أي: تَخَطَّيْنَاهَا وانتقلنا منها وعَبَرَنَاهَا إلى الأسدية؛ لِعَلاقَةٍ بينهما، وتلك الوصلة هي صفة الشجاعة؛ فهذا هو سبب تسمية المجاز بهذا الاسم.

أما الحقيقة فهي: مأخوذة من كلمة حقَّ وهو الشيء الثابت، ولعلك تشمُّ رائحة التضاد بين هاتين الكلمتين؛ فالحقيقة ثبوت الشيء، والْـمَجَازُ تَعَدِّيه.

هل كل مجاز له حقيقة، وكل حقيقة لها مجاز؟

والجواب: أن كل مجاز له حقيقة؛ لأنه لم يطلق عليه لفظ مجاز إلا لنقله عن حقيقة موضوعة، وليس من ضرورة كل حقيقة أن يكون لها مجاز.

هل الأصل في الكلام الحقيقة أو المجاز ؟

والجواب: أن الأصل في الكلام هو الحقيقة، ولا ينصرف الكلام عن حقيقته إلى مجازه إلا بقرينة، كما مَرَّ في الأمثلة الماضية.

اختلاف العلماء في أصل وقوع المجاز:

اختلف العلماء في أصل وقوع الْـمَجَاز وثبوته في اللغة والقرآن، على ثلاثة أقوال:

١ - **الْـمَجَاز واقع في اللغة والقرآن**: وهذا مذهب جماهير العلماء، والمفسرين، والأصوليين، واللغويين، والبلاغيين، وغيرهم؛ بل حكى الإجماع على ذلك يحيى ابن حمزة العلوي في كتابه (الطراز) غير أن في تلك الدعوى توسعًا؛ لوجود الْـمُخَالِفِ الْـمُعْتَبَرِ.

٢ - **إنكار المجاز مطلقًا في اللغة والقرآن**: وقد ذَهَبَ إلى ذلك أبو إسحاق الإسفراييني، وتبعه على ذلك شَيْخُ الإسلامِ ابْنُ تيمية وابنُ القيمِ.

٣ - **الْـمَجَاز واقع في اللغة دون القرآن**: وقد ذهب إلى ذلك وارد الظاهري، وابنه محمد، وابن القاصّ الشافعي وابن خويز منداد المالكي، ومنذر بن سعيد البلوطي، ومن المعاصرين الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي.

حُجَّةُ الْقَائِلِينَ بِمَنْعِ الْمَجَازِ:

القائلون بمنع الْـمَجَازِ في اللغة والقرآن، أو في القرآن وَحْدَه يَحْتَجُّونَ عَلَى ذلك بِحُجَجٍ منها:

١ - أن كل مَجَازٍ كَذِبٌ يَجُوزُ نَفْيُهُ؛ فيلزم على القول بـ (أَنَّ فِي القرآنِ مَجَازًا) أن في القرآن ما يَجُوزُ نَفْيُهُ، قال الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله -: «وأوضح دليل على منعه في القرآن إجماع

القائلين بالْـمَجَاز على أن كل مَجَازٍ يَجُوزُ نفيه، ويكون نافيُهُ صَادِقًا في نفس الأمر؛ فتقول لِمَنْ يقول (رَأَيْتُ أَسَدًا يَنْطِقُ): ليس هو بأسد، وإنما هو رجل شجاع؛ فيلزم على القول بأن في القرآن مَجَازًا أَنَّ فِي القرآن ما يَجُوزُ نفيُهُ، ولا شَكَّ أَنَّهُ لا يَجُوزُ نَفْيُ شَيْءٍ مِنَ القرآن».

٢ - أن القول بالْـمَجَاز ذريعة إِلَى نَفْيِ الصفات الإلهية وتأويلها، قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله -: «وهذا اللزوم اليقيني الواقع بين القول بالْـمَجَازِ في القرآن وبين جواز نفي بعض الصفات قد شوهدت في الخارج صحته، وأنه كان ذريعة إلى نفي كثير من صفات الكمال والجلال الثابتة لله في القرآن العظيم.

وعن طَرِيقِ الْـقَوْلِ بالْـمَجَازِ توَصَّلَ الْـمُعَطِّلُون لِنَفْيِ ذلك، فقالوا: لا يَدَ، وَلا اسْتِوَاءَ، وَلا نُزُولَ، وَنَحْو ذلك في كثيرٍ مِنْ آياتِ الصفات؛ لأنَّ هذه الصفات لَمْ تَرِدْ حقائقُهَا؛ بل هي عندهم مجازاتٌ؛ فاليدُ مستعملةٌ عندهم فِي النِّعْمَةِ، أو الْـقُدْرَةِ، والاستواء في الاستيلاء، والنُّزُولُ نُزُولُ أَمْرِهِ ونحو ذلك؛ فنفوا هَذِه الصفات الثابتة بالوحي عن طريق القول المجاز.

مع أنَّ الْـحَقَّ - الذي هو مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ والجماعة - إثباتُ هذه الصفات التي أثبتها الله - تعالَى - لنفسه، والإيمانُ بها من غير تكييف ولا تشبيه، ولا تعطيل ولا تمثيل» .

فهذا السبب - أعني نفي الصفات عن طريق القول بالمجاز - هو من أعظم الأسباب التي دعت القائلين بإنكار المجاز إلى ذلك .

٣ - ادِّعَاء أن الألفاظ كلَّهَا حقيقة: والْـجَزْم بأن تقسيمها إلى حَقِيقَةٍ ومَجَازٍ تقسيم حادث لَمْ تعرفْه العربُ: قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - عن المجاز: «إِنَّهُ غَيْرُ معروفٍ عنِ العَرَبِ، ولَمْ تقلْ الأمة في أول عصورها:

هذا اللفظ حقيقة وذاك مَجَاز، وإنما هو اصطلاح طارئ على الأمة بعد انقضاء القرون الثلاثة» .

وقد كَرَّرَ - رحمه الله - ذلك في مواضع من كتبه، خصوصًا في كتابه الإيمان، وفي الأسماء والصفات من مجموع الفتاوى.

٤ – أن إطلاق الْـمَجَاز في القرآن يُؤَدِّي إِلَى وَصْفِ اللَّـهِ بالْـمُتَجَوِّز: وذلك مِمَّا لَمْ يَرِدِ الإذن به؛ ذلك أن أسماء الله وصفاته توقيفية كما هو معلوم.

مناقشة مثبتي المجاز لمنكريه:

١ – أن القول بأن كل مَجَازٍ كَذِبٌ يَجُوزُ نَفْيُهُ لَيْسَ صَحِيحًا: وإنما يكون الْـمجاز كذبًا لو أثبت المعنى على التحقيق لا على الْـمَجَازِ، أي أنه إذا أُطْلِقَ الْـقَمَرُ – مثلًا – على إِنْسَانٍ جَمِيلِ الطلعةِ والظهورِ، يكونُ كَذِبًا لو ادُّعي أنه القمر الذي في السماء حقًّا.

ولا ريبَ أن هذا ليس بمرادٍ في الْـمَجَاز، وإنما الْـمُرَادُ تشبيهه به في الْـبَهَاءِ والْـحُسْنِ، فأين الكذب ؟!

وكذلك قولُنَا لِلْبَلِيدِ قَلِيلِ الْـفَهْمِ: (حِمَار) ليس الْـمَقْصُودُ بأنه حِمَارٌ في الشكل والْـخِلْقَة، وإلا لَصَحَّ أن يُنْفَى ويُقَالَ: ليس هو بِحِمَارٍ؛ بل هو إنسان، فالنفي هنا مُوَجَّهٌ لإرادة الْـحَقِيقَةِ لا على المعنى المجازي، وهذا لا يسمى كَذِبًا؛ لأن المتكلم جاء بقرينة تبين مراده، وترفع اللبس، ثم إن البلاغيين حرصوا في مصنفاتهم على أن يبينوا الفرق بين المجاز والكذب؛ فهم متفقون على أن الْـمَجَاز ليس كَذِبًا؛ لأن التَّجُوُّزَ يَضَعُ بَيْنَ يَدَي الْـمَجَازِ قَرِينَةً تصرف عن إرادة المعنى الأصلي للفظ.

أما الكذب فإن الكاذب يَحْرِصُ فيه عَلَى إِخْفَاءِ حَالِهِ؛ تَرْوِيجًا للكذب الذي يريده.

ولقد عُنِيَ البلاغيون بالقرائن عنايةً بالغةً، واستنبطوها من كلام العرب، وفصَّلُوا فيها القَوْلَ تفصيلًا؛ فإذا خلا الْـمَجَازُ من القرائن كان الكلامُ فَاسِدًا لِعَدَمِ دلالته.

٢ – أن القول: بأنَّ الْـمَجَازَ ذريعةٌ إِلَى نَفْيِ الصفات الإلهية، وتأويلها ليس

مُسَوِّغًا لِنَفْيِ الْـمَجَازِ؛ ذلك أنه لا حُجَّةَ لِهَؤلاء النفاة الْـمُعَطِّلَة فيما ذهبوا إليه، وإنما هم أصحاب هَوًى .

فاستدلالُهُمْ بالْـمَجَازِ على نَفْيِ الصفات استدلال فاسد، فنحن نجعله حُجَّةً عليهم لا لهم؛ فيقال لِهَؤْلاءِ النُّفَاةِ الْـمُعَطِّلَةِ: إنَّ الأصلَ في الكلام أن يُحْمَلَ على حقيقته وظاهره، مَا لَمْ تَكُنْ هُنَاكَ قَرِينَةٌ توجب صَرْفَهُ عن هذه الحقيقة، وذلك الظاهر لنا.

ثم إن الناس متعبدون باعتقاد الظاهر من أدلة الكتاب والسنة ما لم يمنع مانع.

وبناء على ذلك يقال لهؤلاء النفاة: إن النصوص الصحيحة القطعية أثبتت صفات الكمال لله تعالى كصفة الكلام، واليد، والاستواء، والنزول، والعلو، والساق، والقَدم، والضحك، والأصابع.

والنصوص الواردة فِي مثل: صفة الكلام، واليد، والاستواء، والنزول، والعلو، والساق، والقَدم، والضحك، والأصابع..، تَخْلُو من أَيِّ قرينةٍ تُخْرِجُها عن معانيها الحقيقية التي دلت عليها؛ فهي صفات حقيقية ثابتة للرب سبحانه.

وَادِّعَاءُ هَؤُلاءِ الْـمُعَطِّلَةِ أن إثبَاتَ الصفات يلزم منه التمثيل، وأن القرينة الْـمَانِعَةَ من إرادة الْـمَعْنَى الْـحَقِيقِيِّ هي تنزيه الله - سبحانه - عن مُمَاثَلَةِ الْـمَخْلُوقِينَ ادعاءٌ باطلٌ، ظاهِرُ السُّقُوطِ؛ إذْ لا يلزم من إثبات الصفات لله تمثيله وتشبيهه بِخَلْقِهِ؛ فَلِلْخَالِقُ - سبحانه - صِفات تليق به، وللمخلوق صفات تليق به، ثم إن مَجِيءَ نُصوص الصفات متكاثرة، يَقْطَعُ بأنَّ الْـمُرَادَ منها معانيها الْـحَقِيقِيَّة.

وَنُمَثِّلُ بهَذَا الْـمِثَالِ، وهو قول الله: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٤].

فلا يَجُوزُ أبدًا أن يقال: إن الكلام في هذه الآية مَجَازِيٌّ؛ لأن الفعل (كَلَّمَ) أُكِّدَ بالْـمصدر (التكليم) الدال على النوع.

وقد نَقَلَ أبو جعفر النحاس (ت ٣٣٨) إجماع النحاة على أن الفعل إذا أكد بالمصدر لَمْ يَكُنْ مَجَازًا؛ بل هو حقيقةٌ قَطْعًا.

وكيف وقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾ [الأعراف: ١٤٣]؟!

وَمِمَّا ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في قوله تعالى: ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص: ٧٥] ، أنه قال: «لا يَجُوزُ أَنْ تُفَسَّرَ بالقدرة؛ لأَنَّ القدرة صفةٌ واحدةٌ، ولا يُعَبَّر بالاثنين عن الواحد، ولا يجوز أن يراد به النعمة؛ لأَنَّ نِعَمَ الله - سبحانه وتعالى - لا تُحْصَى» .

وإذا أضيف الفعل إلى الفاعل، وَعُدِّيَ الفعلُ إِلَى اليد بِحَرْفِ الباء كقوله تعالى: ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ فإنه نصٌّ على أنه فعل الفعل بيديه.

فإذا قال القائل: (بَنَيْتُ الْـحُجْرَةَ بيَدِي) فلابد أن يكون بَاشَرَ الْـبِنَاءَ بنَفْسِهِ. وَإِذَا قال: (هَذَا الْـبَيْتُ بَنَتْهُ يَدَايَ) يُفْهَمُ منه أَنَّهُ بَنَاهُ بِمَالِهِ، وفَرَّقَ بَيْنَ التَّرْكِيبَيْنِ.

وعمومًا، فالأمثلة على هذا النحو كثيرةٌ جِدًّا، أو من خلالها يظهر أن نصوص الصفات لا تقبل الْـمَجَازَ من جهة نظمها، وتركيبها، وإضافتها إلى الله عَزَّ وَجَلَّ.

كيف وأهل السنة مُجْمِعُونَ على الإقرار بأسماء الله - تعالى - وصفاته وحَمْلِهَا على الحقيقة لا المجاز ؟!

٣ - أما القول بأن الألفاظ كلها حقيقة أو أن تقسيمها إلى حقيقة ومجاز تقسيم حادث لم تعرفه العرب، فذلك يحتاج إلى نظر.

فإن أريد بذلك أن العرب لم يضعوا هذا المصطلح فنعم.

وإن أريد أنه لا يوجد في كلامهم مَجَازٌ فهذا غير صحيح؛ بل الشواهد من كلامهم على استعمال الْـمَجَازِ أكثر من أن تحصر، وذلك مما استفاض به النقل عن علماء اللغة.

ثمَّ إنَّ القول إن هذا الاصطلاح لَمْ يُعْرَفْ إلا بَعْدَ القرون الثلاثة المفضلة غير مُسَلَّمٍ به؟ فقد تكلم بالْـمَجَاز غير واحد من علماء اللغة في أوقات القرون المفضلة ؟ ومن هؤلاء أبو زيد القرشي المتوفي سنة ١٧٠هـ.

ومن أهل اللغة من يعبر عن المجاز بـ: (التوسع والسعة في الكلام).

٤ - وأما القول بأن إطلاق الْـمَجَاز يُؤَدِّي إلى وصف الله بالمتجوز، وذلك لا يصح - فيجاب عنه: بأنه لا يلزم ذلك لأن هذا الإطلاق لا يكون إلا بدليل.

ثم إن إطلاق الْـمَجَاز على اللفظ في بعض استعمالاته اصطلاح، ولا يلزم إضافةُ المعاني الاصطلاحية إلى الله - تعالى - وإلا ففي القرآنِ سَجْعٌ، وَأَمْثَالٌ، فهل يقال في حق الله - تعالى -: السَّاجِع، والممثل؟

هذه بعض حجج القائلين بمنعه وَرَدُّ القائلين به على سبيل الإيجاز.

وبعد أن وقفت عن شيء من أمر الْـمَجَاز وما جاء في الخلاف حول إثباته أو نفيه يتبين لك أن أعظم الأسباب التي دعت إلى نفيه وإنكاره، أن أهل التعطيل اتخذوه مطية لتحريف بعض نصوص الشرع لاسيما في باب الصفات.

فهذا هو الذي دعا بعض العلماء أن يشدد في النكير على القائلين بالْـمَجَاز.

وإلا لو كان الأمر مُجَرَّدَ اصطلاح لغوي لا يترتب عليه خوض في مسائل الشريعة لَهَانَ الأمر، ولا حصل فيه خِلافٌ كبيرٌ ولكن لما أدرك بعض العلماء خطورة ذلك وكثرة المبتدعين به سارعوا إلى إنكاره؛ سدًّا للذريعة، وعلى رأس هؤلاء شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في مواطن كثيرة من كتبه، وإن كان قد قال بالْـمَجَازِ في إحدى مراحل عمره.

يقول الشيخ عبد المحسن العسكر - حفظه الله - فِي مقدمة مخطوطة له عن المجاز: وأحسب أن شيخ الإسلام ابن تيمية قد قال بالْـمَجَاز فِي إحدى مراحل عمره، فقد رأيت في (مَحَاسِنِ التَّأْوِيلِ) لجمال الدين القاسمي (ت ١٣٣٢هـ) ما هذا نصه:

قال ابن تيمية في بعض فتاواه: نحن نقول بالمجاز الذي قام دليله، ولم يوجد في شيء من كلامنا وكلام أحد منا أنا لا نقول بالمجاز والتأويل، والله عند لسان كل قائل، ولكن ننكر من ذلك ما خالف الحق والصواب، وما فتح به الباب إلى هدم السنة والكتاب، واللحاق بمُحرِّفة أهل الكتاب.

والمنصوص عن الإمام أحمد وجمهور أصحابه أن القرآن مشتمل على الْـمَجَاز، ولم يعرف عن غيره من الأئمة نص في هذه المسألة.

وقد ذهب طائفة من العلماء من أصحابه وغيرهم، كأبي بكر بن أبي داود، وأبي الحسن الخرزي، وأبي الفضل التميمي، وابن حامد وغيرهم إلى إنكار أن يكون في القرآن مجاز.

وإنما دعاهم إلى ذلك ما رأوه من تحريف المحرفين للقرآن بدعوى المجاز، قابلوا الضلال بحسم المواد، وخيار الأمور التوسط، والاقتصاد.

وبعد أن نقل الشيخ العسكر هذه الفتوى قال: «ومع أنني لم أهتدِ إلى هذه الفتوى في المطبوع مؤلفات شيخ الإسلام وفتاواه - فإن عدم اهتدائي هذا لا ينفي وجودها في كتابات الشيخ مطلقًا» .

بَيْدَ أنِّي مطمئنٌ غيرُ مرتاب في نسبة هذا الكلام إلى شيخ الإسلام - رَحِمَهُ الله - وذلك لما يلي:

١ - أن المطبوع من أعمال شيخ الإسلام لا يمثل إلا القليل مما كتب في حياته كلها.

وأنت خبير أنه صاحب قَلَمٍ سَيَّالٍ، ومكثر من الكتابة جدًّا، حتى قال الذهبي: «جاوزت فتاوى ابن تيمية ثلاثمائة مجلد».

٢ - أن من له أدنى صلة بتراث شيخ الإسلام لا ينازع في أن هذا النَّفَسَ نَفَسُه، والأسلوب أسلوبه، وقد وقف على هذه الفتوى بعض العلماء فأجابوا بذلك منهم فضيلة الشيخ محمد العثيمين رحمه الله.

ولقد أَنْزَلَ اللَّـهُ تَعَالَى القرآنَ الكريمَ بلِسَانٍ عربيٍّ مبينٍ على سنن العرب في البيان، ومن أساليب العرب الحقيقة والْـمَجَاز والاستعارة والتشبيه والكناية ولابد أن ذلك جارٍ في كتاب الله فعلا، وإن خالف بعضهم في بعض التسميات.

فَنَفْيُ الْـمَجَازِ فِي القرآن الكريم بمعنى التسمية بذلك، فالكل متفقون في مثل قوله تعالى: ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ ﴾ [الإسراء: ٢٤]، أن الحقيقة غير مرادة بل المراد الخضوع والطاعة للوالدين.

أيضا، فإن العدول عن الحقيقة إلى الْـمَجَاز يقتضي العجز عن الحقيقة، وهو على الله تعالى محال، قال الله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [النور: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ [ق: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الفرقان: ١٢]، وقال تعالى: ﴿ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ ﴾ [المعارج: ١٧].

وعن أَبِى هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ: «**اشْتَكَتْ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا فَقَالَتْ: رَبِّ أَكَلَ بَعْضِي بَعْضًا فَأَذِنَ لَهَا بِنَفَسَيْنِ نَفَسٍ فِي الشِّتَاءِ وَنَفَسٍ فِي الصَّيْفِ فَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الْـحَرِّ وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهَرِيرِ**» رواه البخارى.

عن أنس عن النبي ﷺ «**فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ وَيُقَالُ لِفَخْذِهِ انْطِقِي فَتَنْطِقُ فَخِذُهُ وَلَحْمُهُ وَعِظَامِهِ بعَمَلِهِ وَذَلِكَ لِيُعْذَرَ مِنْ نفسِهِ وَذَلِكَ الْـمُنَافِق وَذَلِكَ الَّذِي يَسْخَطُ اللَّـهُ عَلَيْهِ هذا في الآخرة**» رواه مسلم.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**احْتَجَّتْ النَّارُ وَالْجَنَّةُ فَقَالَتْ هَذِهِ يَدْخُلُنِي الْجَبَّارُونَ وَالْمُتَكَبِّرُونَ وَقَالَتْ هَذِهِ يَدْخُلُنِي الضُّعَفَاءُ وَالْمَسَاكِينُ فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِهَذِهِ: أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ - وَرُبَّمَا قَالَ: أُصِيبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ - وَقَالَ لِهَذِهِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا**»، رواه مسلم.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تكَلِّمَ السِّبَاعُ الإِنْسَانَ وَحَتَّى تكَلِّمَ الرَّجُلُ عَذَبَةَ سَوْطِهِ وَشِرَاكَ نَعْلِهِ وَتُخْبِرُهُ بِمَا أَحْدَثَ أَهْلُهُ مِنْ بَعْدِهِ**» هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

وفي قَوْله تَعَالَى: ﴿ **قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ** ﴾ [طه: ٤٦] قد صَنَّفَ شَيْخُ الْإِسْلام عِزُّ الدِّينِ بْنُ عَبْدِ السَّلامِ كِتَابًا حَافِلًا في ذلك، وَبِهِ قال جُمْهُورُ الْفُقَهَاءِ مِنْهُمْ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ فَإِنَّهُ قال هذا من مَجَازِ اللُّغَةِ.

يقول الشيخ محمد المختار الشنقيطى: الْمَجَازُ في القرآن، فهذه مسألة خلافية، من العلماء من قال: لا مجاز في القرآن، ومنهم من قال: فيه المجاز.

والصحيح: أن الْمَجَاز موجودٌ في القرآن في غير أسماء الله وصفاته، والدليل على وجوده: أنه لا يستطيع أحد أن ينكر وجود الْمَجَازِ في اللغة، فالْمَجَازُ موجودٌ في اللغة، وهو بلسان العرب.

قال الله سبحانه وتعالى في كتابه: ﴿ **إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا** ﴾ [الإنسان: ١٠]، فهل يوم القيامة يَعْبَسُ على الحقيقة؟!

وقال تعالى: ﴿ **وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠** ﴾ [الأحزاب: ١٠]، هل القلوب بلغت الحناجر حقيقة؟! لا، إنما هو كناية.

وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤٩].

﴿ تَمَسُّوهُنَّ ﴾ كناية عن الْـجِمَاع. فهذا كُلُّهُ تَجَوُّزٌ فِي العبارة، ولكن في أسماء الله وصفاته ليس هناك مَجَازٌ.

والسبب الذي جعل العلماء يقولون: بنفي الْـمَجَاز عُمُومًا في القرآن إقفال باب التأويل على الأشاعرة؛ ولكنْ كَانَ من الْـمُمْكِن أن نُقْفِل عليهم بابَ التأويل بأنْ نُقِرَّ بوُجُودِ الأسلوب؛ ولكن في أسماء الله وصفاته نُنَاقِشُهُمْ بأن نقول لهم: إن مِمَّا اتفقَ العلماء عليه: أنه إذا تعارضت الْـحَقِيقَةُ والْـمَجَازُ، فإن الأَصَحَّ حَمْلُ الدلائل في الكتاب والسنة على الْـحَقِيقَةِ ما لَمْ يدلَّ الدليلُ على الْـمَجَاز، فلما قال الله: ﴿ قَالَ يَـٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ﴾ [ص:٧٥]، أي: يديه، حملناها على الحقيقة، فلما لم يوجد دليل من الكتاب والسنة على صَرْفِ اللفظ عن الْـحَقِيقَةِ نُبْقِي عليها.

فمن الممكن مناقشة الأشاعرة - حينما قالوا بالمجاز في الأسماء والصفات - مناقشةً بهذا الأصل، وهذا الأصلُ قَرَّرَهُ الأصوليون في باب تعارض الحقائق.

وعلى العموم فإنَّ القَوْلَ بوجُودِهِ أو عَدَمِ وُجُودِهِ يُقَرِّرُ بَعْضُ العلماءِ أنه خِلافٌ لفظِيٌّ؛ لأنهم يقولون: الأُسْلُوبُ موجودٌ؛ ولكن اختلفوا هل يُسَمَّى مَجَازًا؟ أو أنَّ الْـعَرَبَ تكلمت به على هذه الصفة؟! لأنَّ الكلامَ موجودٌ . فَعَنْ عِكْرِمَةَ قَالَ: صَلَّيْتُ خَلْفَ شَيْخٍ بِمَكَّةَ فَكَبَّرَ ثِنْتَيْنِ وَعِشْرِينَ تَكْبِيرَةً فَقُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ إِنَّهُ أَحْمَقُ فَقَالَ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ، سُنَّةُ أَبِي الْـقَاسِمِ ﷺ.

ما معنى (ثكِلَتْكَ أُمُّكَ) ؟! معناها: فَقَدَتْكَ، هل يَقْصِدُ النبي ﷺ الفَقْدَ؟! وكذا عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ حَدَّثَهُ أَنَّ أَبَا الْأَسْوَدِ الدُّؤَلِيَّ حَدَّثَهُ أَنَّ أَبَا ذَرٍّ رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهُ

حَدَّثَهُ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَعَلَيْهِ ثَوْبٌ أَبْيَضُ، وَهُوَ نَائِمٌ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ وَقَدْ اسْتَيْقَظَ، فَقَالَ: «**مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّـهُ، ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا دَخَلَ الْـجَنَّةَ**» قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «**وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ**»» قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «**وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ**»»، قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ ؟ قَالَ: «**وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ عَلَى رَغْمِ أَنْفِ أَبِي ذَرٍّ**»»، وَكَانَ أَبُو ذَرٍّ إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا قَالَ: وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّـهِ: هَذَا عِنْدَ الْـمَوْتِ أَوْ قَبْلَهُ إِذَا تَابَ وَنَدِمَ، وَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّـهُ غُفِرَ لَهُ. رواه البخاري.

هل رَغِم المراد به الرُّغام حقيقة ؟!

كل هذا كنايات؛ لأن اللغة العربية لغةٌ واسعة، وهذا هو الذي يعتبر من سماتها وهو: سعتها، فإنه قد يراد ظاهر اللفظ وقد يراد غير اللفظ.

۞۞۞۞۞

الْمَجَازُ الْمُرْسَلُ

تعريف الْمَجَازُ الْمُرْسَلُ:

هُوَ اسْتِعْمَالُ اللفْظِ فِي غَيْرِ مَا وُضِعَ لَهُ فِي الأَصْلِ؛ لِعَلاقَةٍ بَيْنَ الْـمَعْنَيَيْنِ - الْـحَقِيقِيِّ وَالْـمَجَازِيِّ - مَعَ قَرِينَةٍ مَانِعَةٍ مِنْ إِرَادَةِ الْـمَعْنَى الْـحَقِيقِيِّ.

شرح تعريف المجاز:

وَمَعْنَى قَوْلِهِ: (فِي غَيْرِ مَا وُضِعَ لَهُ): أي الْـمَعْنَى الْـوَضْعِي لِلَّفظِ، وَيُسَمَّى الْـحَقِيقِيّ أو الأَصْلِي الذِي ذَكَرَتْهُ مَعَاجِمُ اللغَةِ، كَوَضْعِ كَلِمَةِ الأَسَدِ لِلْحَيَوَانِ الْـمَعْروفِ الْـمُفْتَرِسِ، وكذلك الْـقَمَرُ.

وَمَعْنَى قَوْلِهِ: (لِعَلاقَةٍ): العَلاقَةُ هِيَ الشَّيءُ الذِي يَرْبِطُ بَيْنَ الْـمَعْنَى الأَصْلِيّ لِلفْظِ، وَالْـمَعْنَى الْـمَجَازِي، كَالشَّجَاعَةِ فِي قَوْلِكَ: (رَأَيْتُ أَسَدًا يَضْرِبُ بِسَيْفِهِ) فَالأَسَدُ هُنَا لا يُقْصَدُ بِهِ الْـحَيَوَانِ؛ وَإِنَّمَا يُقْصَدُ بِهِ الرَّجُلُ الشُّجَاعُ، إِذًا فَقَدَ انْتَقَلَ مِنْ مَعْنَاهُ الْـحَقِيقِيّ إِلَى الْـمَعْنَى الْـمَجَازِيّ، وَالْـعَلاقَةُ هِيَ الشَّجَاعَةُ.

وَمَعْنَى قَوْلِهِ: (الْـقَرِينَةُ): هِيَ الَّتِي تَمْنَعُ الذِّهْنَ مِنْ أَنْ يَنْصَرِفَ إِلَى الْـمَعْنَى الْـوَضْعِي الأَصْلِيّ لِلَّفْظِ، مِثْلَ قَوْلِكَ: (يَضْرِبُ بِسَيْفِهِ) فِي قَوْلِكَ: (رَأَيْتُ أَسَدًا يَضْرِبُ بِسَيْفِهِ)؛ لأَنَّ الأَسَدَ لا يَضْرِبُ بِالسَّيْفِ، فَعُلِمَ أَنَّ الْـمَقْصُودَ بِاللفْظِ مَجَازُهُ لا حَقِيقَتُهُ؛ لأَنَّ الأَسَدَ لا يَضْرِبُ بِالسَّيْفِ.

ومثل قَوْلِكَ: (قَامَتِ الْـمَدْرَسَةُ بِرَحْلَةٍ). فنجد أن لهذا المثال معنيين:

١ - الْـمَعْنَى الأصلي: وَهُوَ أَنْ تَقُومَ الْـمَدْرَسَةُ بِأَبْوَابِهَا وَفُصُولِهَا وَمَقَاعِدِهَا وجرسها بِرِحْلَةٍ، وَهَذَا مُسْتَبْعَدٌ.

٢ - الْـمَعْنَى الْـمَجَازِي: وَهُوَ أَنْ يَقُومَ بَعْضُ طُلابِ الْـمَدْرَسَةِ مَعَ بَعْضِ الْـمُدَرِّسِينَ، وَذَلِكَ هُوَ الْـمَعْنَى الْـمَقْصُودُ.

علاقات المجاز المرسل:

لِلْمَجَازِ الْـمُرْسَلِ عَلاقَاتٌ كَثِيرَةٌ، تَنْبُعُ مِنْ ذَوْقِ الأَدِيبِ وَأَسَالِيبِهِ.

وقد أَحْصَى منها علماءُ البلاغةِ أَكْثَرَ مِنْ عِشرين علاقة، منها: «السَّبَبِيَّة - الْـمُسَبَّبِيَّة - إطلاق الكلّ على البعض - إطلاق البعض على الكلّ - إطلاق اللازم وإرادة الملزوم - إطلاق الملزوم وإرادة اللازم - إطلاق المطلق وإرادة المقيّد - إطلاق المقيد وإرادة المطلق - إطلاق العام وإرادة الخاص - إطلاق الخاص وإرادة العامّ - إطلاق الحال وإرادة المحل - إطلاق المحلّ وإرادة الحال - إقامة المضاف إليه مقام المضاف - إقامة المضاف مقام المضاف إليه - علاقة الجوار - اعتبار ما كان عليه الشيء - اعتبار ما يؤول إليه الشيء - علاقة الآليّة - علاقة البدليّة والعوض - إطلاق المعرّف باللاّم وإرادة واحدٍ منكر - إطلاق النكرة في الإثبات وإرادة العموم - علاقة التضادّ» إلى غير ذلك من علاقات. وأَشْهَرُ هَذِهِ الْـعَلاقَاتِ:

١ - الكلية:

هِيَ أَنْ يُذْكَرَ الْـكُلُّ، وَيُرَادَ الْـجُزْءُ، مثل قول الله: ﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ۝ ﴾ [نوح: ٧].

أي: يَجْعَلُونَ بَعْضَ أَصَابِعِهِمْ، وهي رُءُوسُهَا (الأنامل)، وهذا من إِطْلاقِ الْـكُلِّ وَإِرَادَةِ بَعْضِهِ، وفائدة هذا الْـمَجَازِ الإِشْعَارُ بِمَا فِي نُفُوسِهِمْ مِنَ الرغبة بإدخال كلّ أصابعهم في آذانهم حتى لا يصل إليها الصوت الشديد الْـمُمِيت الذي تُحْدِثُهُ الصواعق. فَقَدْ ذَكَرَتِ الآيَةُ الأَصَابعَ وَأَرَادَتْ جُزْءًا مِنْهَا، وهو طرف الأصابع، أي: رُءُوس الأَنَامِلِ.

وَأَيْضًا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٣٨﴾ ﴾ [المائدة: ٣٨].

فَكَلِمَةُ ﴿ أَيْدِيَهُمَا ﴾ مَجَازٌ مُرْسَلٌ، حَيْثُ ذَكَرَ الْكُلَّ، وَأَرَادَ الْجُزْءَ؛ فَلَيْسَ الْمَقْصُودُ الْيَدَ كُلَّهَا.

وَمِثْلُ: (شَرِبْتُ ماءَ النِّيلِ) فَهَذَا مَجَازٌ مُرْسَلٌ عَلاقَتُهُ الْكُلِّيَّةُ؛ حُيْثُ ذَكَرَ الْكُلَّ، وَهُوَ (مَاءُ النِّيلِ) كُلُّهُ، وَأَرَادَ الْجُزْءَ، أي: بَعْض الْمَاءِ، فَلَيْسَ مِنَ الْمَعْقُولِ أَنْ يَشْرَبَ إِنْسَانٌ مَاءَ النِّيلِ كُلَّهُ.

ومثل: (سَكَنْتُ مِصْرَ) فَهَذَا مَجَازٌ مُرْسَلٌ عَلاقَتُهُ الْكُلِّيَّةُ؛ حُيْثُ ذَكَرَ الْكُلَّ، وَهُوَ (مِصْرُ) كُلُّهَا، وَأَرَادَ الْجُزْءَ، أي: بَعْض مِصْرَ أَوْ بَيْتًا فِي مِصْرَ، فَلَيْسَ مِنَ الْمَعْقُولِ أَنْ يَسْكُنَ إِنْسَانُ مِصْرَ كُلَّهَا.

وَمِثْلُ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ﵄ - فِي صِفَةِ الْوُضُوءِ - قَالَ: ثُمَّ مَسَحَ ﷺ بِرَأْسِهِ، وَأَدْخَلَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَّاحَتَيْنِ فِي أُذُنَيْهِ، وَمَسَحَ بِإِبْهَامَيْهِ ظَاهِرَ أُذُنَيْهِ. أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ، وَالنَّسَائِيُّ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ خُزَيْمَةَ.

فَهَذَا مَجَازٌ مُرْسَلٌ عَلاقَتُهُ الْكُلِّيَّةُ؛ حُيْثُ ذَكَرَ الْكُلَّ، وَهُوَ (إِصْبَعَيْهِ) كَامِلَتَيْنِ، وَأَرَادَ الْجُزْءَ، أي: جُزْء مِنْ كُلٍّ مِنْهُمَا، فَلَيْسَ مِنَ الْمَعْقُولِ أَنْ يُدْخِلَ إِنْسَانٌ إِصْبَعَيْنِ كِلَيْهِمَا كَامِلَتَيْنِ.

٢ - الْجُزْئِيَّةُ:

هِيَ أَنْ يُذْكَرَ الْجُزْءُ، وَيُرَادَ الْكُلُّ، مثل قول الله: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـَٔاۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـَٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤْمِنَةٖ وَدِيَةٞ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوّٖ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٞ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤْمِنَةٖۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمِۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٞ فَدِيَةٞ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤْمِنَةٖۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿٩٢﴾ ﴾ [النساء: ٩٢].

أطلقَ الله - سبحانه وتعالى - لَفْظَ (رَقَبَةَ)، وقَصَدَ بِهَا: الْـمَمْلُوكَ مِنْ بابِ إِطْلاقِ الْـجُزْءِ، وَإِرَادَةِ الْـكُلِّ. فكلمةُ (رَقَبَة) مَجَازٌ مُرْسَلٌ، علاقتُهُ الْـجُزْئِيَّةُ، حَيْثُ ذَكَرَ الْـجُزْءَ وهو (رقبة)، وأرادَ الْـكُلَّ، وَهُوَ الْـعَبْدُ.

وَمِثْلُ قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ ﴾ [إبراهيم: ٢٤].

أطلقَ الله - سبحانه وتعالى - لَفْظَ ﴿ كَلِمَةً ﴾ وقَصَدَ بِهَا كلامًا كثيرًا، وَهَذَا مِنْ بَابِ إِطْلاقِ الْـجُزْءِ، وَإِرَادَةِ الْـكُلِّ. فكلمةُ ﴿ كَلِمَةً ﴾ مَجَازٌ مُرْسَلٌ، علاقتُهُ الْـجُزْئِيَّةُ، حَيْثُ ذَكَرَ الْـجُزْءَ، وهو ﴿ كَلِمَةً ﴾، وأرادَ الْـكُلَّ، وَهُوَ الْـكَلِمَات.

وكذلك قول الشاعر:

أُعَلِّمُـــهُ الـرِّمَايَةَ كُـــلَّ يَـــوْمٍ ... فَلَـــمَّا اشْـــتَدَّ سَـــاعِدُهُ رَمَـــانِي

وَكَـــمْ عَلَّمْـــتُهُ نَظْـــمَ الْـقَـــوَافِي ... فَلَـــمَّا قَـــالَ قَافِـــيَةً هَجَـــانِي

ذَكَرَ الشاعر لَفْظَ (قَافِيَةً)، وقَصَدَ بِهِ: قَصِيدَةً، وَهَذَا مِنْ بَابِ إِطْلاقِ الْـجُزْءِ، وَإِرَادَةِ الْـكُلِّ. فكلمةُ (قَافِيَةً) مَجَازٌ مُرْسَلٌ، علاقتُهُ الْـجُزْئِيَّةُ، حَيْثُ ذَكَرَ الْـجُزْءَ، وهو (قَافِيَةً)، أَيْ: الْـحَرْف الأَخِير مِنْ كُلِّ بَيْتٍ مِنَ الشِّعْرِ، لَكِنَّهُ أَرَادَ الْـكُلَّ، وَهِي الْـقَصِيدَةُ.

ومثل: (أَلْقَى الإِمَامُ كَلِمَةً نَالَتْ إِعْجَابَ الْـجَمِيعِ).

ذَكَرَ لَفْظَ (كَلِمَةً)، وقَصَدَ بِهِ: خُطْبَةً، وَهَذَا مِنْ بَابِ إِطْلاقِ الْـجُزْءِ، وَإِرَادَةِ الْـكُلِّ. فكلمةُ (كَلِمَةً) مَجَازٌ مُرْسَلٌ، علاقتُهُ الْـجُزْئِيَّةُ، حَيْثُ ذَكَرَ الْـجُزْءَ، وهو (كَلِمَة)، لَكِنَّهُ أَرَادَ الْـكُلَّ، وَهِي الْـخُطْبَةُ.

ومثل: (نَشَرَ الْـعَدُوُّ عُيُونًا في البلاد).

ذَكَرَ لَفْظَ (عُيُونًا)، وقَصَدَ بِهِ: جَوَاسِيس، وَهَذَا مِنْ بَابِ إِطْلاقِ الْـجُزْءِ، وَإِرَادَةِ الْـكُلِّ. فكلمةُ (عُيُونًا) مَجَازٌ مُرْسَلٌ، علاقتُهُ الْـجُزْئِيَّةُ، حَيْثُ ذَكَرَ الْـجُزْءَ، وهو (عُيُونًا)، لَكِنَّهُ أَرَادَ الْـكُلَّ، وَهُو الْـجَوَاسِيسُ؛ لأنَّ كُلَّ عَيْنٍ جُزْءٌ مِنْ جَاسُوسِهَا.

٣ – الْـمَحَلِّيَّة:

وهِيَ أَنْ يَذْكُرَ الْـمَحَلَّ، وَيُرَادُ مَنْ بِهِ. أو هي أَنْ يَذْكُرَ الْـمَكَانَ، وَيُرَادُ مَنْ فِيهِ، مثل قول الله عز وجل: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ ۝ ﴾ [يوسف: ٨٢].

أَطْلَقَ الله – سبحانه وتعالى – لَفْظَ ﴿ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ ، ولَمْ يَقْصِدْهَا بِنَفْسِهَا، وَإِنَّمَا قَصَدَ مَنْ فِيْهَا، وَهُمْ أَهْلُ الْـقَرْيَةِ، وَهَذَا مِنْ بَابِ إِطْلاقِ الْـمَحَلِّ، أَيْ (الْـمَكَان)، وَإِرَادَةِ مَنْ بهِ. فكلمةُ ﴿ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ مَجَازٌ مُرْسَلٌ، علاقتُهُ الْـمَحَلِّيَّةُ، حَيْثُ ذَكَرَ الْـمَكَانَ، وَهُوَ ﴿ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ ، وَأَرَادَ مَنْ بِهِ، وَهُمْ أَهْلُ الْـقَرْيَةِ.

ومثل: (حَكَمَتِ الْـمَحْكَمَةُ بِقَطْعِ يَدِ السَّارِقِ).

أَطْلَقَ لَفْظَ (الْـمَحْكَمَةُ)، ولَمْ يَقْصِدْهَا بِنَفْسِهَا، وَإِنَّمَا قَصَدَ مَنْ فِيْهَا، وَهُوَ قَاضِي الْـمَحْكَمَةِ، وَهَذَا مِنْ بَابِ إِطْلاقِ الْـمَحَلِّ، أَيْ (الْـمَكَان)، وَإِرَادَةِ مَنْ بِهِ. فكلمةُ (الْـمَحْكَمَةُ) مَجَازٌ مُرْسَلٌ، علاقتُهُ الْـمَحَلِّيَّةُ، حَيْثُ ذَكَرَ الْـمَكَانَ، وَهُوَ (الْـمَحْكَمَةُ)، وَأَرَادَ مَنْ بِهِ، وَهُوَ قَاضِي الْـمَحْكَمَةِ.

ومثل قول الله: ﴿ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٧]، أي: ألسنتهم.

أَطْلَقَ الله – سبحانه وتعالى – لَفْظَ ﴿ بِأَفْوَٰهِهِم ﴾ ولَمْ يَقْصِدْهَا بِنَفْسِهَا، وَإِنَّمَا قَصَدَ مَنْ فِيْهَا، وَهُيَ: أَلْسِنَتُهُمْ، وَهَذَا مِنْ بَابِ إِطْلاقِ الْـمَحَلِّ، أَيْ (الْـمَكَان)،

وَإِرَادَةِ مَا بِهِ. فكلمةُ ﴿ بِأَفْوَاهِهِم ﴾ مَجَازٌ مُرْسَلٌ، علاقتُهُ الْـمَحَلِّيَّةُ، حَيْثُ ذَكَرَ الْـمَكَانَ، وَهُوَ ﴿ بِأَفْوَاهِهِم ﴾ وَأَرَادَ مَا بِهِ، وَهِيَ أَلْسِنَتُهُمْ؛ لأَنَّ الْـقَوْلَ لا يَكُونُ عَادَةً إِلا بِهَا.

ومثل قول الله: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝ ﴾ [الشرح: ١].

أَطْلَقَ الله – سبحانه وتعالى – لَفْظَ ﴿ صَدْرَكَ ﴾ ولَمْ يَقْصِدْهُ بِنَفْسِهِ، وَإِنَّمَا قَصَدَ مَا فِيْهِ، وَهُو: الْـقَلْبُ، وَهَذَا مِنْ بَابِ إِطْلاقِ الْـمَحَلِّ، أَيْ (الْـمَكَان)، وَإِرَادَةِ مَا بِهِ. فكلمةُ ﴿ صَدْرَكَ ﴾ مَجَازٌ مُرْسَلٌ، علاقتُهُ الْـمَحَلِّيَّةُ، حَيْثُ ذَكَرَ الْـمَكَانَ، وَهُوَ ﴿ صَدْرَكَ ﴾ ، وَأَرَادَ مَا بِهِ، وَهُوَ الْـقَلْبُ.

ومثل: (أَعْلَنَ الْـمَجْلِسُ رَفْعَ رَايَةِ الْـجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّـهِ).

حَيْثُ ذَكَرَ لَفْظَ (الْـمَجْلِسُ)، ولَمْ يَقْصِدْهُ بِنَفْسِهِ، وَإِنَّمَا قَصَدَ مَنْ فِيْهِ، وَهُمْ: أَهْل الْـمَجْلِسِ، وَهَذَا مِنْ بَابِ إِطْلاقِ الْـمَحَلِّ، أَيْ (الْـمَجْلِسُ)، وَإِرَادَةِ مَنْ بِهِ. فكلمةُ (الْـمَجْلِسُ) مَجَازٌ مُرْسَلٌ، علاقتُهُ الْـمَحَلِّيَّةُ، حَيْثُ ذَكَرَ الْـمَكَانَ، وَهُوَ (الْـمَجْلِسُ)، وَأَرَادَ مَنْ بِهِ، وَهُمْ أَهْلُ الْـمَجْلِسِ.

٤ – الحالية:

يكون الْـمَجَاز الْـمُرْسَلُ عَلاقَتُهُ الْـحَالِية، عِنْدَمَا تَذْكُرُ مَنْ بالْـمكانِ، أَوْ مَا فِي الْـمَكَانِ وَلا تُرِيدُهُ، لَكِنْ تُرِيدُ الْـمَكَانَ نَفْسَهُ، مثل: (نَزَلْتُ بالْـقَوْمِ فَأَكْرَمُونِي).

فَـ (نَزَلْتُ بالْـقَوْمِ)، مَجَازٌ مُرْسَلٌ عَلاقَتُهُ الْـحَالِية، أَيْ: نَزَلْتُ بِدَارِ أَوْ مَكَانِ الْـقَوْمِ؛ حَيْثُ عَبَّرَ عَنِ الْـمَكَانِ بالْـمَوْجُودِينَ، وَهِيَ عَكْسُ الْـمَجَازِ الْـمُرْسَلِ التِي علاقته الْـمَحَلِّيَّةُ، وَهُوَ كَمَا قُلْنَا: أَنْ يَذْكُرَ الْـمَحَلَّ، وَيُرَادُ مَنْ بِهِ. أو هى أَنْ يَذْكُرَ الْـمَكَانَ، وَيُرَادُ مَنْ فِيهِ.

ومثل: (جَلَسْتُ عَلَى الْـقَهْوَةِ). أى: فِي الْـمَكَانِ الذِي تُشْرَبُ فِيهِ الْـقَهْوَةُ، لِذَا

فَهُوَ مَجَازٌ مُرْسَلٌ عَلاقَتُهُ الْـحَالِيةُ. حَيْثُ يَسْتَعْمِلُ الْـمُحْدثون الْـقَهْوَةَ لِلْمَكَانِ الذِي تُشْرَبُ فِيْهِ.

ومثل قول الله عز وجل: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٧].

قوله: ﴿ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ ﴾ أَيْ فِي جَنَّتِهِ، التِي هِيَ مَحَلُّ الرَّحْمَةِ، لِذَا فَهُوَ مَجَازٌ مُرْسَلٌ عَلاقَتُهُ الْـحَالِيةُ؛ حَيْثُ ذَكَرَ الرَّحْمَةَ، وَأَرَادَ مَكَانَهَا، وَهِيَ الْـجَنَّةُ.

ومثل: (ذَهَبَ الظَّالِمُ إِلَى مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ).

فَـ (إِلَى مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ)، مَجَازٌ مُرْسَلٌ عَلاقَتُهُ الْـحَالِية، أَيْ: ذَهَبَ الظَّالِمُ إِلَى مَكَانِ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ «الْـقَبْرِ» ؛ حَيْثُ عَبَّرَ عَنِ الْـمَكَانِ بالْـمَوْجُودِينَ.

٥ - الْـمُجَاوَرَةُ:

وهي أَنْ يَكُونَ الشَّيءُ مُجَاوِرًا لِغَيْرِهِ فَيُطْلَقُ عَلَيْهِ اسْمُهُ.

مِثْلُ: (طَعَنْتُ بالرُّمْحِ ثِيَابَهُ)، أي: جِسْمَهُ، حَيْثُ ذَكَرَ لَفْظَ (ثِيَابَهُ)، ولَمْ يَقْصِدْهُ بِنَفْسِهِ، وَإِنَّمَا قَصَدَ مَا يُجَاوِرُهُ، وَهُو: الْـجِسْمُ، وَهَذَا مِنْ بَابِ إِطْلاقِ الشَّيءِ عَلَى مَا يُجَاوِرُهُ، أَيْ (الْـجِسْم).

ومثل قول الله: ﴿ يَتَنَـٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الطور: ٢٣].

قوله تعالى: ﴿ يَتَنَـٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا ﴾ أَيْ يَتَجَاذَبُونَهَا فِي الْـجَنَّةِ هُمْ وَجُلَسَاؤُهُمْ تَجَاذُبَ مَلاعَبَةٍ، لِشِدَّةِ سُرُورِهِمْ، التنازع مَجَازٌ عَنِ التَّعَاطِي، وَالْـكَأْسُ مُؤَنَّثٌ سَمَاعِيٌّ كَالْـخَمْرِ، وَلا تُسَمَّى كَأْسًا عَلَى الْـمَشْهُورِ إِلا إِذَا امْتَلأَتْ خَمْرًا، وَقَدْ تُطْلَقُ عَلَى الْـخَمْرِ نَفْسِهَا مَجَازًا لِعَلاقَةِ الْـمُجَاوَرَةِ.

وَمِثْلُ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْـخُدْرِيِّ ﵁ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ: «**إِذَا وُضِعَتْ الْـجِنَازَةُ فَاحْتَمَلَهَا الرِّجَالُ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ، فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً، قَالَتْ: قَدِّمُونِي**

قَدِّمُونِي، وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ صَالِحَةٍ، قَالَتْ: يَا وَيْلَهَا أَيْنَ يَذْهَبُونَ بِهَا، يَسْمَعُ صَوْتَهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الْإِنْسَانَ، وَلَوْ سَمِعَهَا الْإِنْسَانُ لَصَعِقَ» رواه البخاري.

«الرِّجَالُ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ»: أي عَلَى أَكْهَالِهِمْ الْـمُقَارَبَةِ لأَعْنَاقِهِمْ، ففيه مَجَازٌ مُرسَلٌ عَلاقَتُهُ الْـمُجَاوِرَةُ.

٦ – السببية:

وَهِيَ أَنْ يُذْكَرَ السَّبَبُ، وَيُرَادُ الْـمُسَبِّبُ. أَوْ أَنْ نُعَبِّرَ بِذِكْرِ السَّبَبِ لِلدَّلالَةِ عَلَى النَّتِيجَةِ، مثل قولك: (هَذَا الظَّالِمُ لَهُ يَدٌ فِي هَذَا الْـفَسَادِ) فكلمة (يَدٌ) مَجَازٌ مُرْسَلٌ، عَلاقَتُهُ السَّبَبِيَّةُ، وَالْـمُرَادُ: هَذَا الظَّالِمُ لَهُ تَأْثِيرٌ فِي هَذَا الْـفَسَادِ؛ لأَنَّ التَّأْثِيرَ يَصْدُرُ عَنِ الْـيَدِ.

ومثل: (لِلأَبِ عَلَى أَبْنَائِهِ أَيَادٍ كَثِيرَةٌ) فكلمة (أَيَاد) مَجَازٌ مُرْسَلٌ، عَلاقَتُهُ السَّبَبِيَّةُ، والْـمُرَادُ بـ(أَيَادٍ) هِيَ النِّعَمُ؛ لأَنَّ النِّعْمَةَ تَصْدُرُ عَنِ الْـيَدِ، فَالْـيَدُ هِيَ سَبَبُ النِّعْمَةِ.

ومثل: (رَعَتْ إِبِلِي الْـمَطَرَ)، أَيْ: الْـكَلأ وَالْـحَشَائِش وَالنَّبَات.

فَالْـمَطَرُ مَجَازٌ مُرْسَلٌ عَلاقَتُهُ السَّبَبِيَّةُ؛ لأَنَّهُ سَبَبُ الْـكَلأ وَالْـحَشَائِشِ وَالنَّبَاتِ..، فَكُلُّ هَذَا نَاتِجٌ عَنِ الْـمَطَرِ بِإِذْنِ اللَّـهِ.

ومثل قول الله: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ ﴾ [محمد: ٤].

عَبَّرَ الْـقُرآنُ الْـكَرِيمُ عَنِ الْـقَتْلِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ ﴾ وَالسِّرُّ فِي ذَلِكَ أَنَّ فِي هَذِه الْـعِبَارَةِ مِنَ الْـغِلْظَةِ وَالشِّدَّةِ مَا لَيْسَ فِي لَفْظِ (الْـقَتْلِ) لِمَا فِيْهِ مِنْ تَصْوِير الْـقَتْلِ بِأَبْشَعِ صُوْرَةٍ، وَهُوَ حَزُّ الْـعُنُقِ وَقَطْعُ الْـعُضْوِ الذِي هُوَ رَأْسُ الْـبَدَنِ، وَمَجْمَعُ حَوَاسِّهِ، وَلَوْ قَالَ: (فَاقْتُلُوهُمْ) لَمَا كَانَ هَذَا الْـمَعْنَى الدَّقِيق.

وَالتَّعْبِيرُ أَيْضًا: يُوحِي بِشُجَاعَةِ الْـمُؤْمِنِينَ، وَأَنَّهُمْ مِنَ الْـكُفَّارِ كَأَنَّهُمْ مُتَمَكِّنُونَ

مِنْ رِقَابِهِمْ، يُعْمِلُونَ فِيهِمْ سُيُوفَهُمْ بضَرْبِ الأَعْنَاقِ، وَهُوَ (مَجَازٌ مُرْسَلٌ) عَلاقَتُهُ السَّبَبِيَّةُ؛ لأنَّ ضَرْبَ الرَّقَبَةِ سَبَبُ الْـمَوْتِ.

٧ – الْـمُسَبَّبِيَّة:

وَهِيَ أَنْ يَذْكُرَ الْـمُسَبَّبَ، وَيُرِيدُ السَّبَبَ، مثل قول الله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ۝ ﴾ [غافر: ١٣].

عَبَّرَ الله – سبحانه وتعالى – بالرِّزْقِ عَنِ الْـمَطَرِ؛ لأَنَّ الرِّزْقَ مُسَبَّبٌ عَنِ الْـمَطَرِ، وَالْـمَطَرُ هُوَ السَّبَبُ. فَقَوْلُهُ ﴿ رِزْقًا ﴾ مَجَازٌ مُرْسلٌ عَلاقَتُهُ الْـمُسَبَّبِيَّة؛ لأَنَّهُ ذَكَرَ الْـمُسَبَّبَ، وَأَرَادَ السَّبَبَ.

ومثل: (أَمْطَرَتِ السَّمَاءُ نَبَاتًا)، أَيْ: أَمْطَرَتْ مَطَرًا سَبَّبَ نُمُوَّ النَّبَاتِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ السَّمَاءَ لا تُمْطِرُ نَبَاتًا، لَكِنْ تُمْطِرُ مَاءً يُسَبِّبُ نُمُوَّ النَّبَاتَ؛ وَذَكَرَ هُنَا الْـمُسَبَّبَ، وَأَرَادَ السَّبَبَ؛ لِذَا فَهُوَ مَجَازٌ مُرْسَلٌ عَلاقَتُهُ الْـمُسَبَّبِيَّةُ.

ومثل ذلك قول الله: ﴿ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ۝ ﴾ [الأعراف: ٢٦].

فَمَعْلُومٌ أَنَّ السَّمَاءَ لا يَنْزِلُ مِنْهَا (اللبَاسُ) مُبَاشَرَةً، لَكِنْ يَنْزِلُ الْـمَاءُ الَّذِى يُسَبِّبُ الْـمَلابِسَ، فهو مجاز مرسل أيضًا، علاقته الْـمُسَبَّبية.

٨ – اعتبار ما كان:

وذلك حينما يُذْكَرُ الْـمَاضِي فِي الْـحَاضِر. أَوِ النَّظَرُ إِلَى الشَّيْءِ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ فِي الْـمَاضِي، مثل قول الله: ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَـٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ﴾ [النساء: ٢]، أي: آتُوا الْـبَالِغِينَ أَمْوَالِهِمْ، ونَجِدُ أَنَّ الْـيَتِيمَ في اللغة هو الصغير الذي مات أبوه، فهل تظن أنَّ الله – سبحانه – يأمر بإعطاءِ اليتامَى الصغار أموال آبائهم ؟

هذا غيرُ معقولٍ، بل الواقعُ أنَّ اللَّـهَ يَأْمُرُ بإعطاءِ الأموالِ مَنْ وَصَلُوا سِنَّ

الرُّشْدِ بَعْد أنْ كَانُوا يَتَامَى، فكلمة الْـيَتَامَى هنا مَجَازٌ؛ لأنها اسْتُعْمِلَتْ فِي الراشدين والعلاقةُ اعتبار ما كانَ.

فليس الْـمُرَادُ باليتامى الْـمَعْنَى الْـحَقِيقِي، أي الطفل الذي مات أبوه؛ إذْ لا يأْمُرُنا الله بدفع الْـمَالِ إليهم، وتمكينهم منها للتصرف فيها؛ لأن ذلك لا يكون إلا بعد البلوغ، حتى يُحْسِنَ التصرف فيما يدفع إليهم من أموال آبائهم. ومن لم يَبْلُغْ لا يُعْطَى مَالُهُ، كما قال الله: ﴿ وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَـٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ﴾ [النساء: ٦].

ما الحكمة من أن الله سبحانه يعبر باليتيم عن البالغ ؟

الْـحِكمة: هذا منْ أجلِ اسْتِعْطَافِ الأَوْلِيَاءِ وَاسْتِرْحَامِهِمْ، حتى يُؤَدُّوا الأموالَ إِلَى أهلِها، فكأنَّه قال: اذْكُرُوا يُتْمَهُمْ وَأَعْطُوهُمْ أَمْوَالَهُمْ.

ومثل قولنا: (أَشْرَحُ لأَطْفَالٍ فِي الْـجَامِعَةِ) فكلمة (أطفال) مَجَازٌ مُرْسَلٌ، عَلاقَتُهُ اعْتِبَارُ مَا كَانَ، أي: كَانُوا أَطْفَالًا فِي الْـمَاضِي، فَهَذَا ذِكْرُ الْـمَاضِي فِي الْـحَاضِرِ.

ومثل: (يَلْبَسُ الْـمِصْرِيُّونَ الْـقُطْنَ).

غير معقول أن يلبس الْـمصريون القطن بصورته الأولَى، أي: الْـمادة الْـخام؛ بل الواقع أن يَلْبَسَ الْـمِصْرِيُونَ الْـقُطْنَ بعد تنظيفِه وتصنيعِه ونَسْجِهِ، لذا فهذا مجاز مرسل، علاقته اعتبار ما كان؛ لأنه ذَكَرَ الْـماضي فى الْـحَاضر.

٩ – اعتبار ما سيكون:

وذلك حينما يُذْكَرُ الْـمُسْتَقْبَلُ فِي الْـحَاضِرِ، أَوْ عِنْدَمَا تَتَكَلَّمُ عَنِ الْـمُسْتَقْبَلِ فِى الْـوَقْتِ الْـحَالِي، مثل قَوْلِ الأُمِّ لِرَضِيعِهَا: (أُرْضِعُ عَالِمًا).

غَيْرُ مَعْقُولٍ أَنْ تُرْضِعَ الأمُّ عَالِمًا؛ بلِ الواقعُ أن تُرْضِعَ الأمُّ طِفْلًا رَضِيعًا، لذا

فهذا مَجَازٌ مَرْسُلٌ، علاقتُهُ اعتبارُ ما سيكون؛ لأنَّه ذَكَرَ الْـمُسْتَقْبَلَ فى الزَّمَنِ الْـحَاضِرِ، أى سيكونُ عالِمًا.

ومثل قول الله عز وجل: ﴿ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [نوح: ٢٧].

فقوله: ﴿ فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ مَجَازٌ مُرْسَلٌ عَلاقَتُهُ اعتبار ما سيكون، حيث ذكر نوح عليه السلام أن أولادَ الكفارِ كَفَرَةٌ فَجَرَةٌ لَحْظَةَ الْـمِيلادِ، والطفلُ لا يُوصَفُ بالكُفْرِ؛ لأنَّ كلَّ مولودٍ يُولَدُ عَلَى الفطرة، أى الإسلام. فَالْـمَوْلُودُ حِينَ يُولَدُ لا يَكُونَ فَاجِرًا وَلا كَفَّارًا، ولكنه قد يكونُ كذلك بعد الطفولة، فأُطْلِقَ الْـمَوْلُودُ الْـفَاجِرُ، وَأُرِيدَ بِهِ الرَّجُلُ الْـفَاجِرُ، ولكن الآية أرادت ماسيكون عليه نسل الكفار .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْـفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ كَمَثَلِ الْـبَهِيمَةِ تُنْتَجُ الْـبَهِيمَةَ هَلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءَ**» رواه البخارى.

وكذا قولك: (غَرَسْتُ قُطْنًا فِي الأَرْضِ).

ففي قوله: (قُطْنًا) مَجَازٌ مُرْسَلٌ عَلاقَتُهُ اعْتِبَارُ مَا سَيَكُونُ، حَيْثُ ذَكَرَ الْـقُطْنَ، وَلَيْسَ مِنَ الْـمَعْقُولِ أَنْ يُغْرَسَ الْـقُطْنُ، لَكِنْ تُغْرَسُ بُذُورُه.

ومثل: (شَرِبْتُ فَرَاوِلَةً).

ففي قوله: (فَرَاوِلَةً) مَجَازٌ مُرْسَلٌ عَلاقَتُهُ اعْتِبَارُ مَا سَيَكُونُ، حَيْثُ ذَكَرَ (الْـفَرَاولة)، وَهِيَ تُؤْكَلُ وَلا تُشْرَبُ مُبَاشَرَةً، فَلَيْسَ مِنَ الْـمَعْقُولِ أَنْ تُشْرَبَ قَبْلَ عَصْرِهَا.

ومثل: (شَرِبْتُ قَصَبًا)، ففي قوله: (قَصَبًا) مَجَازٌ مُرْسَلٌ، عَلاقَتُهُ اعْتِبَارُ مَا سَيَكُونُ، حَيْثُ ذَكَرَ (الْـقَصَب)، وَهُوَ يُؤْكَلُ وَلا يُشْرَبُ مُبَاشَرَةً، فَلَيْسَ مِنَ الْـمَعْقُولِ أَنْ يُشْرَبَ قَبْلَ عَصْرِهِ.

ومثل: (لَبِسْتُ قُطْنًا)، ففي قوله: (قُطْنًا) مجَازٌ مُرْسَلٌ، عَلاقَتُهُ اعْتِبَارُ مَا سَيَكُونُ، حَيْثُ ذَكَرَ (الْـقُطْن)، وَهُوَ لا يُلْبَسُ مُبَاشَرَةً، فَلَيْسَ مِنَ الْـمَعْقُولِ أَنْ يُلْبَسَ قَبْلَ تَنْظِيفِهِ وَحَلْجِهِ وَصُنْعِهِ.

١٠ – الضدية:

فقد يُطْلَق اللّفظ للدلالة به على ضدّ معناه، ومن الأغراض الداعية لهذا الإطلاق الاستهزاء والسخرية والتهكم، مثل: أن يقول السلطانُ لجُنُودِه: (خُذُوا هذا اللصَّ فَأَكْرِمُوهُ فِي السِّجْنِ) أي: فَاضْرِبُوهُ وَعَذِّبُوهُ.

فهذا من استعمال الضدّ للدلالة به على ضدّه.

ومثل قول الله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [آل عمران: ٢١].

حيث ذكرت الآيةُ البِشَارَةَ بالعَذَابِ، وَالبِشَارَةُ لا تَكُونَ إلا فِي الأَخْبَارِ السَّارةِ، وَلَعَلَّ الْـغَرَضَ من ذلك هو إيلامُ هؤلاءِ الْـكُفَّارِ الْـمُعَانِدِينَ، وَإِلْقَاءُ الْـحَيْرَةِ فِي قُلُوبِهِمْ، فَعبَّرَتْ فِي الْـبِدَايَةِ بالبِشَارَةِ، مِمَّا جَعَلَهُمْ يَتَشَوَّقُونَ إِلَى مَعْرِفَةِ خَبَرٍ سَارٍّ، ثمَّ أَخْلَفَ ظُنُونَهُمْ، وَأَلْقَتْ عَلَيْهِمْ خَبَرًا لا سُرُورَ فِيهِ، وَإِنَّمَا كُلُّهُ حَسْرَةٌ وَنَدَمٌ.

فقد خلفت الآية ما أرادته عَلَى مَرَّتَيْنِ لا مَرَّة واحدة، زِيَادةِ فِي الإِيلامِ وَالاسْتِهْزَاءِ وَالسُّخْرِية.

وتلك أشهر علاقات الْـمَجَازِ الْـمُرْسَلِ، وقد ذكر علماء البلاغة عدة علاقات أخرى، ولكن بالنظر في هذه العلاقات وُجِدَ أنها داخلة في بعض العلاقات التي تقدمت مما دعانا إلى عدم التعرض لذكرها.

فَوَائِدُ الْمَجَازِ الْمُرْسَلِ

إذا تأملت أنواع الْـمَجَاز الْـمرسل رأيت أنها في الغالب تؤدي المعنَى الْـمَقْصُود بإِيْجَازٍ، فإذا قلت: «هَزَمَ الْـقَائِدُ الْـجَيْشَ» أو «قَرَّرَ الْـمَجْلِسُ كَذَا» كان ذلك أَوْجَزَ من أنْ تقول: «هَزَمَ جُنُودُ الْـقَائِدِ الْـجَيْشَ»، أو «قَرَّرَ أَهْلُ الْـمَجْلِسِ كَذَا» ، ولا شكَّ أنَّ الإِيْجَازَ ضَرْبٌ من ضُرُوبِ البلاغة.

وهناك مظهر آخر للبلاغة في هذا الْـمَجَازِ هو الْـمَهَارَةُ في تَخَيُّرِ العلاقة بين الْـمَعْنَى الأصلي والْـمَعْنَى الْـمَجَازِيِّ، بِحَيْثُ يكون الْـمَجَازُ مُصورًا للمعنى الْـمقصود خيرَ تصويرٍ كما في إطلاق العين على الجاسوس، والأذن على سريع التأثير بالوشاية.

وإذا دققت النظر رأيت أنَّ أَغْلَبَ ضُرُوبِ الْـمَجَاز الْـمُرْسَلِ لا تَخْلُو من مبالغة بديعة ذات أثر في جعل الْـمَجَازِ رَائِعًا خَلاَّبًا، فإطلاقُ الكلِّ على الجزء مبالغة ومثله إطلاق الجزء وإرادة الكل، كما إذا قلت: «فلان فم» تريد أنه شَرِهٌ يلتقم كلَّ شيء.

للمجاز المرسل فوائدُ بلاغية:

١- الإيجاز والاختصار.

٢- الارتقاء بالمعنى لتوضيحه وتقويته.

٣- الإبداع الأدبى فى ابتكار المعانى ومعرفة علاقاتها.

تدريبات

(١) أَخْرِجْ الْـمَجَازَ الْـمُرْسَلَ مما يلي وبين علاقته:

١ - دعا طارقٌ فَصْلَهُ على الغداء.

٢ - الله ينزل من السماء الرزق.

٣ - قول الله: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝ ﴾ [الشرح: ١].

٤ - أذاعت الوزارة نتيجة الثانوية العامة، وقد نجحت مدرستي.

٥ - للمعلمين علينا أيادٍ كثيرة.

٦ - اشتريت من السوق عنبًا وتفاحًا.

٧ - ينبغي أن تعطي اليتامي أموالهم كما أمر الله.

٨ - بشر الظالم بالهلاك والنهاية السوداء.

٩ - أَنْذِرْ الْـمُؤْمِنينَ بالْـجَنَّةِ.

١٠ - قول عنترة:

فَشَكَكْتُ بالـرُّمحِ الأَصَـمِّ ثـيَابَهُ ... لَـيْسَ الْـكَـريمُ عَـلَى الْـقَـنَا بمُحْرِمِ

١١ - قول الله: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ۝ ﴾ [التوبة: ٣٤].

١٢ - خرجت المدرسة في الثانية بعد الظهر.

١٣ - قول الله عز وجل: ﴿ إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارٗا ۝ ﴾ [نوح: ٢٧].

١٤ - أشرح لأطفال في الثانوية.

١٥ - نشر العدو عيونًا في البلاد.

١٦ - سَكَنْتُ مِصْرَ.

١٧ - أسأل الله أن يريح صدرك.

١٨ - شربت بُرْتُقَالًا.

١٩ - يدخل المؤمنون في رحمة الله يوم القيامة.

٢٠ - حَكَمَتِ الْـمَحْكَمَةُ بِبَرَاءَةِ الْـمُتَّهَمِ.

(٢) بين كل مجاز مرسل، وعلاقته فيما يلي مع ذكر الفائدة البلاغية:

١ - نحن نركب البحر عند السفر.

٢ - قول الله: ﴿ **وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ** ﴾ [التوبة: ٦١].

٣ - شَرِبْتُ مَاءَ النِّيلِ.

٤ - قول الله: ﴿ **وَءَاتُواْ ٱلْيَتَـٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ** ﴾ [النساء: ٢].

٥ - كَرَّمَتْنِي بلادِي.

٦ - تُنْبِتُ أَرْضُ مِصْرَ ذَهَبًا.

٧ - قَرَّرَتِ الْـجَامِعَةُ فَصْلَ الطَّالِبِ فلان.

٨ - زُرْتُ الضيوفَ فأكرموني.

٩ - أطلق قائد الْـجَيْشِ عيونه لِمَعْرَفَةِ أسرار الأعداء.

١٠ - أشرح لأطباء ومدرسين ومهندسين في الثانوية.

(٣) اجعل الكلمات التالية مَجَازًا مُرْسَلًا حسب العلاقة التي أمامها في جمل:

قويسنا	المحليَّة
عين	الجزئية
يد	السببية
العنب	اعتبار ما سيكون

(٤)- اختر الإجابة الصحيحة مما بين القوسين:

١ - (وضعت قدمي على أرض مصر) مجاز علاقته:

(الجزئية - الكلية - المحلية).

٢ - (ندعو الله أن يرحم هذه القبور) مجاز علاقته:

(الحالية - المحلية - الكلية).

٣- (ضحكت أزهار الحديقة). صورة نوعها:

(مجاز مرسل - تشبيه - استعارة).

(٥) بين ما في الأبيات من مجاز مرسل مع ذكر العلاقات:

١ - قول جرير:

فَلا صَلَّى الإِلَهُ عَلَى نُمَيْرٍ وَلا سُقِيَتْ قُبُورُهُمُ السَّحَابَا

٢ - يقول الفرزدق ردًّا على جرير:

وَلَمْ تَرِثِ الْفَوَارِسَ مِنْ نُمَيْرٍ وَلا كَعْبًا وَرِثْتَ وَلا كِلابَا

٣ - قول أبي تمام:

نَزَلَتْ مُقَدِّمَةُ الْمَصِيفِ حَمِيدَةً وَيَدُ الشِّتَاءِ جَدِيدَةٌ لا تُنْكَرُ

٤ - قول ابن زيدون:

هَـلْ تذْكُـرُونَ غَـرِيبًا عَـادَهُ شَجَنُ مِـنْ ذِكْرِكُمْ وَجَفَا أَجْفَانَهُ الْـوَسَنُ؟
يُخْفِـي لَـوَاعِجَهُ وَالـشَّوْقُ يَفْضَحُهُ فَقَـدْ تَـسَاوَى لَدَيْـهِ الـسِّرُّ وَالْـعَلَنُ

٥ - قول ابن رشيق القيرواني:

كَانَــتْ تُعَــدُّ الْـقَــيْرَوَانُ بِهِــمْ إِذَا عُـدَّ الْـمَنَابِـرُ زَهْـرَةَ الْــبُلْدَانِ

٦ - قول ابن سناء الملك:

أَلِفْـتَ دِيَـارَ الْـكُفْرِ غَزْوًا فَقَدْ غَدَا جَــوَادُكَ إِذْ يَــأْتِي إِلَــيْهَا يُحَمْحِــمُ

٧ - قول شوقي:

شَــهِدَ اللَّــهُ لَمْ يَغِـبْ عَـنْ جُفُـونِي شخْــصُهُ سَــاعَةً وَلَمْ يَخْـلُ حِــسِّي

(٦) ما الأثر البلاغي للمجاز المرسل؟

تدريبات عامة على علم البيان

(١) عين اللون البياني فيما يلي:

١- قول الشاعر:

الْـعُمْـــرُ مِـــثْلُ الـــضَّيْفِ أَوْ كَالطَّـــيْفِ لَـــيْسَ لَـــهُ إقَامَـــة

٢- محمد كالأسد.

٣- محمد أسدٌ في الشجاعة.

٤- تَكَلَّمَ أَسَدٌ فَوْقَ الْـمِنْبَرِ.

٥- رَأَيْتُ أَسَدًا عَلَى فَرَسِهِ .

٦- قوله عز وجل: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [الصف: ٨].

٧- قوله: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

٨- أَبْصَرْتُ قَمَرًا يُنَظِّفُ الْـبَيْتَ .

٩- قوله تعالى: ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٤].

١٠- بَكَتِ السَّمَاءُ عَلَى الشَّهِيدِ

١١- جُنُودُنَا يَفْتَرِسُونَ الأَعْدَاءَ .

١٢- قول الشاعر:

نَـسِيَ الطِّـينُ سَـاعَةً أَنَّـهُ طِيـ ـنٌ حَقِـيرٌ فَـصَالَ تِـيهًا وَعَـرْبَدَ

١٣- قول الله: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

١٤- اصْفَرَّ وَجْهُ الطَّالِبِ عِنْدَ الامْتِحَانِ.

١٥- طارق كالثعلب.

١٦- طارق ثعلب في المكر.

١٧- العالم سراج.

١٨- قول الشاعر:

فالأرضُ ياقوتةٌ والجوُّ لؤلؤةٌ ... والنبتُ فيروزجٌ والماءُ بلورُ

١٩- قول الله: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ ﴾ [الجمعة: ٥].

٢٠- عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى» رواه مسلم.

٢١- قول الله: ﴿ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ۝ ﴾ [القمر: ١٣].

٢٢- جَاءَ قَابِضُ يَدِهِ.

٢٣- سَارَ الْكَرَمُ خَلْفَ عُثْمَانَ.

٢٤- الْعَدْلُ فِي رِكَابِ عُمَرَ.

٢٥- مَشَى الْعِلْمُ خَلْفَ ابْنِ عَبَّاسٍ.

٢٦- قول أبي الطيب المتنبي:

وَمَنْ يَهُنْ يَسْهُلِ الْهَوَانُ عَلَيْهِ ... وَمَا لِجُرْحٍ بِمَيِّتٍ إِيلام

٢٧- أَنْت كالريح في العطاء والإنفاق.

٢٨- العُمْرُ مِثْلُ الضَّيْفِ لِيْس لَهُ إقامة.

٢٩- كلامُ الشيخ كالشَّهْدِ في الحلاوة.

٣٠- الناسُ كأَسْنان المُشْطِ في الاستواء.

٣١- أقوالُ الملوك كالسيوف القاضية في القَطع والفصل.

٣٢- قلبُ الكافر كالحجارةِ قَسْوةً وصلابةً.

٣٣- جبينُ فلانٍ كَصفْحةِ المِرْآة صفاءً وتلألُؤًا.

٣٤- قول الله: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [العنكبوت: ٤١].

٣٥- عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً تَكُونُ مِثْلَ الْـمُسْلِمِ وَهِيَ النَّخْلَةُ» رواه البخاري.

٣٦- قول المعريّ يخاطب ممدوحه:

أَنْـتَ كالشَّمْسِ في الضِّيَاءِ وَإنْ جَا ... وَزْتَ كِـيوَانَ فِي عُلُـوِّ الْـمَكَـانِ

٣٧- قول آخر يخاطب ممدوحه:

أَنْـتَ كَاللَّـيْثِ في الشَّجَاعَة وَالإِقْـ ... ـدَامِ والـسَّيْفِ فِي قِرَاعِ الْـخُطُوب

٣٨- زيدٌ كالأَسَدِ في الشجاعة.

٣٩- قول الشاعر:

خُلِقْـتَ طَلِـيقًا كطَـيف النَـسيم ... وحـرًّا كـنور الـضُّحى في سـماه

٤٠- خالد ثعلب في المكر.

٤١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ «مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ وَلَا يَقْبَلُ اللَّـهُ إِلَّا الطَّيِّبَ وَإِنَّ اللَّـهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْـجَبَلِ» رواه البخاري.

٤٢- احْمَرَّ وَجْهُ الْـفَتَاةِ عِنْدَمَا رَأَتْ رَجُلًا.

٤٣- مُحَمَّدٌ بَيْتُهُ مَفْتُوحٌ.

٤٤- طَارِقٌ نَظِيفُ الْـيَدِ.

٤٥- قول النابغة الذبياني:

فإنَّـكَ شَـمْسٌ والمُلـوكُ كَـوَاكِبُ ... إذَا طَلَعَـتْ لَمْ يَـبْدُ مِـنْهُنَّ كَـوْكَبُ

٤٦- القَنَاعَةُ كَنْزٌ لا يَفْنى.

٤٧- قول الشاعر:

أحلامُـنَا تَـزِنُ الجِـبالَ رزانـةً ... وتَخالُـنَا جِـنًّا إذَا مَـا نَجْهَـلُ

٤٨- قول الله عز وجل: ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ۝١٧٥ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَث ﴾ [الأعراف: ١٧٥، ١٧٦].

٤٩- قول الشاعر:

تَجِـدُ الْـكُـتْبَ عَـلَى الـنَّقْدِ كَـمَا ... تَجِـدُ الإِخْـوَانَ صِـدْقًا وَكِـذَابَا

٥٠- قول الأعشى:

كـأن مـشيتها مـن بـيت جارتهـا ... مـر الـسحاب لا ريـث ولا عجـل

٥١- المدرس يشبه البحر الفياض .

٥٢- مصر أمنا ، ونحن بدونها كالغرباء .

٥٣- قول الشاعر:

ومن يهن يسهل الهوان عليه   ما لجرح بميت إيلام

٥٤- قال علي رضي الله عنه : «مثل الذي يعلم الناس وينسى نفسه مثل السراج الذي يضيء للناس ويحرق نفسه» .

٥٥- قال صاحب كليلة ودمنة: «الدنيا كالماء المالح كلما ازددت منه شربًا ازددت عطشًا» .

٥٦- الكتاب خير جليس .

٥٧- الكلب شبه الذئب .

٥٨- هادم الأخلاق كناشر الفساد .

٥٩- وجهُ الطائع القائم كالبدرِ.

٦٠- طبعُ فريدٍ كالنسيمِ رقَّةً.

٦١- يد أبى كالبحرِ جودًا.

٦٢- كلام الشيخ كالدرِّ حسنًا، وألفاظُهُ كالعسلِ حلاوةً.

٦٣- احْمَرَّ وَجْهُ الْـفَتَاةِ عِنْدَمَا رَأَتْ رَجُلًا .

٦٤- مُحَمَّدٌ بَيْتُهُ مَفْتُوحٌ.

٦٥- اصْفَرَّ وَجْهُ الطَّالِبِ عِنْدَ الامْتِحَانِ.

٦٦- الْـوَزِيرُ بَطْنُهُ كَبِيرٌ.

٦٧- قوله تعالى: ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ ﴾ [الكهف: ٤٢].

٦٨- قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٩].

٦٩- ضَرَبْتُهُ فِي مَوْطِنِ الأَسْرَارِ.

٧٠- وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ.

٧١- نَحْنُ أَبْنَاءُ النِّيلِ.

٧٢- تَتَبَّعَ الْحَيَاءُ خُطُوَاتِ مَرْيَمَ.

٧٣- الصِّدْقُ فِي لِسَانِهِ.

٧٤- الأَدَبُ حَوْلَ الطَّالِبِ.

٧٥- مثل: الذِينَ يُدَافِعُونَ عَنْ أَوْطَانِهِمْ مِثْلُ الأَرْزِ.

٧٦- مثل: سَارَ الْكَرَمُ خَلْفَ عُثْمَانَ.

٧٧- فُلانٌ يَدُهُ طَوِيلَةٌ.

٧٨- إِنَّ عَقَارِبَ السَّاعَةِ لا تَتَحَرَّكُ.

٧٩- قول الخنساء في أخيها صخر:

طَوِيلُ النِّجَادِ رَفِيعُ الْعِمَادِ   سَادَ عَشِيرَتَهُ أَمْرَدَا

٨٠- قول الله: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الفرقان: ٢٧، ٢٨].

٨١- قول الله: ﴿ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ﴾ [نوح: ٧].

٨٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّـهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**» رواه مسلم.

٨٣- قَوْلُهُ سبحانه وتَعَالَى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ [المائدة: ٣٨].

٨٤- سَكَنْتُ مِصْرَ .

٨٥- حَدِيثِ عَبْدِ اَللَّـهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما - فِي صِفَةِ اَلْوُضُوءِ - قَالَ: ثُمَّ مَسَحَ ﷺ بِرَأْسِهِ، وَأَدْخَلَ إِصْبَعَيْهِ اَلسَّبَّاحَتَيْنِ فِي أُذُنَيْهِ، وَمَسَحَ بِإِبْهَامَيْهِ ظَاهِرَ أُذُنَيْهِ. أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ، وَالنَّسَائِيُّ، وَصَحَّحَهُ اِبْنُ خُزَيْمَةَ.

٨٦- قوله تعالي: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ ﴾ [إبراهيم: ٢٤].

٨٧- حَكَمَتِ الْـمَحْكَمَةُ بِقَطْعِ يَدِ السَّارِقِ .

٨٨- قول الشاعر:

أُعَلِّمُــــهُ الــرِّمَايَةَ كُــــلَّ يَــوْمٍ فَلَـــمَّا اشْــتَدَّ سَــاعِدُهُ رَمَــانِي
وَكَــمْ عَلَّمْــتُهُ نَظْــمَ الْـقَــوَافِي فَلَـــمَّا قَــالَ قَافِــيَـةً هَجَــانِي

٨٩- قول الله عز وجل: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَاۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [يوسف: ٨٢].

٩٠- قول الله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [آل عمران: ٢١].

٩١- دعا طارقٌ فَضْلَهُ على الغداء.

٩٢- اللَّـهُ يُنْزِلُ مِنَ السَّماءِ الرِّزْقَ.

٩٣- أذاعت الوزارة نتيجة الثانوية العامة، وقد نجحت مدرستي.

٩٤- للمعلمين علينا أيادٍ كثيرة.

٩٥- ينبغي أن تعطي اليتامى أموالهم كما أمر الله.

٩٦- بشر الظالم بالهلاك والنهاية السوداء.

٩٧- أَنْذِرْ الْـمُؤْمِنينَ بالْـجَنَّةِ.

٩٨- قول الله: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [التوبة: ٣٤].

٩٩- خرجت المدرسة في الثانية بعد الظهر.

١٠٠- قول الله تعالى: ﴿ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [نوح: ٢٧].

١٠١- أشرح لأطفال في الثانوية.

١٠٢- يدخل المؤمنون في رحمة الله يوم القيامة.

١٠٣- حَكَمَتِ الْـمَحْكَمَةُ ببَرَاءَةِ الْـمُتَّهَمِ.

١٠٤- نحن نركب البحر عند السفر.

١٠٥- قول الله: ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ﴾ [التوبة: ٦١].

١٠٦- نشر العدو عيونًا في البلاد.

١٠٧- أسأل الله أن يريح صدرك.

١٠٨- شربت بُرْتُقَالًا.

١٠٩- شَرِبْتُ مَاءَ النِّيلِ.

١١٠- كَرَّمَتْنِي بلادِي.

١١١- تُنْبِتُ أَرْضُ مِصْرَ ذَهَبًا.

١١٢- قَرَّرَتِ الْـجَامِعَةُ فَصْلَ الطَّالِبِ فلان.

١١٣- زُرْتُ الضيوفَ فأكرموني.

١١٤- أطلق قائد الْـجَيْشِ عيونه لِمَعْرِفَةِ أسرار الأعداء.

١١٥- أشرح لأطباء ومدرسين ومهندسين في الثانوية.

الباب الثالث

عِلْمُ البديع : المُحسِّناتُ البَدِيعِيَّةُ

الطِّبَاقُ / الـمُقَابَلَةُ / السَّجْعُ / الازْدِوَاجُ /
الْجِنَاسُ / التَّصْرِيعُ / حُسْنُ التَّقْسِيمِ / الالْـتِفَاتُ/
الْـمَدْحُ بِمَا يُشْبِهُ الذَّمَّ وَعَكْسُهُ / التَّوْرِيَةُ/
بَرَاعَةُ الاسْتِهْلالِ / الاقْتِبَاسُ

مَدْخَلُ لِعِلْمِ الْبَدِيعِ

البديع في اللُّغة:

كلمة (بديع) على وزن (فعيل) تأتي لغةً بمعنى اسم الفاعل، وبمعنى اسم المفعول، يُقَالُ لغةً: بَدَعَ فلانٌ الشيءَ يَبْدَعُهُ بَدْعًا إذا أنشأه على غيرِ مثالٍ سبَق، فالفاعل للشيء بَدِيع، والشيء الْـمفعول بديع أيضًا.

ويقال أيضًا: أَبْدَعَ، أي: أتى بها هو مُبْتكر جديد بديع على غير مثال سبق، فهو مُبْدِع والشيء مُبْدَعٌ.

ومنه قول الله: ﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ ﴾ [الأحقاف: ٩].

ومنه البديعُ اسم من أسماء الله تعالى بمعنى الْـمُبْدِعُ، أي: الْـمُوجِدُ للأشياء بلا مِثالٍ تَقَدَّمَ.

علم البديع في الاصطلاح:

هو العِلْمُ الذي تُعْرف به الْـمُحَسِّنَاتُ الْـجَمَالِيَّةُ اللفظيَّةُ، الَّتي لَمْ تُلْحَقْ بِعِلْمِ الْـمَعَاني، ولا بِعِلْمِ الْـبَيَانِ. أو هو ما يُعْرَفُ بالْـمُحَسِّنَاتِ الْـبَدِيعِيَّةِ، أو اللفظية.

الْـمُحسنات اللفظيّة: هي ما يشتمل عليه الكلام من زينات جَمَاليَّة لفظيّة، قد يكون بها تحسين وتزيين في المعنى أيضًا المحسنات اللفظية منها:

واضع علم البديع:

١ - قيل: إنّ أوّل من دوَّن في هذا الفنّ «عبد الله بن المعتزّ العباسي» المتوفى سنة (٢٧٤ هجرية) إذْ جمع ما اكتشفه في الشعر من الْـمُحَسِّنَات وكتب فيه كتابًا جعل عنوانه عبارة: «البديع».

وجاء من بعده من أضاف أنواعًا أُخَر، منهم على ما ذكر البلاغيون:

٢ - «جعفر بن قُدَامة» أديب بغدادي من كبار الكتّاب متوفي سنة (٣١٩هـ) ألَّف كتابًا سمّاه «نقد قُدامة» ذكر فيه أكثرَ من عشرة أنواع من أنواع البديع، إضافةً إلى ما سبق أن اكتشفه من قبل «عبد الله بن المعتزّ العبّاسيّ».

٣ - ثم «أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري» المتوفي سنة (٣٩٥هـ)، فقد جمع سبعة وثلاثين نوعًا من أنواع البديع.

٤ - «ابن رشيق الحسن بن رشيق القيرواني» فجمع في كتابه «العمدة» قرابة سبعة وثلاثين نوعًا من أنواع البديع.

٥ - ثم «شرف الدِّين أحمد بن يوسف القيسيّ التيفاشي» من أهل «تيفاش» وهي إحدى قرى «قفصة» بإفريقية، ولد فيها، وتعلَّم بمصر، وولي القضاء في بلده، له عدَّة مؤلفات، ولادته ووفاته في (٥٨٠ - ٦٥١هـ).

٦ - ثم «عبد العظيم المشهور بابْنِ أبي الإِصْبَع العدواني» البغدادي ثم المصري، شاعر من العلماء بالأدب، له تصانيف حسنة، منها كتابه «بديع القرآن» في أنواع البديع الواردة في القرآن، ولادته ووفاته (٥٩٥ - ٦٥٤هـ) وقد أوصل الأنواع إلى تسعين نوعًا.

٧ - ثم «صَفِيُّ الدين عبد العزيز بن سرايا السَّنْبسي الطائي الحِلّي» وهو معروف باسم «صفيّ الدين الْـحِلّي» وُلد في الحِلَّة «بين الكوفة وبغداد».

ولادته ووفاته: (٦٧٧ - ٧٥٠ هـ) فأوصل الأنواع إلى مائة وأربعين نوعًا، يمكن جمع بعضها في بعض.

٨ - ثم «عزّ الدّين علي بن الحسين الموصلي» شاعر، أديب، من أهل الموصل، سكن دمشق وتوفي فيها في (٧٨٩هـ) له مؤلف سمّاه «بديعيّة» وشرحه، فذكر في كتابه ما ذكر صفي الدين الحلّي، وزاد زيادة يسيرة من ابتكاره.

الفصل الأول

الطباق

الْفَصْلُ الأَوَّلُ

الطِّباقُ

الطِّبَاقُ في اللّغة:

وتسمَّى: الْـمُطَابَقَة، والتكافُؤ، والتضاد.

وَضْعُ طَبَقٍ على طَبَقٍ، كوضْع غِطَاء الْقِدْرِ مُنْكَفِئًا عَلَى فَمِ الْقِدْرِ حَتَّى يُغَطِّيَهُ بإِحْكَام، ومنه إطباقُ بطْنِ الْكَفِّ عَلَى بَطْنِ الْكَفِّ الآخر، تقُولُ: طَابَقَ الشَّيْءَ عَلَى الشَّيْءِ مُطَابقةً وَطِبَاقًا، أي: أطبَقَهُ عليه، وهذا الإطباق يَقْتَضِي فِي الْغَالِبِ التعاكس، فَبَطْنُ الْغِطَاءِ عَلَى بَطْنِ الْقِدْرِ يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ ظَهْرُ الْغِطَاءِ إِلَى الأَعْلَى وَظَهْرُ الْقِدْرِ إِلَى الأَسْفَلِ.

والطباقُ في الاصطلاح:

هُوَ الْجَمْعُ فِي العبارة الواحدة بين مَعْنَيَيْنِ مُتَقَابِلَيْنِ، على سبيل الحقيقة، أو على سبيلِ الْمَجَازِ، ولو إيهامًا، ولا يشترط كون اللّفظين الدَّالَّيْن عليهما من نَوْعٍ واحدٍ كاسمين أو فعلين، فالشرط التقابل في المعنيَيْن فقط.

كـ: (الْوُجُودِ - الْعَدَمِ)، و(الإيجابِ - السَّلْبِ)، و(الأَسْوَدِ - الأَبْيَضِ)، و(الْقِيَامِ - الْقُعُودِ)، و(الأَبِ - الابْنِ)، و(الأَكْبَرِ - الأَصْغَرِ)، و(الْخَالِقِ - الْمَخْلُوقِ)، و(الكبير - الصغير).

أمثلة على الطباق:

مثل قول الله عز وجل: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران: ٢٦].

في الآية أَرْبَعَةُ أمثلةٍ من الطباق:

الطباق بَيْن: (تُؤْتِي)، و(تَنْزِعُ). الطباق بين: (تُعِزُّ)، و(تُذِلُّ).

الطباق بين: (النهار) و(اللّيْل). الطباق بين: (الْـحَيَّ)، و(الْـمَيّتِ).

ومثل قول الله عز وجل: ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَـٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الكهف: ١٨].

في هذه الآية طباقان:

الطباق بين: (أَيْقَاظًا)، و(رقود).

الطباق بين: (ذاتَ الْـيَمِينِ)، و(ذاتَ الشِّمَالِ).

ومثل قول الله: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

فِي هذه الآية طباق بين (لَهَا) و(عَلَيْهَا) فَلَفْظُ «لَهَا» على الثواب، ولفظ «عليها» دلَّ على المؤاخذة أو العقاب.

ومثل قول الله: ﴿ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَـٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ غَـٰفِلُونَ ﴿٧﴾ ﴾ [الروم: ٦، ٧].

فِي هذه الآية الكرِيمة طِبَاقٌ بينَ النَّفْيِ فِي: (لاَ يَعْلَمُونَ)، والإِثباتِ في عبارة: (يَعْلَمُون).

ومثل قول الله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤٣].

فَفِي هذه الآية الكريمة طِبَاقٌ بينَ: (الظلمات)، و: (النور).

ومثل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [الحجرات: ١٢].

فَفِي الآية طِبَاقٌ بينَ: (أيحب)، و: (كرهتموه).

عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ مَثَلُ الْـحَيِّ وَالْـمَيِّتِ**» رواه البخارى.

وفِي الْـحَدِيثِ الشَّرِيفِ طِبَاقٌ بينَ: (يَذكُرُ)، و: (لا يَذْكُرُ).

وبينَ: (الحى)، و: (الميت).

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ: «**إِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ وَسُلْسِلَتِ الشَّيَاطِينُ**» رواه البخارى.

فَفِي هذا الْـحَدِيثِ الشَّرِيفِ طِبَاقٌ بينَ: (فُتِحَتْ)، و: (غُلِّقَتْ).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا أَحَبَّ اللَّـهُ الْـعَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ إِنَّ اللَّـهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبْهُ فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّـهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْـقَبُولُ فِي الْأَرْضِ**» رواه البخارى.

فَفِي هذا الْـحَدِيثِ الشَّرِيفِ طِبَاقٌ بينَ: (السَّمَاء)، و: (الأَرْض).

عَنْ أَبِي سُفْيَانَ عَنْ جَابِرٍ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ فِي اللَّيْلِ لَسَاعَةً لَا يُوَافِقُهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللَّـهَ خَيْرًا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ**» رواه مسلم.

فَفِي هذا الْـحَدِيثِ الشَّرِيفِ طِبَاقٌ بينَ: (الدنيا)، و: (الآخرة).

بينَ: (يسأل)، و: (أعطاه).

عَنْ عَبْدِ اللَّـهِ بْنِ عَمْرٍو ﵄ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «**تُطْعِمُ الطَّعَامَ وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ**» رواه البخاري.

فَفِي هذا الْـحَدِيثِ الشَّرِيفِ طِبَاقٌ بينَ: (عَرَفْتَ)، و: (لَمْ تَعْرِفْ).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّـهِ وَالْـيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّـهِ وَالْـيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّـهِ وَالْـيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**». رواه البخارى.

فَفِي هذا الْـحَدِيثِ الشَّرِيفِ طِبَاقٌ بينَ: (يَقُلْ)، و: (لِيَصْمُتْ).

❂❂❂❂❂

أنواع الطباق

١- طباق الإيجاب:

هو الْـجَمْعُ بين كلمتين متضادتين موجبتين بدون أداة نفي. أو هو ذِكْرُ الشيءِ وَضِدِّهِ، مثل: هَذَا الْـكِتَابُ كَثِيرُ الأَبْوَابِ، قَلِيلُ الْـفُصُولِ.

يوجد طِبَاقٌ بينَ: (كثير)، و: (قليل).

ومثل قول الله: ﴿ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ ﴾ [غافر: ٣٣].

طباقٌ إيْجَابِيٌّ بين: (يُضْلِلْ)، و(هَادٍ).

٢- طباق السلب:

هُوَ الْـجَمْعُ بَيْنَ كَلِمَتَيْنِ مُتَّفِقَتَيْنِ فِي الْـمَعْنَى وَبَيْنَهُمَا أَدَاةُ نَفْيٍ.

مثل قول الله: ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ [النساء: ١٠٨].

طِبَاقُ السَّلْبِ بين: (يَسْتَخْفُونَ)، و(لا يَسْتَخْفُونَ).

ومثل قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [الزمر: ٩].

طِبَاقُ السَّلْبِ بين: (يَعْلَمُونَ)، و(لا يَعْلَمُونَ).

ومثل قوله تعالى: ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الأعراف: ٣].

طباق بين أمر، ونهيٍ، وهما (اتبعوا – لا تتبعوا).

ومثل قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ ﴾ [المائدة: ٤٤]. طباق بين نَهْيٍ وأمر، وهما (لا تَخْشَوا - واخْشَوْن).

ومثل قول الشاعر:

وَنُنْكِرُ إنْ شِئْنَا عَلَى النَّاسِ قَوْلَهُمْ ... وَلا يُنْكِرُونَ الْقَوْلَ حِينَ نَقُولُ

طِبَاقٌ بَيْنَ فِعْلَيْنِ، وَهُمَا (نُنْكِر - لا يُنْكِرُونَ).

ومثل قول الشاعر:

يُقَيِّضُ لِي مِنْ حَيْثُ لا أَعْلَمُ النَّوَى ... وَيَسْرِي إِلَيَّ الشَّوْقُ مِنْ حَيْثُ أَعْلَمُ

طِبَاقٌ بَيْنَ فِعْلَيْنِ، وَهُمَا (لا أَعْلَمُ - أَعْلَمُ).

صورُ الطِّباقِ:

يكونُ الطباقُ بين:

١- اسمين:

مثل قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ ﴾ [الحديد: ٣]. طباق بين (الأول - الآخر)، و(الظاهر - الباطن)، وكلها أسماء.

ومثل قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ﴾ [الكهف: ١٨].

طباق بين (أيقاظًا - رقود)، و(اليمين - الشمال)، وكلها أسماء.

ومثل قول الله: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝ ﴾ [الفرقان: ٧٠].

طباق بين (سَيِّئَات - حَسَنَات)، وكلاهُمَا اسمان.

٢- فعلين:

مثل قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ ﴾ [النجم: ٤٣، ٤٤]. طباق بين (أضحك - أبكى)، و(أمات - أحيا)، وكلها أفعال.

وكقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ ﴾ [الأعلى: ١٣]. طباق بين (يموت - يحيا) .

٣- حرفين:

مثل قوله تعالى: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٢٨]. طباق بين (لَهُنَّ - عَلَيْهِنَّ)، وهما حرفان.

وقوله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾ [البقرة: ٢٨٦]. طباق بين (لَهَا - عَلَيْهَا)، وهما حرفان.

٤ - لفظين منْ نوعين مختلفين:

مثل قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ [الرعد: ٣٣].

طباق بين فعل واسم، وهما (يُضْلِلِ - هاد).

وكقوله تعالى: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَـٰهُ ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

طباق بين اسم وفعل أيضًا، وهما (مَيْتًا - أَحْيَيْنَاهُ).

الفائدة البلاغية للطباق:

١ - إبراز المعنى وتوضيحه، مثل: مُحَامٍ نَاجِحٌ خَيْرٌ مِنْ طَبِيبٍ فَاشِلٍ.

٢ - اسْتِمْرَار الْـحَدَثِ وَدَوَامُهُ، مثل: أُذَاكِرُ لَيْلًا وَنَهَارًا.

٣ - شُمُولِيَّةُ الْـحَدَثِ، مثل: كَلامِي فَهِمَهُ الذَّكِيُّ وَالْـغَبِيُّ.

الطِّبَاقُ يُسَاعِدُ عَلَى تَدَاعِي الأَفْكَارِ فِي الأَذْهَانِ، باعْتِبَارِ أَنَّ الطِّبَاقَ أَقْرَبُ تَخَاطُرًا إِلَى الأَذْهَانِ مِنَ الْـمُتَشَابِهَاتِ وَالْـمُتَخَالِفَاتِ.

انتبه !

الطِّبَاقُ يَأْتِي شِعْرًا وَنَثْرًا.

تدريبات

(١) بيِّن الطباقِ في الشواهد والأمثلة الآتية:

١- مُحَامٍ نَاجِحٌ خَيْرٌ مِنْ طَبِيبٍ فَاشِلٍ.

٢- أُذَاكِرُ لَيْلًا وَنَهَارًا.

٣- كَلامِي فَهِمَهُ الذَّكِيُّ وَالْـغَبِيُّ.

٤- قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [الزمر: ٩].

٥- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ: «إِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ وَسُلْسِلَتِ الشَّيَاطِينُ» رواه البخاري.

٦- قول الشاعر:

سَلِي، إِنْ جَهِلْت، النَّاسَ عَنَّا وعَنْهُمُ ... فلَـــيْسَ سَــــواءً عَـــالِمٌ وجَهُـــولُ

٧- قول أَبي صَخر الْـهُذليّ:

أَمَـا وَالّذِي أَبْكَى وَأَضْحَكَ، وَالّذِي ... أَمَـاتَ وَأَحْـيَا، وَالّـذِي أَمْـرُهُ الأَمْـرُ

٨- قـول الله: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

٩- قوله تعالى: ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الأعراف: ٣].

١٠- عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ مَثَلُ الْـحَيِّ وَالْـمَيِّتِ» رواه البخاري.

١١- قوله تعالى: ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ﴾ [الكهف: ١٨].

١٢- قول الله: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الفرقان: ٧٠].

١٣- قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴾ [النجم: ٤٣، ٤٤].

١٤- قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ ﴾ [الأعلى: ١٣].

١٥- قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ ﴾ [المائدة: ٤٤].

(٢) غَيرْ طِبَاقَ السَّلْبِ إِلَى طِبَاقِ الإِيْجَابِ فيما يلي:

١ - يَعْلم الإنسانُ ماضيه، ولا يعلمُ مسْتَقْبَلَهُ.

٢ - الظَّالِمُ يَحْتَرِمُ الْـفَسَادَ، وَلا يُرِيدُ الْـعَدْلَ.

٣ - أحبُّ الأمانة ولا أحبُّ الْـخِيانةَ.

(٣) غَيرْ طِبَاقَ الإِيْجَابِ إِلَى طِبَاقِ السَّلْبِ فيما يلي:

١ - الأَحْمَقُ يُظهرُ الْـعُيُوبَ، ويُنْكِرُ الْـمَيْزَاتِ.

٢ - لَيْسَ مِنَ العَدْلِ أَنْ تُحسِنَ إِلَى نَفْسِكَ، وَتُسِيءَ إِلى غَيْرِكَ.

٣ - لا تَتَصَدَّقْ على البعيدِ وتَتْرُكَ الْـقَرِيبَ الْـفَقِيرَ.

الفصل الثاني

المقابلة

الْفَصْلُ الثانِي

الْمُقَابَلَةُ

الْمُقَابَلَة لُغَةً:

المواجهة. قَالَ الْكسَائِيّ: تقُولُ الْعَرَبُ: دَارِي تَنْظُرُ إِلَى دَارِ فُلانٍ، إِذَا كَانَتْ مُقَابلَةً لِمَا أَمَامَهَا.

الْمُقَابَلَة اصْطلاحًا:

هِيَ أَنْ يؤتَى بجُمْلَةٍ أَوْ أَكْثَرَ بِمَعَانٍ مُتَوَافِقَةٍ، ثمَّ يُؤْتَى بِمَا يُقَابلُ ذَلِكَ عَلَى التَّرْتيبِ.

أو هِيَ مَجْمُوعَةُ كلماتٍ ضِدّ مجموعةِ كَلِمَاتٍ أُخْرَى فِي الْمَعْنَى عَلَى التوَالِي، مثل قول الله: ﴿ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ ﴾ [الانفطار: ١٣، ١٤].

فهذا تقابل بين جملتين، أي: متضادتين.

ومثل قوله تعالى: ﴿ فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلًا وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرًا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [التوبة: ٨٢].

فَمَجِيءُ الْمُقَابلِ لِلشَّيْءِ إِنَّمَا يُرَسِّخُهُ فِي الذِّهْنِ.

صُوَرُ الْمُقَابَلَة:

١ - مقابلةُ جملة بجُمْلة، مثل قوله تعالى: ﴿ فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلًا وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرًا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾.

المقابلة هكذا:

الجملة الأولى: ﴿ فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلًا ﴾

الجملة الثانية: ﴿ وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا ﴾.

٢ - مقابلة جُمْلَتَيْنِ بجُمْلَتَيْنِ، مثل قوله تعالى: ﴿ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

الْـمُقَابلات، هكذا:

الْـجُمْلَتَانِ الأُولَيَانِ: ﴿ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ - وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾.

الْـجُمْلَتَانِ الأُخْرَيَانِ: ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ - وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ﴾.

٣ - مقابلةُ ثلاثةٍ بثلاثةٍ، مثل قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠ ﴾ [الليل: ٥ - ١٠].

الْـمُقَابلات هكذا:

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ ﴾.

﴿ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠ ﴾.

٤ - مقابلةُ أَرْبَعَة بأَرْبَعَةٍ، قال المتنبِّي:

أَزُورُهُـمْ وَسَـوَادُ اللَّـيْلِ يَـشْفَعُ لِي ... وَأَنْثَنِـي وَبَـيَاضُ الـصُّبْحِ يُغْـرِي بِي

الْـمُقَابَلاتُ هكذا:

(أَزُورُهُمْ - وَأَنْثَنِي)

(سَوَادُ - بَيَاضُ).

(اللَّيْلِ - الصُّبْحِ).

(يَشْفَعُ لِي - يُغْرِي بِي).

٥ - مقابلةُ خَمْسَةٍ بِخَمْسَةٍ، قال عنترةُ بْنُ شَدَّادٍ:

عَلَى رَأْسِ عَبْدٍ تَاجُ عِزٍّ يَزِينُهُ وَفِي رِجْلِ حُرّ قَيْدُ ذُلٍّ يَشِينُهُ

الْمُقَابَلاتُ هكذا:

(رَأْسِ - رِجْلِ). (عَبْدٍ - حُرّ).

(تَاجُ - قَيْدُ). (عِزٍّ - ذُلٍّ).

(يُزَيِّنُهُ - يَشِينُهُ).

أمثلة على الْمُقابلة:

١ - عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا**» رواه البخاري ومسلم.

الْمُقَابَلاتُ هكذا:

(إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ)، (وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ).

(وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ)، (حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا).

(وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ)، (وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ).

(وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ)، (حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا).

فَكُلُّ جُمْلَةٍ لَهَا مَا يُقَابِلُهَا، هَكَذَا:

(إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ) (وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ).

(وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ) (وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ).

(وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ) (وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ).

(حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا) (حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّـهِ كَذَّابًا).

٢ - عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ : «**سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنَوَاتٌ خَدَّاعَاتٌ يُصَدَّقُ فِيهَا الْـكَاذِبُ وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْـخَائِنُ وَيُخَوَّنُ فِيهَا الأَمِينُ وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ**» .

قِيلَ: وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ؟

قَالَ: «**الرَّجُلُ التَّافِهُ يَتكلَّمُ فِى أَمْرِ الْـعَامَّةِ**» رواه أحمد وابن ماجة.

الرويبضة: تصغير رابضة وهو العاجز الذى عجز عن معالى الأمور.

الْـمُقَابَلاتُ هكذا:

(يُصَدَّقُ فِيهَا الْـكَاذِبُ) (وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ).

(وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْـخَائِنُ) (وَيُخَوَّنُ فِيهَا الأَمِينُ).

فَكُلُّ جُمْلَةٍ لَهَا مَا يُقَابِلُهَا، هَكَذَا:

(يُصَدَّقُ فِيهَا الْـكَاذِبُ) (وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ).

(وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْـخَائِنُ) (وَيُخَوَّنُ فِيهَا الأَمِينُ).

٣ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه كَانَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ: «**لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا**» رواه البخارى.

الْـمُقَابَلة بين الْـجُمْلتين:

(لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا) (وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا).

والْـمُرَادُ بالعلمِ هنا ما يتعلق بعظمةِ الله وانتقامِهِ مِمَّن يعصيه، والأهوال التي تقع عند النزع والموت وفي القبر ويوم القيامة، ومناسبة كثرة البكاء وقلة الضحك في هذا المقام واضحة والمراد به التخويف.

وعن الحسن البصري قال: مَنْ عَلِمَ أَنَّ الْـمَوْتَ مَوْرِدُهُ، وَالْـقِيَامَةَ مُوْعِدُهُ، وَالْـوَقُوفَ بَيْنَ يَدِي اللَّـهِ مَشْهَدُهُ، فَحَقُّهُ أَنْ يَطُولَ في الدُّنْيَا حُزْنُهُ.

٤ - قول أبي الطيّب المتنبيّ:

فَـلاَ الْـجُودُ يُفْنِي الْـمَالَ وَالْـجَدُّ مُقْبِلٌ   وَلاَ الْـبُخْلُ يُبْقـي الْـمَالَ وَالْـجّدُّ مُدْبِرُ

الْـجَدُّ: الحظُّ والنَّصِيبُ من الْـخَيْرِ.

في هذا البيت مقابلة بين فريقين من المعاني يوجد بين عناصرهما طباق.

الْـمُقَابَلاتُ هكذا:

(الْـجُودُ - الْـبُخْلُ)   (يُفْنِي - يُبْقِي).

(مُقْبِلٌ - مُدْبِرُ).

٤ - لا تَخْرُجُوا مِنْ عِزِّ الطَّاعَةِ إِلَى ذُلِّ الْـمَعْصِيةِ.

طِبَاقٌ بَيْنَ (عِزٍّ)، و(ذُلٍّ)، كما نَجِدُ طِبَاقًا بين (الطَّاعَة)، و(الْـمَعْصِية).

وَالْـمُقَابَلةُ هي:

(عِزِّ الطَّاعَةِ)   (ذُلِّ الْـمَعْصِيةِ).

٥ - طَلاقُ الدُّنْيَا مَهْرُ الآخِرَةِ.

طِبَاقٌ بَيْنَ (طَلاق)، و(مَهْر)، كما نَجِدُ طَبَاقًا بين (الدُّنْيَا)، و(الآخِرَةُ).

وَالْـمُقَابَلةُ هي:

(طَلاقُ الدُّنْيَا)   (مَهْرُ الآخِرَةِ).

الفائدة البلاغية للمقابلة:

إبرازُ الْـمَعْنَى وتَوْضِيحُهُ مَعَ دَوَامِ الْـحَدَثِ وَشُمُولُهُ، فَمَجِيءُ الْـمُقَابلَةِ لِلشَّيْءِ إِنَّمَا يُرَسِّخُهُ فِي الذِّهْنِ.

انتبه

تأتي المقابلة شعرًا ونثرًا.

تدريبات

(١) بيِّن الْـمُقَابلة في الشواهد والأمثلة الآتية:

١ - قول الله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ۝ ﴾ [الانفطار: ١٣، ١٤].

٢ - قول الله: ﴿ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [التوبة: ٨٢].

٣ - قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَـٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ۝ ﴾ [الحديد: ١٣].

٤ - مقابلةُ ثلاثةٍ بثلاثةٍ، مثل قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝ ﴾ [الليل: ٥ - ١٠].

٥ - قول المتنبِّي:

أَزُورُهُـمْ وَسَـوَادُ اللَّـيْلِ يَـشْفَعُ لِي ... وَأَنْثَنِـي وَبَـيَاضُ الـصُّبْحِ يُغْـرِي بِي

٦ - قول عنترةَ بْنِ شَدَّادٍ:

عَـلَى رَأْسِ عَـبْدٍ تَـاجُ عِـزٍّ يَـزِينُهُ ... وَفِي رِجْـلِ حُـرٍّ قَـيْدُ ذُلٍّ يَـشِينُهُ

٧ - عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ عَبْدِ اللَّـهِ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْـبِرِّ وَإِنَّ الْـبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْـجَنَّةِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا وَإِنَّ الْـكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْـفُجُورِ وَإِنَّ الْـفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّـهِ كَذَّابًا» رواه البخارى ومسلم.

٨ - عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ صلى الله عليه وسلم «سَيَأْتِى عَلَى النَّاسِ سَنَوَاتٌ خَدَّاعَاتٌ يُصَدَّقُ فِيهَا الْـكَاذِبُ وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْـخَائِنُ وَيُخَوَّنُ فِيهَا الأَمِينُ وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ» قِيلَ: وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ؟ قَالَ: «الرَّجُلُ التَّافِهُ يتكلَّمُ فِى أَمْرِ الْـعَامَّةِ» رواه أحمد وابن ماجة.

٩ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه كَانَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ صلى الله عليه وسلم: «لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا» رواه البخارى.

١٠ - قول أبي الطيّب المتنبيّ:

فَـلاَ الجُـودُ يُفْنِي المَالَ وَالجَدُّ مُقْبلٌ وَلاَ الْـبُخْلُ يُبْقي المَالَ وَالـجّدُّ مُدْبِرُ

١١ - لا تَخْرُجُوا مِنْ عِزِّ الطَّاعَةِ إِلَى ذُلِّ الْـمَعْصِيةِ.

١٢ - طَلاقُ الدُّنْيَا مَهْرُ الآخِرَةِ.

١٣ - عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ رضي الله عنها، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ الرِّفْقَ لاَ يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلاَّ زَانَهُ وَلاَ يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ شَانَهُ» رواه مسلم.

١٤ - قال بعضُ البلغاء: كَدَرُ الجماعة خيرٌ من صَفْو الفُرقَة.

١٥ - قال جرير:

وَبَاسِـطَ خَـيْرٍ فِـيْكُمُ بيمينِهِ وَقَـابِضَ شرٍّ عـنكُمُ بـشِمالِيا

١٦ - قال البحتريُّ:

فَـإِذَا حَارَبُـوا أَذَلُّـوا عَزِيـزًا وَإِذَا سَـالُموا أَعَـزُّوا ذَلِـيْلا

الفصل الثالث

السجع

الفَصْلُ الثالِثُ

السَّجْعُ

السَّجْعُ فى اللغة:

سَجَعَ يَسْجَعُ سَجْعًا: استوى، واستقام، وأشبه بَعْضُهُ بَعْضًا.

والسجع الكلام المُقَفَّى، والجمع:(أَسْجَاع - أَسَاجِيعُ)، وكلام مُسَجَّع.

وسَجَّعَ تَسْجِيعًا: تَكَلَّم بكلام له فَواصِلُ كفواصِلِ الشِّعْر من غير وزن، كأَن كل كلمة تشبه صاحبتها.

سَجَعَتِ الْـحَمَامَةُ أو النَّاقةُ سَجْعًا، إذا رَدَّدَتْ صَوْتَها عَلى طريقةٍ واحدة.

قال ابْنُ جِنِّيّ: سُمِّيَ سَجْعًا لاشتباه أَواخِره، وتناسُبِ فَواصِلِه، والْـجَمع: سُجُوع.

السَّجْع فى الاصطلاح:

هو الكلامُ الْـمُقَفَّى غيرُ الشعر. أو هو اتفاقُ أواخرِ الجمل في الحرف الأخير؛ ليعطِيَ جَرسًا متوازنًا جَميلا، يُسْعِدُ الأُذُنَ.

مثل قول الله: ﴿ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الواقعة:٢٨- ٣٠].

نَجِدُ السَّجْعَ بتكْرَارِ حَرْفِ الدَّال فِى نِهَايَةِ كُلِّ آيةٍ، هكذا:

﴿ مَّخْضُودٍ ﴾ ، ﴿ مَّنضُودٍ ﴾ ، ﴿ مَّمْدُودٍ ﴾ .

وَهَذَا يُسْعِدُ الأُذُنَ.

ومثل قوله سبحانه وتعالى: ﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝ ﴾ [الواقعة:١ - ٣].

نَجِدُ السَّجْعَ بتكْرَارِ حَرْفِ التاء المربوطة فِي نِهَايَةِ كُلِّ آيةٍ، هكذا:

﴿ ٱلْوَاقِعَةُ ﴾ ، ﴿ كَاذِبَةٌ ﴾ ، ﴿ رَّافِعَةٌ ﴾ .

وَهَذَا يُسْعِدُ الأُذُنَ.

ومثل قول الله: ﴿ لَآ أُقْسِمُ بِهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝ وَأَنتَ حِلٌّ بِهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ۝ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِى كَبَدٍ ۝ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝ ﴾ [البلد: ١ - ٥].

نَجِدُ السَّجْعَ بتكْرَارِ حَرْفِ الدال فِي نِهَايَةِ كُلِّ آيةٍ، هكذا:

﴿ ٱلْبَلَدِ ﴾ ، ﴿ ٱلْبَلَدِ ﴾ ، ﴿ وَلَدَ ﴾ ، ﴿ كَبَدٍ ﴾ ، ﴿ أَحَدٌ ﴾ .

وَهَذَا يُسْعِدُ الأُذُنَ.

ويَجِبُ أن نتجنَّبَ السَّجْعَ الْـمتكلَّف فيه عند الدعاء، فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: «.. فَانْظُرِ السَّجْعَ مِنَ الدُّعَاءِ فَاجْتَنِبْهُ؛ فَإِنِّي عَهِدْتُ رَسُولَ اللَّـهِ ﷺ وَأَصْحَابَهُ لا يَفْعَلُونَ إِلا ذَلِكَ، يَعْنِي لا يَفْعَلُونَ إِلا ذَلِكَ الاجْتِنَابَ» . رواه البخاري .

وأفضل السجع ما كانت فِقَرَاتُه متساويات، مثل: قول الرسول ﷺ في دعائه المتضمِّنِ الحثَّ على الإنفاق في الخير، والتحذيرَ من الإمساك.

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ: «**مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْـعِبَادُ فِيهِ إِلاَّ مَلَكَانِ يَنْزِلاَنِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّـهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّـهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا**» رواه البخارى ومسلم.

قيل لبعض الأدباء: مَا أَحْسَنُ السَّجْعِ؟

قال: ما خَفَّ عَلَى السَّمْعِ.

قِيلَ: مِثل ماذا ؟

قال: مثل هذا.

ومثل قول الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنذِرْ ۝ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝ ﴾ [المدثر: ١ - ٧].

نَجِدُ السجع بتكْرَارِ حَرْفِ الرَّاءِ فِي نِهَايَةِ كُلِّ آيَةٍ، هكذا:

﴿ ٱلْمُدَّثِّرُ ﴾ ، ﴿ فَأَنذِرْ ﴾ ، ﴿ فَكَبِّرْ ﴾، ﴿ فَطَهِّرْ ﴾، ﴿ فَٱهْجُرْ ﴾، ﴿ تَسْتَكْثِرُ ﴾، ﴿ فَٱصْبِرْ ﴾ .

وَهَذَا يُسْعِدُ الأُذُنَ.

ومثل قوله سبحانه وتعالى: ﴿ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ ۝ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ۝ ﴾ [العاديات:٩، ١٠].

نَجِدُ السجع بتكْرَارِ حَرْفِ الرَّاءِ فِي نِهَايَةِ كُلِّ آيَةٍ، هكذا:

﴿ ٱلْقُبُورِ ﴾ ، ﴿ ٱلصُّدُورِ ﴾ .

وَهَذَا يُسْعِدُ الأُذُنَ.

وعن عبد الله بن سلام رضي الله عنه : أنَّ النبيَّ ﷺ ، قَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلاَمٍ» رواه الترمذي ، وقال: حديث حسن صحيح.

نَجِدُ السَّجْعَ بتكْرَارِ حَرْفِ الْـميم فِي نِهَايَةِ كُلِّ جملةٍ، هكذا:

(السَّلامَ - الطَّعَامَ - نِيَامٌ - بِسَلاَمٍ).

وَهَذَا يُسْعِدُ الأُذُنَ.

وقول الله: ﴿ كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ۝ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ۝ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ۝ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ۝ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ۝ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ۝ ﴾ [المدثر: ٣٢- ٣٧].

نَجِدُ السجع بتكْرَارِ حَرْفِ الرَّاءِ فِي نِهَايَةِ كُلِّ آيَةٍ، هكذا:

﴿ وَٱلْقَمَرِ ﴾، ﴿ أَدْبَرَ ﴾، ﴿ أَسْفَرَ ﴾، ﴿ ٱلْكُبَرِ ﴾، ﴿ لِّلْبَشَرِ ﴾، ﴿ يَتَأَخَّرَ ﴾.

وَهَذَا يُسْعِدُ الأُذُنَ.

وقول الله: ﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۝ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ۝ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ۝ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ۝ ﴾ [فاطر:١٩- ٢٢].

نجد السجع بين ﴿ ٱلنُّورُ ﴾ و﴿ ٱلْحَرُورُ ﴾ ، وإنما كَرَّرَ الفعلَ في قوله: ﴿ وَمَا يَسْتَوِى ﴾ مبالغةً في ذلك؛ لأنَّ النَّفْيَ بينَ الْـحَيَاةِ والْـمَوْتِ أَتَمُّ من النَّفْيِ المتقدم، وقدَّم الإحياءَ لشرفِ الحياةِ، ولَمْ يُكَرِّرْ (لا) تأكيدًا في قولِه: ﴿ ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴾ وكرَّرها في غيره؛ لأنَّ منافاةَ ما بعدَه أتمُّ، فإن الشخصَ الواحدَ قد يكونُ بصيرًا ثم يصيرُ أَعْمَى، فلا منافاةَ إلاَّ من حيث الوصف بخلافِ الظلِّ والحرورِ، والظلماتِ والنور، فإنها متنافيةٌ أبدًا، لا يَجْتمع اثنان منها في محلّ، فالمنافاةُ بين الظلِّ والحرورِ وبين الظلمةِ والنورِ دائمةٌ.

والقرآن الكريم اكْتَشَفَ نَوْعًا من أنواع السجع باللغة العربية والتي لم يدركها شعراء الجاهلية من قبل.

فالسجع المعروف بين شعراء وخطباء الجاهلية .. هو اتفاق أواخر الكلمات لبعض الجمل (جملتين أو أكثر) في الحرف الأخير.

مثل قول قس بن ساعدة: «أَيُّهَا النَّاسُ اسْمَعُوا وَعُوا، إِنَّه مَنْ عَاشَ مَاتَ، وَمَنْ مَاتَ فَاتَ، وَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ آتٍ» .

هذا جزء من خطبته .. فنجد السجع بين (اسمعوا وعوا)، وبين (مات - فات) وبين (آتٍ - آت). فهذا سَجْعٌ يُسْعِدُ الأُذُنَ.

ولكن عندما نَزَلَ القرآنُ الكريمُ كَشَفَ نوعًا من أنواع السجع لم يعرفه العصر الجاهلي من قبل رغم تفوقهم في الفصاحة والبلاغة للغة العربية ..، فالعصر الجاهلي انتهى تفوقه في السجع بين كلمتين فقط كما تقدم للخطيب «قس بن ساعدة» وغيره من الخطباء والشعراء.

ولكن القرآن جاء بأعلى من ذلك مما أَبْهَرَ هؤلاءِ الخطباءَ والشعراءَ، وهو السجع بين حرف وكلمة.

مثال ذلك، ولله المثل الأعلى قوله تعالى: ﴿ نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ ﴾ [القلم: ١].

فهنا نجدُ السَّجْعَ بينَ ﴿ نٓ ﴾ و﴿ يَسْطُرُونَ ﴾.

وهذا نَوْعٌ مِنْ أنواعِ السَّجْعِ الذي لَمْ يَعْرِفْهُ خُطَبَاءُ وَشُعَرَاءُ الْـعَصْرِ الْـجَاهِلِي.

تَحَرَّجَ العلماءُ من بعض الإطلاقات التي تختص بالشعر أن يطلقوها على القرآن الكريم، حِمَايَةً لِجَنَابِهِ، وإجلالًا له، فَمَنَعُوا من إطلاقِ لفظةِ السَّجْعِ علَى خَوَاتِمِ آياتِهِ، لارْتِبَاطِ السَّجْعِ بِغَيْرِ القرآنِ من ألوانِ النثرِ.

قال الخفاجي: (وَأَظُنُّ أَنَّ الذِي دَعَاهُمْ إِلَى تَسْمِيةِ كُلِّ ما فِي القرآنِ فَوَاصِلَ ولَمْ يُسَمّوا ما تَمَاثَلَتْ حُرُوفُهُ سَجْعًا - رَغْبَتُهُمْ فِي تَنْزِيهِ القُرْآنِ عَنِ الْـوَصْفِ اللاحِقِ بغيرِهِ منَ الكلامِ الْـمَرْوِيِّ عن الكهنة وغيرهم، وهذا غَرَضٌ في التَّسْمِيَّةِ قَرِيبٌ).

ومثله لفظةُ الْـجَرسِ والموسيقَى، فقد تَرَكَهَا العلماءُ مع دِقَّتِهَا، ولا سيما لفظةُ الْـجَرسِ لارتباطِهَا بالغِنَاء، وذَهَاب جمهور العلماء إلى تحريمِهِ، ونُفُور فُضَلاءِ الناسِ وَنُبَلائِهِمْ منه، فلم يَسْتَخْدِمْهَا العلماءُ في وَصْفِ أَلْفَاظِ القرْآنِ، وَاسْتَخْدَمُوا بَدَلًا منها في البلاغة لفظةَ الْـفَصَاحَةِ، وهي مشتملةٌ علَى مَعْنَى جَرسِ اللفظةِ.

وقد كانَ للنصارَى وغيرِهِمْ عِنَايَةٌ بالبحثِ في مُوسيقَى الألفاظِ لِدُخُولِ الْـمُوسِيقَى فِي شَعَائِرِهِمْ، وَأَمَاكِنِ عِبَادَتِهِمْ، فَلا تكادُ تَجِدُ لَهُمْ عبادةً إلا عَلَى أَنْغَامِ الموسيقَى، ومِنْ هنا اهْتَمُّوا بدراسةِ موسيقَى الألفاظِ وَجَرسِهَا، وكتبوا في ذلك كُتُبًا، وأما المسلمون فقد تَنَاوَلُوا هذه المسألةَ تَحْتَ مصطلحاتٍ أُخْرَى كالفصاحةِ والانسجام.

غَيْرَ أنَّ بعضَ البَاحِثِينَ الْـمُتَأَخِّرِينَ لَمْ يَرَوْا بَأْسًا مِن استخدام هذه العباراتِ في وَصْفِ ألفاظِ وتراكيبِ القرآنِ الكريمِ، لِشُيُوعِ هذهِ الألفاظِ وَمَعْرِفَةِ دلالاتِهَا عندَ الْـمُعَاصِرِينَ.

وقد استخدمها الشيخُ سَيِّد قُطْب - رحمه الله - في كتابَاتِه، وَانْتُقِدَتْ عليه، والأمرُ في التسميةِ قَرِيبٌ - كما قال ابنُ سنان الخفاجي، والْـعِبْرَةُ بالْـمَعَانِي التي يَقْصِدُهَا الكُتَّابُ من هذه العبارات، وَغَالِبُ مَن استعملَ هذه الأوصافَ منْ أَهْلِ النَّقْدِ الأَدَبِي والدراساتِ البلاغيةِ.

ولابُدَّ من ملاحظةِ التطورِ الدّلالِي للمفرداتِ، فقد تكونُ المفردةُ تحملُ من ضمن معانِيهَا معنًى سَيِّئًا، فَيُنْهَى عنِ اسْتِعْمَالِهَا في بعضِ الْـمَوَاقِفِ حتى لا يذهبَ ذِهْنُ السَّامِعِ إلى ذلك المعنى دونَ غيرِه.

وَرُبَّمَا يُتَجَوَّزُ في بعضِ الألفاظِ لِفَهْمِ السَّامع للمقصودِ، كما في تشبيهِ النَّبيِّ ﷺ إِحْدَى صُوَرِ إِتْيَانِ الوَحْيِ بِصَلْصَلَةِ الْـجَرسِ.

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ الْـحَارِثَ بْنَ هِشَام رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّـهِ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّـهِ: كَيْفَ يَأْتِيكَ الْـوَحْيُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ: «**أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْـجَرَسِ وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ**» رواه البخاري.

فالذي يظهرُ أنَّ الأمرَ في استخدام مثلِ هذه العباراتِ إِذَا فُهِمَتْ عَلَى وَجْهِهَا لا حَرَجَ فيه إِنْ شَاءَ اللَّـهُ، طَالَمَا أَنَّ الأَمْرَ يُحْمَلُ على وجهِهِ الحسَنِ في التعبيرِ والفَهْمِ

معًا، ولو تَتَبَّعْتَ مَطَاعِنَ العباراتِ والألفاظ التي يتكلم بها الناسُ لَمَا سلم لك إلا القليل.

وإنني لأَعْجَبُ مِمَّنْ يُؤَاخِذُ المؤلفين بلَوَازِمِ ألفاظهم وعِبَارَاتِهِمْ، وهمْ بَشَرٌ يَكتبونَ ما يَكتبونَ في أحيان كثيرة، وهم غافلون عما يلزمُهُمْ من بعض العبارات مع حُسْنِ النِّيَّةِ، وطِيبِ السيرةِ، ولم يقصدوا بهذه العبارة أو تلك ما حملها عليه منتقدوهم، فيطول الحديث حول هذا الأمر، والأمرُ فيه سِعَة وَيُسْرٌ لِمَنْ أرادَ الوصول للحق، والتماس الأعذار للمؤمنين من صفات المؤمنين.

وفي ظني أن المصنفين في (المناهي اللفظية) قد توسعوا في النهي عن ألفاظ كثيرة في استخدامها سعة، ولم يستدلوا على منعها بدليل يمنع منها، وفي هذا تضييق على الناس في حديثهم وكلامهم.

الفائدة البلاغية للسَّجْعِ:

يعطي السجع جَرْسًا موسيقيًّا، يأخذ الأسماع والأفهام، ويسعد النفس .

انتبه !

السجع خاص بالنثر، وقد أجاز بعض العلماء مجيئه في الشعر .

كلمة حول السجع

نَزَلَ القرآنُ بلسانٍ عَرَبِي مبين، ونزل على قوم شغلهم البيان حتى كان أعظم بضاعتهم، وتفعل الكلمة فيهم ما لا تفعل السيوف، وقد كانوا مُجْبَرِين بحكم البيئة والنشأة على حب البيان الرفيع، الْـمَلِيءِ بالصور الإيقاعية المساعدة على تذكر المادة اللفظية، كالقوافي والأسجاع، وكل ما يعطي نغمًا موسيقيًّا لفظيًّا، وكان على القرآن لكي يؤثر فيهم أن يعلو على بيانهم، وهكذا جاء القرآن ممثلًا أرقى استعمال للغة من لغات البشر، وتشرفت العربية بهذا الشرف الرفيع.

وصور الإعجاز في القرآن لا تُحْصَى، ومنها إعجازه اللغوي، ومن مظاهر الإعجاز اللغوي استعماله للفواصل التي أغنى الله بها العرب عن ولعهم بالقوافي والأسْجَاعِ وعشقهم لموسيقى الألفاظ، فوجدوا خيرًا من ذلك في القرآن الكريم، فآمنوا به.

وعندما نَنْظُرُ إِلَى الفاصلة (السجع) في نهايات الجمل العربية، يظهر لنا فضل القرآن على غيره من الكلام، مع أنه استعمل اللغة نفسها التي استعملها العرب بكل صورها ومظاهرها تقريبًا، ونذكر أن الشائع استعمال مصطلح الفاصلة في القرآن، والسجع في غيره، مع التنبيه على أنه ليست كل الفواصل مسجوعة.

وتحليل الفواصل ودراستها يستدعي الإلْـمَام بعلوم الأصوات والصرف والنحو والمعجم والدلالة.

تعريف الفاصلة:

هي لفظٌ آخرُ الآية ينتهي بصوتٍ قد يتكرر محدِثًا إيقاعًا مؤثرًا في صورة السجع، وقد لا يتكرر، ولكن الفاصلة تحتفظ دائمًا بإحدى صور التوافق الصوتي مع الفواصل السابقة واللاحقة، أما تفصيل الموضوع فعلى النحو الآتي:

١ - **الدراسة الصوتية**: استعمل القرآن في الفواصل حروفًا ذات وقع نغمي، ووضوح سمعي؛ لتظهر للسمع حين الوقف عليها، والوقف على أواخر الآيات من سنن القراءة، كما هو معلوم، ولذلك استعمل النون فاصلة في حوالي ٥١٪ من آياته، تلتها الميم بحوالي ١٢,٥٪ وهما أهم حروف الترنم في العربية، في حين لم يستعمل الخاء فاصلة قط لصعوبتها وصعوبة الوقف عليها.

وهذا إحصاء بالحروف المستعملة في الفواصل، ونِسَب استعمال كل منها، مع العلم بأن عدد آيات القرآن الكريم (٦٢٤٧) آية.

الحرف	عدد مراته كفاصلة	نسبته المئوية كفاصلة
النون	٣١٨٢	٪ ٥٠,٩٣
الميم	٧٧٥	٪١٢,٤٠
الراء	٦٩٠	٪١١,٠٤
الدال	٢٨٦	٪٤,٦٢
الألف المقصورة	٢٤٥	٪٣,٩٢
الباء	٢٣٩	٪٣,٨٢
اللام	٢١٢	٪٣,٣٩
الهاء	١٧٣	٪٢,٧٦
الياء	٨٧	٪١,٣٩
القاف	٦٦	٪١,٠٥

الحرف	عدد مراته كفاصلة	نسبته المئوية كفاصلة
ألف المد	٤٢	٠,٦٧٪
التاء	٤٢	٠,٦٧٪
العين	٣٣	٠,٥٢٪
الفاء	٢٢	٠,٣٥ ٪
الجيم	٢٠	٠,٣٢ ٪
الطاء	١٩	٠,٣٠ ٪
الزاي	١٨	٠,٢٨ ٪
الهمزة	١٧	٠,٢٧ ٪
الظاء	١٧	٠,٢٧ ٪
السين	١٤	٠,٢٢ ٪
الصاد	١٢	٠,١٩ ٪
الكاف	٩	٠,١٤ ٪
الواو	٦	٠,٠٩٦ ٪
الثاء	٦	٠,٠٩٦ ٪
الحاء	٥	٠,٠٨ ٪

الحرف	عدد مراته كفاصلة	نسبته المئوية كفاصلة
الضاد	٤	٠,٠٦ ٪
الشين	٣	٠,٠٤٨ ٪
الذال	٢	٠,٠٣٢ ٪
الغين	١	٠,٠١٦ ٪
الخاء	ــــ	ــــ

بعض النتائج المستخلصة من الجدول السابق:

١- نلاحظ أن حرف النون يمثل أكثر من نصف فواصل القرآن، حيث جاء فاصلة بنسبة ٥١ ٪ تقريبًا، وهذه النتيجة تصديق لكلام سيبويه وغيره ممن لاحظوا ذلك، وإذا علمنا أن مجمل استعمال حرف النون في القرآن الكريم كله هو (٢٧٢٦٥)، فإن نسبة استعماله فاصلة إلى نسبة استعماله الكلية تكون ١١,٦٧ ٪ وهي نسبة عالية إذا قورن بحروف أخرى.

أضف إلى ذلك أن التنوين الذي يلحق فواصل بعض السور كالإسراء والكهف ومريم..، هذا التنوين هو نون ساكنة أيضًا، وإن كان يتحول بالوقف إلى الألف الممدودة، وبهذا فإن النون والتنوين يفوزان بأكبر نصيب في الفواصل لِمَا فيهما من الغنة الجميلة في السمع، ويَحِقُّ لنا بعد ذلك أن نقول إن عنصر الإيقاع والتنغيم والتطريب يقصد إليه في القرآن قصدًا، وليس مجردَ مُحَسنات زخرفية.

٢ - جاء حرف الميم تاليًا للنون بنسبة ١٢,٣٨٪ ، يليه الراء بنسبة ١١,٠٤٪ والدال بنسبة ٤,٦٢٪ والملاحظ أن الميم حرف شفوي، والراء والدال من الحروف التي تنطق باعتماد اللسان مع الأسنان، وكل هذه الحروف تنطق من

الجزء الأمامي لجهاز النطق، وهذا أمر ملاحظ في الفواصل، حيث نلاحظ أن حروف الحنجرة والحلق أقل استعمالًا من الحروف الشفوية والأسنانية، ولهذا كله علاقة بسهولة النطق والوضوح السمعي.

والمراد بالوضوح السمعي وصول صوت الحرف واضحًا إلى السمع، حيث إن لكل مجموعة حروف متقاربة الـمَخَارج نسبة وضوح سمعي،كما يقول الدكتور رمضان عبد التواب رَحِمَه الله: «وليست كل الأصوات الإنسانية على السواء في نسبة الوضوح السمعي، فبعضها أوضح من بعض» .

ولِحِرْصِ القرآن على الإيقاع اللفظي وتناسق الفواصل تُحذف بعض الْـحُروف في الفاصلة، مثل قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ﴾ [الفجر: ٤] .

وأصلها: يَسْرِي، ولكن حَذْف الياء يساويها صوتيًّا بما سبقها وتلاها من الفواصل.

وكثيرًا ما تُحْذَفُ ياء المتكلم في الفاصلة للغرض نفسه، مثل قوله تعالى: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ [الشعراء: ١٠٨]وأصلها: أطيعوني.

وعلى العكس من ذلك قد يزيد القرآن حرفًا للغرض نفسه، مثل قول الله عز وجل: ﴿ إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴾ [الأحزاب: ١٠] .

وأصلها: الظنون، بدون ألف لأنها معرفة بالألف واللام، ولكن فواصل السورة أكثرها بحرف مد، فوافقتها.

ومثل ذلك زيادة هاء السكت في قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ ۝ وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ ۝ يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ۝ مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ۝ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ﴾ [الحاقة: ٢٥- ٢٩].

وذلك لتتوافق الهاء إيقاعيًّا مع التاء المربوطة التي تصير هاءً بالوقف.

وهناك ظاهرة مشابهة هي الاستغناء بلفظ عن آخر، لدواع سياقية، والقرآن يختار اللفظ بدقة متناهية، ومن ذلك أن القرآن يستعمل كثيرًا صيغة (غفور) في الفواصل، ولكن يستغني عنها بغفّار لتتوافق الفواصل في قوله تعالى: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ ﴾ [نوح: ١٠] والفواصل هنا هي (إسرارًا وغفارًا ومدرارًا) في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ ﴾ [نوح: ٩- ١١].

أما (غفور - غفّار) في حق الله تعالى، فهما صيغتا مبالغة، ولا تفاضل بينهما دلاليًّا، ولكن حاجة السياق تحدِّدُ الْـمُخْتَارَ منهما.

ومثله قول الله: ﴿ وَمَكَرُواْ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [نوح: ٢٢] حيث جاءت صيغة كُبَّار بدلَ صيغة (كبير) لإبداء المبالغة وتحقيق الإيقاع.

ومثله استعمال (عَسِر) مكان (عَسِير) المعتادة في قوله: ﴿ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ ۖ يَقُولُ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾ ﴾ [القمر: ٨]، والقرآن يختار الفاصلة بدقة عجيبة تدل على إعجاز بياني، فهي من جهة الدلالة تتوافق مع مضمون الآية، ومن جهة الصوت تتوافق مع الإيقاع العام للآيات السابقة واللاحقة، حتى إن السامع إذا كان ذا نظر ثاقب بفن الكلام وسمع الفاصلة أدرك موقعها من الكلام كما رووا أن أعرابيًّا سَمِعَ قارئًا يقرأ: ﴿ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ ﴾ [البقرة: ٢٠٩].

فقرأ: (أن الله غفور رحيم) ولَمْ يكن يقرأ القرآن، فقال: إن كان هذا كلام الله، فلا يقول كذا، الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل؛ لأنه إغراء عليه.

❁❁❁❁❁

كلمة موجزة عن الإعجاز اللغوي

نقول كلمة موجزة عن الإعجاز اللغوى، على سبيل المثال لا على سبيل الحصر.

أولاً: الإعجاز اللغوى:

كان يكفينا فى صَدَدِ الإعجازِ اللغوى أن نقول: إن فصحاءَ العربِ قد عجزوا عن الإتيان بسورة من مثل القرآن. ولكننا نزيد الأمر توضيحًا، فنقول: إن هذا الإعجاز يبدو فى جملة سمات يتميز بها الأسلوب القرآنى يلحظها القارئ المتدبر لهذا القرآن.

وقد أمرنا بالتدبر فى كتاب الله، ونحن نتلوه. وإليك بعض هذه السمات:

١ - للقرآن نظم متفرد، فلا هو شعر، ولا هو نثر كنثر البشر. ولكن فيه حلاوة الجرس والتنغيم ما يفوق الشعر، دون أن يتقيد بقيود الشعر الكثيرة التى تتحكم فى المعنى فى كثير من الأحيان، وفيه ما يشبه القوافى ولكنها ليست رتيبةً ولا محددة كقوافى الشعر ولا قوافى السجع المألوف، لذلك لا تمله الأذن، بل يقبل الإنسان دائمًا على قراءة القرآن وسماعه بشغف متجدد.

وفضلًا عن ذلك فإن هذا التنغيم يتنوع بتنوع الموضوع المعروض والجو النفسى المصاحب له، فيشتد مثلًا مع جو الوعيد والعذاب ويلطف ويلين مع جو الود والرحمة، أو جو الدعاء والخشوع.

خذ مثلًا من جو الشدة والوعيد: ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الحاقة: ٣٠- ٣٧].

ومثلًا من جو الدعاء: ﴿ كٓهيعٓصٓ ۝ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝ ﴾ [مريم: ١ - ٦].

٢ - يتميز القرآن بالتنويع فى طريقة العرض بحيث لا يتكرر مشهدان فى كل تفاصيلهما أبدًا على كثرة ما يعرض فى القرآن من المشاهد المتشابهة، فهى تتشابه ولكنها لا تتماثل أبدًا، لذلك تبدو فى كل مرة كأنها جديدة !

وإن مشاهد القيامة والمشاهد الكونية لهى من أكثر الموضوعات تكرارًا فى القرآن، ومع ذلك لا يوجد مشهد واحد مكرر بجميع تفصيلاته مرتين..، لابدَّ من التنويع فى العرض، ولو بتغيير لفظة واحدة ! وأحيانًا يكون التنويع بتغيير حرف واحد يغير المعنى !

خذ مثالًا لذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ۝ ﴾ [البقرة: ٤٩] .

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ۝ ﴾ [إبراهيم: ٦].

إن الفرق بين النصين حرف واحد، هو زيادة الواو فى الآية الثانية (ويذبحون) ولكن هذا الحرف الواحد يغير المعنى. فالآية الأولى تحدد العذاب بأنه هو تذبيح الأبناء واستحياء النساء. أما الآية الثانية فتدل على أن العذاب كان أنواعًا كثيرة يضاف إليها تذبيح الأبناء واستحياء النساء!

وهكذا يؤثر الحرف الواحد فى المعنى ويجعل الآيتين غير مكررتين كما يتبادر للذهن أول مرة!

٣ - من الإعجاز كذلك أن كل سورة من سور القرآن لها جوها الخاص وشخصيتها المتميزة حتى وإن اشتركت فى بعض الموضوعات مع غيرها من السور.

وقد تكون السور المدنية مختلفة الموضوعات بطبيعتها، لاحتواء كل منها على مجموعة من التشريعات والتوجيهات غير الأخرى، ولاختلاف المناسبة التى نزلت فيها، وإن كان فيها مع ذلك قدر من الموضوعات المشتركة.

ولكن ظاهرة التميز والاختلاف قائمة بوضوح فى السور المكية كذلك، التى تشتمل كلها على موضوعات متقاربة، إذ كلها دعوة إلى توحيد الخالق ونبذ الشرك ومناقشة لأوهام المشركين وإنذار لهم بالعذاب فى جهنم، مع تقديم البشرى للمؤمنين بالجنة. ومع ذلك فكل سورة تعرض هذه الموضوعات المتشابهة بطريقة تخالف الأخرى، بحيث يظل قارئ القرآن فى جو متجدد على الدوام ولو كان الموضوع هو ذات الموضوع.

تلك هى بعض سمات الإعجاز اللغوى فى القرآن، ويستطيع الدارس أن يلحظها بنفسه فى أثناء تلاوته للقرآن أو استماعه إليه، كما يستطيع أن يجد غيرها كلما درب نفسه على النظر المتعمق فى آيات الكتاب.

تدريبات

بيِّنِ السجعَ في الأَمثلة والشواهد الآتية، ووضِّح وجوه حسنه:

١ - قال بعض البلغاء: الإِنسانُ بآدابه، لا بزيِّه وثيابِهِ.

٢ - قول الله: ﴿ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ۝٢٨ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ۝٢٩ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝٣٠ ﴾ [الواقعة: ٢٨ - ٣٠].

٣ - قول الله: ﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣ ﴾ [الواقعة: ١ - ٣].

٤ - قول الله عـز وجـل: ﴿ لَآ أُقْسِمُ بِهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلٌّ بِهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝٢ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِي كَبَدٍ ۝٤ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝٥ ﴾ [البلد: ١ - ٥].

٥ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْـعِبَادُ فِيهِ إِلاَّ مَلَكَانِ يَنْزِلاَنِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّـهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّـهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا» رواه البخارى ومسلم.

٦ - قول الله: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝٧ ﴾ [المدثر: ١ - ٧]..

٧ - قوله سبحانه وتعالى: ﴿ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ۝١٠ ﴾ [العاديات:٩، ١٠].

٨ - عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ، قَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلاَمَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلاَمٍ» رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

٩ - قول الله عز وجل: ﴿ كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ۝٣٢ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ۝٣٣ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ۝٣٤

إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [المدثر: ٣٢- ٣٧].

١٠ - قوله عز وجل: ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الحاقة: ٢٥- ٢٩].

١١ - قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ ﴾ [نوح: ٩- ١١].

١٢ - عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا» رواه البخاري.

١٣ - عَنْ عَبْدِ اللَّـهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّـهِ ﷺ أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ؟

قَالَ: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ، عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ» رواه البخاري.

١٤ - كَتَبَ مُعَاوِيَةُ إِلَى الْـمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ أَنْ اكْتُبْ إِلَيَّ بِشَيْءٍ سَمِعْتَهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ فَكَتَبَ إِلَيْهِ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّـهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا: قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةَ الْـمَالِ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ» رواه البخاري.

١٥ - قوله تعالى: ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ ﴾ [البروج: ١٢- ١٨].

الفصل الرابع

الازدواج

الـفَصْلُ الرَّابعُ

الازْدِواجُ

الازدواج لغةً:

زَاوَجَ بين الشيئين، إذَا قَرَنَ بينهما.

الازدواج اصطلاحًا:

هو تقْسيمُ الفقرةِ إِلَى جُمَلٍ مُتَسَاوِيَةٍ في الطُّولِ والْـقِصَرِ وَالْـوَزْنِ. وَلا يُشْتَرَطُ أَنْ تكُونَ نِهَايَةُ الْـجُمَلِ مَسْجُوعَةً، أَوْ غَيْرَ مَسْجُوعَةٍ، وَيُعْرَفُ أَيْضًا بالْـمُزَاوَجَةِ.

أمثلة على الازدواج:

١ - عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ: «**يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ، وَيَنْقُصُ الْـعَمَلُ، وَيُلْقَى الشُّحُّ، وَيَكْثُرُ الْـهَرْجُ**»، قَالُوا: وَمَا الْـهَرْجُ ؟ قَالَ: «**الْـقَتْلُ الْـقَتْلُ**». رواه البخاري.

انْظُرْ إِلَى الْـجمل: (يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ - وَيَنْقُصُ الْـعَمَلُ - وَيُلْقَى الشُّحُّ - وَيَكْثُرُ الْـهَرْجُ) تَجِد أَنَّهَا مُتَسَاوِيةٌ فِى الْـوَزْنِ، وَهَذَا يُسْعِدُ النَّفْسَ، وَيُطْرِبُ الأُذُنَ، ويَمْلأُ النَّفْسَ بَهْجَةً وَمُتْعَةً.

٢ - قَالَ عَلِيٌّ ﵁ يَصِفُ الدُّنْيَا: «أَوَّلُهَا عَنَاءٌ، وَآخِرُهَا فَنَاءٌ، حَلَالُهَا حِسَابٌ، وَحَرَامُهَا عِقَابٌ، مَنْ صَحَّ فِيهَا أَمِنَ وَمَنْ مَرِضَ فِيهَا نَدِمَ، وَمَنْ اسْتَغْنَى فِيهَا فُتِنَ، وَمَنْ افْتَقَرَ فِيهَا حَزِنَ، وَمَنْ سَعَى لـها فَاتَتْهُ، وَمَنْ قَعَدَ عَنْهَا أَتَتْهُ، وَمَنْ نَظَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتْهُ، وَمَنْ نَظَرَ بِهَا بَصرَتْهُ».

أُنْظُرْ إلى الْـجَمْلَتَيْنِ: (أَوَّلُهَا عَنَاءٌ - وَآخِرُهَا فَنَاءٌ) تَجِد أنهما مُتَسَاوِيتَانِ فى الْـوَزْنِ، وَهَذَا يُسْعِدُ النَّفْسَ، وَيُطْرِبُ الأُذُنَ. بالإِضَافَةِ إِلَى مَا بَيْنَهُمَا مِنْ مُقَابَلَةٍ وَسَجْعٍ يَمْلآنِ النَّفْسَ بَهْجَةً وَمُتْعَةً.

وَانْظُرْ إلى الْـجَمْلَتَيْنِ: (حَلاَلُهَا حِسَابٌ - وَحَرَامُهَا عِقَابٌ) تَجِد أنهما مُتَسَاوِيتَانِ فى الْـوَزْنِ، وَهَذَا يُسْعِدُ النَّفْسَ، وَيُطْرِبُ الأُذُنَ. بالإِضَافَةِ إِلَى مَا بَيْنَهُمَا مِنْ مُقَابَلَةٍ وَسَجْعٍ يَمْلآنِ النَّفْسَ بَهْجَةً وَمُتْعَةً.

وَانْظُرْ إِلَى الْـجَمْلَتَيْنِ: (مَنْ صَحَّ فِيهَا أَمِنَ - وَمَنْ مَرِضَ فِيهَا نَدِمَ) تَجِد أنهما مُتَسَاوِيتَانِ فى الْـوَزْنِ، وَهَذَا يُسْعِدُ النَّفْسَ، وَيُطْرِبُ الأُذُنَ. بالإِضَافَةِ إِلَى مَا بَيْنَهُمَا مِنْ مُقَابَلَةٍ وَسَجْعٍ يَمْلآنِ النَّفْسَ بَهْجَةً وَمُتْعَةً.

وَانْظُرْ إِلَى الْـجَمْلِ: (وَمَنْ سَعَى لها فَاتَتْهُ - وَمَنْ قَعَدَ عَنْهَا أَتَتْهُ - وَمَنْ نَظَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتْهُ - وَمَنْ نَظَرَ بِهَا بَصرَتْهُ) تَجِد أنها مُتَسَاوِيةٌ فى الْـوَزْنِ، وَهَذَا يُسْعِدُ النَّفْسَ، وَيُطْرِبُ الأُذُنَ. بالإِضَافَةِ إِلَى مَا بَيْنَهَا مِنْ مُقَابَلاتٍ وَسَجْعٍ تَمْلأُ النَّفْسَ بَهْجَةً وَمُتْعَةً.

٣ - قول الله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ۝ ﴾ [الانفطار: ١٣، ١٤].

وَانْظُرْ إِلَى الآيَتَيْنِ: ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝ ﴾ ، ﴿ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ۝ ﴾ تَجِد أنهما مُتَسَاوِيتَانِ فى الْـوَزْنِ، وَهَذَا يُسْعِدُ النَّفْسَ، وَيُطْرِبُ الأُذُنَ. بالإِضَافَةِ إِلَى مَا بَيْنَهُمَا مِنْ مُقَابَلَةٍ وَسَجْعٍ يَمْلآنِ النَّفْسَ بَهْجَةً وَمُتْعَةً.

٤ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «آيَةُ الْـمُنَافِقِ ثَلَاثٌ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ» رواه البخارى.

انْظُرْ إِلَى الْـجَمْلِ: (إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ - وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ - وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ)

تَجِد أنها مُتَسَاوِية فى الْـوَزْنِ، وَهَذَا يُسْعِدُ النَّفْسَ، وَيُطْرِبُ الأُذُنَ، و يَمْلأ النَّفْسَ بَهْجَةً وَمُتْعَةً.

٥ - قَالَ بَعْضُ الْـحُكَمَاءِ: «الدُّنْيَا إمَّا نِقْمَةٌ نَازِلَةٌ، وَإِمَّا نِعْمَةٌ زَائِلَةٌ» .

أُنْظُرْ إلى الْـجَمْلَتَيْنِ: (إمَّا نِقْمَةٌ نَازِلَةٌ - وَإِمَّا نِعْمَةٌ زَائِلَةٌ) تَجِد أنهما مُتَسَاوِيتَانِ فى الْـوَزْنِ، وَهَذَا يُسْعِدُ النَّفْسَ، وَيُطْرِبُ الأُذُنَ. بالإِضَافَةِ إِلَى مَا بَيْنَهُمَا مِنْ مُقَابَلَةٍ وَسَجْعٍ يَمْلآنِ النَّفْسَ بَهْجَةً وَمُتْعَةً.

٦ - قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلَامُ: «**لا تُنَازِعُوا أَهْلَ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ، فَيُنَازِعُوكُمْ فِي دِينِكُمْ، فَلَا دُنْيَاهُمْ أَصَبْتُمْ، وَلَا دِينَكُمْ أَبْقَيْتُمْ**» .

أُنْظُرْ إلى الْـجَمْلَتَيْنِ: (فَلَا دُنْيَاهُمْ أَصَبْتُمْ - وَلَا دِينَكُمْ أَبْقَيْتُمْ) تَجِد أنهما مُتَسَاوِيتَانِ فى الْـوَزْنِ، وَهَذَا يُسْعِدُ النَّفْسَ، وَيُطْرِبُ الأُذُنَ. بالإِضَافَةِ إِلَى مَا بَيْنَهُمَا مِنْ مُقَابَلَةٍ وَسَجْعٍ يَمْلآنِ النَّفْسَ بَهْجَةً وَمُتْعَةً.

٧ - مثل قول الله عز وجل: ﴿ **بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾** ﴾ [الانشقاق: ٢٢- ٢٤].

أُنْظُرْ إلى الآيات: ﴿ **بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ** ﴾، ﴿ **وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ** ﴾، ﴿ **فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ** ﴾ تَجِد أنها مُتَسَاوِيةٌ فى الْـوَزْنِ، وَهَذَا يُسْعِدُ النَّفْسَ، وَيُطْرِبُ الأُذُنَ. بالإِضَافَةِ إِلَى أنها تَمْلأُ النَّفْسَ بَهْجَةً وَمُتْعَةً.

٨ - قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه: «لَا تَكُنْ مِمَّنْ يَقُولُ فِي الدُّنْيَا بِقَوْلِ الزَّاهِدِينَ، وَيَعْمَلُ فِيهَا عَمَلَ الرَّاغِبِينَ، فَإِنْ أُعْطِيَ مِنْهَا لَمْ يَشْبَعْ، وَإِنْ مُنِعَ مِنْهَا لَمْ يَقْنَعْ» .

أُنْظُرْ إلى الْـجَمْلَتَيْنِ: (يَقُولُ فِي الدُّنْيَا بِقَوْلِ الزَّاهِدِينَ - وَيَعْمَلُ فِيهَا عَمَلَ الرَّاغِبِينَ) تَجِد أنهما مُتَسَاوِيتَانِ فى الْـوَزْنِ، وَهَذَا يُسْعِدُ النَّفْسَ، وَيُطْرِبُ الأُذُنَ.

بالإِضَافَةِ إِلَى مَا بَيْنَهُمَا مِنْ مُقَابَلَةٍ وَسَجْعٍ يَمْلآنِ النَّفْسَ بَهْجَةً وَمُتْعَةً.

أُنْظُرْ إلى الْـجَمْلَتَيْنِ: (فَإِنْ أُعْطِيَ مِنْهَا لَمْ يَشْبَعْ - وَإِنْ مُنِعَ مِنْهَا لَمْ يَقْنَعْ) تَجِد أنهما مُتَسَاوِيتَانِ فى الْـوَزْنِ، وَهَذَا يُسْعِدُ النَّفْسَ، وَيُطْرِبُ الأُذُنَ. بالإِضَافَةِ إِلَى مَا بَيْنَهُمَا مِنْ مُقَابَلَةٍ وَسَجْعٍ يَمْلآنِ النَّفْسَ بَهْجَةً وَمُتْعَةً.

٩ - قَالَ بَعْضُ الْـعُلَمَاءِ: «إِنَّ الدُّنْيَا كَثِيرَةُ التَّغْيِيرِ، سَرِيعَةُ التَّنْكِيرِ، شَدِيدَةُ الْـمَكْرِ، دَائِمَةُ الْـغَدْرِ، فَاقْطَعْ أَسْبَابَ الْـهَوَى عَنْ قَلْبِك، وَاجْعَلْ أَبْعَدَ أَمَلِكَ بَقِيَّةَ يَوْمِك، وَكُنْ كَأَنَّكَ تَرَى ثَوَابَ أَعْمَالِك» .

أُنْظُرْ إلى الْـجَمْلَتَيْنِ: (كَثِيرَةُ التَّغْيِيرِ - سَرِيعَةُ التَّنْكِيرِ) تَجِد أنهما مُتَسَاوِيتَانِ فى الْـوَزْنِ، وَهَذَا يُسْعِدُ النَّفْسَ، وَيُطْرِبُ الأُذُنَ، بالإِضَافَةِ إِلَى مَا بَيْنَهُمَا مِنْ سَجْعٍ يَمْلأُ النَّفْسَ بَهْجَةً وَمُتْعَةً.

وَانْظُرْ إلى الْـجَمْلَتَيْنِ: (شَدِيدَةُ الْـمَكْرِ - دَائِمَةُ الْـغَدْرِ) تَجِد أَنَّهُمَا مُتَسَاوِيتَانِ فى الْـوَزْنِ، وَهَذَا يُسْعِدُ النَّفْسَ، وَيُطْرِبُ الأُذُنَ. بالإِضَافَةِ إِلَى مَا بَيْنَهُمَا مِنْ سَجْعٍ يَمْلأُ النَّفْسَ بَهْجَةً وَمُتْعَةً.

وَانْظُرْ إلى الْـجَمْلَتَيْنِ: (فَاقْطَعْ أَسْبَابَ الْـهَوَى عَنْ قَلْبِك - وَاجْعَلْ أَبْعَدَ أَمَلِكَ بَقِيَّةَ يَوْمِك) تَجِد أَنَّهُمَا مُتَسَاوِيتَانِ فى الْـوَزْنِ، وَهَذَا يُسْعِدُ النَّفْسَ، وَيُطْرِبُ الأُذُنَ. بالإِضَافَةِ إِلَى مَا بَيْنَهُمَا مِنْ سَجْعٍ يَمْلأُ النَّفْسَ بَهْجَةً وَمُتْعَةً.

١٠ - مثل قول الله عز وجل: ﴿ سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١ لِّلْكَـٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ۝٢ ﴾ [المعارج: ١، ٢].

انْظُرْ إِلَى الآيتين: ﴿ سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾، ﴿ لِّلْكَـٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ﴾ تَجِد أَنَّهُمَا مُتَسَاوِيتَانِ فى الْـوَزْنِ، وَهَذَا يُسْعِدُ النَّفْسَ، وَيُطْرِبُ الأُذُنَ. بالإِضَافَةِ إِلَى مَا بَيْنَهُمَا مِنْ سَجْعٍ يَمْلأُ النَّفْسَ بَهْجَةً وَمُتْعَةً.

١١ - عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْـخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّـهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّـهُ وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّـهُ وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّـهُ وَمَا أَجِدُ لَكُمْ رِزْقًا أَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ» رواه أحمد.

انْظُرْ إِلَى الْـجمل: (مَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّـهُ - وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّـهُ - وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّـهُ) تَجِد أَنَّهَا مُتَسَاوِيةٌ فِي الْـوَزْنِ، وَهَذَا يُسْعِدُ النَّفْسَ، وَيُطْرِبُ الأُذُنَ، ويَمْلأُ النَّفْسَ بَهْجَةً وَمُتْعَةً.

١٢ - قول الله: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ ﴾ [الطارق: ١١ - ١٥].

انْظُرْ إِلَى الآيات: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ﴿١١﴾ ﴾، ﴿ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ﴿١٢﴾ ﴾، ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ ﴾، ﴿ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ﴿١٤﴾ ﴾، ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ ﴾ تَجِد أَنَّهَا مُتَسَاوِيةٌ فِي الْـوَزْنِ، وَهَذَا يُسْعِدُ النَّفْسَ، وَيُطْرِبُ الأُذُنَ، ويَمْلأُ النَّفْسَ بَهْجَةً وَمُتْعَةً.

الفائدة البلاغية للازدواج:

الازْدِوَاجُ يُسْعِدُ النَّفْسَ، وَيُطْرِبُ الأُذُنَ، وَيَمْلأُ النَّفْسَ بَهْجَةً وَمُتْعَةً، وَيُعْطِي جَرْسًا مُوْسِيقِيًّا يَأْخُذُ بالأَسْمَاعِ وَالأَفْهَامِ.

انتبه !

الازدواج يأتي في الشعر والنثر.

تدريبات

عين الازدواج فيما يلي:

١ - قوله تعالى: ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ۝ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴾ [البروج: ١٢- ١٤].

٢ - قول الله عز وجل: ﴿ كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ۝ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ۝ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴾ [المدثر: ٣٢- ٣٤].

٣ - قول الله: ﴿ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ۝ يَـٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ۝ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۝ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَـٰنِيَهْ ۝ ﴾ [الحاقة: ٢٦- ٢٩].

٤ - عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ: «يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ، وَيَنْقُصُ الْـعَمَلُ، وَيُلْقَى الشُّحُّ، وَيَكْثُرُ الْـهَرْجُ».

قَالُوا: وَمَا الْـهَرْجُ ؟

قَالَ: «الْـقَتْلُ الْـقَتْلُ» رواه البخاري.

٥ - كَتَبَ مُعَاوِيَةُ إِلَى الْـمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ أَنْ اكْتُبْ إِلَيَّ بِشَيْءٍ سَمِعْتَهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ فَكَتَبَ إِلَيْهِ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ:

«إِنَّ اللَّـهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا: قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةَ الْـمَالِ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ» رواه البخاري.

٦ - قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝ ﴾ [نوح: ٩- ١١].

٧ - عَنْ عَبْدِ اللَّـهِ بْنِ عَمْرٍو ﷺ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّـهِ ﷺ أَيُّ

الْإِسْلَامِ خَيْرٌ ؟ قَالَ: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ، عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ» رواه البخاري.

٨ - عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا» رواه البخاري.

٩ - قول الله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ ﴾ [الانفطار: ١٣، ١٤].

١٠ - قَالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه يَصِفُ الدُّنْيَا: «أَوَّلُهَا عَنَاءٌ، وَآخِرُهَا فَنَاءٌ، حَلَالُهَا حِسَابٌ، وَحَرَامُهَا عِقَابٌ، مَنْ صَحَّ فِيهَا أَمِنَ وَمَنْ مَرِضَ فِيهَا نَدِمَ، وَمَنْ اسْتَغْنَى فِيهَا فُتِنَ، وَمَنْ افْتَقَرَ فِيهَا حَزِنَ، وَمَنْ سَعَى لها فَاتَتْهُ، وَمَنْ قَعَدَ عَنْهَا أَتَتْهُ، وَمَنْ نَظَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتْهُ، وَمَنْ نَظَرَ بِهَا بَصرَتْهُ».

١١ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ» رواه البخاري.

١٢ - قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: «الدُّنْيَا إِمَّا نِقْمَةٌ نَازِلَةٌ، وَإِمَّا نِعْمَةٌ زَائِلَةٌ».

١٣ - قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السلام: «لا تُنَازِعُوا أَهْلَ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ، فَيُنَازِعُوكُمْ فِي دِينِكُمْ، فَلَا دُنْيَاهُمْ أَصَبْتُمْ، وَلَا دِينَكُمْ أَبْقَيْتُمْ».

١٤ - مثل قول الله عز وجل: ﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الانشقاق: ٢٢- ٢٤].

١٥ - قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه: «لَا تَكُنْ مِمَّنْ يَقُولُ فِي الدُّنْيَا بِقَوْلِ الزَّاهِدِينَ، وَيَعْمَلُ فِيهَا عَمَلَ الرَّاغِبِينَ، فَإِنْ أُعْطِيَ مِنْهَا لَمْ يَشْبَعْ، وَإِنْ مُنِعَ مِنْهَا لَمْ يَقْنَعْ».

١٦ - قَالَ بَعْضُ الْـعُلَمَاءِ: «إِنَّ الدُّنْيَا كَثِيرَةُ التَّغْيِيرِ، سَرِيعَةُ التَّنْكِيرِ، شَدِيدَةُ الْـمَكْرِ، دَائِمَةُ الْـغَدْرِ، فَاقْطَعْ أَسْبَابَ الْـهَوَى عَنْ قَلْبِك، وَاجْعَلْ أَبْعَدَ أَمَلِكَ بَقِيَّةَ يَوْمِك، وَكُنْ كَأَنَّك تَرَى ثَوَابَ أَعْمَالِك» .

الفصل الخامس

الجناس

الـفَصْلُ الخامِسُ

الجناسُ

الْجِنَاسُ فِي اللّغة:

المشاكلة، والاتحاد في الجنس، يقال لغة: جانَسَهُ، إذا شاكله، وإذا اشترك معه في جِنْسه، وجنسُ الشيء أصله الذي اشْتُقَّ منه، وتَفَرَّع عنه، واتَّحدَ معَه في صفاته العظمى التي تُقوِّم ذاته. ويُسَمَّى الْـجِنَاسُ أَيْضًا بـ (التَّجْنِيس).

والْجِنَاسُ فِي الاصطلاح:

هُوَ أَنْ يَتَشَابَهَ اللَّفْظانِ في النُّطْقِ ويَخْتَلِفَا في المعنى.

مثل: صَلَّيْتُ الْـمَغْرِبَ فِى بِلادِ الْـمَغْرِبِ.

فَعِنْدَمَا نَنْظُرُ إِلَى لَفظَى (الْـمَغْرِبَ - الْـمَغْرِبِ) نَجِد أَنَّهُمَا تَشَابَهَا فِى اللفْظِ، وَاخْتَلَفَا فِى الْـمَعْنَى؛ لِذَا بَيْنَهُمَا جِنَاسٌ.

والْـمُرَادُ مِنْ لَفْظِ (الْـمَغْرِبَ) الأُولَى: أَىْ صَلاة الْـمَغْرِبِ.

والْـمُرَادُ مِنْ لَفْظِ (الْـمَغْرِبِ) الأُخْرَى: أَىْ دَوْلَة الْـمَغْرِبِ الشَّقِيقِ.

ومثل قول الله: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍۚ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [الروم: ٥٥].

عِنْدَمَا نَنْظُرُ إِلَى لَفْظَي (السَّاعَة - سَاعَة) نَجِد أَنَّهُمَا تَشَابَهَا فِى اللفْظِ، وَاخْتَلَفَا فِى الْـمَعْنَى؛ لِذَا بَيْنَهُمَا جِنَاسٌ.

والْـمُرَادُ مِنْ لَفْظِ (السَّاعة): الْـبَعْثُ يوم الْـقِيَامَةِ.

والْـمُرَادُ مِنْ لَفْظِ (سَاعَة): مُدَّة زَمَنِيَّة مِنْ أَزْمَانِ النَّهَارِ وَاللّيْلِ الْـمُقَسَّمِ إِلَى (٢٤) سَاعَةً، أَيْ أَنَّهُمْ مَا لَبِثُوا فِي الْـقَبْرِ بينَ الْـموتِ وَالْـبَعْثِ إلا ساعةً مِنَ السَّاعَاتِ الْـقَلِيْلَةِ.

وَلا يَضُرُّ فِي ذَلِكَ اخْتِلافُ الْـحَرَكَةِ الإِعْرَابِيَّةِ، وَلا وُجُودُ (الـ) فِي إِحْدَى الْـكَلِمَتَيْنِ لِزِيَادَتِهَا عَلَى الْـكَلِمَةِ.

ومثل قول بعض البلغاء: يَا مَغْرُورُ أَمْسِكْ، وقِسْ يَوْمَكَ بِأَمْسِكَ .

عِنْدَمَا نَنْظُرُ إِلَى لَفْظَى (أَمْسِكْ - بِأَمْسِكَ) نَجِد أَنَّهُمَا تَشَابَهَا فِى اللفْظِ، وَاخْتَلَفَا فِى الْـمَعْنَى؛ لِذَا بَيْنَهُمَا جِنَاسٌ.

والْـمُرَادُ مِنْ لَفْظِ (أَمْسِكْ): فعل أمر، مضارعه: يُمْسِكُ.

والْـمُرَادُ مِنْ لَفْظِ (بأَمْسِكَ): الباء حرف جر، أَمْسِ: اسم مجرور بالباء، وعلامة جره الكسرة، وهو ما يسبق اليوم.

أَنْوَاعُ الْـجِنَاسِ:

اعْتَنَى علماءُ البديع بتقسيم الْـجِنَاسِ إِلَى أَنْوَاعٍ، اعتمادًا على اسْتِقْرَاءِ الأمثلة وتَتَبُّعِهَا، إلاَّ أنهم أَسْرَفُوا في وَضْعِ أسماء لكلّ فرع من فروع أنواعه، وهو أَمْرٌ يُرْهِقُ مُحَلِّلَ النُّصُوصِ، ويصْرفه عن تذوُّق الجمال الأدبي، ليهْتَمَّ بالتحليل الآلي، وتذكُّرِ الاسم الخاصّ بكلّ فرع من هذه الفروع.

ويمكن أن نُجْمِلَها فيما يلي:

أولاً: الْـجِنَاسُ التَّامُّ:

وَهُوَ ما اتَّفَقَ فِيهِ اللفْظَانِ فِي أمور، هي:

١ - الضَّبْطُ وَالتَّشْكِيلُ.

٢ - عَدَدُ الْـحُرُوفِ.

٣ - تَرْتِيبُ الْـحُرُوفِ.

مثل قول الله: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴾ [الروم: ٥٥].

فَالْـمُرَادُ مِنَ (السَّاعَةِ) الأُولَى: يومُ الْـقِيَامَةِ. والْـمُرَادُ مِنَ (سَاعَة) الثَّانِيَة: وَاحِدَةُ السَّاعَاتِ الزَّمَانِيَّةِ.

وَعِنْدَمَا نَنْظُرُ إِلَى كُلٍّ مِنْ (السَّاعَة - سَاعَة) نَجِد أَنَّ لَفْظَهُمَا قَدْ تَشَابَهَا فى الضَّبْطِ أَو التَّشْكِيلِ، وَتَشَابَهَا أَيْضًا فِى عَدَدِ الْـحُرُوفِ وتَرْتِيبِهَا. وَاخْتَلَفَا فِى الْـمَعْنَى؛ لِذَا بَيْنَهُمَا جِنَاسٌ تَامٌّ.

ومثل قول الشاعر:

عُــــودِي فَإِنَّـــكِ إِنْ تَعُـــودِي يَخْـضَرُّ بَعْـدَ الْـمَـوْتِ عُـودِي

فَالْـمُرَادُ مِنَ (عُودِي) الأُولَى: فِعْلُ أَمْرٍ بمعنى: ارْجِعِي.. والْـمُرَادُ مِنَ (عُودِي) الثَّانِيَة: جِسْمِي؛ لِذَا بَيْنَهُمَا جِنَاسٌ تَامٌّ.

وَعِنْدَمَا نَنْظُرُ إِلَى كُلٍّ مِنْ (عُودِي - عُودِي) نَجِد أَنَّ لَفْظَهُمَا قَدْ تَشَابَهَا فى الضَّبْطِ أَو التَّشْكِيلِ، وَتَشَابَهَا أَيْضًا فِى عَدَدِ الْـحُرُوفِ وتَرْتِيبِهَا. وَاخْتَلَفَا فِى الْـمَعْنَى؛ لِذَا بَيْنَهُمَا جِنَاسٌ تَامٌّ.

وكَذَا قَوْلُ الشاعر:

وَسَـلا مِصْرَ هَلْ سَلا الْـقَلْبُ عَنْهَا أَوْ أَسَـى جُـرْحَهُ الـزَّمَانُ الْـمُؤَسِّى

فَالْـمُرَادُ مِنَ (سَلا) الأُولَى: فِعْلُ أَمْرٍ: اِسْأَلا. والْـمُرَادُ مِنَ (سَلا) الثَّانِيَة: نَسِيَ؛ لِذَا بَيْنَهُمَا جِنَاسٌ تَامٌّ.

وَعِنْدَمَا نَنْظُرُ إِلَى كُلٍّ مِنْ (سَلا - سَلا) نَجِد أَنَّ لَفظَهُمَا قَدْ تَشَابَهَا فى الضَّبْطِ أَو التَّشْكِيلِ، وَتَشَابَهَا أَيْضًا فِى عَدَدِ الْـحُرُوفِ وتَرْتِيبِهَا. وَاخْتَلَفَا فِى الْـمَعْنَى؛ لِذَا بَيْنَهُمَا جِنَاسٌ تَامٌّ.

وقول الشاعر:

حَـــدقُ الآجَـــالِ آجَـــالُ　　　وَالْـهَـــوَى لِلْمَـــرْءِ قِـــتَالُ

فَالْـمُرَادُ مِنَ (الآجَالِ) الأُولَى: جمع إِجْل بالكسر، وَهُوَ الْـقَطِيعُ مِنَ الأَبْقَارِ الْـوَحْشِيَّةِ. وَالْـمُرَادُ مِنَ (آجَال) الثَّانِيَة: جَمْعُ أَجَل، وَالْـمُرَادُ بِهِ مُنْتَهَى الأَعْمَارِ؛ لِذَا بَيْنَهُمَا جِنَاسٌ تَامٌّ.

وَعِنْدَمَا نَنْظُرُ إِلَى كُلِّ مِنْ (الآجَالِ - آجَال) نَجِد أَنَّ لَفْظَهُمَا قَدْ تَشَابَهَا فى الضَّبْطِ أَو التَّشْكِيلِ، وَتَشَابَهَا أَيْضًا فِى عَدَدِ الْـحُرُوفِ وتَرْتِيبِهَا. وَاخْتَلَفَا فِى الْـمَعْنَى؛ لِذَا بَيْنَهُمَا جِنَاسٌ تَامٌّ.

وقول أبي تمام:

مَـا مَـاتَ مِـنْ كَـرَمِ الـزَّمَانِ فَإِنَّـهُ　　　يَحْـيَا لَـدَى يَحْيَـى بْـنِ عَـبْدِ اللَّـــهِ

فَالْـمُرَادُ مِنَ (يَحْيَا) الأُولَى: يَعِيشُ. وَالْـمُرَادُ مِنَ (يَحْيَى) الثَّانِيَة: الاسْمُ يَحْيَى ابْنُ عَبْدِ اللَّـهِ؛ لِذَا بَيْنَهُمَا جِنَاسٌ تَامٌّ.

وَعِنْدَمَا نَنْظُرُ إِلَى كُلٍّ مِنْ (يَحْيَا - يَحْيَى) نَجِد أَنَّ لَفْظَهُمَا قَدْ تَشَابَهَا فى الضَّبْطِ أَو التَّشْكِيلِ، وَتَشَابَهَا أَيْضًا فِى عَدَدِ الْـحُرُوفِ وتَرْتِيبِهَا. وَاخْتَلَفَا فِى الْـمَعْنَى؛ لِذَا بَيْنَهُمَا جِنَاسٌ تَامٌّ.

ومثل قول الشاعر:

إِذَا مَلِـــكٌ لَمْ يَكُـــنْ ذَا هِـــبَهْ　　　فَدَعْـــهُ فَدَوْلَـــتُهُ ذَاهِـــبَهْ

فالْكَرَمُ مِنَ الْـخِصَالِ الَّتِي يُسْتَحَبُّ أَنْ تكونَ فِي الْـمَلِكِ، وَذَلِكَ هُوَ الأَصْلُ فِي اسْتِمَالَةِ الْـقُلُوبِ.

فَالْـمُرَادُ مِنَ (ذَا هِبَهْ) الأُولَى: صَاحِبُ هِبَةٍ وَعَطَاء. وَهُوَ مُرَكَّبٌ مِنْ كَلِمَتَيْنِ، وَالْـمُرَادُ مِنَ (ذَاهِبَهْ) الثَّانِيَة: اسْمُ فَاعِلٍ مِنَ الذَّهَابِ؛ لِذَا بَيْنَهُمَا جِنَاسٌ تَامٌّ.

وَعِنْدَمَا نَنْظُرُ إِلَى كُلٍّ مِنْ (ذَا هِبَهْ – ذَاهِبَهْ) نَجِد أَنَّ لَفْظَهُمَا قَدْ تَشَابَهَا فِى الضَّبْطِ أَو التَّشْكِيلِ، وَتَشَابَهَا أَيْضًا فِى عَدَدِ الْـحُرُوفِ وتَرْتِيبِهَا. وَاخْتَلَفَا فِى الْـمَعْنَى؛ لِذَا بَيْنَهُمَا جِنَاسٌ تَامٌّ.

ومثل قول الشاعر:

عَضَّنا الدَّهْرُ بِنَابِهْ ... لَيْتَ مَا حَلَّ بِنَا بِهْ

لا يُوَالِي الدَّهْرِ إِلَّا ... خَامِلًا لَيْسَ بِنَابِهْ

فَالْـمُرَادُ مِنَ (بِنَابِهْ) الأُولَى: سِنُّهُ الْـمَعْرُوفُ بالنَّاب. وَالْـمُرَادُ مِنَ (بِنَا بِهْ) الثَّانِيَة: الباء حَرْفُ جَرٍّ، و(نا): ضَمِيرٌ مَبْنِيٌّ فِى مَحَلِّ جَرِّ اسْمٍ مَجْرُورٍ، و(به) الباء: حَرْفُ جَرٍّ، و(الهاء): ضَمِيرٌ مَبْنِيٌّ فِى مَحَلِّ جَرِّ اسْمٍ مَجْرُورٍ، والضمير يعود عَلَى الدَّهْرِ، فَالْـمُرَادُ مِنَ (بِنَابِهْ) الثَّالثة: البَاءُ حَرْفُ جَرٍّ، و(نَابِه) أي كُلُّ ذِي شَرَفٍ وشُهْرَةٍ وَنَبَاهَةٍ ؛ لِذَا بَيْنَ الأَلْفَاظِ الثلاثةِ جِنَاسٌ تَامٌّ.

وَعِنْدَمَا نَنْظُرُ إِلَى كُلٍّ مِنْ (بِنَابِهْ – بِنَا بِهْ – بِنَابِهْ) نَجِد أَنَّ أَلْفَاظَهَا قَدْ تَشَابَهَتْ فِى الضَّبْطِ أَو التَّشْكِيلِ، وَتَشَابَهَتْ أَيْضًا فِى عَدَدِ الْـحُرُوفِ وتَرْتِيبِهَا. وَاخْتَلَفَتْ فِى الْـمَعْنَى؛ لِذَا بَيْنَهَا جِنَاسٌ تَامٌّ.

مثل قول الشاعر:

يَزِيدُ لَهُ أَيَادٍ لاَ تُبَارَى ... وَيَسْبِقُ مَنْ رَجَاهُ لِمَا يُرِيدُ

يَزِيدُ عطاؤُهُ مَا جِئْتَ تَرْجُو ... نَدَاهُ بِكُلِّ آوِنَةٍ يَزِيدُ

فَالْـمُرَادُ مِنَ (يَزِيدُ) الأُولَى: اِسْمُ رَجُلٍ. وَالْـمُرَادُ مِنَ (يَزِيدُ) الثَّانِيَة: فِعْلٌ مُضَارِعٌ؛ لِذَا بَيْنَهُمَا جِنَاسٌ تَامٌّ.

وَعِنْدَمَا نَنْظُرُ إِلَى كُلٍّ مِنْ (يَزِيدُ - يَزِيدُ) نَجِد أَنَّ أَلْفَاظَهَا قَدْ تَشَابَهَتْ فِى الضَّبْطِ أَو التَّشْكِيلِ، وَتَشَابَهَتْ أَيْضًا فِى عَدَدِ الْـحُرُوفِ وتَرْتِيبِهَا.

وَاخْتَلَفَتْ فِى الْـمَعْنَى؛ لِذَا بَيْنَهَا جِنَاسٌ تَامٌّ.

يَزِيدُ: الأولَى اسْمُ عَلَمٍ، يَزِيدُ: الثانية فِعْلٌ مُضَارِعٌ.

ثانيًا: الْـجِنَاسُ النَّاقِصُ:

هُوَ أَنْ يَتَّفِقَ اللفْظَانِ فِى الْـكِتَابَةِ والنُّطْقِ، إِلا أَنَّهُمَا يَخْتَلِفَانِ فِي وَاحِدٍ مِنَ الأُمُورِ التالِيَةِ:

١ - الضَّبْطِ أَوَ التَّشْكِيلِ.

٢ - عَدَدِ الْـحُرُوفِ.

٣ - تَرْتِيبِ الْـحُرُوفِ.

٤ - أَنْوَاعِ الْـحُرُوفِ وَتَقَارُبُهَا.

مَعَ اخْتِلافِ اللفْظَيْنِ فِى الْـمَعْنَى.

١ - الضَّبْط أَوَ التَّشْكيل:

مثل قول الله عز وجل: ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾** ﴾ [الصافات: ٧٢، ٧٣].

فَعِنْدَمَا نَنْظُرُ إِلَى كُلٍّ مِنْ ﴿ مُّنذِرِينَ ﴾ ، ﴿ الْمُنذَرِينَ ﴾ نَجِد أَنَّ لَفْظَهُمَا قَدْ تَشَابَهَا إِلا أَنَّهُمَا اخْتَلَفَا فى الضَّبْطِ أَو التَّشْكِيلِ، وَاخْتَلَفَا أَيْضًا فِى الْـمَعْنَى؛ لِذَا بَيْنَهُمَا جِنَاسٌ نَاقِصٌ.

ومثل: لاَ تُنَالُ الْـغُرَرَ إلاَّ بِرُكُوبِ الْـغَرَر.

فَعِنْدَمَا نَنْظُرُ إِلَى كُلٍّ مِنَ (الْـغُرَر - الْـغَرَر) نَجد أَنَّ لَفْظَهُمَا قَدْ تَشَابَهَا إِلا أَنَّهُمَا اخْتَلَفَا فى الضَّبْطِ أَو التَّشْكِيلِ، وَاخْتَلَفَا أَيْضًا فِى الْـمَعْنَى؛ لِذَا بَيْنَهُمَا جِنَاسٌ نَاقِصٌ.

الغُرَر: جَمْعُ أَغَرّ، وَهُوَ الْـحَسَنُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ.

الْـغَرَر: الْـخَطَر، وَالتَّعَرُّض لِلْهَلَكَة.

ومثل قَوْلِ ابْنِ الْـفَارِضِ:

هَـلاَّ نَهَـاكَ نُهَـاكَ عَـنْ لَـوْمِ امْـرِئٍ ... لَمْ يُلْـفَ غَـيْرَ مُـنَعَّمٍ بِـشَقَاءِ

نَهَاكَ: الأُولَى ضِدُّ أَمَرَكَ.

نُهَاكَ: النُّهَى: الْـعَقْلُ، وَالْـمَعْنَى: هَلاَّ زَجَرَكَ عَقْلُكَ عَنْ لَوْمِ امْرِئٍ.

٢ - عَدَد الحُرُوف:

مثل قول الله عز وجل: ﴿ **وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ۝ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ** ﴾ [القيامة: ٢٩، ٣٠].

فَعِنْدَمَا نَنْظُرُ إِلَى كُلٍّ مِنَ (السَّاق - الْـمَسَاق) نَجد أَنَّ لَفْظَهُمَا قَدْ تَشَابَهَا، إلا أَنَّهُمَا قَدِ اخْتَلَفَا فِى عَدَدِ الْـحُرُوفِ بِزِيَادَةِ الْـمِيمِ فِى الأَخِيرةِ، وَاخْتَلَفَا أَيْضًا فِى الْـمَعْنَى؛ لِذَا بَيْنَهُمَا جِنَاسٌ نَاقِصٌ.

السَّاق: الْـقَدَم.

الْـمَسَاق: الْـمَرْجِع وَالْـمَصِير.

ومثل: الْـهَوَى مَطِيَّةُ الْـهَوَانِ، وَدَوَامُ الْـحَالِ مِنَ الْـمُحَالِ.

فَعِنْدَمَا نَنْظُرُ إِلَى كُلٍّ مِنَ (الْـهَوَى - الْـهَوَانِ) نَجد أَنَّ لَفْظَهُمَا قَدْ تَشَابَهَا، إلا أَنَّهُمَا قَدِ اخْتَلَفَا فِى عَدَدِ الْـحُرُوفِ بِزِيَادَةِ النُّون فِى الأَخِيرةِ، وَاخْتَلَفَا أَيْضًا فِى الْـمَعْنَى؛ لِذَا بَيْنَهُمَا جِنَاسٌ نَاقِصٌ.

الْـهَوَى: الْـمِزَاج، الْـهَوَانِ: الذُّلُّ وَالْـمَذَلَّة.

فَعِنْدَمَا نَنْظُرُ إِلَى كُلٍّ مِنَ (الْـحَال - الْـمُحَال) نَجِد أَنَّ لَفْظَهُمَا قَدْ تَشَابَهَا، إِلا أَنَّهُمَا قَدِ اخْتَلَفَا فِى عَدَدِ الْـحُرُوفِ بِزِيَادَةِ الْـمِيم فِى الأخِيرةِ، وَاخْتَلَفَا أَيْضًا فِى الْـمَعْنَى؛ لِذَا بَيْنَهُمَا جِنَاسٌ نَاقِصٌ.

الْـحال: الْـحَالَةُ مِنْ فَقْرٍ وَغِنًى وَصِحَّةٍ وَمَرَضٍ وَشَبَابٍ وَقُوَّةٍ..إلخ .

الْـمُحال: الْـمُسْتَحِيل.

٣ - أنواع الحروف وتقاربها:

وَقَدْ يَكُونُ الاخْتِلافُ فِي أَنْوَاعِ الْـحُرُوفِ بِأَنْ تَكُونَ مُتَقَارِبَةً فِى الْـمَخْرَجِ، مثل قول الله: ﴿ **وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ** ﴾ [الأنعام: ٢٦].

فَعِنْدَمَا نَنْظُرُ إِلَى كُلٍّ مِنْ ﴿ **يَنْهَوْنَ** ﴾ ، ﴿ **يَنْـَٔوْنَ** ﴾ نَجِد أَنَّ لَفْظَهُمَا قَدْ تَشَابَهَا، إِلا أَنَّهُمَا قَدِ اخْتَلَفَا فِى حَرْفَى (الهاء - الهمزة)، وَاخْتَلَفَا أَيْضًا فِى الْـمَعْنَى؛ لِذَا بَيْنَهُمَا جِنَاسٌ نَاقِصٌ.

﴿ **يَنْهَوْنَ** ﴾ : مَنَ النَّهْى، أَىْ أَنَّ الْـكُفَارَ يَنْهَوْنَ عَنِ اتبَاعِ النَّبِىِّ، وَهُوَ عَكْسُ الأَمْرِ.

﴿ **يَنْـَٔوْنَ** ﴾: يَتبَاعَدُونَ عَنْهُ، أَىْ أَنَّ الْـكُفَارَ يَتبَاعَدُونَ عَنِ النَّبىِّ، فَلا يُؤْمِنُونَ بِهِ.

ومثل حَدِيثِ عُرْوَةَ بْنِ الْـجَعْدِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**الْـخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْـخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْـقِيَامَةِ**» رواه البخارى.

فَعِنْدَمَا نَنْظُرُ إِلَى كُلٍّ مِنَ (الْـخَيْلُ - الْـخَيْرُ) نَجِد أَنَّ لَفْظَهُمَا قَدْ تَشَابَهَا، إِلا أَنَّهُمَا قَدِ اخْتَلَفَا فِى حَرْفَى (اللام - الراء)، وَاخْتَلَفَا أَيْضًا فِى الْـمَعْنَى؛ لِذَا بَيْنَهُمَا جِنَاسٌ نَاقِصٌ.

ومثل قوله تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝ ﴾ [الهمزة: ١].

فَعِنْدَمَا نَنْظُرُ إِلَى كُلٍّ مِنْ ﴿ هُمَزَةٍ ﴾ ، ﴿ لُّمَزَةٍ ﴾ نجد أَنَّ لَفْظَهُمَا قَدْ تَشَابَهَا، إلا أَنَّهُمَا قَدِ اخْتَلَفَا فِى حَرْفَى (الْـهَاء - اللام)، وَاخْتَلَفَا أَيْضًا فِى الْـمَعْنَى؛ لِذَا بَيْنَهُمَا جِنَاسٌ نَاقِصٌ.

﴿ هُمَزَةٍ ﴾: هُوَ الَّذِى يَغْتَابُ وَيَطْعَنُ فِى وَجْهِ الرَّجُلِ.

﴿ لُّمَزَةٍ ﴾: هُوَ الَّذِى يَغْتَابُ وَيَطْعَنُ الرَّجُلَ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ، أَىْ إِذَا غَابَ.

ومثل قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ۝ ﴾ [غافر: ٧٥].

فَعِنْدَمَا نَنْظُرُ إِلَى كُلٍّ مِنْ ﴿ تَفْرَحُونَ ﴾ ، ﴿ تَمْرَحُونَ ﴾ نجد أَنَّ لَفْظَهُمَا قَدْ تَشَابَهَا، إلا أَنَّهُمَا قَدِ اخْتَلَفَا فِى حَرْفَى (الْـفَاء - الْـمِيم)، وَاخْتَلَفَا أَيْضًا فِى الْـمَعْنَى؛ لِذَا بَيْنَهُمَا جِنَاسٌ نَاقِصٌ.

ومثل قوله تعالى: ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ۝ ﴾ [النمل: ٢٢].

فَعِنْدَمَا نَنْظُرُ إِلَى كُلٍّ مِنْ (سَبَإٍ - نَبَإٍ) نَجِد أَنَّ لَفْظَهُمَا قَدْ تَشَابَهَا، إلا أَنَّهُمَا قَدِ اخْتَلَفَا فِى حَرْفَى (السِّين - النُّون)، وَاخْتَلَفَا أَيْضًا فِى الْـمَعْنَى؛ لِذَا بَيْنَهُمَا جِنَاسٌ نَاقِصٌ.

سَبَإٍ: قَبِيلَةٌ بالْـيَمَنِ، نَبَإٍ: أَى خَبَر.

تَعْبِيرٌ جَمِيلٌ لَفْظًا، دَقِيقٌ مَعْنًى، أَلاَ تَرَاهُ لَوْ قَالَ: (وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِخَبَرٍ) لاخْتَلَّ اللفْظُ وَالْـمَعْنَى مَعًا؛ لأَنَّ الْـخَبَرَ يُرَادُ بِهِ مُطْلَقُ الْـخَبَرِ، أَمَّا النَّبَأُ فَلا يُقَالُ إِلا لِلْخَبَرِ الْـعَجِيبِ الْـهَامِّ الْـمُلْفِتِ لِلنَّظَرِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تعَالَى: ﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝ ﴾ [النبأ: ١، ٢].

والْـجِنَاسُ لا يَكُونُ جَمِيلًا مُؤَثِّرًا إلا إذَا جَاءَ طَبِيعِيًّا غَيْرَ مُتَكَلَّفٍ.

وَمِثَالُ ذَلِكَ هَذَا الْـجِنَاسِ النَّاقِصِ فِي قَوْلِهِ تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾ [الهمزة: ١] فَقَدْ وَرَدَ اللفْظُ الْـمُنَاسِبُ مُعبِّرًا عَنِ الْـمَعْنَى الْـمُرَادِ دُونَ تَكَلُّفٍ، فَالْـهُمَزَةُ هُوَ الّذِي يَعِيبُ بالْـقَوْلِ.

وَاللمَزَةُ: الّذِي يَعِيبُ بالْـفِعْلِ، فَالْـقُرْآنُ لا يَتَصَيَّدُ لَفْظًا لِيُحْدِثَ جِنَاسًا، إنَّمَا يَأْتِي الْـجِنَاسُ فِيهِ طَبيعِيًّا يَقْتَضِيهِ الْـمَعْنَى.

وَقَدْ يَأْتِي الْـجِنَاسُ مُضْطَرِبًا مُتكلِّفًا، يَتَصَيَّدُهُ صَاحِبُهُ، كَقَوْلِ أَحَدِهِمْ يَنْحِتُ الْـكَلامَ نَحْتًا فَيَأْتِي بسَجْعٍ رَكِيكٍ: فِي أَثْنَاءِ مَا كُنَّا نَسِيرُ، نَزَلَ الْـمَطَرُ كَأَفْوَاهِ الْـقِرَبِ، فَوَقَعَ رَجُلٌ كَانَ يَحْمِلُ الْـعِنَبَ.

ومثل قول الله: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝ ﴾ [القيامة:٢٢، ٢٣].

فَعِنْدَمَا نَنْظُرُ إِلَى كُلٍّ مِنْ (نَاضِرَة – نَاظِرَة) نَجِد أَنَّ لَفْظَهُمَا قَدْ تَشَابَهَا، إلا أَنَّهُمَا قَدِ اخْتَلَفَا فِى حَرْفَى (الضَّاد – الظَّاء)، وَاخْتَلَفَا أَيْضًا فِى الْـمَعْنَى؛ لِذَا بَيْنَهُمَا جِنَاسٌ نَاقِصٌ.

نَاضِرَة: حَسَنَة مُضِيئَة/ **نَاظِرَة**: مُبْصِرَة، ويَرَون الله.

ومثل قول الله عز وجل: ﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝ ﴾ [الضحى: ٩، ١٠].

فَعِنْدَمَا نَنْظُرُ إِلَى كُلٍّ مِنْ (تَقْهَر – تَنْهَر) نَجِد أَنَّ لَفْظَهُمَا قَدْ تَشَابَهَا، إلا أَنَّهُمَا قَدِ اخْتَلَفَا فِى حَرْفَى (الْـقَاف – النُّون)، وَاخْتَلَفَا أَيْضًا فِى الْـمَعْنَى؛ لِذَا بَيْنَهُمَا جِنَاسٌ نَاقِصٌ.

تَقْهَر: تَظْلِمهُ بأَخْذِ مَالِهِ فَيَتَحَسَّرَ/ **تَنْهَر**: تَزْجُرهُ لِفَقْرِهِ.

ومثل قول الله عز وجل: ﴿ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ ﴾ [الشعراء: ٧٩، ٨٠].

فَعِنْدَمَا نَنْظُرُ إِلَى كُلٍّ مِنْ (يَسْقِينِ - يَشْفِينِ) نَجِد أَنَّ لَفْظَهُمَا قَدْ تَشَابَهَا، إلا أَنَّهُمَا قَدِ اخْتَلَفَا فِي تَرْتِيبِ الْحُرُوف، فَمَجْمُوعُ الْحُرُوفِ فى الْكَلِمَتَيْنِ، هو: (ي - س - ق - ي - ن).

وَاخْتَلَفَا أَيْضًا فِي الْمَعْنَى؛ لِذَا بَيْنَهُمَا جِنَاسٌ نَاقِصٌ.

ومثل قول الشاعر:

يَـا لَلْغُـرُوبِ وَمَـا بِـهِ مِـنْ عَـبْرَةٍ ... لِلْمُـسْتَهَامِ وَعَـبْرَةٌ لِلرَّائِـي

فَعِنْدَمَا نَنْظُرُ إِلَى كُلٍّ مِنْ (عَبْرَةٍ - عَبْرَة) نَجِد أَنَّ لَفْظَهُمَا قَدْ تَشَابَهَا، إلا أَنَّهُمَا قَدِ اخْتَلَفَا فِي تَرْتِيبِ الْحُرُوف، فَمَجْمُوعُ الْحُرُوفِ فى الْكَلِمَتَيْنِ، هو: (ع - ب - ر - ة).

وَاخْتَلَفَا أَيْضًا فِي الْمَعْنَى؛ لِذَا بَيْنَهُمَا جِنَاسٌ نَاقِصٌ.

عَبْرَة: الأُولَى بمعنَى: دَمْعَة.

عِبْرَة: الثانية بمعنَى: مَوْعِظَة.

٤ - تَرْتِيبِ الْحُرُوف:

عَنْ رُبَيْحِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قُلْنَا يَوْمَ الْخَنْدَقِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ مِنْ شَيْءٍ نَقُولُهُ فَقَدْ بَلَغَتْ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِنَا، وَآمِنْ رَوْعَاتِنَا، قَالَ: فَضَرَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وُجُوهَ أَعْدَائِهِ بِالرِّيحِ فَهَزَمَهُمْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالرِّيحِ**» رواه أحمد.

فَعِنْدَمَا نَنْظُرُ إِلَى كُلٍّ مِنْ (عَوْرَاتِنَا - رَوْعَاتِنَا) نَجِد أَنَّ لَفْظَهُمَا قَدْ تَشَابَهَا، إلا أَنَّهُمَا قَدِ اخْتَلَفَا فِي تَرْتِيبِ الْحُرُوف، فَمَجْمُوعُ الْحُرُوفِ فى الْكَلِمَتَيْنِ، هو: (ع - و - ر - ا - ت - ن - ا).

وَاخْتَلَفَا أَيْضًا فِى الْـمَعْنَى؛ لِذَا بَيْنَهُمَا جِنَاسٌ نَاقِصٌ.

الرَّوْعة: الْـمَرَّة مِنَ الرَّوْعِ، وَهُوَ الْـخَوْفُ.

الْـعَوْرَة: السَّوْأَةُ الَّتِى يَسُوءُ النَّظَرُ إِلَيْهَا.

ومثل قول أبي تمام:

بِيضُ الصَّفَائِحِ لا سُودُ الصَّحَائِفِ فِي مُـتُونِهِنَّ جَـلاءُ الـشَّكِّ وَالـرِّيَبِ

فَعِنْدَمَا نَنْظُرُ إِلَى كُلٍّ مِنَ (الصَّفَائِحِ - الصَّحَائِفِ) نَجِد أَنَّ لَفْظَهُمَا قَدْ تَشَابَهَا، إِلا أَنَّهُمَا قَدِ اخْتَلَفَا فِى تَرْتِيبِ الْـحُرُوف، فَمَجْمُوعُ الْـحُرُوفِ فى الْـكَلِمَتَيْنِ، هو: (ا - ل - ص - ح - ا - ئـ - ف).

وَاخْتَلَفَا أَيْضًا فِى الْـمَعْنَى؛ لِذَا بَيْنَهُمَا جِنَاسٌ نَاقِصٌ.

الصَّفَائِح: جَمْعُ صَفِيحَة، يُرِيدُ بِهَا السّيوفَ، ومَتْنُ السَّيْفِ حَدُّهُ.

الصَّحَائِف: جَمْعُ صَحِيفَة، وهي الْـوَرَقَةُ.

الفائدة البلاغية للجناس:

يُعْطِي الْـجِنَاسُ جَرسًا موسيقيًّا. مِنْ خِلالِ إِيقَاعِ الْـوَزْنِ بَيْنَ الْـكَلِمَتَيْنِ، كَمَا أَنَّهُ يُعْمِلُ الذِّهْنَ؛ حَتَّى يَصِلَ لِلْفَرْقِ بَيْنِ الْـمَعْنَيَيْنِ، وَيُعْطِي لِلْعِبَارَةِ نَغَمَةً جَمِيلَةً تَتَوَافَقُ مَعَ الْـمَعْنَى.

انتبه ! الْـجِنَاسُ يَأْتِي فِي الشِّعْرِ وَالنَّثْرِ.

ملاحظة:

الأَفْضَل أَلا نَقُولَ: فِى القُرآنِ جِنَاسٌ نَاقِصٌ؛ فَالْـقُرْآنُ يَخْلُو مِنَ النَّقْصِ، غَيْرَ أَنَّ عُلَمَاءَ الْـبَلاغَةِ - رَحِمَهُمُ اللَّـهُ - هُمُ الَّذِينَ قَسَّمُوا هَذِه التَّقْسِيمَاتِ.

تدريبات

عَيِّنْ كُلَّ جِناسٍ فِيمَا يَلِي:

١ - قول الله: ﴿ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝٨٠ ﴾ [الشعراء: ٧٩، ٨٠].

٢- عَنْ رُبَيْحِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْـخُدْرِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قُلْنَا يَوْمَ الْـخَنْدَقِ: يَا رَسُولَ اللَّـهِ هَلْ مِنْ شَيْءٍ نَقُولُهُ فَقَدْ بَلَغَتْ الْـقُلُوبُ الْـحَنَاجِرَ ؟ قَالَ: نَعَمْ « **اللَّـهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِنَا، وَآمِنْ رَوْعَاتِنَا**»، قَالَ: فَضَرَبَ اللَّـهُ عَزَّ وَجَلَّ وُجُوهَ أَعْدَائِهِ بِالرِّيحِ فَهَزَمَهُمُ اللَّـهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالرِّيحِ. رواه أحمد.

٣ - قول الله: ﴿ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ۝٢٩ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ۝٣٠ ﴾ [القيامة: ٢٩، ٣٠].

٤ - ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ﴾ [الأنعام: ٢٦].

٥ - حَدِيثِ عُرْوَةَ بْنِ الْـجَعْدِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**الْـخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْـخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْـقِيَامَةِ**» رواه البخاري.

٦ - قوله تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ ﴾ [الهمزة: ١].

٧ - قوله عز وجل: ﴿ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ۝٧٥ ﴾ [غافر: ٧٥].

٨ - الْـهَوَى مَطِيَّةُ الْـهَوَانِ، وَدَوَامُ الْـحَالِ مِنَ الْـمُحَالِ.

٩ - قول الشاعر:

رَحَلْـتُ عَـنِ الـدِّيَارِ لَكُـمْ أَسِـيرُ   وَقَلْبِـــي فِي مَحَبَّـــتِكُمْ أَسِـــير

١٠ - قول الشاعر:

عُـــودِي فَإِنَّـــكِ إِنْ تَعُـــودِي يَخْـضَرُّ بَعْـدَ الْـمَـوْتِ عُـودِي

١١ - قَوْلُ الشاعر:

وَسَـلا مِصْرَ هَلْ سَلا الْـقَلْبُ عَنْهَا أَوْ أَسَـى جُـرْحَهُ الـزَّمَانُ الْـمُؤَسِّى

١٢ - مثل قول الشاعر:

يَـا لَلْغُـرُوبِ وَمَـا بِـهِ مِـنْ عَـبْرَةٍ لِلْمُـسْتَهَامِ وَعَـبْرَةٌ لِلرَّائِـي

١٣ - قول الشاعر:

حَـدقُ الآجَـالِ آجَـالُ وَالْـهَـوَى لِلْمَـرْءِ قِـتَالُ

١٤ - قول أبي تمام:

مَـا مَـاتَ مِـنْ كَـرَمِ الـزَّمَانِ فَإِنَّـهُ يَحْـيَا لَـدَى يَحْيَـى بْـنِ عَـبْدِ اللَّـهِ

١٥ - قول الشاعر:

إِذَا مَلِـكٌ لَمْ يَكُـنْ ذَا هِـبَهْ فَدَعْـهُ فَدَوْلَـتُهُ ذَاهِـبَهْ

١٦ - قول الشاعر:

عَـضَّنا الدَّهْـرُ بِـنَابِـهْ لَـيْتَ مَـا حَـلَّ بِـنَا بِـهْ
لا يُـوَالِـي الدَّهْـرِ إِلَّا خَـامِلًا لَـيْسَ بِـنَابِهْ

١٧ - قول الشاعر:

يَـزِيدُ لَـهُ أَيَـادٍ لاَ تُبَـارَى وَيَـسْبِقُ مَـنْ رَجَـاهُ لِمَـا يُـرِيدُ
يَـزِيدُ عطـاؤُهُ مَـا جِـئْتَ تَـرْجُو نَـدَاهُ بِكُـلِّ آوِنَـةٍ يَـزِيـدُ

١٨ - مثل قول الله: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [الصافات: ٧٢، ٧٣].

١٩ - صَلَّيْتُ الْـمَغْرِبَ فِي بِلادِ الْـمَغْرِبِ.

٢٠ - قول بعض البلغاء: يَا مَغْرُورُ أَمْسِكْ، وقِسْ يَوْمَكَ بِأَمْسِكَ .

٢١ - قول الله: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [الروم: ٥٥].

٢٢ - لاَ تُنَالُ الْـغُرَرَ إِلاَّ بِرُكُوبِ الْـغَرَرِ.

٢٣ - قَوْلِ ابْنِ الْـفَارِضِ:

هَـلاَّ نَهَـاكَ نُهَـاكَ عَـنْ لَـوْمِ امْـرِئٍ ... لَمْ يُلْـفَ غَـيْرَ مُـنَعَّمٍ بِـشَقَاءِ

٢٤ - قوله تعالى: ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ [النمل: ٢٢].

٢٥ - قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة:٢٢، ٢٣].

٢٦ - قول الله عز وجل: ﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ ﴾ [الضحى: ٩، ١٠].

٢٧ - قال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَـٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ ﴾ [النساء: ٨٣].

٢٨ - قول أبي تمام:

بِيضُ الصَّفَائِحِ لا سُودُ الصَّحَائِفِ فِي مُتُونِهِنَّ جَلاءُ الشَّكِّ وَالرِّيَبِ

الفصل السادس

التصريع

الفَصْلُ السَّادِسُ

التصْرِيعُ

التصريع فى اللغة:

مَصْدَرُ صَرَّعَ. صَرَعَ يَصْرَعُ صَرْعًا، وصِرْعًا، أى: الطَّرْحُ بالأَرض، فهو مَصْرُوعٌ وَصَرِيعٌ، والجمع: صَرْعَى.

والمُصارَعةُ والصِّراعُ مُعالجَتُهما أَيُّهُما يَصْرَعُ صاحِبَه.

وفي الحديثِ عَنِ ابْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ: **«مَثَلُ الْـمُؤْمِنِ كَالْـخَامَةِ مِنَ الزَّرْعِ، تُفَيِّؤُهَا الرِّيَاحُ، تَصْرَعُهَا مَرَّةً، وَتَعْدِلُهَا أُخْرَى، حَتَّى يَأْتِيَهُ أَجَلُهُ، وَمَثَلُ الْـكَافِرِ مَثَلُ الأَرْزَةِ الْـمُجْذِيَةِ عَلَى أَصْلِهَا، لاَ يُقِلُّهَا شَيْءٌ حَتَّى يَكُونَ انْجِعَافُهَا مَرَّةً»** رواه أحمد.

الْـخَامَةُ: الْـغَضَّةُ اللَيِّنَةُ مِنَ الزَّرْعِ.

تُفَيِّئُهَا: تُحَرِّكُهَا وتميلها يمينًا وَشِمالًا.

تَصْرَعُهَا: تُميلُها وتَرْمِيها من جانبٍ إِلَى جانبٍ.

تَعْدِلُهَا: تَرْفَعُهَا.

الْـمُجْذِيَة: الثابتَةُ الْـمُنْتَصِبة.

الانْجِعَاف: الانْقِلاع.

ويقال للأَمر صَرْعان أَي طَرَفان ومِصْرَاعَا الباب بَابَانِ منصوبانِ يَنْضَمَّانِ جميعًا، مَدْخَلُهما في الوَسَط من المِصْراعَيْنِ.

وَصَرَعَ البَابَ جَعَلَ له مِصْرَاعَيْنِ، قال أبو إسحق: المِصْراعانِ بَابَا القصيدة بمنزلة المِصْراعَيْنِ اللذين هما بَابَا البيتِ.

قال الأزهري: والمِصْرَاعَانِ من الشِّعْرِ ما كان فيه قافيتان في بيت واحد، ومن الأبواب ما له بابان منصوبان ينضمّان جميعًا مَدْخَلُهما بينهما في وسط الْـمصراعين.

التصريع فى الاصطلاح:

هُوَ أَنْ يَتَّفِقَ آخِرُ جُزْءٍ مِنْ صَدْرِ الْـبَيْتِ مَعَ آخِرِ جُزْءٍ مِنْ عَجُزِهِ فِي الْـوَزْنِ وَالإِعْرَابِ وَالْـقَافِيَةِ.

أو هُوَ اتفَاقُ نِهَايَةِ شَطْرَىِ الْـبَيْتِ الأَوَّلِ فِى حَرْفٍ وَاحِدٍ، وَأَحْسَنُ مَا يَكُونُ فِي أَوَّلِ الْـقَصِيدَةِ.

أو هو كُلُّ بَيْتٍ يَتَسَاوَى الْـجُزْءُ الأَخِيرُ مِنْ صَدْرِهِ وَالْـجُزْءُ الأَخِيرُ مِنْ عَجُزِهِ فِي الْـوَزْنِ.

فالْـمَعْرُوفُ أَنَّ (بَيْتَ الشِّعْرِ) يَتَكَوَّنُ مِنْ شَطْرَيْنِ: الشَّطْرُ الأَوَّلُ اسْمُهُ صَدْرٌ، وَالشَّطْرُ الثانِى اسْمُهُ عَجُزٌ. وَالتَّصْرِيعُ أَنْ يَتَّفِقَ الْـحَرفُ الأَخِيرُ فِى نِهَايَةِ كُلِّ شَطْرٍ مِنَ الشَّطْرَيْنِ.

مثل قول امرئ القيس في مطلع قَصِيدَتِهِ:

قِفَـا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ ومَنْزِلِ ... بِـسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فحَوْمَلِ

ولا يَخْفَى أَنَّ التصريع إنما يكونُ فِي أولِ بيتٍ من القصيدةِ أو عند الخروج.

ومثل قول الشاعر:

اخْـتِلافُ اللـيْلِ وَالـنَّهَارِ يُنْـسِى ... اُذْكُــرَا لِى الــصِّبا وَأَيَّــامَ أُنْــسِى

فنجد أن الكلمتين (يُنْسِى – أُنْسِى) قَدِ اتفَقَتَا فِى الْـحَرْفِ الأَخِيرِ مِنْهُمَا، وهما نهايتا شطرى البيت الأول.

ومثل قول امرئ القيس:

أَلا عِـمْ صَـباحًا أَيُّهَـا الطَّلَلُ البَالِي وَهَلْ يَنْعَمَنْ مَنْ كَانَ فِي العُصُرِ الخَالِي؟

فنجد أن الكلمتين (البالِي - الْـخَالِي) قَدْ اتفَقَتَا فِي الْـحَرْفِ الأَخِيرِ مِنْهُمَا، وهما نهايتا شطرى البيت الأول.

ومثل قول عنترة:

سَـكَتُّ فَغَـرَّ أَعْدَائِـى الـسُّكُوتُ وَظَنُّونِـــى لأَهْـــلِى قَـــدْ نَـــسِيتُ

فنجد أن الكلمتين (السُّكُوتُ - نَسِيتُ) قَدْ اتفَقَتَا فِي الْـحَرْفِ الأَخِيرِ مِنْهُمَا، وهما نهايتا شطرى البيت الأول.

ومثل قول الشاعر:

خَلِـــيلَيّ مُـــرَّا بِي عَـــلَى أُمِّ جُـــنْدَب لأَقْـضِي حَاجَاتِ الْـفُؤَادِ الْـمُعَذَّب

فنجد أن الكلمتين (جندب - الْـمُعَذَّب) قَدْ اتفَقَتَا فِي الْـحَرْفِ الأَخِيرِ مِنْهُمَا، وهما نهايتا شطرى البيت الأول.

ومثل قول امرئ القيس:

أَفَـاطِمَ مَهْـلًا بَعْـضَ هَـذَا الـتَّدَلُّلِ وَإِنْ كُـنْتِ قَدْ أَزْمَعْتِ هَجْرًا فَأَجْمِلِي

فَنَجِدُ أَنَّ الْـكَلِمَتَيْنِ (التَّدَلُّلِ - فَأَجْمِلِي) قَدْ اتفَقَتَا فِي الْـحَرْفِ الأَخِيرِ مِنْهُمَا، وهما نهايتا شطرى البيت الأول.

ومثل قول أبي تمام:

أَلَمْ يَـأْنِ أَنْ تُرْوى الظِّمَاءُ الْـحَوَائِمُ وَأَنْ يَـنْظِمَ الـشَّمْلَ الْـمُـبَدَّدَ نَـاظِمُ

فَنَجِدُ أَنَّ الْـكَلِمَتَيْنِ (الْـحَوَائِمُ - نَاظِمُ) قَدْ اتفَقَتَا فِي الْـحَرْفِ الأَخِيرِ مِنْهُمَا، وهما نهايتا شطرى البيت الأول.

ومثل قول المتنبي:

الـرّأيُ قَـبْلَ شَـجَاعَةِ الـشُّجْعانِ ... هُـوَ أَوَّلٌ وَهَـيَ المَحَـلُّ الـثَّانِي

فَنَجِدُ أَنَّ الْـكَلِمَتَيْنِ (الشُّجْعانِ - الثَّانِي) قَدْ اتفَقَتَا فِى الْـحَرْفِ الأَخِيرِ مِنْهُمَا، وهما نهايتا شطرى البيت الأول.

ومثل قول المتنبي:

قَـدْ عَلَّـمَ الْـبَـيْنُ مِنَّا الْـبَيْنَ أَجْفَانَا ... تَدْمَـى وَأَلَّـفَ فِي ذَا الْـقَلْـبِ أَحْزَانَا

فَنَجِدُ أَنَّ الْـكَلِمَتَيْنِ (أَجْفَانَا - أَحْزَانًا) قَدْ اتفَقَتَا فِى الْـحَرْفِ الأَخِيرِ مِنْهُمَا، وهما نهايتا شطرى البيت الأول.

الفائدةُ البَلاغِيَّةُ للتصريع:

يُعْطِى التَّصْرِيعُ جَرسًا موسيقيا يأخذ بالأسماعِ والأفهام، وَيُسْعِدُ النَّفْسَ مِنْ خِلالِ مُوسِيقَى الصَّوْتِ.

انتبه !

التصريع خَاصٌّ بالشِّعْرِ فَقَط، وَيُشَابِهُهُ فِى النَّثرِ السَّجْعُ.

تدريبات

بيِّن التصريع فيما يلي من شواهد الشعر:

١ - قول الشاعر:

قَـدْ عَلَّـمَ الْـبَـيْنُ مِنَّا الْـبَيْنَ أَجْفَانَا تَدْمَـى وَأَلَّـفَ فِي ذَا الْـقَلْـبِ أَحْزَانًا

٢ - قول الشاعر:

أَلا عِـمْ صَـباحًا أَيُّهَـا الطَّلَلُ البَالِي وَهَلْ يَنْعَمَنْ مَنْ كَانَ فِي العُصُرِ الخَالِي؟

٣ - قول الشاعر:

سَـكَتُّ فَغَـرَّ أَعْدَائِـى الـسُّكُوتُ وَظَنُّونِـــى لأَهْـــلِى قَـــدْ نَــسِيتُ

٤ - قول الشاعر:

خَلِــيلَيّ مُــرَّا بِي عَــلَى أُمِّ جُــنْدَب لأَقْـضِي حَاجَاتِ الْـفُؤَادِ الْـمُعَذَّب

٥ - قول الشاعر:

قِفَـا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبيبٍ ومَنْزِلِ بِـسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فحَوْمَلِ

٦ - قول الشاعر:

اخْـتِلافُ اللـيْلِ وَالـنَّهَارِ يُنْـسِى اُذْكُــرَا لِى الــصِّبا وَأَيَّــامَ أُنْــسِى

٧ - قول الشاعر:

أَفَـاطِمَ مَهْـلًا بَعْـضَ هَـذَا الـتَّدَلُّلِ وَإِنْ كُـنْتِ قَدْ أَزْمَعْتِ هَجْرًا فَأَجْمِلِي

٨ - قول الشاعر:

أَلَمْ يَـأْنِ أَنْ تُرْوى الظِّلَماءُ الْـحَوَائِمُ وَأَنْ يَـنْظِمَ الـشَّمْلَ الْـمُـبَدَّدَ نَـاظِمُ

٩ - قول الشاعر:

الـرَّأْيُ قَـبْلَ شَـجَاعَةِ الـشُّجْعانِ هُــوَ أَوَّلٌ وَهَــيَ المَحَــلُّ الــثَّانِي

الفصل السابع

التقسيم

الفَصْلُ السَّابِعُ

حُسْنُ التَّقْسِيمِ

حسن التقسيم:

هُوَ تَقْسِيمُ الْـبَيْتِ الْـوَاحِدِ إِلَى أَجْزَاء مُتَسَاوِيَةٍ .

مثل قول الشاعر:

مُتَفَـــرِّدٌ بِـــصَبَابَتِي / مُتَفَـــرِّدٌ بِكَآبَاتِـــي / مُتَفَـــرِّدٌ بِعَنَائِـــي

حَيْثُ تَمَّ تَقْسِيمُ الْـبَيْتِ عَلَى ثلاثةِ أَجْزَاء مُسْجَعَةٍ.

وقول أبي الطيب المتنبي:

فَـنَحْنُ فِي جَـذَلٍ / وَالرُّومُ فِي وَجَلٍ وَالـبَرُّ فِي شُغُلٍ / وَالْـبَحْرُ فِي خَجَلِ

حَيْثُ تَمَّ تَقْسِيمُ الْـبَيْتِ عَلَى أَرْبَعَةِ أَجْزَاء مُسْجَعَةٍ.

والْـمَعْنى: يقول الشاعر نَحْنُ في فَرَحٍ وَسُرُورٍ، والرومُ فِي خَوفٍ بسَبَبِ غَارَاتِهِمْ وَغَزَوَاتِهِمْ لَنَا، وَالْـبَرُّ مُشْتَغِلٌ بِجَيْشِهِمْ وَخَيْلِهِمْ، وَالْـبَحْرُ فِي خَجَلٍ مِنْ كَثْرَةِ عَطَائِهِ.

وقول الشاعر:

وَأَكْـرَمُهُمْ كَلْـبٌ / وَأَبْصَرُهُمْ عَمٍ وَأَسْـهَدُهُمْ فَهْـدٌ / وأَشْجَعُهُم قِرْدُ

أي أكرمهم في خِسَّةِ الكلبِ، وأبصرهم أي أعلمهم من البصيرى أَعْمَى القلب، وأكثرهم سهادًا ينام نوم الفهد، وبه يضرب المثل في كثرة النوم، ويضرب الْـمَثل بالقرد في الجبن، ويقال: إنَّ القرد لا ينام إلا وفي كفه حجر لشدة الجبن،

ولا تنام القرود بالليل حتى يجتمع منها الكثير.

حَيْثُ تَمَّ تَقْسِيمُ الْـبَيْتِ عَلَى أَرْبَعَةِ أَجْزَاء مُسْجَعَةٍ .

وَحَكَى أبو القاسم الآمدي في كتاب الموازنة بين شعري الطائيين قال: سَمِعَ بعض الشيوخ من نقدة الشعر قول العباس بن الأحنف:

وِصَـالُكُمْ هَجْـرُ / وَحَـبُّكُمْ قِـلًى وَعْطْفُكُـمْ صَـدٌّ / وَسِلْمُكُمْ حَرْبُ

حَيْثُ تَمَّ تَقْسِيمُ الْـبَيْتِ عَلَى أَرْبَعَةِ أَجْزَاء مُسْجَعَةٍ . فقالَ والله هذا أحسن من تقسيمات إقليدس. ومثل قول الشاعر:

الدَّهْـرُ مُعـتَذِرٌ / وَالـسَّيْفُ مُنْتَظِرٌ وَأرْضُـهُمْ لَـكَ / مُصْطافٌ وَمُرْتَبَعُ

حَيْثُ تَمَّ تَقْسِيمُ الْـبَيْتِ عَلَى أَرْبَعَةِ أَجْزَاء مُسْجَعَةٍ .

الْـمُصْطَافُ: موضع الإقامة في الصَّيْفِ.

والْـمُرْتَبَعُ: فِي الرَّبيعِ.

يقول: هذه الْـهَزِيمَةُ كانت زَلَّةً من الدَّهْرِ، فهو يَعْتَذِرُ مِنْهَا إِلَيْك، وَسَيْفُكَ يَنْتَظِرُ أَنْ تُعَاوِدَ غَزْوَهُمْ، ليتلافى ما فرط، وَأَرْضُهُمْ لَكَ تَنْزِلُهَا أَيَّامَ الصَّيْفِ وَالرَّبيعِ، وَلا يَقْدِرُونَ عَلَى رَدِّكَ عَنْهُمْ.

وقول الشاعر:

قَلِـيلٌ عَائِـدِي / سَـقِيمٌ فُـؤَادي كَثِـيرٌ حَاسِـدِي / صَـعْبٌ مَرَامِـي

حَيْثُ تَمَّ تَقْسِيمُ الْـبَيْتِ عَلَى أَرْبَعَةِ أَجْزَاء مُسْجَعَةٍ.

وقول الشاعر:

مَحَلُّـكَ مَقْـصُودُ / وَشَانِيكَ مُفْحَمُ وَمِـثْلُكَ مَفْقُـودُ / وَنَـيْلُك خِـضْرِمُ

شَانِيكَ: أَصْلُهَا: شَانِئُكَ، أَسْقَطَ الْـهَمْزَةَ، والْـمعْنى: مَنْ يَكْرَهُكَ وَيَتَجَنَّبُكَ.

الْـمُفْحَمُ: السَّاكِتُ الّذِي لا يَقْدِرُ عَلَى النُّطْقِ.

الْـخِضْرِمُ: الكثير.

يَقُولُ عَدُوُّكَ لا يَنْطِقُ فِيكَ بالْـعَيْبِ؛ لأَنَّهُ لا يَجِدُ لَكَ عَيْبًا يَعِيبُكَ بِهِ.

وَعَدُوُّكَ مُفْحَمٌ لا يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُوَجِّهَ لَكَ الْـعَيْبَ، وَنَظِيرُكَ مَفْقُودٌ، وَعَطَاؤُكَ كَثِيرٌ لا يَكَادُ يُحْصَى.

وقول الشاعر:

الْـوَصْـلُ صَافِيةٌ / وَالْـعَيْشُ نَاغِيَةٌ وَالـسَّعْدُ حَاشِـيَةٌ / وَالدَّهْـرُ مَاشِينَا

حَيْثُ تَمَّ تَقْسِيمُ الْـبَيْتِ عَلَى أَرْبَعَةِ أَجْزَاء مُسْجَعَةٍ .

الْفَائِدَةُ الْبَلاغِيَّةُ لِحُسْنِ التَّقْسِيمِ:

يُعْطِي حُسْنُ التَّقْسِيمِ جَرْسًا مُوسِيقِيًّا يَأْخُذُ بالأَسْمَاعِ وَالأَفْهَامِ.

انتبه ! حُسْنُ التَّقْسِيمِ خَاصٌّ بالشِّعْرِ فَقَط.

تدريبات

عَيِّنْ حُسْنَ التَّقْسِيمِ فِيمَا يَلِي:

١ - قول الشاعر:

الْـوَصْـلُ صَـافِيَةٌ وَالْـعَـيْشُ نَاغِيَةٌ   وَالـسَّعْدُ حَاشِـيَةٌ وَالدَّهْـرُ مَاشِـينَا

٢ - وقول الشاعر:

فَـنَحْنُ فِي جَـذَلٍ وَالـرُّومُ فِي وَجَلٍ   وَالـبَرُّ فِي شُـغُلٍ وَالْـبَحْـرُ فِي خَجَلِ

٣ - قول الشاعر:

قَلِـيلٌ عَائِـدِي سَـقِيمٌ فُـؤَادِي   كَثِـيرٌ حَاسِـدِي صَـعْبٌ مَرَامِـي

٤ - قول الشاعر:

وِصَـالُكُمْ هَجْـرُ وَحَـبُّكُمْ قِـلًى   وَعْطْفُكُـمْ صَـدٌّ وَسِـلْمُكُمْ حَـرْبُ

٥ - مثل قول الشاعر:

الدَّهْرُ مُعتَذِرٌ وَالسَّيْفُ مُنْتَظِرٌ   وَأَرْضُهُمْ لَكَ مُصْطافٌ وَمُرْتَبَعُ

٦ - قول الشاعر:

مُتَفَـــرِّدٌ بِـــصَبَابَتِي مُتَفَـــرِّدٌ   بِكَآبَاتِـــي مُتَفَـــرِّدٌ بِعَنَائِـــي

٧ - قول الشاعر:

وَأَكْـرَمُهُمْ كَلْـبٌ وَأَبْـصَرُهُمْ عَـمٍ   وَأَسْـهَدُهُمْ فَهْـدٌ وأَشْـجَعُهُمْ قِـرْدُ

الفصل الثامن

الالتفات

الْفَصْلُ الثامِنُ

الالْـتِفَاتُ

تعريف الالْتِفَاتُ:

هُوَ الانْتِقَالُ بالْكَلامِ بَيْنَ الْـمُتَكَلِّمِ وَالْـمُخَاطَبِ وَالْـغَائِبِ. أَوْ بَيْنَ اثنَيْنِ مِنْهُمَا، مثل قول الله عز وجل: ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ ﴾ [الكوثر: ١، ٢].

كَانَ الْـمُتَوَقَّعُ أَنْ يُقَالَ: (فَصَلِّ لَنَا) لَكِنَّهُ الْـتَفَتَ مِنَ الْـمُتَكَلِّمِ إِلَى الْـغَائِبِ.

صُورُ الالتِفَات:

يأتي الالتفات في سِتِّ صُوَرٍ:

١ - الانتقال من التكلّم إلى الخطاب.

٢ - الانتقال من التكلُّم إلى الغيبة.

٣ - الانتقال من الخطاب إلى التكلّم.

٤ - الانتقال من الخطاب إلى الْـغَيْبة.

٥ - الانتقال من الْـغَيْبة إلى التكلّم.

٦ - الانتقال من الْـغَيْبة إلى الخطاب.

ومثل قوله تعالى: ﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥٣ ﴾ [الزمر: ٥٣].

فَقَدِ الْتَفَتَ مِنَ الْـمُتَكَلِّمِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ يَٰعِبَادِىَ ﴾ إِلَى الْـغَيْبَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ﴾.

وَكَانَ الْـمُتَوَقَّعُ أَنْ يُقَالَ: (مِنْ رَحْمَتِي)، وَكَانَ الْـمُتَوَقَّعُ أَيْضًا أَنْ يُقَالَ: (إِنِّي أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنِّي أَنَا الْـغُفُورُ الرَّحِيمُ).

ومثل الالتفات من الخطاب إلى الغيبة قول الله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِى ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٌ ﴾ [يونس: ٢٢].

فَقَدِ الْـتَفَتَ مِنَ الخِطَابِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ كُنتُمۡ ﴾ إِلَى الْـغَيْبَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿ بِهِم ﴾ وَكَانَ الْـمُتَوَقَّعُ أَنْ يُقَالَ: (وَجَرَيْنَ بِكُمْ).

وَكَانَ الْـمُتَوَقَّعُ أَيْضًا أَنْ يُقَالَ: (حتى إذا كنتم فى الفلك، وجَرَيْنَ بكم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ، وَفَرِحْتُمْ بهَا).

ومثل قوله تعالى: ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلًا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِى بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ۝١ ﴾ [الإسراء: ١].

فَقَدِ الْـتَفَتَ مِنَ الْـغَائِبِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ ﴾ إِلَى الْـمُتَكَلِّمِ فِي قَوْلِهِ: ﴿ لِنُرِيَهُۥ ﴾ وَكَانَ الْـمُتَوَقَّعُ أَنْ يُقَالَ: (لِيُرِيَهُ مِنْ آيَاتِهِ).

ومثل قوله تعالى: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ ﴾ [عبس:١، ٢]، ولا شك أن النبي هو المقصود، ثم حَوَّلَ الله الخطاب إليه قائلًا: ﴿ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤ ﴾ [عبس: ٣، ٤].

فالالتفات من الأساليب البلاغيَّةِ ذَاتِ اللَّطَائف النفيسة، وقد تكرّر في القرآن المجيد استخدامه، وهو فنٌّ بديعٌ من فنون القول يُشْبِهُهُ تحريكُ آلات التصوير السينمائي بنقلها من مشهدٍ إلى مشهدٍ آخر في المختلفات والمتباعدات الّتي يُرادُ عَرْضُ صُوَرٍ مِنْها، ومفاجأة الْـمُشَاهِدِ بلَقَطاتٍ مِنْها متباعدات، ولكنَّها تدخُلُ في الإِطارِ الْـكُلّي الذي يُراد عرض طائفةٍ من مشاهده تدلُّ على ما يُقْصد الإِعلام به.

ويَهْدِي الذوقُ الأدبيُّ السليم إلى استخدام الالتفات استخدامًا بارعًا يُحقِّق به البليغ فوائد في نفس المتَلَقِّي أو فكره، مع ما يُحقِّق به من الاقتصاد والإيجاز في العبارة.

ومثل قول الله: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا وَإِن يَأۡتِهِمۡ عَرَضٞ مِّثۡلُهُۥ يَأۡخُذُوهُۚ أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِۗ وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٦٩ ﴾ [الأعراف: ١٦٩].

فالالتفاتُ في: ﴿ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ خطابًا لبني إسرائيل المعاصرين لنزول النصّ فمن بعدهم، وفيه فائدتان:

الأولى: التنويع في العبارة المثيرة لانْتِباه المتلَقِّي، والباعثة لنشاطه في استقبال ما يُوَجَّه له، والإِصْغَاءِ إِلَيْه.

الثانية: الاقتصاد والإيجاز في التعبير، فبدل أن يقول النصُّ لمعاصري التنزيل الكافرين من بني إسرائيل فمن بَعْدَهم: وأنتم يا بني إسرائيل ما زِلْتُم على طريقة أَسْلاَفِكُمْ، أَفَلاَ تَعْقِلُونَ؟. اقْتَصَرَ النّصُّ على: ﴿ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ مُسْتَغْنِيًا بأُسْلُوبِ الالْـتفاتِ، للدلالة على ما يُمْكِن فَهْمُه ذِهْنًا، إذْ اعتَبَرَهُمُ النَّصُّ داخِلِين في عُمُوم خطاب الغائبين السّالِفين، إذْ هم موافقون على ما كانوا يفعلون، أو يفعلون مثلهم.

ومثل قول الله: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ٩ ﴾ [فاطر: ٩].

فَقَدِ الْـتَفَتَ مِنَ الْـغَائِبِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا ﴾ إِلَى الْـمُتَكَلِّمِ فِي قَوْلِهِ: ﴿ فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا ﴾ وَكَانَ الْـمُتَوَقَّعُ أَنْ يُقَالَ: (فَسَاقَهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا).

وفائِدة هذا الالتفاتِ إيقاظُ الأذهانِ للتفكُّر في مِنَّةِ اللَّـهِ عَلَى عِبَادِه الذي يُقَدِّر أَسْباب رِزْقِهِم ويَسُوقُها لهم، وللتفكُّرِ في مظهر من مظاهر قُدْرَتِهِ الَّتِي يُحْيِي بها الأرْضَ الْـمَيْتَة، الذي يُشْبِهُهُ إحياءُ الموتَى يومَ القيامة، إذ جاء فيه تحدُّثُ الرَّبّ الجليل عن نفسه بضمير المتكلِّم العظيم: (فَسُقْنَاهُ - فَأَحْيَيْنَا بِهِ).

ومثل قول الله عز وجل: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ۝ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝ ﴾ [فصلت: ١١، ١٢].

فَقَدِ الْـتَفَتَ مِنَ الْـغَائِبِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا ﴾ إِلَى الْـمُتَكَلِّمِ فِي قَوْلِهِ: ﴿ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ ﴾ وَكَانَ الْـمُتَوَقَّعُ أَنْ يُقَالَ: (وَزَيَّنَ السَّمَاءَ الدُّنْيَا).

ومثل قول الله: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۝ ﴾ [الفتح: ١ - ٣].

فَقَدِ الْـتَفَتَ مِنَ الْـمتكلم فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝ ﴾ إِلَى الْـغائب فِي قَوْلِهِ: ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ ﴾ ، ﴿ وَيَهْدِيَكَ ﴾، ﴿ وَيَنصُرَكَ ﴾ ، وَكَانَ الْـمُتَوَقَّعُ أَنْ يُقَالَ: (لِنَغْفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ - وَنُتِمَّ نِعْمَتَنَا - وَنَهْدِيَكَ).

إلاَّ أنَّ الكلامَ جَاءَ عَلَى خِلافِ ذلك، فَحَصَلَ الالتِفَاتُ من التكلُّمِ إلى الغيبةِ، فقالَ تعالى: ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ ﴾ إذِ الاسمُ الظاهرُ بقوَّةِ ضمير الغائب.

ومثل قول الله عز وجل: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝ ﴾ [الدخان: ٣- ٦].

فَقَدِ التَفَتَ مِنَ الْـمتكلم فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ ﴾، ﴿ إِنَّا كُنَّا ﴾، ﴿ عِندِنَآ ﴾ إِلَى الْـغائبِ فِي قَوْلِهِ: ﴿ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾ ، ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ﴾ ، وَكَانَ الْـمُتوَقَّعُ أَنْ يُقَالَ: (رَحْمَةً مِنَّا).

ومثل قول الله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴾ [الروم: ٣٩]،

فَقَدِ الْـتَفَتَ مِنَ الْمخاطب فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ ءَاتَيْتُم ﴾ ، ﴿ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ﴾ إِلَى الْـغائبِ فِي قَوْلِهِ: ﴿ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴾ ، وَكَانَ الْـمُتَوَقَّعُ أَنْ يُقَالَ: (فَأُوْلَئِكَ الْـمُضْعِفُونَ).

والغرض البلاغيّ الخاصّ في النَّصّ التنبيه باسم الإشارة الذي هو في قُوّةِ ضَمِيرِ الغائب على ارتفاع منزلتهم عند الله، إذْ أُشِيرَ إليهم باسم الإشارة الخاصّ بالمشار إليه البعيد.

ومثل قول البارودي:

أَنَا الْـمَرْءُ لا يُثنِيهِ عَنْ طَلَبِ الْـعُلا نَعِـيمٌ وَلا تَعْـدُو عَلَـيْهِ الْـمَفَاقِـرُ

فَقَدِ الْـتَفَتَ مِنَ الْـمُتكَلِّمِ فِي قَوْلِهِ: (أَنَا الْـمَرْءُ) إِلَى الْـغائبِ فِي قَوْلِهِ: (لا يُثنِيهِ – وَلا تَعْدُو عَلَيْهِ)، وَكَانَ الْـمُتَوَقَّعُ أَنْ يُقَالَ: (لا يُثنِينِي – وَلا تَعْدُو عَلَيَّ).

الْفَائِدَةُ الْبَلاغِيَّةُ للالْتِفَاتِ:

الالْـتِفَاتُ لَهُ فَوَائِدُ، منها:

١ – إِثارَةُ الذِّهْنِ.

٢ – جَذْبُ الانْتِبَاهِ.

٣ – تَنْشِيطُ السَّامِعِ وَدَفْعُ الْـمَلَلِ.

بِالإِضَافَةِ إِلَى صِيَانَةِ السَّمْعِ عَنِ الضِّيقِ وَالْـمَلَلِ لِمَا تَعَوَّدَتْ عَلَيْهِ النُّفُوسُ مِنْ حُبِّ التَّنَقُّلِ، كَذَلِكَ عَدَمُ الاسْتِمْرَارِ عَلَى أُسْلُوبٍ وَاحِدٍ.

وهذه فائدتُهُ العَامَّةُ، وَيَخْتَصُّ كُلُّ مَوْضِعٍ مِنْ مَوَاضِعِ الالْـتِفَاتِ بِنُكَتٍ وَلَطَائِفٍ بِاخْتِلافِ مَكَانِهِ.

انْتَبِهْ !

١ - يأتي الالتفات شعرًا ونثرًا.

٢ - يُقَرِّبُ من الالتفات التنقُّل بين الماضي والمضارع والأمر، وهو من الخروج عن مقتضى الظاهر، ويُلْحَقُ به التنقُّل بين الفعل واسم الفاعل واسم المفعول.

مثل: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ [الأنعام: ٩٥] ، فهنا التفات بين (يخرج) و(مخرج).

تدريبات

بَيِّنِ الالْـتِفَاتِ فِيمَا يَلِي:

١ - قول الله: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَـٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَـٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾ ﴾ [فاطر: ٩].

٢ - قول الله عز وجل: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَـٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَـٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ ﴾ [فصلت: ١١، ١٢].

٣ - قول الله: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ ﴾ [الفتح: ١ - ٣].

٤ - قوله تعالى: ﴿ ۞ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الزمر: ٥٣].

٥ - قول الله عز وجل: ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ ﴾ [الكوثر: ١، ٢].

٦ - قول البارودي:

أَنَا الْـمَرْءُ لا يُثْنِيهِ عَنْ طَلَبِ الْـعُلا ... نَعِـيمٌ وَلا تَعْـدُو عَلَـيْهِ الْـمَفَاقِـرُ

٧ - قول الله: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ [الأنعام: ٩٥].

٨ - قوله تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١ ﴾ [الإسراء: ١].

٩ - قول الله عز وجل: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝١٦٩ ﴾ [الأعراف: ١٦٩].

١٠ - قول الله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ ﴾ [يونس: ٢٢].

١١ - قول الله عز وجل: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝٥ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٦ ﴾ [الدخان: ٣- ٦]

١٢ - قول الله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴾ [الروم: ٣٩].

الفصل التاسع

المدح بما يشبه الذم وعكسه

الْفَصْلُ التاسِعُ

المدح بما يُشْبِهُ الذَّمّ وَعَكَسُهُ

تعريف الْمَدْحُ بمَا يُشْبُهُ الذَّمَّ:

هُوَ أَنْ تَمْدحَ شَيئًا بِمَدْحٍ، ثمَّ تَأْتِي بَعْدَ هَذَا الْـمَدْحِ بَأَدَاةِ اسْتِثْنَاءٍ، وَيَلِي هَذه الأَدَاةَ مَدْحٌ آخَرُ. مثل: هَذَا أُسْتَاذٌ فَاضِلٌ إلا أَنَّه صَبُورٌ.

فَنَجِدُ أَنَّ الْـمِثَالَ قَدْ وَصَفَ الأُسْتَاذَ بِالْـفَضْلِ، وَهَذِهِ صِفَةُ مَدْحٍ. ثمَّ جَاءَتْ بَعْدَهَا أَدَاةُ اسْتِثْنَاءٍ (إلا)، فَظَنَّ السَّامِعُ أَنَّ هُنَاكَ عَيْبًا سَيَأْتِي بَعْدَ أَدَاةِ الاسْتِثْنَاءِ فِي الْـمَمْدُوحِ (الأستاذ). لَكِنَّ السَّامِعَ وَجَدَ مَدْحًا آخر، وَهُوَ أَنَّهُ صَبُورٌ.

ومثل قول الشاعر:

فَتًى كَمُلَتْ أَخْلاقُهُ غَيْرَ أَنَّهُ ... جَوَّادٌ فَمَا يُبْقِي مِنَ الْـمَالِ بَاقِيًا

فَنَجِدُ أَنَّ الْـبَيْتَ قَدْ وَصَفَ الفَتَى بِكَمَالِ الأَخْلاقِ، وَهَذِهِ صِفَةُ مَدْحٍ. ثمَّ جَاءَتْ بَعْدَهَا أَدَاةُ اسْتِثْنَاءٍ (إلا)، فَظَنَّ السَّامِعُ أَنَّ هُنَاكَ عَيْبًا سَيَأْتِي بَعْدَ أَدَاةِ الاسْتِثْنَاءِ فِي الْـمَمْدُوحِ (الْـفَتَى). لَكِنَّ السَّامِعَ وَجَدَ مَدْحًا آخر، وَهُوَ أَنَّهُ كَرِيمٌ يُنْفِقُ فَلا يُبْقِي شَيْئًا.

وقول الشاعر:

وَلاعَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ ... بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ

فَنَجِدُ أَنَّ الشَّاعِرَ قَدْ نَفَى الْـعَيْبَ عَنِ الأَبْطَال. ثمَّ جَاءَتْ بَعْدَهَا أَدَاةُ اسْتِثْنَاءٍ (إلا)، فَظَنَّ السَّامِعُ أَنَّ هُنَاكَ عَيْبًا سَيَأْتِي بَعْدَ أَدَاةِ الاسْتِثْنَاءِ فِي الْـمَمْدُوحِينَ. لَكِنَّ

السَّامِعَ وَجَدَ مَدْحًا آخَر، وَهُوَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ بها كُسُورٌ بِسَبَبِ كَثْرَةِ ضَرْبِ الأَعْدَاءِ.

ومثل قول الله: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ۝ ﴾ [المائدة: ٥٩].

(قُلْ) هي خطاب لرسول الله ﷺ، وحين يخاطب الله الرسول، فالْـخِطَابُ أيضًا لأمته ﷺ.

وَنَقَمَ يَنْقِمُ، أي: كَرِهَ مِنِّي أنْ أفعل هذا، فلماذا تكرهون إيمانَنَا يا أهل الكتاب؟ هل الإيمان مِمَّا يُكْرَهُ؟ وجاء الحق هنا بسؤالٍ لا يقدرون على الإجابة عنه، فنحن آمنا بالله وبرسله وما أنزله علينا وما أنزل من قبل، فما الذي يُكْرَهُ في هذا؟!

وأَبْلَغَ الرسولُ ﷺ اليهودَ أَنَّنَا نؤمن بالله وبالرسل، ومنهم سيدنا عيسى ابن مريم عليه السلام، فَغَضِبُوا منه كثيرًا. فكيف يَكْرَهُ أهل الكتاب إيمانَ الْـمُسلمين بالله؟

مثال ذلك عندما يدعوك إنسان إلى تصرف غير مستقيم أو إلى الذَّهَابِ إِلَى مكانٍ مَشْبُوهٍ، فترفضُ ذلك يكرهك هذا الإنسان، فتقول له: أَتكْرَهَ فِي سُلوكِي أن أكون مستقيمًا؟! ونعلم أن الإنسان الأمين هو ثروة لِمَنْ يعرفه والذي يستحق النقمة والكراهية هو الفعل الضار، أما الإيمانُ بالله فهو أمر محبوبٌ لأَنَّهُ يُعَلِّمُ الإنسانَ الأَدَبَ مع كل خلق الله، وَيُعَلِّمُ الإنسانَ الْـحِفَاظَ عَلَى أعراضِ الناسِ، وَيُعَلِّمُ الإنسانَ ألاَّ يَعْتَدِي على أموال الناسِ وَدِمَائِهِمْ وَلا يغتاب الناس، ولا يَرْتَشِي، وأن يُخْلِصَ في العمل، وألا يكذبَ فِي ميعاد، فأي شيءٍ في هذا يستحق الكراهية؟

إذن، فمنْ يَكْرَهُ إنسانًا لأي سَبَبٍ من هذا فهو كُرْهٌ بلا مَنْطِقٍ، وَكَانَ من الواجبِ أن يكونَ سببُ الْـكُرْهِ سببًا للمحبة. وقد يأتي من يقول لك: لَيْسَ في فلانٍ مِنْ عُيُوبٍ إلا كذا.

وَقَدْ يُورِدُ سَبَبًا مَعْقُولًا، ولكن لا يقول أَحَدٌ أَبَدًا: لا عَيْبَ فِي فُلان إلا أَنَّهُ شُجَاعٌ؛ لأنَّ الشَّجَاعَةَ لا يمكن أن تكون عيبًا، كأن القائل قد أعمل ذهنه حتى يكتشف عيبًا، لَمْ يَجِدْ إلا صفة رائعة، وقال عنها: إن كنت تعتبر هذه الصفة عيبًا فهذا هو عيبه. ويُسَمّونَ ذلك من أساليب الأداء الأدبي عند العرب، وهو تأكيد المدح بما يشبه الذم، فيقول قائل: لا عَيْبَ فِي فُلانٍ إلا كَذَا.

وعندما يَسْمَعُ السامعُ هذا يظنُّ أن العيبَ الذي سيورده هو صفة قبيحة فيفاجأ بأنها صفة جميلة. وبذلك يؤكد القائل المدح بما يشبه الذم.

فقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾.

أنتم تقولون: إنكم أهلُ كتابٍ، وعندكم التوراة، وكان يجب أن تَعْلَمُوا كيف يُهَذِّبُ الإيمانُ النفوسَ، وَيَدْفَعُ عنها الشَّرُّ؛ لأَنَّكمْ سابقون في الإيمان، فقد آمنتم بالله وبالرسل السابقين على موسى وآمنتم بموسى، والمسلمون آمنوا بالله وآمنوا بما أنزل إليهم وآمنوا بالرسل ومنهم موسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم وسلم فكيف يُكره ذلك؟

وإن كان هذا مما يُكره فعلينا كمؤمنين أن نسألكم: لِمَاذَا تنكرون علينا ذلك؟ لا شَكَّ أَنَّكُمْ تُنْكِرونَ علينا إيماننا بالله؛ لأنها قَضِيَّةٌ غَيْرُ وَاضِحَةٍ في أذهانكم.

كما في قول الله: ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ [الشورى: ٢٣].

ألا تَرَى أَنَّه نَفَى أن يَسْأَلَهُمْ أَجْرًا على الإطلاق في قوله: ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾.

قول الشاعر:

مَـا نَقَمُـوا مِـنْ بَنِـي أُمَـيَّةَ إِلا   أَنَّهُـمْ يَحْلُمُـونَ إِنْ غَـضِبُوا

فَنَجِدُ أَنَّ الشَّاعر قَدْ ذَكَرَ أَنَّ سَبَبَ الانْتِقَامِ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ، ذَلِكَ أَنَّهُمْ يَكْتُمُونَ غَيْظَهُمْ، فَلا يَغْضَبُونَ، فَهُمْ حُلَمَاءُ. وَهَذِهِ صِفَةُ مَدْحٍ تُشْبِهُ الذَّمَّ.

وقول الله: ﴿ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ ﴾ [مريم: ٦٢].

اللغو: هو الكلام الفُضولي الذي لا فائدة منه، فهو يضيع الوقت ويُهْدِر طاقة المتكلم وطاقة المستمع، وبعد ذلك لا طائلَ من ورائه ولا معنى له.

والكلام هنا عن الآخرة ﴿ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ﴾ فإن كانوا قد سمعوا لَغْوًا كثيرًا في الدنيا فلا مجالَ للغو في الآخرة. ثم يستثني من عدم السماع (إلاَّ سَلاَمًا) والسلامُ ليسَ منَ اللغْوِ، وهو تَحِيَّةُ أهلِ الجنةِ، وَتَحِيَّةُ الملائكةِ.

فإنْ قُلْتَ: فَكَيْفَ يستثنى السلام من اللَّغْو؟

نقول: من أساليبِ اللغة: تأكيدُ الْـمَدْحِ بما يُشْبِهُ الذَّمَّ، كأنْ نقول: (لا عَيْبَ فِي يُوسُفَ إلا أَنَّهُ شُجَاعٌ)، وكنتَ تَنْتَظِرُ أَنْ نستثنيَ منَ الْـعَيْبِ عَيْبًا، لكن المعنى هنا: إنْ عَدَدْتَ الشجاعة عيبًا، ففي هذا الشخص عَيْب، فقد نَظَرْنَا في هذا الشخص، فَلَمْ نَجِدْ به عَيْبًا، إلا إذا عَدَدْنَا الشجاعة عيبًا. وهكذا نؤكد مدحه بما يشبه الذم.

وقوله: ﴿ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [التوبة: ٧٤].

فهو من تأكيد المدح بما يشبه الذم. وقد كان هؤلاء المنافقون في ضيق من العيش، فلما قدم النبي ﷺ المدينة اتسعت معيشتهم، وكثرت أموالهم.

ومثل قول الله عز وجل: ﴿ وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ [البروج: ٨].

فَنَجِدُ أَنَّ الله - سبحانه وتعالى - قَدْ ذَكَرَ أَنَّ سَبَبَ الانْتِقَامِ مِنْ هَؤُلاءِ الْـمُؤْمِنِينَ، ذَلِكَ أَنَّهُمْ آمنوا بالله. وَهَذِهِ صِفَةُ مَدْحٍ تُشْبِهُ الذَّمَّ.

الذَّمُّ بمَا يُشْبِهُ الْمَدْحَ:

هُوَ أَنْ تَذُمَّ شَيئًا، ثمَّ تَأْتِي بَعْدَ هَذَا الذَّمِّ بأَدَاةِ اسْتِثنَاءٍ، وَيَلِي هذه الأَدَاةَ ذَمٌّ آخَرُ.

مثل: هَذَا الرَّجُلُ بَخِيلٌ إلا أَنَّهُ جَبَانٌ.

فَنَجِدُ أَنَّ الْـمِثَالَ قَدْ وَصَفَ الرَّجُلَ بِالْـبُخْلِ، وَهَذِهِ صِفَةُ ذَمٍّ. ثمَّ جَاءَتْ بَعْدَهَا أَدَاةُ اسْتِثنَاءٍ (إلا)، فَظَنَّ السَّامِعُ أَنَّ هُنَاكَ مَدْحًا سَيَأْتِي بَعْدَ أَدَاةِ الاسْتِثنَاءِ فِي الْـمَذْمُومِ (الرَّجُل). لَكِنَّ السَّامِعَ وَجَدَ ذَمًّا آخر، وَهُوَ أَنَّهُ جَبَانٌ.

ومثل: لا جَمَالَ فِي الْـمَنْزِلِ إلا أَنَّهُ مُظْلِمٌ.

فَنَجِدُ أَنَّ الْـمِثَالَ قَدْ نَفَى الْـجَمَالَ عَنِ الْـمَنْزِلِ، وَهَذِهِ صِفَةُ ذَمٍّ. ثمَّ جَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ أَدَاةُ اسْتِثنَاءٍ (إلا)، فَظَنَّ السَّامِعُ أَنَّ هُنَاكَ مَدْحًا سَيَأْتِي بَعْدَ أَدَاةِ الاسْتِثنَاءِ فِي الْـمَذْمُومِ (الْـمَنْزِلِ). لَكِنَّ السَّامِعَ وَجَدَ ذَمًّا آخر، وَهُوَ أَنَّهُ مُظْلِمٌ.

ومثل: لا خَيْرَ فِي شَارُونَ إلا أَنَّهُ مُجْرِمٌ.

فَنَجِدُ أَنَّ الْـمِثَالَ قَدْ نَفَى الْـخَيْرَ عَنِ شَارُونَ، وَهَذِهِ صِفَةُ ذَمٍّ. ثمَّ جَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ أَدَاةُ اسْتِثنَاءٍ (إلا)، فَظَنَّ السَّامِعُ أَنَّ هُنَاكَ مَدْحًا سَيَأْتِي بَعْدَ أَدَاةِ الاسْتِثنَاءِ فِي الْـمَذْمُومِ (شَارُون). لَكِنَّ السَّامِعَ وَجَدَ ذَمًّا آخر، وَهُوَ أَنَّهُ مُجْرِمٌ.

ومثل: هَذَا رَجُلٌ ظَالِمٌ غَيْرَ أَنَّهُ لا يَأْكُلُ الرِّبَا.

فَنَجِدُ أَنَّ الْـمِثَالَ قَدْ ذَمَّ الرَّجُلَ بأَنَّهُ ظَالِمٌ، وَهَذِهِ صِفَةُ ذَمٍّ. ثمَّ جَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ أَدَاةُ اسْتِثنَاءٍ (إلا)، فَظَنَّ السَّامِعُ أَنَّ هُنَاكَ مَدْحًا سَيَأْتِي بَعْدَ أَدَاةِ الاسْتِثنَاءِ فِي الْـمَذْمُومِ (رَجُل). لَكِنَّ السَّامِعَ وَجَدَ ذَمًّا آخر، وَهُوَ أَنَّهُ يَأْكُلُ الرِّبَا.

وَمِثل: لا جَمَالَ فِي الْـخُطْبَةِ إلا أَنَّهَا غَيْرُ مُفِيدة.

فَنَجِدُ أَنَّ الْـمِثَالَ قَدْ نَفَى الْـجَمَالَ عَنِ الْـخُطْبَةِ، وَهَذِهِ صِفَةُ ذَمٍّ. ثمَّ جَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ أَدَاةُ اسْتِثنَاءٍ (إلا)، فَظَنَّ السَّامِعُ أَنَّ هُنَاكَ مَدْحًا سَيَأْتِي بَعْدَ أَدَاةِ الاسْتِثنَاءِ فِي

الْـمَذْمُومِ (الْـخُطَبة). لَكِنَّ السَّامِعَ وَجَدَ ذَمًّا آخر، وَهُوَ أَنَّهُ غَيْرُ مُفِيدة .

ومثل: الْـقَوْمُ شِحَاحٌ إلا أَنَّهُمْ جُبَنَاءُ.

فَنَجِدُ أَنَّ الْـمِثَالَ قَدْ ذَمَّ الْـقَوْمَ بأَنَّهُمْ شِحَاحٌ بُخَلاءُ، وَهَذِهِ صِفَةُ ذَمٍّ. ثمَّ جَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ أَدَاةُ اسْتِثْنَاءٍ (إلا)، فَظَنَّ السَّامِعُ أَنَّ هُنَاكَ مَدْحًا سَيَأْتِي بَعْدَ أَدَاةِ الاسْتِثْنَاءِ فِي الْـمَذْمُومِ (القوم). لَكِنَّ السَّامِعَ وَجَدَ ذَمًّا آخر، وَهُوَ أَنَّهُمْ جُبَنَاءُ.

انتبه !

الْـمَدْحُ بِمَا يُشْبِهُ الذَّمَّ، وَالذَّمُّ بِمَا يُشْبِهُ الْـمَدْحَ مِنَ الأَسَالِيبِ الَّتِي تَأْتِي شِعْرًا وَنَثْرًا.

الفَائِدَةُ البَلاغِيَّةُ لِلْمَدْحِ بِمَا يُشْبِهُ الذَّمُّ وَعَكْسُهُ:

تَنْبِيهُ الْـمُخَاطَبِ، وَإِيقَاظُ الذِّهْنِ، وَإِعْمَالُ الْـعَقْلِ لإِرْسَالِ الْـمَعْنَى بطَرِيقَةٍ جَذَّابَةٍ، تُدْخِلُ السُّرُورَ فِي النَّفْسِ، وَتَدْفَعُ الْـمَلَلَ.

تدريبات

عين المدح بما يشبه الذم وعكسه فيما يلي:

١ - قول الشاعر:

وجـــوهٌ كأَكْـــبادِ المُحِبِّـــينَ رقَّـــةً ولكـــنَّها يـــومَ الهـــيَاجِ صُـــخُورُ

٢ - قول الشاعر:

ولا عَـيْبَ فـيكم غيرَ أنَّ ضيُوفكُمْ تعـابُ بنـسيانِ الأَحـبَّةِ والـوطنْ

٤ - هم فرْسانُ الكلام إلا أنهم سادةٌ أمجاد.

٥ - لا فضلَ للقوم إلا أنهم لا يعرفونَ للجار حقَّهُ.

٦ - الكلامُ كثيرُ التعقيدِ سِوَى أنه مبتَذَلُ المعاني.

٧ - هَذَا أُسْتَاذٌ فَاضِلٌ إلا أنَّه صَبُورٌ.

٨ - قول الشاعر:

فَتًـى كَمُلَـتْ أَخْلاقُـهُ غَـيْرَ أَنَّـهُ جَـوَّادٌ فَـمَا يُبْقِـي مِـنَ الْـمَالِ بَاقِـيًا

٩ - قول الشاعر:

وَلا عَـيْبَ فِـيْهِمْ غَـيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ بِهِـنَّ فُلُـولٌ مِـنْ قِـرَاعِ الْـكَـتَائِبِ

١٠ - قول الله: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [المائدة: ٥٩].

١١ - قول الشاعر:

مَـا نَقَمُـوا مِـنْ بَنِـي أُمَـيَّةَ إلا أَنَّهُـمْ يَحْلُمُـونَ إِنْ غَـضِبُوا

١٢ - قوله: ﴿ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [التوبة: ٧٤].

١٣ - هَذَا الرَّجُلُ بَخِيلٌ إِلا أَنَّهُ جَبَانٌ.

١٤ - لا جَمَالَ فِي الْـمَنْزِلِ إِلا أَنَّهُ مُظْلِمٌ.

١٥ - لا خَيْرَ فِي شَارُونَ إِلا أَنَّهُ مُجْرِمٌ.

١٦ - هَذَا رَجُلٌ ظَالِمٌ غَيْرَ أَنَّهُ لا يَأْكُلُ الرِّبَا.

١٧ - لا جَمَالَ فِي الْـخُطْبَةِ إِلا أَنَّهَا غَيْرُ مُفِيدة.

١٨ - الْـقَوْمُ شِحَاحٌ إِلا أَنَّهُمْ جُبَنَاءُ.

الفصل العاشر

التورية

الفَصْلُ العَاشِرُ

التَّوْرِيَة

التَّوْرِيَةُ لغةً:

وَرِيَ تَوْرَى، ووَرَّيْتُ الشَّيْءَ ووَارَيْتُه: أَخْفَيْتُهُ وَتَوَارَى: استتر.

واسْتَوْرَيْتُ فلانًا رَأْيًا أي: طَلَبْتُ إليه رَأْيًا.

ووَرَّيْتُ الْـخَبَرَ جعَلْتُهُ وَرَائِي، وَسَتَرْتُهُ.

تَوَارَى الرَّجُلُ: اسْتَتَرَ، وَاخْتَفَى. والتَّوْرِيَةُ: السِّتْرُ.

وفي الحديث عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك أن النبي ﷺ كَانَ إِذا أَرَادَ سَفَرًا وَرَّى بِغَيْرِه وَكَانَ يَقُولُ: «الْـحَرْبُ خَدْعَةٌ». رواه الجماعة ، إلا الموطأ والنسائي.

الْـحَرْبُ خَدْعَةٌ: يعني:أن أمرها ينقضي بمرة واحدة من الْـخِدَاعِ، قال الخطابي: هذا الْـحَرْفُ يُرْوَى بفتح الْـخَاءِ وسُكُونِ الدَّالِ، هكذا: (خَدْعَةٌ)، وهو أَفْصَحُهَا وَأَصْوَبُهَا، وبضَمِّ الْـخَاءِ وسُكُونِ الدَّالِ، هكذا: (خُدْعَةٌ)، وبِضَمِّ الْـخَاءِ وفتحِ الدَّالِ، هكذا: (خُدَعَةٌ).

ومعنى (وَرَّى بِغَيْرِهِ): أَي سَتَرَه، وَأَوْهَمَ أَنَّهُ يُرِيدُ غَيْرَهُ. وأَصله من الْـوَرَاءِ أَي: أَلْقَى البَيَانَ وراءَ ظهره، وَيُقَالُ: (وَارَيْتُهُ) و(وَرَّيْتُهُ) بمعنى واحد، وفي القرآن: ﴿ **فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا** ﴾ [الأعراف: ٢٠] أَي: سُتِرَ.

وتُوزَنُ (وُورِيَ) على: (فُوعِلَ)، وقُرِئَ (وُرِّي عَنْهُمَا) بمعناه.

ووَرَّيْتُ الخبر أُوَرِّيه تَوْرِيةً إذا سَتَرْتُهُ، وَأَظْهَرْتُ غَيْرَهُ،كأنه مأْخوذ من وَرَاءِ الإِنسان؛ لأَنه إِذا قال وَرَّيْتُهُ فكأَنه يَجْعَلُهُ وَرَاءَهُ، حيثُ لا يَظْهَرُ.

ووَرَّيْتُ عَنْهُ: أَرَدْتُهُ، وَأَظْهَرْتُ غَيْرَهُ.

التَّورِية: أن يقول الإنسان كلامًا، فيُفْهَم منه بغير ما أراد، فهو أراد شيئًا، وفُهِمَ عنه شيءٌ آخر؛ لكنه ما كذب.

مثلُ الرَّجُلِ الذي كان فِي بيتِهِ غُرْفَةٌ اسْمُهَا: دِمَشْقُ، فكانَ إذا جَاءَ شَخْصٌ وَدَقَّ البابَ عليه، قال لزوجتِهِ: قُولِي له: هُوَ فِي دِمَشْق، وذهب إلى الْـغُرْفَةِ، فيَفْهَمُ الطَّارِقُ أَنَّهُ فِي دِمَشْق، وهو في غرفة دمشق، فَمَا كَذِبَ؛ لأَنَّهُ فِي دمشق فعلًا، فقد سَمَّى غرفته دمشق؛ لكنه ليس في دمشق التي فهمها ذاك الطارق، فهذه تُسَمَّى التَّوْرِية.

وأَحَدُ النَّاسِ كَانَ يقولُ لزوجته ضَعِي دائرةً في الْـجِدَارِ، وهي عند الباب ترد عليه، فيقولون: فُلان موجود، فتضعُ إصبعَهَا فِي الدائرة، وتقول: ليس هنا، يَعْنِي ليس في الدائرة، وذاك الطَّارِقُ الذي أمامَ البابِ يَفْهَمُ أَنَّهُ ليس فِي البيتِ، فإن جاز هذا عند الضرورة، لكن بغير الضرورة لا يَجُوزُ؛ لأنها تُعَلِّمُ الْـكَذِبَ.

فهذه الألفاظ صحيحة من زاوية المتكلم ويقصد بها معنى آخر، ويظن بها الْـمُستمع معنى صحيحًا، وأمثال ذلك كثير، ونَحْنُ قد نَحْتَاجُ إِلَى التَّوْرِيةِ والْـمَعَارِيضِ، ولكن ليس أسلوب المؤمن هو المخادعة؛ بل الْـمُؤمن إنسانٌ صادقٌ. لكن تأتي مواقف يضطر فيها إِلَى أن يقول بالمعاريض أو التورية؛ لأن المؤمن لا يَكْذِبُ، ومع ذلك يُراعى ألاَّ يكثر من المعاريض؛ لأن الإكثار من أي شيء قد يخرج الإنسان عن الحد الشرعي له، وربما تجاوزه إلى المذموم.

والنبي ﷺ قَالَ للرجل: «نَحْنُ مِنْ مَاءٍ»، وهذه حقيقة فقد خَلَقَنَا اللَّـهُ من ماءٍ، لكن من ماء مهين، والأعرابي ظن من موضع فيه ماء.

وكما قال الخليل عليه السلام: هذه أختي، ففهم المخاطب أنه يعني أخته شقيقته، وهو أراد أخته في الدين.

وأبو بكر الصديق رضي الله عنه قد استخدم التورية فَسُئِلَ عن النبي ﷺ ومن معه فقال: هَذَا هَادٍ يَهْدِينِي السَّبِيلَ، فظنُّوا أنه على هداية الطريق، وهو على هداية سبيل الخير.

ومن الأشياء التي يَجُوزُ الكذب فيها: بين الزَّوجين، كما فى الْـحَديث عَنِ ابْنِ شِهَابٍ أَنَّ حُمَيْدَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَخْبَرَهُ أَنَّ أُمَّهُ أُمَّ كُلْثُومٍ بِنْتَ عُقْبَةَ أَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّـهِ ﷺ يَقُولُ: «**لَيْسَ الْـكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ فَيَنْمِي خَيْرًا أَوْ يَقُولُ خَيْرًا**» رواه البخارى.

وقال إسحاقُ بنُ هانئ: كنا عند أحمد بن حنبل في منزله، ومعه الْـمروذي أَحَدُ طَلَبَتِهِ، ومعنا طالبٌ آخرُ، فَدَقَّ دَاقٌّ البابَ، فقال: الْـمروذي هنا ؟

فكأن المروذي كره أن يعلم موضعه، فوضع الطالبُ إصبعَهُ فِي رَاحَتِهِ، وقال: ليس الْـمروذي هاهنا، والطارق يسمع، وما يصنع المروذي هاهنا، فضحك أحمد ولم ينكر.

ومن الكذب: ما جاء فى الحديث عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ قَالَتْ: كُنَّا فِيمَنْ جَهَّزَ عَائِشَةَ وَزَفَّهَا، قَالَتْ: فَعَرَضَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ لَبَنًا فَقُلْنَا: لَا نُرِيدُهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَا تَجْمَعْنَ جُوعًا وَكَذِبًا**» رواه أحمد وابن ماجة.

فعندما قَدَّمَ النَّبِيُّ ﷺ اللبنَ لبعضِ النساءِ، فَقُلْنَ: لا نَشْتَهِي، فقال: «**لا تَجْمَعْنَ جُوعًا وَكَذِبًا**» وهذه حالُ كثيرٍ من الناس يأتيك فِي البيت، تريد أن تَضَيِّفَهُ، فيقول،: لا أَشْتَهِي... لا أُرِيدُ. وهو يَشْتَهِي لكن يعتبر أنها من الحرج أو شيء من هذا القبيل، فيكون قد وَقَع فِي الْـكَذِبِ.

وكتب المأمون إِلَى إسحاق بن إبراهيم أيضًا في امتحان سبعة أنفس - من المشاهير والعلماء والفقهاء، منهم: محمد بن سعد، ويحيى بن معين، وأبو خيثمة زهير بن حرب، وأحمد بن إبراهيم الدورقي - فامتحنهم بِخَلْقِ القرآن، ففي البداية ما أجابوه فأمر بترحيلهم إلى بغداد، ولكنهم في الطريق أجابوا، فردَّهم من الرقة إلى بغداد، وَأَجَابُوهُ تُقْيَةً، أي: خَوْفًا، استعملوا التورية، كما كان يقول بعضهم: أشهد أنه مخلوق - ويقصد إصبعه - أو يقول: أشهد أن التوراة والإنجيل والزبور والفرقان وصحف إبراهيم أنها مخلوقة - يقصد أصابعه الخمس - المهم: صارت أفكار العلماء تدور في قضية التورية في هذا الظرف الشديد.

وكان يحيى بن معين وغيره يقولون: أَجَبْنَا خَوْفًا من السيف: ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ ﴾ [النحل: ١٠٦]، المسألة وصلت إلى القتل.

التَّوْرِية لغةً:

مصدرٌ لـ (وَرَّى)، تقول: وَرَّيْتُ الْـخَبَرَ تَوْرِيَةً: إذا سَتَرْتُهُ، وَأَظْهَرْتُ غَيْرَهُ.

التَّوْرِيَةُ اصطلاحًا:

هي أن يَذْكُرَ الْـمتكلمُ لفظًا مفردًا له معنيان: أحدهُما قَرِيبٌ غَيْرُ مَقْصُودٍ ودلالةُ اللفظِ عليه ظاهرةٌ، والآخرُ بعيدٌ مقصودٌ، ودلالةُ اللفظِ عليه خَفِيَّةٌ، فيتوهَّمُ السَّامعُ: أنه يُرِيدُ المعنَى القريبَ، وهو إنَّما يُرِيدُ المعنى البعيدَ بقرينةٍ تشيرُ إليه ولا تُظهرُه، وتسترُه عن غير الْـمُتيقِّظِ الفطِنِ.

مثل قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ﴾ [الأنعام: ٦٠].

أراد بقوله: ﴿ جَرَحْتُم ﴾ معناهُ البعيدُ، وهو ارتكابُ الذنوبِ.

والْـمَعْنَى الْـقَرِيبُ، هو: الْـجُرْحُ والنَّزْفُ وَنُزُولُ الدَّمِ، وهو غير مُرَادٍ.

وأصل التورية في اللّغة: إرادةُ الشيءِ وإظهارُ غيره إيهامًا، وقد جاء في كتب السيرة النبويّة أن الرسول ﷺ كان إذا أراد غزوةً أو سَفَرًا إِلَى جِهَةٍ وَرَّى بغيرها؛ ليعمِّيَ الأخبار، حتَّى لا يترصَّد له الأعداء.

قال الزمخشري: لا تَرَى بَابًا في الْـبَيَانِ أَدَقَّ ولا ألطف من التورية، ولا أنفع ولا أعْوَنَ على تعاطي تأويل المتشابهات في كلام الله ورسوله منها.

والتورية - كما تَقَدَّمَ - أن يَذْكُرَ الْـمُتَكَلِّمُ لفظًا، له معنيان:

١ - قريب ظاهر غير مراد.

٢ - بعيد خَفِيٌّ، وهو المراد.

ومثل قول ابن نباتة:

أَقُـولُ وَقَدْ شَنُّوا إِلَى الْـحَرْبِ غَارَةً ... دَعُـونِي فَـإِنِّي آكُلُ الْـعَيْشَ بِالْـجُبْنِ

فَالْـعَيْشُ لَهُ مَعْنَيَانِ:

أ - مَعْنَى قَرِيبٌ ظاهرٌ غيرُ مرادٍ، وهو الْـخُبْزُ.

ب - مَعْنى بعيد خَفِيٌّ، مُرَادٌ، وَهُوَ أَنَّهُ يُرِيدُ الْـحَيَاةُ.

وَالْـجُبْنُ لَهُ مَعْنَيَانِ:

أ - مَعْنَى قَرِيبٌ ظاهرٌ غيرُ مرادٍ، وَهُوَ ويعني قِطْعَةَ الْـجُبْنِ الْـمَصْنُوعَةَ مِنَ اللبْنِ.

ب - مَعْنى بعيد خَفِيٌّ، مُرَادٌ، وَهُوَ يَعْنِي الْـخَوْفَ والْـخَوَرُ، عكسُ الشَّجَاعَةِ.

والتورية هي الإتيان بكلام له معنى قريب يفهمه السامع، ومعنى آخر بعيد يقصده المتكلم، تحتمله اللغة العربية، ويشترط أن لا يكون فيها إبطال لحق، ولا إحقاق لباطل.

وفيما يَلِي أمثلة استخدمها السلف والأئمة أوردها العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه إغاثة اللهفان:

١ - ذُكِرَ عن (حماد) - رحمه الله - أنه إذا أتاه من لا يريد الجلوس معه، قال متوجعًا: ضِرْسِي، ضِرْسِي، فيترُكُهُ الضَّيْفُ الثقِيلُ الذي ليس بصحبته خير.

٢ - وأُحضِرَ (سفيان الثوري) إلى مجلس الخليفة المهدي فاستحسنه، فأراد الخروج؛ فقال الخليفة: لا بُدَّ أن تجلس، فحلف الثوري على أنه يعود فخرج وترك نعله عند الباب، وبعد قليل عاد، فأخذ نعله وانصرف، فسأل عنه الخليفة، فقيل له: إنه حَلَفَ أن يعود فعاد وأخذ نعله.

٣ - وكان الإمام (أحمد) في داره ومعه بعض طلابه - منهم المروذي - فأتى سائل من خارج الدار يسأل عن المروذي، والإمام أحمد يكره خروجه؛ فقال الإمام أحمد: ليس الـمروذي هنا، وما يصنع المروذي ها هنا ؟ وهو يضع إصبعه في كفه ويتحدث؛ لأن السائل لا يراه.

ومن أمثلة التورية أيضًا:

لو سألك شخص هل رأيت فلانًا، وأنت تخشى لو أخبرته أن يبطش به فتقول ما رأيته وأنت تقصد أنك لم تقطع رئته أو تضرب رئته، وهذا صحيح في اللغة العربية أو تنفي رؤيته وتقصد بقلبك زمانًا أو مكانًا معينًا لم تره فيه، وكذلك لو استحلفك أن لا تكلم فلانًا: فقلت: والله لن أكلمه، وأنت تعني أي لا أجرحه لأن الكلم يأتي في اللغة بمعنى الجرح.

وكذلك لو أرغم شخص على الكفر وقيل له: اُكفرْ بالله، فيجوز أن يقول كفرت باللاهي. يعني اللاعب. (إغاثة اللهفان: ابن القيم).

وكذلك قول الشاعر:

وَهَفَا بِالْفُؤَادِ مِنْ سَلْسَبِيل ظَمَأٌ لِلسَّوَادِ مِنْ عَيْنِ شَمْسِ

فَالسَّوَادُ لَهُ مَعْنَيَانِ:

أ - مَعْنَى قَرِيبٌ ظاهرٌ غيرُ مرادٍ، وَهُوَ اللوْنُ الأَسْودُ.

ب - مَعْنى بعيد خَفِيٌّ، مُرَادٌ، وَهُوَ أَنَّهُ يُرِيدُ العُمُوم من الناس.

ملاحظة:

كان الشعراء مولعين بالتورية في العصر الحديث . فكانوا يداعبون بها بعضهم بعضًا. فها هو ذا حافظ إبراهيم يقول:

يقولون إن الشوق نار ولوعة فما بال شوقي اليوم أمسى باردًا

فَشوقى لَهُ مَعْنَيَانِ:

أ - مَعْنَى قَرِيبٌ ظاهرٌ غيرُ مرادٍ، وَهُوَ الشَّوقُ وَالْوجْدَانِ وَاللوْعَةُ.

ب - مَعْنى بعيد خَفِيٌّ، مُرَادٌ، وَهُوَ (شَوْقِي). أى: الشَّاعِرُ أَحْمَدُ شوقي.

فَرَدَّ شَوْقِي عَلَى حافظ إبراهيم قائلًا:

يَاحَافِظَ الْفُصْحَى وَحَارِسَ مَجْدِهَا وَإِمَامَ مَنْ نَجَبَتْ مِنَ الْبُلَغَاءِ

فَحافظ لَهُ مَعْنَيَانِ:

أ - مَعْنَى قَرِيبٌ ظَاهِرٌ غَيْرُ مُرَادٍ، اسْمُ الْفَاعِلِ مِنْ: الفعل (حَفِظَ).

ب - مَعْنى بعيد خَفِيٌّ، مُرَادٌ، وَهُوَ الشَّاعِرُ حَافِظُ إِبْرَاهِيم.

الْفَائِدَةُ الْبِلاغِيَّةُ لِلتَّوْرِيَة:

التورية تثير الذهن. وتُعْمِلُ الفكر. وتُحْدِثُ حَرَكَةً رِيَاضِيَّةً للعقل، وَتَدْفَعُهُ إِلَى التَّأَمُّلِ فِي البحث عن الْمَعْنَى البعيد.

اِنْتَبِهْ ! التورية تأتي شعرًا ونثرًا، وَنُسَمِّيهَا حُجْرَةً ذاتَ بَابَيْنِ، فإذا دخل أحد عليك من أحد البابين خرجت من الباب الآخر.

ملاحظة:

ولا يحسُنُ بلاغيًّا استخدام التورية إلاَّ إذا كانَ هناك داعٍ بلاغيٌّ يقتضيه حال المتلقّي، وهذا الداعي مِمَّا يُقْصَدُ لَدَى أذكياء البلغاء، كإخفاء المراد عن العامة وإشعار الخاصة من طرفٍ خفي، وكالتعبير عن المقصود بكلام يَتَأَتَّى معه الإنكار عند الحاجة إليه، وكاختبار ذكاء المتلقّي والتأثير في نفسه بما يُعْجِبُه من أداءٍ فنّيّ يستخدم فيه الأسلوب غير المباشر حتى الإلغاز، إلى غير ذلك من دواعي.

فليس كلّ كلمة لها معنًى قريب ولها معنًى بعيد على وجه الحقيقة أو المجاز يَحْسُنُ استخدامها، وقَصْدُ المعنى البعيد بها، على سبل التورية، دون مراعاة أو ملاحظة داعٍ بلاغي يُقْصَد لدى البلغاء الفطناء.

مَا الْفَرْقُ بَيْنَ التَّوْرِيَةِ وَالتُّقْيَةِ؟

المراد بالتقية أن المسلم إذا خَشِيَ على نفسه الهلاك أو الضرر فله أن يتقي الكفار والفسقة والظلمة بما يُظهر لهم من المداراة والمصانعة، ويكون باطنه ونيته على خلاف ذلك، ومثل ذلك إذا أكره على الكفر فيتلفظ بلسانه، وقلبه مطمئن بالإيمان.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [آل عمران: ٢٨].

قال ابن جرير: قوله تعالى: ﴿ إلا أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ﴾ : إلا أن تكونوا في سلطانهم فتخافوهم على أنفسكم، فتظهروا لهم الولاية بألسنتكم، وتضمروا لهم

العداوة، ولا تشايعوهم على ما هم عليه من الكفر، ولا تعينوهم على مسلم بفعل).

وروي عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه قال: «إِنَّا لَنَكْشِرُ فِي وُجُوهِ أَقْوَامٍ وَإِنَّ قُلُوبَنَا لَتَلْعَنُهُمْ» أخرجه البخاري.

وقال الحسن: «التُّقْيَةُ جَائِزَةٌ لِلْمُؤْمِنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» أخرجه ابن أبي شيبة.

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿ **مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ** ﴾ [النحل: ١٠٦].

قال ابن كثير: «اتَّفَقَ العلماءُ عَلَى أَنَّ الْـمُكْرَهَ عَلَى الْـكُفْرِ، يَجُوزُ لَهُ أَنْ يُوَالِي إِبْقَاءً لِمُهْجَتِهِ، ويَجُوزُ لَهُ أَنْ يَأْبَى كَمَا فَعَلَ بلال».

وأما التَّوْرِية فمعناها: أن يذكر لفظًا يَحْتَمِلُ معنيين: أحدهما أقرب من الآخر فيوهم إرادة القريب وهو يريد البعيد.

وقد جاء في الحديث: «لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ يُرِيدُ غَزْوَةً إِلَّا وَرَّى بِغَيْرِهَا» رواه البخاري ومسلم. أي: أَوْهَمَ بغيرها.

وقال إبراهيم عليه السلام: «**يَا سَارَةُ لَيْسَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مُؤْمِنٌ غَيْرِي وَغَيْرَكِ، وَإِنَّ هَذَا سَأَلَنِي فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّكِ أُخْتِي فَلَا تُكَذِّبِينِي**» أخرجه البخاري ومسلم.

فإذا احتاجَ المسلمُ إِلَى التوريةِ أو المعاريضِ ففيها مندوحة عن الكذب وعن التقية.

التورية قد تَتَكَلَّمُ بكلامٍ لا يَسْبِقُ إلى ذِهْنِ الْـمُسْتَمِعِ، وأنتَ تَتَخَلَّصُ مِنَ الْـكَذِبِ بهذِهِ التَّوْرِيَةِ.

مثلًا: رَجُلٌ دَعَاكَ إِلَى طعام، وَأَنْتَ تَعْرِفُ أَنْ طَعَامَهُ حَرَامٌ أو فِيهِ شُبْهَةٌ، كَرَجُلٍ - مثلًا - يَعْمَلُ فِي تِجارةِ الْـخَمْرِ، أو الْـمُخَدِّرَاتِ، وَلَيْسَ لَهُ أَيُّ وَظِيفَةٍ إلا

الْـعَمَلُ في هذه التِّجَارَةِ الْـمُحَرَّمَةِ، وَأَنْتَ لا تُرِيدُ أَنْ تَأْكُلَ عنده؛ لأنَّ مَالَهُ حَرَامٌ؛ لِحُرْمَةِ الْـعَمَلِ.

فقال لك: تَقَدَّمْ فَكُلْ.

فقلت له: إِنِّي صَائِمٌ، ومعنى صائِم الذي يَخْطُرُ عَلَى بالِ الْـمُسْتمِعِ: أي: أنك صائمٌ الصيامَ الشرعيَّ الذي فيه امتناعٌ عن الطعامِ، لكنك لست صائمًا، وَإِنما قَصَدْتَ أَنَّكَ صَائِمٌ عن طَعَامِهِ، أي: أَنَا صَائِمٌ عنِ الْـحَرَام، أو أَنَا صَائِمٌ عنِ الكلامِ الفَاحِشِ، وهذه المعاني أنتْ قَصَدْتَهَا، لكنها لم تَخْطُرْ عَلَى بَالِ الْـمُسْتَمِعِ.

وفي باب الأَيْمَانِ - في الحلف - الرسول ﷺ يقول: «**يَمِينُكَ عَلَى مَا يُصَدِّقُكَ عَلَيْهِ صَاحِبُكَ**» رواه مسلم.

فلو حَلَفْتَ عَلَى التورية صَارَتْ كَذِبًا، يعنِي: قلت: أنا صَائمٌ، لَسْتَ بِكَذَّابٍ، إذا قلت أنا صائم، وَقَصَدْتَ الصِّيَامَ الخاص عن طعامِ هذا الإنسان، لكن إذا قال لك: اِحْلِفْ أَنَّكَ صَائِمٌ، فلو حَلَفْتَ وَقَعْتَ فِي الْـكَذِبِ؛ لأَنَّ اليمينَ على ما سبق إِلَى ذهن صاحبك، وليس على ما قصدْتَهُ أَنْتَ، إِذَنْ: أَنْتَ فِي حِلٍّ مَا لَمْ تَحْلِفْ، فإذا حَلَفْتَ عَلَى الْـمَعَارِيضِ انقلَبَتْ كَذِبًا، ففي بعض المواقف يراعى فيها حال المستمع.

فالرسولُ ﷺ نَهَى أَنْ يُسَمِّيَ الْـمَرْءُ غُلامَهُ نَجَاحًا أو فَلاحًا أو يَسَارًا؛ لأنَّ هناك طَرَفًا آخرَ - المستمع - ربما سَبَقَتِ الكلمة إلى ذِهْنِهِ وفهمها على غير ما قصدتها.

والمستمع قد يسبق إلى ذهنه بدلالة العبارة معنى لم يخطر على بال المتكلم، فينبغي أن يراعى المستمع، ومن هذه الأسماء إسلام مثلًا، مع أنه اسم ذكر، إلا أن فيه نفس العلة التي من أجلها نهى الرسول ﷺ عن التسمِّي بِيَسَارٍ وَنَجَاحٍ وَرَبَاحٍ.

يقال: إسلام موجود ؟ لا يوجد إسلام.

يعني: نفي الإسلام عن البيت، وما قصد المتكلم ذلك لكن كانت كلمة مستبشعة عند المستمع.

هناك قصة مشهورة يذكرها العلماء حدثت بين الكسائي وبين أبي يوسف صاحب أبي حنيفة رحمه الله، فكان الكسائي يقول:

- من علم اللغة صار فقيهًا.

- فأنكر عليه أبو يوسف هذه المقالة، وقال: إن الفقه له قوانين وضوابط وأصول.

- فقال: فناظرني في مسألة.

- فقال له أبو يوسف: هَاتِ.

- فقال الكسائي: ما تقول في رجل قال لامرأته: أنت طالق طالق طالق؟ ورجل قال لامرأته: أنت طالق وطالق وطالق؟

ورجل قال لامرأته: أنت طالق، ثم طالق، ثم طالق؟

أيّ هذه تكون طلقة بائنة ؟

فقال أبو يوسف: كلها.

ومذهب الأئمة الأربعة وجماهير أصحابهم: أن الرجل إذا طلق امرأته ثلاثًا في مجلس واحد تقع ثلاث طلقات، فلو قال لها: أنت طالق، أنت طالق، أنت طالق؛ تصير طالقًا ألبتة، لا تحل له من بعد حتى تنكح زوجًا غيره، وخالفهم في هذا شيخ الإسلام ابن تيمية وقليل من العلماء ممن سبقه وأتى بعده، وهم الذين قالوا: لا يقع الطلاق إلا في مجالس منفصلة، وصارت عليه الفتوى من بعد شيخ الإسلام إلى الآن في المحاكم الشرعية.

فقال أبو يوسف: كلها.

مع أن الأظهر على أصول الأئمة أن يقع تكرار الطلاق، يعني: لو قال لامرأته: أنت طالق ثلاثًا، فالأصل أنها تحسب واحدة، لكن متى يقع الطلاق ثلاثا في مجلس واحد؟ إذا كرر لأن العدد لا يفهم إلا مع التكرار.

فلو قال لها: أنت طالق، أنت طالق، أنت طالق، ثلاث مرات، وهو في مجلس واحد في جلسة واحدة، فعند الأئمة يقع ثلاثا، لكن لو قال لها: أنت طالق ثلاثا، بمفهوم العدد لا يقع إلا واحدة؛ لأن العدد لا يفهم إلا مكررًا.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اَللَّـهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ سَبَّحَ اَللَّـهَ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ . وَحَمِدَ اَللَّـهِ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ . وَكَبَّرَ اَللَّـهُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ . فَتِلْكَ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ. وَقَالَ تَمَامَ اَلْمِائَةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّـهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ. لَهُ اَلْمُلْكُ. وَلَهُ اَلْحَمْدُ. وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. غُفِرَتْ لَهُ خَطَايَاهُ. وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ اَلْبَحْرِ**» رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وفي رواية «**وكبر أربعًا وثلاثين**» بدل «**ثلاث وثلاثين - فتلك مائة؛ غفرت له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر**».

فلو قال رجل: سبحان الله ثلاثًا وثلاثين، الحمد لله ثلاثًا وثلاثين، الله أكبر ثلاثة وثلاثين فهذه كم مرة ؟ هل قالها مائة أو قالها ثلاث مرات فقط؟ الْـجوَابُ: ثلاث مرات؛ لأن العدد لا يفهم إلا مكررًا، أن أقول: سبحان الله، سبحان الله، سبحان الله.

أظل أعد ثلاثًا وثلاثين مرة، لكن لو قلت: الحمد لله ثلاثًا وثلاثين، لا تقع إلا مرة واحدة.

فإذا قال الرجل لامرأته: أنت طالق بالثلاث فلا تقع إلا واحدة، إنما لو قال لها: أنت طالق، أنت طالق، أنت طالق في مجلس واحد ومتكررة وراء بعضها، فعند الأئمة وعند جماهير الأصحاب تقع ثلاث مرات.

لذلك قال أبو يوسف رحمه الله: كلها تقع لماذا ؟ لأن المرة الأولى قال لها: طالق طالق طالق، فكانت ثلاث طلقات، والثانية قال: طالق، وطالق، وطالق، والثالثة: طالق ثم طالق ثم طالق.

فاعترض الإمام علي بن حمزة الكسائي - صاحب القراءة المتواترة المشهورة، وهو أحد القراء السبعة - فقال: بل لا تقع ثلاثًا إلا الثالثة، التي هي: أنت طالق ثم طالق ثم طالق، إنما: قوله: أنت طالق طالق طالق، خرج مخرج التأكيد اللفظي، كما لو قال رجل لرجل: أنت الكريم الكريم الكريم، كما قال النبي ﷺ عن يوسف عليه السلام: «**هو الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم**»، كل هذا تأكيد للفظ الكريم، فلما تؤكد صفة تأكيدًا لفظيًّا وتكرره فهي نفس الصفة ولم تتغير.

وفي المثال الثاني قال: أنت طالق وطالق وطالق، والواو لمطلق الجمع، وتفيد العطف أيضًا، والمعطوف الثاني هو عين المعطوف الأول، والمعطوف الثالث هو عين المعطوف الثاني وهو عين المعطوف الأول، فلم يبق في هذه الصيغ ما يقال: أنه منفصل - كل طلقة منفصلة عن أختها - إلا (ثم) التي تفيد التراخي، أي: كأنه قال: أنت طالق ثم فصل المجلس، ثم جاء فقال: أنت طالق ثم فصل المجلس، يعني: هناك تراخٍ بين الطلقة الأولى والطلقة الثانية، وبين الطلقة الثانية والطلقة الثالثة.

مَا حُكْمُ الإسلام في التورية؟

الجواب: التورية فيها تفصيل:

١ - إن أدت إلى باطل فهي حرام.

٢ - إن أدت إلى واجب فهي واجبة.

٣ - إن أدت إلى مصلحة أو حاجة فجائزة.

٤ – أن لا يكون فيها هذا ولا هذا ولا هذا، فاختلف العلماء فيها: هل تجوز أو لا تجوز ؟

والأقرب أنه لا يجوز الإكثار منها، وأما فعلها أحيانًا فلا بأس لا سيما إذا أخبر صاحبه بأنه يَسْتَعْمِل التوريةَ؛ لنضرب لهذا أمثالًا خمسة:

المثال الأول:

في التورية المحرمة التي تؤدي إلى الباطل: تخاصم شخصان عند القاضي فقال أحدهما لي في ذمة فلان ألف جُنَيْهٍ، فهذه دعوى، فأنكر المدعى عليه فنقول للمدعي:هات البينة، فقال: ليس عندي بينة، فإذا قال هذا توجهت اليمين على المدعي عليه، فأقسم المدعى عليه، قال: والله ما له عندي شيء.

وأراد بـ (ما) اسم الموصول، اسم الموصول يعني: الذي ، أي الذي له عندي شيء، وهو صحيح، أنَّ أَلْفَ جُنَيْهٍ شيءٌ، فهذه تورية حرام؛ لأنها تؤدي إلى محرم، أي أكل المال بالباطل.

ثم إن هذا الرجل لا ينجو في الآخرة، فالرسول ﷺ يقول: «**يَمِينُكَ عَلَى مَا يُصَدِّقُكَ عَلَيْهِ صَاحِبُكَ**» رواه مسلم.

المثال الثاني:

التورية الواجبة: مثل أن يسأل ظالم عن مكان شخص يريد أن يقتله، فسأل رجلًا، وقال: أتدري أين فلان ؟وهو يدري أنه في المكان الفلاني، فقال: لا أدري،وينوي لا أدري عن كل أحواله.

فقال له: هل هو في هذا البيت ؟ وهو يدري أنه في البيت.

فقال:ليس في البيت، وينوي ليس في السطح مثلًا أو ليس في الدور الأسفل، أو ليس في الحجرة الفلانية.

فهذه التورية حكمها الوجوب؛ لأن فيها إحياءَ نَفْسٍ.

المثال الثالث:

أن تكون التورية لمصلحة: سأل رجل عن شخص في حلقة علم، فقال الحاضرون: ليس هاهنا، ويشيرون إلى شيء ليس هو فيه، بل هو في مكان آخر، فهذه مصلحة.

المثال الرابع:

أن تكون التورية لحاجة: كأن يلجئك رجل في سؤال عن أمور بيتك، وأنت لا تريد أن تخبره عن أمور بيتك، فهنا تحتاج إلى التورية، فإذا قال مثلًا: أنت تفعل في بيتك كذا وكذا، وأنت لا تحب أن يطلع على هذا، فتقول:أنا لا أفعل. وتنوي لا تفعل في زمن لست تفعل فيه هذا الذي سأل عنه، فالزمن متسع فمثلًا: أنت تفعله في الضحى فتقول:أنا لا أفعل هذا يعني في الصباح والمساء، فهذه حاجة.

المثال الخامس:

أن لا تكون التورية لحاجة ولا لمصلحة ولا واجب ولا حرام، فهذه مختلف فيها،فقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - لا تحل التورية، وقال إنها حرام؛ لأن التورية ظاهرها يخالف باطنها، إذ إن معنى التورية أن ينوي بلفظه ما يخالف ظاهره، ففيها نوع من الكذب، فيقول: إنها لا تجوز.

وفيها أيضًا مفسدة، وهي: أنه إذا أطلِعَ أن الأمر خلاف ما فهمه المخاطب وصف هذا الموري بالكذب، وساء ظنه فيه، وصار لا يصدقه، وَصَارَ هذا الرَّجُلُ يَسْخَرُ أو يَسْتَهْزِئُ بالناس.

لكن لو أن الإنسان فعل ذلك أحيانًا، فأرجو أن لا يكون فيه حَرَجٌ، لا سِيَّما إن أخبر صاحبه فيما بعد، وقال: إني قلت كذا وكذا، وأريد كذا وكذا، خلاف ظاهر الكلام، والناس قد يفعلون ذلك على سبيل المزاح.

مثل أن يقول لك صاحبك: متى تزورني؟ أنا أحب أن تزورني، فقلت له: بعد غَدٍ، هو سَيَفْهَمُ بعد غَدٍ القريب، وأنت تريد بعد غَدٍ مَا لا نِهَايَةَ له إلى يوم القيامة، وهذا يؤخذ من قول النبي ﷺ لعمرَ رضي الله عنه في صلح الحديبية لما قال للرسول ﷺ: أَلَسْتَ تُحَدِّثُنَا أننا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: نعم، لكني لَمْ أَقُلْ هذا العام وإنك آتيه ومطوف به.

وَحَدَثَ لِلشَّيْخِ عبد الرحمن بن سعدي - رحمه الله - قصة حول هذا الموضوع، جاءه رجل في آخر شهر ذي الحجة، أي تَبْقَي أيامٌ على انقضاء السنة، وقال له: يا شيخ نريد وَعْدًا، فقال: هذه السنة لا يمكن أن أُوَاعِدَكَ فيها، فَظَنَّ الْـمُتَكَلِّمُ أنها اثنا عشر شهرًا، فغضب، ولَمَّا رآه الشيخ غضب فقال له: لَمْ يَبْقَ في السنة إلا عشرة أيام أو نحوها، فاقتنع الرجل، فمثل هذا لا بأس به أحيانًا لا سيما إذا أخبر صاحبه.

تدريبات

بَيِّنِ التَّوْرِيَةَ فِيمَا يَلِي مِنْ شَوَاهِدَ وَأَمْثِلَةٍ:

١ - قول الشاعر لأحمد شوقي:

يقولــون إن الــشوق نــار ولــوعة فـما بـال شـوقي الـيوم أمسى باردًا

٢ - فَرَدَّ شَوْقِي:

يَاحَافِظَ الْـفُصْحَى وَحَارِسَ مَجْدِهَا وَإِمَـامَ مَـنْ نَجَـبَتْ مِـنَ الْــبُلَغَاءِ

٣ - مثل قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ﴾ [الأنعام: ٦٠].

٤ - قول ابن نباتة:

أَقُـولُ وَقَدْ شَنُّوا إِلَى الْـحَرْبِ غَارَةً دَعُـونِي فَـإِنِّي آكُلُ الْـعَيْشَ بِالْـجُبْنِ

٥ - قول الشاعر:

وَهَفَـا بِالْـفُـؤَادِ مِـنْ سَلْـسَبِيل ظَمَـأٌ لِلـسَّوَادِ مِـنْ عَـيْنِ شَـمْسِ

٦ - مَا رَأَيْتُ أَبِي.

٧ - لا تَرُدَّ السَّائِلَ.

الفصل الحادي عشر

براعة الاستهلال

الفَصْلُ الحادِي عَشَرُ
بَرَاعةُ الاستِهْلالِ

تعريف بَرَاعَةُ الاسْتِهْلالِ:

وَهِيَ أَنْ تَبْدَأَ بِبِدَايَةٍ مُثِيرَةٍ، تَشُدُّ السَّامِعَ، وَتُحَرِّكُ فِي نَفْسِهِ الرَّغْبَةَ فِي الاسْتِمَاعِ وَالتَّفَاعُلَ، ولنا أن نقتدي في ذلك بالأسلوب القرآني المعجز في مطالع وبدايات السور القرآنية المباركة.

مثل قول الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝ ﴾ [الفيل: ١] .

وقوله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ۝ ﴾ [الغاشية: ١].

وقوله تعالى: ﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ ﴾ [النحل: ١].

وقوله تعالى: ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝ ﴾ [القمر: ١].

ومثل ذلك كثير جدًّا، ويتحقق ذلك بطرح المشكلة أو القضية التي يراد الحديث عنها بجملة من الأسئلة والاستفسارات.

ولنا في أحاديث الرسول ﷺ أسوة حسنة، فَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ: «**ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاوَةَ الْإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللَّـهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَأَنْ يُحِبَّ الْـمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا للهِ وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْـكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**» رواه البخاري.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رَسُول الله ﷺ، قَالَ: «**بادِرُوا بِالأَعْمَالِ سَبْعًا، هَلْ تَنْتَظِرُونَ إِلاَّ فَقْرًا مُنْسِيًا، أَوْ غِنًى مُطغِيًا، أَوْ مَرَضًا مُفسِدًا، أَوْ هَرَمًا مُفْنِدًا، أَوْ مَوتًا**

مُجْهِزًا، أَوِ الدَّجَّالَ فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ، أَوِ السَّاعَةَ فالسَّاعَةُ أدهَى وَأَمَرُّ» رواه الترمذي، وَقالَ: حديث حسن .

وَعَنْ أَبِي رَافِعٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَلاَتُهُ فَإِنْ وُجِدَتْ تَامَّةً كُتِبَتْ تَامَّةً وَإِنْ كَانَ انْتُقِصَ مِنْهَا شَيْءٌ قَالَ انْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ لَهُ مِنْ تَطَوُّعٍ يُكَمِّلُ لَهُ مَا ضَيَّعَ مِنْ فَرِيضَةٍ مِنْ تَطَوُّعِهِ ثُمَّ سَائِرُ الْأَعْمَالِ تَجْرِي عَلَى حَسَبِ ذَلِكَ» رواه الطبراني.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ فَذَلِكُمْ الرِّبَاطُ» رواه مسلم والترمذي والنسائي.

فَكُلُّ هَذِهِ الأَحَادِيثُ بَدَأَتْ بِبَرَاعَةِ الاسْتِهْلالِ، وَذَلِكَ عَنْ طَرِيقِ بِدَايَةٍ مُثِيرَةٍ، تَشُدُّ السَّامِعَ، وَتُحَرِّكُ فِي نَفْسِهِ الرَّغْبَةَ فِي الاسْتِمَاعِ وَالتَّفَاعُلَ.

وَمِمَّا سَبَقَ يَتَبَيَّنُ أَنَّ بَرَاعَةَ الاسْتِهْلالِ هِيَ أَنْ يَجْعَلَ الْمُتَكَلِّمُ أَوَّلَ كَلامِهِ حَسَنَ الرَّصْفِ، عَذْبَ اللفْظِ، صَحِيحَ الْمَعْنَى. مُشْتَمِلًا عَلَى إِشَارَةٍ لَطِيفَةٍ إِلَى الْمُقْصُودِ. حَتَّي يَجْذِبَ الأَسْمَاعَ، وَيَسْتَرْعِي الانْتِبَاهَ. وَيَجْعَلُهُ يُقْبِلُ عَلَى الإِصْغَاءِ، وَيَسْتَهْوِي اللُّبَّ .

وقول أحمد شوقي في الأزهر الشريف:

قُمْ فِي فَمِ الدُّنْيَا وَحَيِّ الأَزْهَرَا ... وَانْثُرْ عَلَى سَمْعِ الزَّمَانِ الْجَوْهَرَا

وقول حافظ إبراهيم في تحية عام هجري:

أَطَلَّ عَلَى الأَكْوَانِ وَالْخَلْقُ تَنْظُرُ ... هِلالٌ رَآهُ الْمُسْلِمُونَ فَكَبَّرُوا

تَجَلَّى لَهُمْ فِي صُورَةٍ زَادَ حُسْنُهَا ... عَلَى الدَّهْرِ حُسْنًا أَنَّهَا تَتَكَرَّر

وما أَجْمَلَ بَرَاعَةَ الاستهلالِ إذا أشار فيها المتكلم إلى ما يُرِيدُ دون أن يُصَرِّحَ بالطلب. مثل قول الشاعر:

وَفِي النَّفْسِ حَاجَاتٌ وَفِيكَ فَطَانَةٌ سُكُوتِي بَيَانٌ عِنْدَهَا وَخِطَابُ

ومثل قول أبي تمام يهنئ المعتصم بالله بفتح عمورية وكان أهل التنجيم زعموا أنها لا تفتح في ذلك الوقت:

السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءً مِنَ الْكُتُبِ فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجَدِّ وَاللَّعِبِ

بِيضُ الصَّفَائِحِ لا سُودُ الصَّحَائِفِ فِي مُتُونِهِنَّ جَلاءُ الشَّكِّ وَالرِّيَبِ

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ بِمِنًى: «**أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟**» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**فَإِنَّ هَذَا يَوْمٌ حَرَامٌ، أَتَدْرُونَ أَيُّ بلد هَذَا ؟**» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**بَلَدٌ حَرَامٌ أَتَدْرُونَ أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟**» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**شَهْرٌ حَرَامٌ**»، قَالَ: «**فَإِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا**» رواه البخاري.

فقال لهم: (**أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا ؟ أَتَدْرُونَ أَيُّ بلد هَذَا ؟ أَتَدْرُونَ أَيُّ شَهْرٍ هَذَا**) فلما أقروا بِحُرْمَةِ ما تقدم قال لهم: (**فَإِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ**).

وَمِمَّا سَبَقَ نجِدُ أَنَّ الْحَدِيثَ بَدَأَ بِبَرَاعَةِ الاسْتِهْلالِ حَتَّى يَجْذِبَ الأَسْمَاعَ، وَيَسْتَرْعِي الانْتِبَاهَ، وَيَسْتَهْوِي اللبَّ.

وفي هذه المقدمة والجُمل من الفوائد الشيء الكثير نقتطف منها:

١ - **قال القرطبي**: سؤاله عن الثلاثة، وسكوته بعد كل سؤال منها كان لاستحضار أَفْهَامِهِمْ، وليقبلوا عليه بكليتهم، وليستشعروا عظمة ما يخبرهم به، ولذلك قال بعدها: «**فَإِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ**» ، مبالغة في بيان تحريم هذه الأشياء.

٢ – فيه حسن أدب وأخلاق الصحابة رضوان الله عليهم؛ حيث سَأَلَهُمْ «أي شهر هذا ؟ أي بلد هذا ؟

فكانوا يقولون في الجميع: الله ورسوله أعلم، مع أنهم قد علموا في السؤال الأول أن الإجابة هي على حسب ما يعرفونه، وليس فيه شيء جديد، فليت شعري لو تَأَدَّبَ طُلَابُ الْعِلْمِ اليومَ وَقْتَ الطلب والتحصيل مع الأكابر كتأدب الصحابة رضي الله عنهم حتى ينالوا ما نالوه.

وكقول أبي الفرج الساوي يرثي بعض الملوك من آل بويه أظنه فخر الدولة:

هِيَ الدُّنْيَا تَقُولُ بِمِلْء فِيها حَذَارِ حَذَارِ مِنْ بَطْشِي وَفَتْكِي

وقد روى أن أحسن ابتداء ابتدأ به مولد قصيدة قول إسحاق بن إبراهيم الموصلي، حيث يقول:

هَلْ إِلَى أَنْ تَنَامَ عَيْنِي سَبِيلُ إِنَّ عَهْدِي بِالنَّوْمِ عَهْدٌ طَوِيلُ

ومن إنشادات ابن المعتز في هذا الباب قول النابغة الذبياني:

كِلِينِي لِهَمٍّ يَا أُمَيْمَةُ نَاصِبِ وَلَيْلٍ أُقَاسِيهِ بَطِيءِ الْكَوَاكِبِ

براعة الاستهلال:

فتكونُ بالبدء بما يكون فيه إلماحٌ إلى المقصود الأول من النّص الأدبي، وإبداعٌ يَجْذِبُ الانتباه، ويأسِرُ المتلَقِّي سامعًا أو قارئًا، مع حُسْنِ سَبْكٍ، وعذوبة لفظٍ، وصحَّةِ معنىً، ومن البديع في البدء ذكْرُ مُجْمل الموضوع أو مجمل القصة قبل التفصيل ومنه إجمال قصة أهل الكهف قبل تفصيلها في سورة (الكهف):

ومن أمثلة البدايات الحسنة ما يلي:

ومن ذلك قول التهامي في مرثية ولديه، وهي من غرر القصائد:

حُكْـمُ المنـيَّةِ فِي الْـبَرِيَّةِ جَـارِي ... مَـا هَـذِهِ الدُّنْـيَا بِـدَارِ قَـرَارِ
طُـبِعَتْ عَـلَى كَـدرٍ وَأَنْـتَ تُرِيدُهَا ... صَـفْوًا مِـنَ الأَقْـذَاءِ وَالأَكْـدَارِ

كان العلماء يهتمون ببراعة الاستهلال، وهو أن يقدم بين يدي موضوعه مقدمة فيها إشارة لما يريد أن يتكلم عنه، وما سيذكر فيه.

وبرز بعض الناس الذين إذا أرادوا الكلام في موضوعات أن يقولوا اعتذاراتٍ بارزةً، ينبغي على الإنسان أن يحرص وينتبه لها؛ لأنها أحيانًا تعطي شيئًا من التزكية، كأن يقول: لَسْتُ بِخَطِيبٍ وَلَسْتُ بكَذَا ولَسْتُ بكذا..، ونحو ذلك، يَذُمُّ نَفْسَهُ في الملأ، وفيه شيء من المدح، أو أن يقول: ليس لدي ما أقوله ويطنب في ذكر إفلاسه وفقره وإذا قلنا: إن بعض الناس سيكتشف ذلك فلا فائدة من الإخبار، وإذا قلت: إن بعضهم لن يكتشف ذلك فلا داعي للإخبار بالحقيقة المرة.

فمن الأمثلة القرآنية على براعة الاستهلال: قوله تعالى:

﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾ [الإسراء: ٧].

﴿ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ ﴾ [النجم: ٥٨]

﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَـٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [البقرة: ١٣٨]

ومن أمثال السنة النبوية: عن النعمان بن بشير قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّـهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ الْـحَلَالَ بَيِّنٌ وَالْـحَرَامَ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ فِيهِ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ وَمَنْ وَاقَعَهَا وَاقَعَ الْـحَرَامَ كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْـحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى وَإِنَّ حِمَى اللَّـهِ مَا حَرَّمَ أَلَا وَإِنَّ فِي الْإِنْسَانِ مُضْغَةً إِذَا صَلُحَتْ صَلُحَ الْـجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْـجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْـقَلْبُ**» رواه أحمد.

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ «لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ» رواه ابن ماجة.

انتبه !

١ - براعة الاستهلال يستخدمها الناظم والناثر . أي أنها تأتي شعرًا ونثرًا.

٢ - يجوز أن يجتمع محسنان بديعيان في تعبير واحد .

تدريبات

بَيِّنْ بَرَاعَةَ الاسْتِهْلالِ فِيمَا يَلِي:

١ - قول الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝ ﴾ [الفيل: ١].

٢ - قوله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ۝ ﴾ [الغاشية: ١].

٣ - قوله سبحانه وتعالى: ﴿ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ ﴾ [النحل: ١].

٤ - قوله تعالى: ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ۝ ﴾ [القمر: ١].

٥ - عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاوَةَ الْإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا للهِ وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ» رواه البخاري.

٦ - عن أَبِي هريرة رضي الله عنه: أن رَسُول الله ﷺ، قَالَ: «بادِرُوا بالأَعْمَالِ سَبْعًا، هَلْ تَنْتَظِرُونَ إِلاَّ فَقْرًا مُنْسِيًا، أَوْ غِنًى مُطْغِيًا، أَوْ مَرَضًا مُفسِدًا، أَوْ هَرَمًا مُفْنِدًا، أَوْ مَوتًا مُجْهِزًا، أَوِ الدَّجَّالَ فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ، أَوِ السَّاعَةَ فالسَّاعَةُ أدهَى وَأَمَرُّ» رواه الترمذي، وَقَالَ: حديث حسن .

٧ - عَنْ أَبِي رَافِعٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَلَاتُهُ فَإِنْ وُجِدَتْ تَامَّةً كُتِبَتْ تَامَّةً وَإِنْ كَانَ انْتُقِصَ مِنْهَا شَيْءٌ قَالَ انْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ لَهُ مِنْ تَطَوُّعٍ يُكَمِّلُ لَهُ مَا ضَيَّعَ مِنْ فَرِيضَةٍ مِنْ تَطَوُّعِهِ ثُمَّ سَائِرُ الْأَعْمَالِ تَجْرِي عَلَى حَسَبِ ذَلِكَ» رواه الطبراني.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى

الْـمَكَارِهِ وَكَثْرَةُ الْـخُطَا إِلَى الْـمَسَاجِدِ وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ» رواه مسلم والترمذي والنسائي.

٨ - قول أحمد شوقي في الأزهر الشريف:

قُمْ فِي فَمِ الدُّنْيَا وَحَيِّ الأَزْهَرَا وَانْثُرْ عَلَى سَمْعِ الزَّمَانِ الْـجَوْهَرَا

٩ - قول حافظ إبراهيم في تحية عام هجري:

أَطَلَّ عَلَى الأَكْوَانِ وَالْـخَلْقُ تَنْظُرُ هِلالٌ رَآهُ الْـمُسْلِمُونَ فَكَبَّرُوا

تَجَلَّى لَهُمْ فِي صُورَةٍ زَادَ حُسْنُهَا عَلَى الدَّهْرِ حُسْنًا أَنَّهَا تَتَكَرَّر

١٠ - قول الشاعر:

وفي النفس حاجات وفيك فطانةٌ سكوتي بيان عندها وخطاب ملاحظة

١١ - ومثل قول أبي تمام:

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

بيض الصفائح لا سود الصحائف في متونهن جلاء الشك والريب

١٢ - عَنْ ابْنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ بِمِنًى: «أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّ هَذَا يَوْمٌ حَرَامٌ، أَتَدْرُونَ أَيُّ بلد هَذَا؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «بَلَدٌ حَرَامٌ أَتَدْرُونَ أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «شَهْرٌ حَرَامٌ»، قَالَ: «فَإِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا» رواه البخاري.

١٣ - قول أبي الفرج:

هِيَ الدُّنْيَا تَقُولُ بِمِلْءِ فِيها حَذَارِ حَذَارِ مِنْ بَطْشِي وَفَتْكِي

١٤ - قول النابغة الذبياني:

كِلِينِـــي لِهَــمٍّ يَــا أمــيمةُ نَاصِــبِ   ولــيل أقاســيه بطــئ الكــواكب

١٥ - قول التهامي:

حُكْــمُ المنــيَّة في الــبريَّة جــارِي   مــا هـــذه الدُّنــيا بـــدارِ قَــرار

طُـبعت عـلى كـدر وأنـت تريدُها   صــفوًا مـــن الأَقــذاء والأَكــدار

الفصل الثاني عشر

الاقتباس

الفَصْلُ الثانِى عَشرُ

الاقْتِبَاس

الاقتباس فى اللغة:

قَبَسَ يَقْبَسُ قَبْسًا، قَبَسَ النَّارَ: أَوْقَدَهَا .

قَبَسَ الْعِلْمَ: اسْتَفَادَ، قَبَسَ الرَّجُلُ عِلْمًا أَوْ نُورًا: أَفَادَهُ إِيَّاهُ.

اقْتَبَسَ فُلانٌ نَارًا: أَوْقَدَهَا، أَوْ طَلَبَهَا.

اقْتَبَسَ منه عِلْمًا: اسْتَفَادَهُ، جِئْتُ لأَقْتَبِسَ مِنْ أَنْوَارِكَ.

قَالَ اللَّهُ عز وجل: ﴿ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَـٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ ﴾ [الحديد: ١٣].

هو طَلَبُ الْقَبَسِ. وهو الشُّعْلَةُ من النَّارِ. ويُسْتَعَارُ لِطَلَبِ الْعِلْمِ.

قال الجوهري في الصحاح: اقتبست منه علما: أي استفدْتُه.

الاقتباس اصطلاحًا:

أن يَتَضَمَّنَ المتكلّمُ فى كلامِهِ على أَلْفَاظٍ منَ القُرْآنِ الكريمِ، أو جُمَلًا تُوَافِقُ لَفْظَ القرآنِ الكريمِ أو الشِّعْرِ أو النَّثرِ.

وهذا الاقتباس يكون من القرآن المجيد، أو من أقوال الرسول ﷺ، أو من الأمثال السائرة، أو من الْحِكَم المشهورة، أو من أقوال كبار البلغاء والشعراء المتداولة، دون أن يعزو المقتبس القول إلى قائله.

والاقتباس مِنْهُ ما هو حسن بديع يقوي المتكلّم به كلامه، ويُحْكِمُ به نظامه، ولا سيما ما كان منه في الخطب، والمواعظ، وأقوال الحكمة، ومقالات الدعوة والإرشاد، ومقالات الإقناع والتوجيه للفضائل في نفوس المؤمنين بكتاب الله وكلام رسوله.

وبعض الأدباء يقتبس من القرآن المجيد أو من أقوال الرسول ﷺ مستنصرًا بها اقتبس لتقوية فكرته، أو لتزيين كلامه في أغراض مختلفة كالمدح والهجاء والوصف والإخوانيات..، ونحو ذلك، فإذا لم يُحرّف في المعنى، ولم يكن في اقتباس سوء أدب مع كلام الله أو كلام الرسول ﷺ فلا بأس باقتباسه، وإذا كان في اقتباسه تحريف في المعنى، أو سوء أدب فهو ممنوع ويأثم به المقتبس، وقد يَصِلُ بعض الاقتباس إلى دركة الكفر والعياذ بالله.

أمثلة على الاقتباس:

١ - قول ابن الرّومي:

لَئِنْ أَخْطَأْتُ فِي مَدْحِكَ ... مَا أَخْطَأْتَ فِي مَنْعِي

لَقَدْ أَنْزَلْتُ حَاجَاتِي ... بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعِ

الشطرة الأخيرة مقتبسة من قول الله: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

٢ - قول الأبيوردي:

وقصائد مثل الرياض أضعتها ... في باخل ضاعت به الأحساب

فإذا تناشدها الرواة وأبصروا ... الممدوح قالوا ساحر كذاب

وهذا مقتبس من قول الله تعالى: ﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ ﴾ [ص: ٤].

٣ - قول الآخر:

لا تعاشر معشرا ضلوا الهدى ... فسواء أقبلوا أو أدبروا

بدت البغضاء من أفواههم ... والذي يخفون منها أكبر

وهذا مقتبس من قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾ [آل عمران: ١١٨].

٤ - قول بديع الزمان الهمذاني:

لآلِ فَرِيغُونَ فِي الْمَكْرُمَا ... تِ يَدٌ أَوَّلًا واعْتِذَارٌ أَخِيرًا

إِذَا مَا حَلَلْتَ بِمَغْنَاهُمُو ... رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا

فَهَذَا مُقْتَبَسٌ مِنْ قَوْلِ الله: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾ [الإنسان: ٢٠].

٥ - قول الحماسي:

إِذَا رُمْتُ عَنْهَا سَلْوَةً قَالَ شَافِعٌ ... مِنَ الْحُبِّ مِيعَادُ السُّلُوِّ الْمَقَابِرُ

سَتَبْقَى لَهَا فِي مُضْمَرِ الْقَلْبِ والْحَشَا ... سَرِيرَةُ حُبٍّ يَوْمَ تُبْلَى السَّرائِرُ

فَهَذَا مُقْتَبَسٌ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ: ﴿ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾ ﴾ [الطارق: ٩].

٦ - قول أبي جعفر الأندلسيّ:

لاَ تُعَادِ النَّاسَ فِي أَوْطَانِهِمْ ... قَلَّمَا يُرْعَى غَرِيبُ الْوَطَنِ

وَإِذَا مَا شِئْتَ عَيْشًا بَيْنَهُمْ ... خَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنِ

الشطرة الأخيرة مأخوذة من حَدِيثِ مَيْمُونِ بْنِ أَبِي شَبِيبٍ عَنْ مُعَاذٍ أَنَّهُ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّـهِ ﷺ: أَوْصِنِي قَالَ: «اتَّقِ اللَّـهَ حَيْثُمَا كُنْتَ - أَوْ أَيْنَمَا كُنْتَ» قَالَ: زِدْنِي قَالَ: «أَتْبِعْ السَّيِّئَةَ الْـحَسَنَةَ تَمْحُهَا»، قَالَ: زِدْنِي، قَالَ: «خَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ» رواه أحمد.

٧ - قول الصّاحب بن عبّاد:

قَالَ لِي: إِنَّ رَقِيبِي سَيِّئُ الْخُلُقِ فَدَارِه
قُلْتُ دَعْنِي وَجْهُكَ الْجَنَّةُ حُفَّتْ بِالْمَكَارِه

الشطرة الأخيرة مقتبسة مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ «حُفَّتِ الْـجَنَّةُ بِالْـمَكَارِهِ وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ» رواه مسلم.

٨ - قول الصاحب بن عباد:

أَقُولُ وَقَدْ رَأَيْتُ لَهُ سَحَابًا مِنَ الْهِجْرَانِ مُقْبِلَةً إِلَيْنَا
وَقَدْ سَحَّتْ غَوَادِيهَا بِهَطْلٍ حَوَالَيْنَا الصُّدُودُ وَلاَ عَلَيْنَا

الشطرة الأخيرة مقتبسة مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ يَخْطُبُ يَوْمَ الْـجُمُعَةِ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّـهِ: قَحَطَ الْـمَطَرُ فَادْعُ اللَّـهَ أَنْ يَسْقِيَنَا، فَدَعَا فَمُطِرْنَا فَمَا كِدْنَا أَنْ نَصِلَ إِلَى مَنَازِلِنَا فَمَا زِلْنَا نُمْطَرُ إِلَى الْـجُمُعَةِ الْـمُقْبِلَةِ قَالَ فَقَامَ ذَلِكَ الرَّجُلُ أَوْ غَيْرُهُ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّـهِ: ادْعُ اللَّـهَ أَنْ يَصْرِفَهُ عَنَّا فَقَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ : «اللَّـهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا»، قَالَ فَلَقَدْ رَأَيْتُ السَّحَابَ يَتَقَطَّعُ يَمِينًا وَشِمَالًا يُمْطَرُونَ وَلَا يُمْطَرُ أَهْلُ الْـمَدِينَةِ. رواه البخاري.

٩ - قول الشاعر:

خلة الغانيات خلة سوء فاتقوا الله يا أولي الألباب
وإذا ما سألتموهن شيئًا فاسألوهن من وراء حجاب

وهذا مقتبس من قول الله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [البقرة: ١٧٩] ، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَـٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

١٠ - قول الآخر:

إن كنت أزمعت على هجرنا ... من غير ما جرم فصبر جميل

وإن تبدلت بنا غيرنا ... فحسبنا الله ونعم الوكيل

وهذا مقتبس من قول الله تعالى: ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ [يوسف: ١٨]، وقول الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

١١ - قول الشاعر:

قد كان ما خفت أن يكونـ ... ـا إنا إلى الله راجعونا

الشطرة الأخيرة مقتبسة من قول الله: ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٦].

١٢ - قال الشيخ صفي الدين الحلي:

هَـٰذِي عَصَايَ الَّتِي فَيْهَا مَآرِبُ لِي ... وَقَدْ أَهُشُّ بِهَا طَورًا عَلَى غَنَمِي

هذا مقتبس من قول الله: ﴿ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ ﴾ [طه: ١٨].

الخلاف الفقهي في المسألة:

نقل السيوطي - رحمه الله - أنه اشتهر عن المالكية تحريمه وتشديد النكير على فاعله، أما الشافعية فلم يتعرض له المتقدمون ولا أكثر المتأخرين منهم، مع شيوع الاقتباس في أعصارهم، واستعمال الشعراء له قديمًا وحديثًا وتعرض له جماعة من المتأخرين، فسئل عنه الشيخ: عز الدين بن عبد السلام فأجازه، واستدل بما ورد عن الرسول ﷺ من قوله في الصلاة وغيرها: «**وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْـمُشْرِكِينَ**» رواه مسلم.

وفي رسالة الرسول ﷺ إلى كِسْرَى التي أرسلَها مع عبدِ الله بْنِ حذافة جاء فيها: «**بسم الله الرحمن الرحيم من محمدٍ رسولِ اللَّـهِ إلى كِسْرى عظيمِ الفرسِ سَلامٌ عَلَى مَنِ اتبعَ الْـهُدَى وآمَنَ بالله وَرَسُولِهِ وَأَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ اللَّـهِ فَإِنِّي أَنَا رَسُولُ اللَّـهِ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، لأُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْـقَوْلُ عَلَى الْـكَافِرِينَ**» .

وهو اقتباس من قول الله تعالى: ﴿ **لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ** ۝٧٠ ﴾ [يس: ٧٠].

وفي رسالةِ الرسول ﷺ إلى هرقل الروم، جاء: «**بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين وإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين أي الفلاحين، ويأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون**».

وهو اقتباس من قوله تعالى: ﴿ **قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** ۝٦٤ ﴾ [آل عمران: ٦٤].

وقال السيوطي في قول الرسول ﷺ يوم «خيبر»: «**إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين**».

قال: هو من أدلة جواز الاقتباس من القرآن وهي كثيرة لا تحصى.

ورد في سياق وصية أبي بكر رضي الله عنه قوله: «أني أستخلف عليكم عمر بن الخطاب فإن يعدل فذاك ظني به ورجائي فيه وإن يجر ويبدِّل فلا أعلم الغيب، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون» نقلها ابن كثير في تفسيره عند تفسير هذه الآية .

بعض الفقهاء رأى أن الاقتباس في الشعر غير جائز أصلا، لأنه يجب أن ينزه القرآن عن الشعر مطلقا وإنْ حَسُنَ الغرض وشَرُفَ المقصد إذ كيف يجوز ذلك في ضوء نفي وصف الشعر عن القرآن الكريم بمقتضى آيات القرآن الكريم والتي منها قوله تعالى: ﴿ **وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ** ﴾ [الحاقة: ٤١].

وقد أثر القرآن في زيادة الثروة اللغوية ما يلحظ من استعمال عوام الناس لألفاظ القرآن الكريم وتعبيراته في كلامهم، من ذلك قولهم: (صُمٌّ بُكْمٌ)، في مقام عدم الاستجابة وقصور الفهم.

وقولهم: (والصُّلْحُ خَيْرٌ)، في مقام الدعوة إلى الصلح.

وقولهم: (ما على الرسول إلا البلاغ)، حين يبلغون ما يستثقله المخاطب ويعترض عليه.

وقولهم: ذهب (هباء منثورًا)، و(طامة كبرى)، و(لا يسمن ولا يغني من جوع)، و (قاب قوسين)، و(ما على المحسنين من سبيل)، و(وأن تعفوا أقرب للتقوى)، و(إن أكرمكم عند الله أتقاكم)، و(الذكرى تنفع المؤمنين)، و(إن بعض الظن إثم)، و(الإنسان على نفسه بصيرة)، و(ويخلق ما لا تعلمون)..، وغير ذلك.

ويُذكر في هذا المقام القصة المشهورة عن المتكلمة بالقرآن، التي تُروى عن عبد الله بن المبارك مع عجوز لا تجيب عن أسئلته إلا بجمل أو آيات من القرآن، فلما سأل أبناءها عن شأنها قالوا: هذه أمنا لها منذ أربعين سنة لم تتكلم إلا بالقرآن؛ مخافة أن تزل فيسخط عليها الرحمن. قال ابن المبارك: فقلت: ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

وبغض النظر عن جواز الفعل - إن صحت القصة - فإن هذه العجوز لم تكن لتنطق بالقرآن وتستحضره في كل أجوبتها إلا لملازمتها له تلاوةً وحفظًا.

تدريبات

عين الاقتباس فيما يلي:

١ - قول الآخر:

إن كـنت أزمعـت عـلى هجـرنا مـن غـير مـا جـرم فـصبر جميـل
وإن تـبدلت بـنا غـيرنا فحـسبنا الله ونعـم الوكـيل

٢ - قال الشيخ صفي الدين الحلي:

هَـذِي عَـصَايَ الَّتِي فَيْهَا مَآرِبُ لِي وَقَـدْ أَهُـشُّ بِهَـا طـورًا عَـلَى غَنَمِي

٣ - قول أبي جعفر الأندلسيّ:

لاَ تُعَـادِ الـنَّاسَ فِي أَوْطَـانِهِمْ قَلَّـمَا يُرْعَـى غَـرِيبُ الْـوَطَنِ
وَإِذَا مَـا شِـئْتَ عَيْـشًا بَيْـنَهُمْ خَالِـقِ الـنَّاسَ بِخُلُـقٍ حَـسَنِ

٤ - قول الصّاحب بن عبّاد:

قَـالَ لِي: إِنَّ رَقِيبِـي سَـيِّءُ الْخُلُـقِ فَـدَارِه
قُلْـتُ دَعْنِـي وَجْهُـك الْجَـنَّةُ حُفَّـتْ بالْمَكَـارِه

٥ - قول ابن الرّومي:

لَـئِنْ أَخْطَـأْتُ فِي مَـدْحِكَ مَـا أَخْطَـأْتَ فِي مَنْعِـي
لَقَـدْ أَنْـزَلْتُ حَاجَـاتِي بِـوَادٍ غَـيْرِ ذِي زَرْعِ

٦ - قول الآخر:

لا تعاشر معشرا ضلوا الهدى فسواء أقبلوا أو أدبروا
بدت البغضاء من أفواههم والذي يخفون منها أكبر

٧ - قول بديع الزمان الهمذاني:

لآلِ فَريغُونَ فِي الْمَكْرُمَا تِ يَدٌ أَوَّلًا واعْتِذَارٌ أَخِيرًا
إِذَا مَا حَلَلْتَ بِمَغْناهُمُو رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا

٨ - قول الحماسي:

إِذَا رُمْتُ عَنْهَا سَلْوَةً قَالَ شَافِعٌ مِنَ الْحُبِّ مِيعَادُ السُّلُوِّ الْمَقَابِرُ
سَتَبْقَى لَهَا فِي مُضْمَرِ الْقَلْبِ والْحَشَا سَرِيرَةُ حُبٍّ يَوْمَ تُبْلَى السَّرائِرُ

٨ - قول الصاحب بن عباد:

أَقُولُ وَقَدْ رَأَيْتُ لَهُ سَحَابًا مِنَ الْهِجْرَانِ مُقْبِلَةً إِلَيْنَا
وَقَدْ سَحَّتْ غَوَادِيهَا بِهَطْلٍ حَوَالَيْنَا الصُّدُودُ وَلاَ عَلَيْنَا

٩ - قول الشاعر:

قد كان ما خفت أن يكونـ ـا إنا إلى الله راجعونا

١٠ - قول الأبيوردي:

وقصائد مثل الرياض أضعتها في باخل ضاعت به الأحساب
فإذا تناشدها الرواة وأبصروا الممدوح قالوا ساحر كذاب

١١ - قول الشاعر:

خلـــة الغانـــيات خلـــة ســـوء ... فاتقـــوا الله يـــا أولي الألـــباب

وإذا مـــا ســـألتموهن شـــيئًا ... فاســـألوهن مـــن وراء حجـــاب

جدول توضيحي للمحسنات البديعية من حيث الشعر والنثر

نوع المحسن البديعي	الشعر	النثر
الطباق	✓	✓
المقابلة	✓	✓
السجع	×	✓
الازدواج	✓	✓
الجناس	✓	✓
التصريح	✓	×
حسن التقسيم	✓	×
الالتفات	✓	✓
تأكيد المدح بما يشبه الذم	✓	✓
التورية	✓	✓
براعة الاستهلال	✓	✓
الاقتباس	✓	✓

تدريبات على المحسنات البديعية

(١) بين نوع المحسن اللفظي (البديعي) مع ذكر الفائدة البلاغية فيما يلي:

١- قول الله عز وجل: ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الكهف: ١٨].

٢- قول الله: ﴿ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [المائدة: ١٦].

٣- عن أنس قال: قدم على رسول الله ﷺ بمال من البحرين فتسامعت به المهاجرون والأنصار فغدوا إلى رسول الله ﷺ وذكر حديثا طويلا فيه: وقال للأنصار: «**إنكم ما علمت تكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع**». (كنز العمال).

٤- قول الله: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [الروم: ٥٥].

٥- قول الله عز وجل: ﴿ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [التوبة: ٨٢].

٦- قول الله: ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ ﴾ [نوح: ١٣، ١٤].

٧- قول الشاعر:

اختلاف النهار والليل ينسي ... اذكرا لي الصبا وأيام أنسي

٨- قول سيدنا علي رضي الله عنه: «الجماعة رحمة والفرقة عذاب».

٩- عَنْ عُرْوَةَ الْبَارِقِيِّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**الْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ الْأَجْرُ وَالْمَغْنَمُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**» رواه البخارى.

١٠- قول الله: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ۝ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۝ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۝ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ۝ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۝ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ۝ ﴾ [الغاشية: ٨- ١٦].

١١- قول الله: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ۝ ﴾ [المائدة: ٤٤].

١٢- قول الله: ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۝ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ۝ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ۝ ﴾ [النجم: ١- ١٠].

١٣- قول الله تعالى: ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ ۖ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝ ﴾ [الأنعام: ٢٦].

١٤- قول الله عز وجل: ﴿ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝ ﴾ [الكهف: ١٠٤].

١٥- يقول المنصور: «لا تخرج من عِزِّ الطاعة إلى ذُلِّ المعصية».

١٦- قول الله: ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ۝ ﴾ [النساء: ١٠٨].

١٧- قول الله عز وجل: ﴿ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ۝ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ۝ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ۝ ﴾ [الواقعة: ٢٨- ٣١].

١٨- قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ۝

يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ۝ ﴾ [الهمزة: ١ - ٩].

١٩- صَلَّيْتُ الْـمَغْرِبَ فِي بلادِ الْـمَغْرِبِ.

٢٠- قول الشاعر:

متفــــرد بـــــصبابتي متفـــــرد بكآبتــــــي متفـــــرد بعنائــــــي

٢١- عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «سَتكونُ أَثَرَةٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّـهِ فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: «**تُؤَدُّونَ الْـحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ وَتَسْأَلُونَ اللَّـهَ الَّذِي لَكُمْ**» رواه البخاري.

٢٢- قال أمين الريحاني وهو يودع صنعاء: (قد أكلنا من ثمارك، وشربنا من مائك، ونعمنا تحت سمائك، وانتعشنا بعليل هوائك).

٢٣- رأيت اليوم سائلًا .

٢٤- قول أبي تمام:

بيض الصفائح لاسود الصحائف في متونهن جلاء الشك والريب

٢٥- عن أبي محمد يحيى بن ثمامة بن حجر القرشي ثنا محمد بن زكريا بن دينار ثنا ابن عائشة عن أبيه قال: خطب النبي ﷺ ذات يوم فقال: «**ليأخذ العبد من نفسه لنفسه، ومن دنياه لآخرته، ومن الشبيبة قبل الكبر، ومن الحياة قبل الممات، فما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار**» .

٢٦- قول الشاعر:

مِــنْ بَحْــرِ شِــعْرِكَ أَغْــتَرِفْ وَبِفَــضْلِ عِلْمِــكَ أَعْــتَرِفْ

٢٧- قول ابن الرومي في ابنه الفقيد:

طواه الردي عني فأضحى مزاره بعيدا على قرب قريبًا على بعد

٢٨- قول المتنبي:

واحــر قلــباه ممــن قلــبه شــبم ومـن بجـسمي وحـالي عـنده سقم

٢٩- قول أبي فراس الحمداني:

أراك عـصي الدمع شيمتك الصبر أمـا للهـوى نهـى علـيك ولا أمـر

٣٠- ليس في القائد عيب سوى أنه يحسن التخطيط.

٣١- العدل محبوب، والظلم مكروه.

٣٢- قول الفرزدق:

والـشَّيْبُ يَـنْهَضُ في الشَّبَاب كأَنَّه لَــيْلٌ يَــصِيحُ بجَانِبَــيْهِ نَهَــارُ

٣٣- صولة الباطل ساعة، وصولة الحق إلى قيام الساعة.

٣٤- قول شوقي:

اخـتلاف الـنهار والـليل ينـسى اذكــر لي الــصبا وأيــام أنــسى

وسـلا مـصر هل سلا القلب منها أو اسـا جـرحه الـزمان المؤسـى ؟

٣٥- قول الله عز وجل: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنْۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝ ﴾ [الليل: ٥- ١٠].

٣٦- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «آيَةُ الْـمُنَافِقِ ثَلَاثٌ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ» .

٣٧- قول شوقي:

نَفْــسِي مِــرْجَلٌ وَقَلْبِــي شِرَاعٌ بِهِــمَا فِي الدُّمُــوعِ سِــيرِي وَأرسي

٣٨- قول الله: ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝ ﴾ [الكوثر: ١- ٣].

٣٩- قول الشاعر:

كليني لهم يا أميمة ناصب ولیل أقاسيه بطيء الكواكب

٤٠- قول المتنبي:

الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

٤١- قول الله: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ۝ ﴾ [آل عمران: ١٠٦].

٤٢- قول الشافعي:

قلبي برحمتكَ اللهمَّ ذو أنسٍ في السِّرِّ والجهرِ والإصباحِ والغلسِ
وما تقلَّبتُ من نومي وفي سنتي إلا وذكركَ بين النَّفس والنَّفسِ
لقد مننتَ على قلبي بمعرفةٍ بأنَّكَ اللَّهُ ذُو الآلاءِ وَالْقُدْسِ
وقد أتيتُ ذنوبًا أنت تعلمها وَلَمْ تَكُنْ فَاضِحي فِيهَا بِفِعْلِ مسي
فَامْنُنْ عَلَيَّ بِذِكْرِ الصَّالِحِينَ وَلا تجعل عليَّ إذا في الدِّين من لبسِ
وَكُنْ مَعِي طُولَ دُنْيَايَ وَآخِرَتي ويوم حشري بما أنزلتَ في عبس

٤٣- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ وَسُلْسِلَتْ الشَّيَاطِينُ» رواه البخاري.

٤٤- قول الله تعالى: ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ۝ ﴾ [الرعد: ١٧].

٤٥- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: بَلَغَ رَسُولَ اللَّـهِ ﷺ عَنْ أَصْحَابِهِ شَيْءٌ فَخَطَبَ فَقَالَ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الْـجَنَّةُ وَالنَّارُ فَلَمْ أَرَ كَالْـيَوْمِ فِي الْـخَيْرِ وَالشَّرِّ وَلَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا»، قَالَ: فَمَا أَتَى عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّـهِ ﷺ يَوْمٌ أَشَدُّ مِنْهُ قَالَ: غَطَّوْا رُءُوسَهُمْ وَلَهُمْ خَنِينٌ، قَالَ: فَقَامَ عُمَرُ فَقَالَ: رَضِينَا بِاللَّـهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَام دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا، قَالَ: فَقَامَ ذَاكَ الرَّجُلُ فَقَالَ: مَنْ أَبِي؟ قَالَ: «أَبُوكَ فُلَانٌ»، فَنَزَلَتْ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [المائدة: ١٠١]. رواه مسلم.

٤٦- قول الله عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [ق: ١٦- ٢١].

٤٧- قول أبي العلاء المعري:

أرى اللبّ مرآة اللّبيب، ومن يكن ... مَـرائيَّه الإخـوانُ يَـصْدُقْ ويَكْـذبِ

أأخـشى عَذابَ اللّـهِ، واللّـهُ عادِلٌ ... وقد عشتُ عيشَ المستضام المعذَّب

نعـم! إنهـا الأرزاقُ، والمرءُ جاهلٌ ... يهـذِّبُ، مـن دُنـياهُ، مـا لم يُهـذَّبِ

فـإنّ حـبالَ الـشمسِ لـسنَ ثوابـتًا ... لـشدّ رحـالٍ، أو قـوابضَ جُـذَّبِ

الباب الرابع
عِلْمُ المَعَانِي

الأسلوب الخبري والإنشائي

تعريف علم المعاني:

هو علمٌ يَدْرُسُ ظواهرَ تعبيريةً كثيرةً، كالأساليبِ والتقديمِ والتأخيرِ، والتعريفِ والتنكيرِ، والذِّكْرِ والْـحَذْفِ، والتعريفِ والتنكيرِ، والتأكيدِ وعدمِهِ، والْـقَصرِ وعَدَمِهِ، والإيجازِ والإطنابِ.

نَزَلَ القرآنُ بلسانٍ عربيٍّ مبينٍ، علَى أَفْصَحِ العربِ وأقومِهِمْ لِسَانًا، وكان القرآنُ الكريمُ هو الْـمُعْجِزَةُ الْـكُبْرَى للرَّسُولِ ﷺ حيث تَحَدَّاهُم اللَّـهُ أنْ يَأْتُوا بمثلِهِ، بل أنْ يأتُوا بسورةٍ منه، وعَجَزَ العَرَبُ وأَذعَنُوا وَاسْتَسْلَمُوا لِهَذَا الإعجازِ البيانِيِّ الرائعِ، وَاستمرت تلك الْـمُعْجِزَةُ البيانيةُ على مَرّ العصورِ والأجيالِ شاهدةً عَلَى صِدْقِ النبيِّ ﷺ وقوةِ رِسَالَتِهِ.

وهذا القرآنُ الْـمُعْجِزَةُ للبشريةِ يَقِفُ الْـمُسْلِمُ أَمَامَهُ مُنْبَهِرًا، يَقِفُ بينَ الإعجازِ وبينَ سَلاسَةِ الأسلوبِ وسهولةِ العبارةِ وقوةِ نَفَاذِهَا إِلَى أعْمَاقِ القُلوبِ، لا تَعْقِيدَ ولا تَكَلُّفَ ولا تَرْكِيبَ.

يَقْرَأُهُ العالِمُ الْـمُتَخَصِّصُ فَيَشْعُرُ بالضَّعْفِ أَمَامَ رَوْعَةِ أُسْلُوبِهِ وَبَيَانِهِ، وَيَسْمَعُهُ الأُمِّيُّ فيزدَادُ إيمانُه وخُشوعُه، ويتلُوهُ الأَعْجَمِيُّ فَيَخِرُّ للَّـهِ سَاجِدًا دُونَ أنْ يَجِدَ تَفْسِيرًا لِقُوَّةِ سُلْطَانِهِ على قَلْبِهِ.

وَلا غَرْوَ، ولا عَجَبَ، فهذا كلام الله عز وجل: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾ [النساء: ٨٧]، وقال الله: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلاً ﴾ [النساء: ١٢٢].

وهذا الكتابُ الذي لا يأتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بين يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ، وَلأَنَّ هذا القرآنَ كتابُ هِدَايَةٍ وبيانٍ ودلالةٍ وإرشادٍ، فقد عُرِضَتْ آياتُهُ بأُسْلوبٍ رَصِينٍ، بل

بأساليبَ متعددةٍ؛ لِئَلا تَمَلَّ الْـقُلُوبُ، أَوْ تَكِلَّ الأَفْهَامُ. تَبْدَأُ الآيةُ بأُسْلُوبٍ رَائِعٍ ثمَّ تَنْتَهِي بأُسْلُوبٍ أَخَّاذٍ، وتزدادُ نَبَضَاتُ القلبِ فِي تَنَقُّلِهِ بينَ آيَاتِهِ وَمَعَانِيهِ، فَلا تَـمُجُّهُ الآذَانُ، وَلا تَتْعَبُ فيهِ الأَذْهانِ، تنزيلٌ مِنْ عَزيزٍ حكيمٍ.

فالعاقلُ قبلَ أنْ يتكلمَ يُديرُ الكلامَ عَلَى ذِهْنِهِ ويَعْرِضُهُ عَلَى تَفْكِيرِهِ، فَتَأْتِي النِّسْبَةُ في ذِهْنِهِ، وَيَنْطِقُهَا لِسَانُهُ، وهذه النسبة قبل أنْ يُفَكِّرَ فيها ويَنْطِق بها لها واقعٌ.

فمثلًا حينَ تقول: مُحَمَّدٌ مُجْتَهِدٌ.

قبل أن تنطق بها جال في خاطرك اجتهادُ محمدٍ، وهذه تُسَمَّى نسبةً ذِهْنِيَّةً، فَإِنْ قُلْتَ: (مُحَمَّدٌ مُجْتَهِدٌ) أَصْبَحَتْ نِسْبَةً كلامِيَّةً، فإنْ وَجَدَ شَخْصًا اسْمُهُ محمدٌ، وهو مجتهدٌ فعلًا، فإن النسبةَ الذِّهْنِيَّةَ الكلامية أَصْبَحَتْ نسبةً واقعيةً، والخبرُ بها خَبَرٌ صَادِقٌ.

فإنْ كانت النسبةُ الكلاميةُ لا واقعَ لها كأنْ لا يُوجدُ شخصٌ اسمُهُ محمدٌ أو وُجِد، لكنَّهُ غيرُ مجتهدٍ، فالخبر هنا كاذبٌ. وهذا هو الأسلوب الخبري الذي يحتملُ الصدقَ أو الكذبَ.

وهناك الأسلوبُ الإنشائيُّ الذي لا يحتمل الصِّدْقَ، ولا يحتملُ الكذبَ؛ لأنَّ النسبةَ الواقعيَّةَ فيه متأخرةٌ عن النسبة الكلامية كما لو قُلْت: (ذَاكِرْ دُرُوسَكَ). فواقع هذه العبارة سيحدث في المستقبل؛ لذلك لا يُوصَف الإنشاء بالصدق أو بالكذب.

والتدقيقُ العلميُّ يقول: الصدق الحقيقي أنْ تطابِقَ النسبةُ الكلاميةُ الواقعَ والاعتقادَ، فإن اعتقدتَ شيئًا ولم يحدثْ، فالنسبة كاذبةٌ وأنتَ غيرُ كاذِبٍ؛ لأنَّ هناك فَرْقًا بينَ الْـخَبَرِ والْـمُخْبِرِ.

تعريف الأسلوب:

الأسلوب هو الطريقُ الذى يُعَبِّرُ بِهِ الكاتبُ أو الأَدِيبُ عَمَّا يَدُورُ فِي نَفْسِهِ من أفكارٍ. ويَنْقُلُ مَشَاعِرَهُ وَأَحَاسِيْسَهُ إِلَى القارِئِ والسامعِ.

وينقسم الأسلوب إلى:

أسلوب خبرى .

أسلوب إنشائى.

أولاً: الأسلوب الخبري:

والخبر هو القول الذي يُوصَف بالصدق إنْ طابق الواقع، ويُوصَف بالكذب إن خالف.

أو هو قول يُرَادُ إفادةُ السامع فائدةً مَا. وهو كُلُّ ما يحتمل الصدق والكذب لِذَاتِهِ. **مثل**: سَتُمْطِرُ السَّمَاءُ غَدًا - كَثْرَةُ الطعامِ مُفِيدَةٌ - قَدْ تَعْفُو الدَّوْلَةُ عَنْ كَثيرٍ مِنَ الْـمَساجين هذا العام .

الفائدة الحقيقية للأسلوب الخبري:

هو إفادة المخاطب بحكم لم يعرفه المخاطب من قبل، وهذا ما يسمى (فائدة الخبر) وقد يلقى الخبر لإفادة المخاطب أن المتكلم عالم بهذا الحكم ويسمى (لازم الفائدة).

الفائدة البلاغية للأسلوب الخبري:

قد يخرج الخبر عن فائدته الحقيقية إلى فوائد بلاغية. منها:

١ - **الفخر والإعجاب**: مثل قول الشاعر:

أَنَـا الَّـذِي نَظَـرَ الْأَعْمَـى إِلَى أَدَبِي ... وَأَسْـمَعَتْ كَلِمَاتِي مَـنْ بِـهِ صَـمَمُ

٢ - **المدح**: مثل قول الشاعر:

نَثَـرْتَهُمُ فَـوْقَ الأُحَـيْدَبِ نَثْـرَةً كَمَا نُثِـرَتْ فَوْقَ الْـعَرُوسِ الدَّرَاهِمُ

الأحيدب: موضع، وقيل: اسم الجبل الذي عليه مدينة الحدث.

يقول: إنك قتلْتَ الأبطالَ في كلِّ موضِعٍ من هذا الجبل، وَنَثَرْتَهُمْ عليه كما تُنْثَرُ الدّرَاهِمُ فوقَ العَرُوسِ.

٣- **التحسر والحزن وإظهار اللوعة**. مثل قول الشاعر:

ذَهَـبَ الـصِّبَا وَتَـوَلَّتِ الأَيَّـامُ فَعَـلَى الـصِّبَا وَعَـلَى الـزَّمَانِ سَـلام

٤- **التوبيخ والتأنيب**: مثل قولك لمن سَقَطَ عَلَى الأَرْضِ: الْـمِصْبَاحُ فِي يَدِكَ .

٥- **الوعظ والإرشاد**: مثل قولك: كُلُّ مَذْكُورٍ سَيُنْسَى. وكُلُّ مَشْهُورٍ سَيَفْنَى، لَيَسْ غَيْرُ اللَّـهِ يَبْقَى.

ثانيًا: الأسلوب الإنشائي:

وهو الكلام الذي لا يحتمل الصدق أو الكذب. أو لا يمكن أن يوصف صاحبه بالصدق أو الكذب.

الكلام العربي مُقسَّم إلى خبر وإنشاء، فالخبر نسبة كلامية، فإنْ كان لها معنى ومدلول فهي نسبة واقعية.

أما الإنشاء فهو مقابل الخبر يعني: قَوْلٌ لا يُوصَف بصدق ولا بكذب، كأن تقول لإنسان: قِفْ، فهذا أمر لا يقال لقائله: صادق، ولا كاذب .

أنواع الأسلوب الإنشائي:

١ - **طلبي**: وهو (الأمر - النهي - الاستفهام - التمني - النداء).

٢ - **غير طلبي**: وهو (التعجب - المدح والذم - القسم) .

ولكل نوع من هذه الأنواع صوره وأغراضه الحقيقية والبلاغية، وإليك التفصيل:

الإِنْشَاءُ الطَّلَبِيّ:

الأَمْـــرُ

وله أربعُ صورٍ:

١ - **فعل الأمر.** مثل: اِحْرِصْ عَلَى الْـخَيْرِ.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْـيَمَنِ فَقَالَ: «**اتَّقِ دَعْوَةَ الْـمَظْلُومِ فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّـهِ حِجَابٌ**» رواه البخاري.

٢ - **المضارع المقترن بلام الأمر.** مثل: لِتَحْرِصْ عَلَى الْـخَيْرِ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ الْـحَمْدُ لله وَلْيَقُلْ لَهُ أَخُوهُ أَوْ صَاحِبُهُ: يَرْحَمُكَ اللَّـهُ، فَإِذَا قَالَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللَّـهُ، فَلْيَقُلْ: يَهْدِيكُمُ اللَّـهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ**» رواه البخاري.

٣- **المصدر النائب عن فعل الأمر.** مثل: حِرْصًا عَلَى الْـخَيْرِ.

والتقدير: اِحْرِصْ حِرْصًا.

قال النَّبِيُّ ﷺ: «**صَبْرًا آلَ يَاسِرٍ فَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الْجَنَّةُ**» رواه الحاكم والطبراني والبيهقي.

٤ - **اسم فعل الأمر.** مثل: عَلَيْكَ بالْـخَيْرِ.

مثل قول الله: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥** ﴾ [المائدة: ١٠٥].

ومثل: حَيَّ عَلَى الصَّلاةِ.

الفائدة الحقيقية لفعل الأمر:

هو طلب تنفيذ الفعل على وجه الإلزام والإجبار والاستعلاء.

مثل قول الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [المائدة: ٣٥].

فكل من: (اتَّقُوا - ابْتَغُوا - جَاهِدُوا) فعل أمر، والأمر هنا حقيقيٌّ لا بلاغة فيه.

الفوائد البلاغية لفعل الأمر:

يَخْرُجُ الأَمْرُ عَنْ مَعْنَاهُ الْحَقِيقي؛ لِيثِيرَ الانتِبَاهَ، وَيُوقِظَ الذِّهْنَ، وَيُعْمِلَ الْعَقْلَ، وَيَأْخُذَ الْمُتَلَقِّي إِلَى مَا وَرَاء الظَّاهِرِ، وَيُمْتِعَ النَّفْسَ بالْمُشَارَكَةِ الْوجْدَانِيَّةِ بَيْنَ الْمُتَكَلِّمِ وَالسَّامِعِ أَوِ الْمُتَلَقِّى لِيُفِيدَ الفوائد التالية:

١ - الدعاء:

وَذَلِكَ إِذَا جَاءَ الأَمْرُ مِنَ الأَقَلِ إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، مثل قول الله: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٥١].

﴿ ٱغْفِرْ ﴾: فعل أمر يفيد الدعاء، والأحسن أن نقول: فعلُ دعاءٍ، إذ جاء الأَمْرُ مِنَ الأقلِ إلى الله سبحانه وتعالى.

٢ - الرجاء:

وَذَلِكَ إِذَا جَاءَ الأَمْرُ مِنَ الأَقَلِ إِلَى الأَعْلَى.

مثل قولك للمعلم: اشْرَحْ هَذَا الدَّرْسَ - أَعْطِنِى الْكِتَابَ يَا أَبِى.

اِشْرَحْ - أَعْطِنِى: كل منهما فعل أمر يفيد الرجاء، إذ جَاءَ الأَمْرُ مِنَ الأقلِ إلى الأعلى، وهو المعلم - الأب.

٣ - الالتماس:

وَذَلِكَ إِذَا جَاءَ الأَمْرُ مِنْ شَخْصٍ إِلَى شَخْصٍ مُسَاوٍ لَهُ فِي الْمَكَانَةِ وَالْـمُسْتَوَى. أَوْ بَيْنَ شَخْصَيْنِ مُتَسَاوِيَيْنِ فِي الدَّرَجَةِ وَالْـمَنْزِلَةِ.

مثل قَوْلِكَ لِصَدِيقِكَ: اِسْمَعْ إِلَى كَلامِ الأُسْتَاذِ يَا طَارِقُ.

اسمعْ: فعل أمر يفيد الالتماس؛ إِذْ جَاءَ الأَمْرُ بَيْنَ شَخْصَيْنِ مُتَسَاوِيَيْنِ فِي الدَّرَجَةِ وَالْـمَنْزِلَةِ وَالْـمَكَانَةِ.

٤ - النصح والإرشاد:

وَذَلِكَ إِذَا جَاءَ الأَمْرُ يَشْمَلُ نُصْحًا وَإِرشادًا، مثل قولِ الأَبِ لابنِهِ: اِجْتَهِدْ فِي دِرَاسَتِكَ يَا وَلَدِي.

اِجْتَهِدْ: فِعْلُ أَمْرٍ يُفِيدُ النُّصْحَ وَالإِرْشَادَ؛ إِذْ جَاءَ يحمل النُّصْحَ.

ومثل قول شوقي:

فَخُـذُوا الْـعِلْمَ عَـلَى أَعْلامِـهِ ... وَاطْلُبُوا الْـحِكْمَةَ عِنْدَ الْـحُكَمَاءِ

٥ - التهديد والوعيد:

وَذَلِكَ إِذَا جَاءَ الأَمْرُ بِمَا يُخَالِفُ الْـوَاقِعَ، وَيَتَضَمَّنَ مَا يُخِيفُ.

مثلُ قولِ الأبِ لابنِهِ: اِلْعَبْ وَاترُكْ دُرُوسَكَ وَأَهْمِلْهَا - اِظْلِمْ كَمَا تَشَاءُ يَاظَالِمُ فَاللَّـهُ مُطَّلِعٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ.

اِلْعَبْ - أُتْرُكْ - أَهْمِلْ - اِظْلِمْ: كل منها فعل أمر يفيد التهديد والوعيد، إِذْ جَاءَ بِمَا يُخَالِفُ الْـوَاقِعَ، وَيَتَضَمَّنَ مَا يُخِيفُ.

ومثل قول الله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِيٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [فصلت: ٤٠].

٦ – التعجيز:

وَذَلِكَ إِذَا جَاءَ الأَمْرُ مُشْتَمِلًا عَلَى الْـمُسْتَحِيلِ والْـمُحَالِ، مِمَّا يَصْعُبُ عَلَى الْـمُخَاطَبِ عَمَلُهُ.

مثل: اِمْشِ عَلَى الْـحَائِطِ – أُنْقُلِ الأَهْرَامَاتِ مِنَ الْـجِيزَةِ إِلَى مَدِينَةِ نَصْرٍ .

ومثل قول الله: ﴿ أَمَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [النمل: ٦٤] .

ومثل قوله: ﴿ ۞ قُلْ كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ ﴾ [الإسراء: ٥٠] .

وقوله: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [البقرة: ٢٣].

وقول الشاعر:

أروني بخيلا طال عمرا ببخله ... وهاتوا كريما مات من كثرة البذل

٧ – التمني:

وَذَلِكَ إِذَا جَاءَ الأَمْرُ مُوَجَّهًا لِغَيْرِ الْـعَاقِلِ.

مثل قولك: تَكَلَّمِي يا نَخْلَةُ – اِشْهَدِي يَا مِنْضَدَةُ أَنِّي شَرَحْتُ الدَّرْسَ.

تَكَلّمِى – اِشْهَدِى: كل منهما فعل أمر يفيد التمنى؛ إِذْ جَاءَ الأَمْرُ مُوَجَّهًا لِغَيْرِ الْـعَاقِلِ.

ومثل قول الشاعر:

يَا دَارَ عَبْلَةَ، بالْـجَوَاءِ، تَكَلَّمِي ... وَعِمِي صَبَاحًا، دَارَ عَبْلَةَ، وَاسْلَمِي

٨ – الذمُّ وَالتَّحْقِيرُ:

وَذَلِكَ إِذَا جَاءَ الأَمْرُ مُشْتَمِلًا عَلَى استهزاء وسُخْرِيةٍ .

مثل قولك: قِفْ مَكَانَكَ فَلَسْتَ أَهْلًا لِلْمَجْدِ.

ومثل قول الله عزّ وَجَلَّ: ﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴾ [الشعراء: ٤٣]، وذلك في قصة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهو يخاطبُ السَّحَرَةَ، أي أن السِّحْرَ مقابلُ الْـمُعْجِزَةِ حقير.

وتتضح الأغراضُ البلاغيةُ للأَمْرِ من خلال معرفة الْـجَوِّ النفسي المسيطر على الْـمَشاعر ومن السياق والقرائن التي تحيط به.

❁ ❁ ❁

النَّهْيُ

لِلنَّهْيِ صُورَةٌ وَاحِدَةٌ، وهي المضارع المسبوق بـ (لا) الناهية.

مثل: لا تَمْدَحْ أَحَدًا فِي وَجْهِهِ.

عَنْ وَاثِلَةَ عَنْ أَبِي مَرْثَدٍ الْـغَنَوِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ: «**لَا تَجْلِسُوا عَلَى الْـقُبُورِ وَلَا تُصَلُّوا إِلَيْهَا**» رواه مسلم.

الفائدة الحقيقية للنهي:

هُوَ طلب الكف عن شيء على وجه الإلزام والاستعلاء.

مثل قول الله: ﴿ **وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ** ﴾ [القلم: ١٠].

وقوله: ﴿ **فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴾ [الأعراف: ٨٥].

وقوله: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ** ﴾ [الحجرات: ١١].

والنهي الحقيقي: لا بَلاغَةَ فِيهِ، وإنما قَصْدُهُ مُجَرَّدُ النَّهْيِ وَالْـكَفِّ وَالْـمَنْعِ.

الْفَائِدَةُ الْبَلاغِيَّةُ لِلنَّهْيِ:

يَخْرُجُ النَّهْيُ عَنْ مَعْنَاهُ الْـحَقِيقِي؛ لِيثِيرَ الانتِبَاهَ، وَيُوقِظَ الذِّهْنَ، وَيُعْمِلَ الْـعَقْلَ، وَيَأْخُذَ الْـمُتَلَقِّي إِلَى مَا وَرَاءَ الظَّاهِرِ، وَيُمْتِعَ النَّفْسَ بالْـمُشَارَكَةِ الْـوِجْدَانِيَّةِ بَيْنَ الْـمُتَكَلِّمِ وَالسَّامِعِ أَوِ الْـمُتَلَقِّي لِيُفِيدَ فَوَائِدَ بَلاغيةً، وهي نفسها الفَوَائد البلاغية لفعل الأمر التي سبقت مع تغيير الأمر (افعل) إلى صيغة النهي (لاتفعل)، وهذه الأغراض هي:

١ – الدعاء:

وَذَلِكَ إِذَا جَاءَ النَّهْى مِنَ الأَقَلِ إِلَى اللَّـهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

مثل قوله: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

﴿ لَا تُؤَاخِذْنَآ ﴾: أسلوب نهى للدعاء، والأحسن أن نقول: أسلوب دعاءٍ؛ إذ جاء النَّهْىُ مِنَ الأقلِ إلى الله. وكذلك ﴿ وَلَا تَحْمِلْ ﴾، ﴿ وَلَا تُحَمِّلْنَا ﴾.

٢ – الرجاء:

وَذَلِكَ إِذَا جَاءَ النَّهْيُ مِنَ الأَقَلِ إِلَى الأَعْلَى.

مثل قولك للمعلم: لا تُسْرِعْ فِى الشَّرْحِ – لا تَغْضَبْ يَا أَبِى.

لا تُسْرِعْ – لا تَغْضَبْ: كل منهما نَهْىٌ يفيد الرجاء، إذ جَاءَ النَّهْيُ مِنَ الأقلِ إلى الأعلى، وهو المعلم – الأب.

ومثل: (لا تُهْمِلْ شَعْبَكَ يَا سِيَادَةَ الرَّئِيسِ).

٣ – الالتماس:

وَذَلِكَ إِذَا جَاءَ النَّهْيُ مِنْ شَخْصٍ إِلَى شَخْصٍ مُسَاوٍ لَهُ فِى الْـمَكَانَةِ وَالْـمُسْتَوَى. أَوْ بَيْنَ شَخْصَيْنِ مُتَسَاوِيَيْنِ فِى الدَّرَجَةِ وَالْـمَنْزِلَةِ.

مثل قَوْلِكَ لِصَدِيقِكَ: لا تَتَكَلَّمْ أَثْنَاء كَلامِ الأُسْتَاذِ يَا طَارِقُ.

لا تَتَكَلَّمْ: أسلوب نهي يفيد الالتماس؛ إِذْ جَاءَ النهى بَيْنَ شَخْصَيْنِ مُتَسَاوِيَيْنِ فِى الدَّرَجَةِ وَالْـمَنْزِلَةِ وَالْـمَكَانَةِ.

٤ – النصح والإرشاد:

وَذَلِكَ إِذَا جَاءَ النَّهْيُ يَشْمَلُ نُصْحًا وَإِرشادًا.

مثل قولِ الأَبِ لابنِهِ: لا تُهْمِلْ دِرَاسَتِكَ يَا وَلَدِي.

لا تُهْمِلْ: أسلوبُ نَهْيٍ يُفِيدُ النُّصْحَ وَالإِرْشَادَ؛ إِذْ جَاءَ يحمل النَّصِيحَةَ.

ومثل قول الشافعي:

إِذَا نَطَــقَ الــسَّفِيهُ فَــلا تُجِــبْهُ فَخَــيْرٌ مِــنْ إِجَابَــتِهِ الــسُّكُوتُ

٥ - التهديد والوعيد:

وَذَلِكَ إِذَا جَاءَ النَّهْيُ بِمَا يُخَالِفُ الْـوَاقِعَ، وَيَتَضَمَّنَ مَا يُخِيفُ.

مثلُ قولِ الأبِ لابنِهِ: لا تُذَاكِرْ ولا تَحْفَظْ - لا تُصَلِّ ولا تَأْخُذْ دَوَاءَكَ .

لا تُذَاكِرْ - لا تَحْفَظْ - لا تُصَلِّ - لا تَأْخُذْ: كل منها نَهْيٌ يفيد التهديد والوعيد؛ إِذْ جَاءَ بِمَا يُخَالِفُ الْـوَاقِعَ، وَيَتَضَمَّنَ مَا يُخِيفُ.

٦ - التَّعْجِيز:

وَذَلِكَ إِذَا جَاءَ النَّهْيُ مُشْتَمِلًا عَلَى الْـمُسْتَحِيلِ وَالْـمُحَالِ، مِمَّا يَصْعُبُ عَلَى الْـمُخَاطَبِ عَمَلُهُ. مثل:

- لا تَتَنَفَّسْ يَوْمَيْنِ
- لا تَشْرَبْ مَاءً عِشْرِينَ يَوْمًا .

٧ - التمني:

وَذَلِكَ إِذَا جَاءَ النَّهْيُ مُوَجَّهًا لِغَيْرِ الْـعَاقِلِ.

مثل قولك: لا تُمْطِرِي يَا سَمَاءُ - لا تَتَحَرَّكِي يَا مِنْضَدَةُ.

لا تُمْطِرِي - لا تَتَحَرَّكِي: كل منهما نهى يفيد التمنى؛ إِذْ جَاءَ الأَمْرُ مُوَجَّهًا لِغَيْرِ الْـعَاقِلِ. ومثل قول الخنساء:

أَعَيْنَــيَّ جُــودَا وَلاتَجْمُــدَا أَلا تَبْكِــيَانِ لِــصَخْرِ الــنَّدَى

٨ – الذم والتحقير:

وَذَلِكَ إِذَا جَاءَ النَّهْيُ مُشْتَمِلًا عَلَى استهزاء وسُخْرِيةٍ .

مثل قولك: لا تَصْعَدْ إلى الْـمَجْدِ فَلَسْتَ أَهْلًا لَهُ.

لا تَصْعَدْ: أسلوبُ نَهْيٍ يُفِيدُ التَّحْقِيرَ وَالذَّمَّ.

وتتضح الأغراضُ البلاغيةُ للنَّهْيِ من خلال معرفةِ الْـجَوِّ النفسي المسيطر على الْـمَشاعر ومن السياق والقرائن التي تحيط به.

لا يقتصر النهي على هذه الأغراض؛ بل إن هناك أغراضًا أخرى تُفْهَمُ من سياق الكلام.

الاستفهام

تعريفه:

هو من أنواع الإنشاء الطّلبي، وَالأَصْلُ فِيهِ طلَبُ الإِفْهامِ وَالاسْتِفْسَارِ لِمَعْرِفَةِ شيءٍ مجهولٍ لَدَى الْـمُستَفْهِم أَوِ السَّائِلِ.

أدوات الاستفهام:

الهمزة - مَا - هَلْ - مَنْ - مَتَي - أَيْنَ - كَيْفَ - كَمْ - أَيّ - أَيَّانَ - أَنَّى.

الفائدة الحقيقية للاستفهام:

هى الاستفسار عن شيء مجهول للسائل، ويحتاج لجواب، مثل: هل ظهرت النتيجة أم لا ؟

والاستفهام الحقيقي لا بلاغة فيه.

ومثل: مَتَى قَامَتِ الْـحَرْبُ العالميّة الثانية؟

الْفَوَائدُ الْبَلاغيَّةُ للاستفهام:

يخرج الاستفهام عن أصل دلالته إلى معانٍ أخرى، كثيرًا ما يخرج الاستفهام عن إرادة طلب الإِفْهامِ والاستفسار إلى معانٍ أخرى أشار إليها به، ويُسْتَدَلُّ علَيْهَا مِنْ قرائنِ الحال أو قرائن المقال، إذْ يَسْتَغْنِي الْـبُلَغاء بعبارات الاستفهام عن ذكر الألفاظ الدّالة دلالةً صَريحةً على مَا يُريدون التَّعْبيرَ عَنْهُ منَ المعَاني، وبلاغةُ الدّلالة على هذه المعاني بأسْلُوبِ الاسْتفهام آتيةٌ من التعبير عنها بصورة غير مباشرة وهيَ دلالاتٌ تُتَصيَّدُ بالذكاء.

وقد أحصى البلاغيّون معانٍ كثيرة خرج الاستفهام فيها عن حقيقته، إذْ تَنَبَّهُوا

إليها لدى دراسة مُخْتَلِف النصوص، وهي ما يلي:

١ - الإِنكار. ٢ - التوبيخ.
٣ - التقرير. ٤ - التعجّب.
٥ - العتاب. ٦ - التذكير.
٧ - الافتخار. ٨ - التعظيم.
٩ - التسوية. ١٠ - الأمر.
١١ - التنبيه. ١٢ - الترغيب.
١٣ - النهي. ١٤ - الدعاء.
١٥ - الاسترشاد. ١٦ - التَّمنّي.
١٧ - الترجّي. ١٨ - الاستبطاء.
١٩ - العرض. ٢٠ - التحضيض.
٢١ - التجاهل. ٢٢ - المدح.
٢٣ - الذّم. ٢٤ - الاكتفاء.
٢٥ - الاستبعاد. ٢٦ - التهكّم والسخرية.
٢٧ - التهديد والوعيد. ٢٨ - التحقير والاستهانة.
٢٩ - التهويل والتخويف...، إلخ.

ومن طبيعة الإِنسان إذا لم يُرِد التصريح بالمعنى الذي يَقْصِده، فإنّه يتّخذ للإِشعار به أسلوبًا غير مباشر.

ومن الأساليب الذكيّة غير المباشرة أن يحاول جعل المخاطَب هو الذي يعبّر بنفسه عن المعنى، أو يُدْرِكُه بنفسه ولو لم يُعبِّر عنه بكلامه.

والطريق السهل للوصول إلى هذه الغاية، أن يطرح على المخاطب جملةً استفهاميَّةً موجّهةً توجيهًا خاصًّا، إذ يحيطها بقرائن تجعله يدرك المعنى بنفسه، سواء عبّر عنه بالجواب أو لم يُعَبِّر.

وَلَمَّا كانت المعاني التي يمكن الإشارة إليها من طرفٍ خفيّ كثيرة جدًّا، ويُمْكنُ استدعاؤها إلى الذهن عن طريق طرح السُّؤال الذي لا يُصَرَّحُ فيه بالمراد، كان من الأمر الطبيعيّ في الكلام أن يُصَاغ فيه جُمَلٌ استفهاميّة محفوفةٌ بقرائن الحال أو المقال، بغيَةَ استدراج المخاطَب لإدراكها، وقد يُصَرِّح في جوابه بما أدرك من معنى، أو يكتفي بإدراك المراد، ويعلم أن السؤال قد طُرِح لمجرّد إفهامه الغرض من السؤال.

والمحققون من علماء البلاغة يَرَوْنَ أَنَّ معنى الاستفهام يبقَى ولكن ينضم إليه ما يُستفاد منه من المعاني التي يُدَلُّ بِهِ عليها.

ويخرج الاستفهام عن أغراضه الحقيقية إلى أغراض بلاغية، منها ما يلي:

١ - التشويق:

إذا كان الاستفهامُ يَشْمَلُ مَا يُثِيرُ الانتباهَ ويَدْعُو إلى التشويق.

مثل قول الله عز وجل: ﴿ **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَـٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾** ﴾ [الصف: ١٠].

أي: ارغَبُوا في هَذِهِ التِّجَارَةِ العظيمة الرابحة.

ومثل قول الله: ﴿ **۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾** ﴾ [آل عمران: ١٥].

وعندما نتأمل قول الله: ﴿ **قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ** ﴾ قد يقول قائل: ألم

يَكن من المنطق أن يخبرنا الله مباشرةً بما يريد أن يخبرُنا به، بدلًا من أن يسألنا: أيخبرنا بهذا الخير، أم لا؟

ونقول: أنت لم تلتفتْ إلَى التشويق بالأسلوب الجميل، وحنان الله على خلقه. إنه سبحانه وتعالى يقول لنا: ألا تريدون أن أقول لكم على أشياء تفضل تلك الأشياء التي تسيركم في الدنيا. فكأن الله سبحانه وتعالى قد نَبَّهَ مَنْ لَمْ ينتبه. ولم ينتظر الله أن نقول له: قل لنا يارب.

لا، إنه يقول لنا دون طلب منا، ويقال عن هذا الأسلوب في اللغة إنه (استفهام للتقرير)، فالإنسان حين يسمع: ﴿ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ﴾ فالذهن ينشغل، فإن لم يسمع النبأ، فلسوف يظل الذهن مشغولًا بالنبأ، ويأتي الجواب على اشتياق فيتمكن من نفس المؤمن.

٢ - النفي:

إذا أمكن وضع أداة نفي مكان أداة الاستفهام، مثل قول الله: ﴿ **قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ** ﴿٥٦﴾ ﴾ [الحجر: ٥٦].

هذا استفهام إنكار من الله سبحانه وتعالى، وهو بمعنى النفي، أي: لا أحد يقنط من رحمة ربه.

﴿ ٱلضَّآلُّونَ ﴾ : التائهون عن الحق.

وهذه الجملة قالها إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - لَمَّا جاءته الملائكة في صورة أضياف يريدون إهلاك قوم لوط، وكان إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - كريمًا مِضْيافًا، فلما جاءه هؤلاء الرجال بادر إلى ضيافتهم، وجاء بعجل سمين، وقرّبه إليهم، لكنهم لم يأكلوا؛ لأنهم ملائكة، والملائكة لا يأكلون؛ فإبراهيم خاف أنهم أعداء، لكنهم طمأنوه، وأخبروه بمهمتهم، وأنهم جاءوا لإهلاك هذه القرية.

مثل قول الله: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [الزمر: ٩] ؟.

وقد يدل الاستفهام على الإنْكار مع النفى، ويُسَمَّى استفهامًا إنكاريًّا، ويُرادُ منه النفي، مع الإنكار، مثل قول الله: ﴿ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [الأحقاف: ٣٥] أي: لاَ يُهْلَكُ إهلاكًا عامًّا شاملًا بعقوبةٍ دُنيويَّةٍ معجَّلةٍ إلاَّ الْـقَوْمُ الفاسِقُون.

ومثل قول الله: ﴿ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾ [الروم: ٢٩].

أي: لاَ أحد يحكم بالهداية لِمَنْ حَكَم الله عليهم بالضّلال، ومَا لهم من ناصرين ينصرونهم فيدفَعُون عنْهُمْ عذَابَ الله. فجاء في هذه الآية عطف الجملة المنفيّة على الاستفهام الإنكاري، إذ معناه النفيُ.

٣ - الفخر:

إذا كان الاستفهام يشمل الأمجاد والمفاخر بضمير كالمتكلم، مثل: أنا - نحن، مثل قول الشاعر:

نَحْنُ هَلْ تَدْرُونَ مَنْ نَحْنُ هُنَا؟ نَحْنُ صُنَّاعُ الْغَدِ الْمُبْتَسِم

٤ - التعجب:

إذا كان الاستفهام عما يثير الإعجاب والدهشة.

مثل قول الله: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [البقرة: ٢٨].

الاستفهام في هذه الآية استِفْهَامٌ تَعْجيبيٌّ فيه معنَى التَّوْبيخ والتْلويم والتَّأْنِيب والتَّقْريع، فَالْـمَعْنَى أَنَّ كُفْرَكُمْ باللّـهِ مَعَ كَوْنِكُمْ كُنْتُمْ أَمْواتًا فأَحْيَاكُمْ ولم تُحْيُوا أنتم أنْفُسَكُمْ، أمْرٌ ينْبَغِي أن تَعْجبُوا منه قبل غيركم، وأمْرٌ يتعجّبُ منه كلُّ العقلاء

من أهل الرشد. فحالُكم يثير التعجُّب والاستغراب، كيف يصْدُرُ من ذوي عقول وأفكار؟!.

وقول الله لعلماء بني إسرائيل: ﴿ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [البقرة: ٤٤].

فالاستفهامُ في ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾ الذي يخاطب اللّـهُ به علماء بني إسرائيل استفهامٌ فيه معنى التَّعَجُّب مِنْ حالِهِمْ مع التوبيخ والتَّلْويم والتقريع، إذْ يأمُرونَ الناسَ منْ عَامَّةِ بني إسرائيل بالبرّ (أي: بالتَّوَسُّعِ في أعْمالِ الخير فوْقَ الواجبات) وأنْ يتركوا مَعَ ذَلك أنْفُسَهم فلا يؤدّوا ما فرض الله عليهم وأَخَذَ عليهم به الْـعَهْدَ من الإيمان بالرسول الخاتم واتّباعه، وهم يتلون كتاب التوراة.

وقول الله عز وجل: ﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [النمل: ٢٠].

اسْتِفْهَامٌ تَعَجُّبِيٌّ، إذْ تعجَّب سليمانُ عليه السَّلام مِنْ عدم رؤية الْـهُدْهُدَ مع أنواع الطَّيْرِ وليْسَ من عادته أن يتخلَّف.

وقول الشاعر:

مَـالِي أَرَاكُـمْ تُنْكِـرُون مَكَانَتِـي؟! الـشَّمْسُ لاَ تَخْفَـى مـعَ الإشْرَاقِ

قولُ إحْدى نِسَاءِ الْـعَرب تَشْكُو ابْنَها، وتُظْهِرُ التَّعَجُّبَ مِنْ عَمَلِهِ:

أَنْـشَا يُمَـزِّقُ أَثْـوابِي يُؤَدِّبُنِـي أَبَعْـدَ شَـيْبِيَ يَبْغِـي عِـنْدِيَ الأدَبَا؟!

أي: إنّ تأديبَ مَنْ شاب من العجَبِ الْـعُجَاب.

مثل قول الشاعر:

مَـالِي أُكَـتِّمُ حُـبًّا قَـدْ بَرَى جَسَدِي وَتَدَّعِـي حُـبَّ سَـيْفِ الدَّوْلَةِ الأُمَمُ

٥ - التعظيم:

إذا كان الاستفهام يشمل التمجيد والإشارة، مثل قول الشاعر:

أَيْنَ الأُلَى سَجَّلُوا فِي الصَّخْرِ سِيْرَتَهُمْ وَصَغّرُوا كُلَّ ذِي مُلْكٍ وَسُلْطَانِ

تندفع نفس المتكلّم حين يَرَى شيئًا عظيمًا فخمًا للتعبير عن عظمته وفخامته، بأسلوب التَّعَجُّبِ أحيانًا، وبأسلوب الاستفهام أحيانًا أُخْرَى، فإذا رَأَى قَصْرًا عَظِيمًا فَخْمًا، قَالَ:

مَا هَذَا الْقَصْرُ؟.

كَيْفَ بُنِي هذا القَصْر؟.

مَنْ بَنَى هذا الْقَصْرَ؟.

وإذا سمع شاعرًا مُبْدعًا، قال:

ما هذا الشاعر؟.

مِنْ أَيْنَ لَهُ بهذا الشعر البديع؟

وهو لا يريد الإجابة على استفهاماته، إنّما يريد التعبير عن عظمة ما رأى، أَوْ سَمع.

قول الشاعر:

ومَنْ الّذي تُرْضى سَجَايَاهُ كُلُّها كَفَى الْمَرْءَ نُبْلًا أَنْ تُعَدَّ مَعَايِبُهُ؟

أي: إنّ الذي تُرْضَى سجاياه كلُّها رَجُلٌ عظيم.

وقول المتنبّي يمدح كافورًا:

وَمَنْ مِثْلُ كَافُورٍ إِذَا الْخَيْلُ أحْجَمَتْ؟ وَكَانَ قَلِيلًا مَنْ يَقُولُ لَهَا اقْدُمِي

أي: هو عظيم قليل النظير في الحثّ على وُرُودِ المعارك، فأورد الاستفهام والغرض منه التعظيم، والقرينة الْمدحُ.

وقول الشاعر:

أَضَاعُوني وَأَيَّ فَتًى أَضَاعُوا ؟ لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ وَسَدَادِ ثَغْرِ

وأَيَّ فَتًى أَضَاعُوا ؟: أي أضاعوا فتًى عظيمًا، فالشاعر يعظم من أمْرِ شجاعته.

الكريهة: الشدّة المكروهة في الحرب.

وسَدَادِ ثَغْر: أي: وَسَدِّ ثَغْرَةٍ مِنْ ثُغُورِ البلادِ لِحمايتها من الْعَدُوّ.

٦ - التقرير:

إذا كان الاستفهام عن جُمْلَةٍ مَنْفِيَّةٍ تَحْمِلُ الْمُخَاطَبَ على الإقرار.

مثل قول الله: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ ﴾ [الشرح: ١]؟

بَلَى، شَرَحْتَ صدْرِي.

ومثل: أَلَمْ تَنْجَحْ فِي الْعَامِ الْمَاضِي ؟ بَلَى، نَجَحْتُ.

ومثل قول الله: ﴿ **أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨** ﴾ [الضحى: ٦- ٨]؟

بَلَى، وَجَدني يَتِيمًا فآوَى.

وقول الله عز وجل للمكذّبين بيوم الدّين: ﴿ **أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ۝٢٠ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝٢١ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ۝٢٢ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ۝٢٣ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝٢٤** ﴾ [المرسلات: ٢٠- ٢٤]؟

بَلَى، خَلَقْتَنَا مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ .

وقول الله: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ [الزمر: ٣٦]؟

بَلَى، اللّـهُ كافٍ عَبْدِهُ.

وقول الله عز وجل: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

فَالاستفهامُ في الشواهد السابقة مُسْتَعْمَلٌ ليجعل المخاطب يُقِرُّ ويعترف بمُحْتوى السؤال.

٧ – التوبيخ:

إذا كان الاستفهام يفيد التوبيخ والتحقير.

مثل قول الله: ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ٨٥]. الاستفهام يفيد التوبيخ.

ومثل قول الله: ﴿ أَفَبِٱلْبَـٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾ [النحل: ٧٢]، الاستفهام يفيد التوبيخ.

وقول الله: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الأنعام: ٢٢] .

﴿ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ﴾: استفهام للتوبيخ لهم.

٨ – السخرية والتهكم:

ويستعمَلُ الاستفهام عند إرادة التهكُّم أو السخرية.

ومثل حديث قوم شعيب عليه الصلاة والسلام له، كَما حكى الله: ﴿ قَالُوا۟ يَـٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَـٰٓؤُا۟ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ ﴾ [هود: ٨٧].

وقول إبراهيم عليه السلام لآلِهَةِ قَوْمِه مِنَ الأَوْثَانِ كما حكَى الله عزَّ وجلَّ: ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمۡ فَقَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ۝٩١ مَا لَكُمۡ لَا تَنطِقُونَ ۝٩٢ فَرَاغَ عَلَيۡهِمۡ ضَرۡبَۢا بِٱلۡيَمِينِ ۝٩٣ فَأَقۡبَلُوٓاْ إِلَيۡهِ يَزِفُّونَ ۝٩٤ قَالَ أَتَعۡبُدُونَ مَا تَنۡحِتُونَ ۝٩٥ ﴾ [الصافات: ٩١- ٩٥].

﴿ أَلَا تَأۡكُلُونَ ﴾ ؟: استفهامٌ تَهَكُّمِيٌّ سَاخِر.

وكذلك: ﴿ مَا لَكُمۡ لَا تَنطِقُونَ ﴾ ؟

ومثل قول أبي تمام عن المنجمين عندما قَرَّرَ المعتصم - الخليفة العباسي - أن ينتقم لشرف امرأة مسلمة، رفع عِلْجٌ من عُلُوجِ الرُّومِ ثَوْبَهَا عَنْ جَسَدِهَا، فَقَالَتْ: وامعتصماه! مستغيثةً بالمعتصم، وقد استدعى المعتصم المنجمين، ليروا: متى يستطيع أن يفتح عمّوريّة - بَلَد ذلك العِلْجِ ؟ فقالوا: لن تفتح قبل نُضْجِ التِّينِ وَالْعِنَبِ!

بَيْدَ أن المعتصمَ ضَرَبَ بكلامِهِم عُرْضَ الحائطِ، فأعدَّ جيشًا، وتوجّه لعمورية في سنة ثلاث وعشرين ومائتين للهجرة، فَفَتَحَهَا، وحَرَّقَهَا، وسَجَّلَ هذه الواقعةَ العظيمةَ الشاعر العباسيّ أبو تمام، ثم.. تَحَدَّثَ عَنِ الْمُنَجِّمِينَ، فَسَخِرَ من علمهم، فقال:

أَيـنَ الـرِّوَايَةُ بَـلْ أَيْـنَ النُّجُومُ وَمَا ... صَاغُوهُ مِنْ زُخْرُفٍ فِيْهَا وَمِنْ كَذِبِ

٩ - الحسرة والحزن:

إذا كان الاستفهام يفيد الندم والحزن على شيءٍ ضَاعَ.

مثل قول الشاعر:

أَيْـنَ أَيَّـامُ لَـذَّتِي وَشَـبَابِي ؟ ... أَتُـرَاهَا بَعْـدَ الـذَّهَابِ؟

يمكن معرفةُ أغراضِ الاستفهامِ البلاغيةِ من خلال السياقِ وحال المخاطب والْجَوّ الشعوري المسيطر على الموقف.

وتتعدد الصيغُ الخبريةُ، وكُلُّهَا تُعْرَضُ بأسلوبٍ جميلٍ، فَمَرَّةً تأتي بسِيَاقِ الأمرِ، وأُخْرَى فِي مَعْرِضِ النَّهْيِ وثالثة مسبوقة بجملة استفهامية.

١٠ - العتاب:

إذا كان الاستفهام يشملُ اللومَ والْعِتَابَ، مثل قول الله: ﴿ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الحديد: ١٦].

﴿ أَلَمْ يَأْنِ ﴾؟: أي: أَلَمْ يَحِنِ الْـوَقْتُ؟ يُقَالُ لُغَةً: أَنَى يَأْنِي أَنْيًا وَإِنًى وَأَنَاةً، إذا حَانَ وَقَرُبَ.

الاستفهام فِي هذا النصِّ يتضَمَّن عِتَابًا لطائفَةٍ مِنَ الْـمُؤْمِنِينَ مرَّتْ عَلَيْهِمْ بعد إيمانهم مُدَّةٌ كافيةٌ، كَانَ يَنْبَغي أن يَرتَقُوا فيها من دَرَجَةِ إيمانِ الْـوَجِلِ إلى دَرَجَةِ إيمانِ الخاشع.

الوجَلُ: هو الخوف، والخوفُ يرافقُه قلَقٌ واضطرابٌ في القلب.

الخشوع: هو الخضوع مع سُكُونِ القلب، وهو درجةٌ في الإيمان أعلَى من درجةِ الوجَلِ. وفوقهما درجة الطُّمَأْنينة.

وقول الله عزّ وجلّ خطابًا لرسوله محمّد ﷺ بشأْنِ إِذْنِهِ لطائفةٍ من المنافقين عن الخروج معه إلى غزوة تبوك: ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [التوبة: ٤٣].

فقول الله له: ﴿ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ﴾ ؟ من أَلْطَفِ صُوَرِ العتاب.

١١ - التهويل والتخويف:

وذلك إذا كان الْـمُسْتَفْهَمُ شيئًا مُخِيفًا، مثل قول الله: ﴿ ٱلْحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٣﴾ ﴾ [الحاقة: ١ - ٣].

فالاستفهام هنا للتخويف والتهويل.

وكذلك قول الله: ﴿ ٱلْقَارِعَةُ ۝ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝ ﴾ [القارعة: ١ - ٣].

١٢ - التهديد والوعيد:

وقد يُهدِّد المتكلّم باستخدام أسلوب الاستفهام، وقَدْ يَتَوعَّدُ به.

كأن يقول القاضي للمتَّهَمِين الّذين لم يَثْبُتْ جُرْمُهُمْ: ألَمْ تَعلَمُوا أنَّا قَطَعْنَا أَيْدِي الّذِينَ ثبَتَتْ عليهم جريمة السّرقة؟.

ألَمْ تَعْلَموا أنَّنا قتلْنَا من ثبتت عليهم جريمة القتل عمدًا وعُدْوانًا ؟

مثل قول الله عزّ وجلّ: ﴿ أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ۝ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ ۝ ﴾ [المرسلات: ١٦، ١٧].

أي: كما فعلنا بالمجرمين الأولين من مكذّبي القرون الأولى سنفعل بأمثالهم من الأمم اللاّحقة.

وقول الله: ﴿ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِهِمْ ۚ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ۝ ﴾ [يونس: ١٠٢].

١٣ - الإنكار:

مثل قول الله تعالى: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ۝ ﴾ [الأعراف: ١٩١، ١٩٢].

هذا استفهام، معناه: الإنكار.

﴿ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا ﴾ أي: هذا الشرك باطل؛ بدليل أن هذه المعبودات من دون الله لا تخلق شيئًا، فهي عاجزة؛ لأن الذي يستحق العبادة هو الخالق، فالذي يقدر على الخلق هو الذي يستحق العبادة، أما الذي لا يقدر على الخلق فهذا لا يستحق العبادة.

وهكذا يكون الاستفهام بأنواعه أحد الأساليب البلاغية، وتتنوع أغراضه البلاغية، وهى أكبر من أن توضع فى قوالب جامدة، والحقيقة أن الأغراض البلاغية للاستفهام متروكة لِذَوْقِ الْـمُتَلَقِّى، وليس شرطًا أن تتفق هذه الأذواق.

❁ ❁ ❁

التَّمَنِّي

تعريفه:

هو طلب أمْرٍ محبوبٍ أو مرغوبٍ فيه، يصعُب تحقيقه لاسْتحالَتِهِ في تصوُّرِ الْـمُتَمَنِّي، وقد يكون ممكنًا، وله أداة أصلية، وهى (ليت).

وتستعمل له أدوات أخرى، وهي: (هل - لو - لعل - عسي).

الفائدة الحقيقية للتمني:

هى طلب شيء محبوب. لكنه مستحيل بعيد المنال، كما تمنى الشاعر أن تدنُوَ له الكواكب؛ لينظم منها عقود مدح لممدوحه فقال:

لَـيْتَ الكـوَاكِبَ تُدْنُـو لِي فَأَنْظِمَها عُقُـودَ مَـدْحٍ فَـمَا أَرْضَى لَكُمْ كَلِمِي

فالأداة المستعملة في هذا التمنّي هى (ليت)، والتّمني في كلامه ظاهر.

وتستعمل له أدوات أخرى، وهي: (هل - لو - لعل - عسي).

الفائدة البلاغية للتمني:

تتحقق الفائدة البلاغية للتمني باستخدام الأدوات غير الأصلية، مثل:

(هل - لو - عسى - لعل).

هل - لعل:

مثل قول الله على لسان الكافرين: ﴿ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴾ [الأعراف: ٥٣].

جاءت (هل) للتمنى؛ لأن الأمر لا يمكن حدوثه، غير أن شدة التعلق بالأمل والحرص عليه جعل المتمنى يستخدم (هل) متوهما إمكانية الحدوث، والمقصود على لسان الكافر.

ومثل قول الشاعر:

أَسِرْبَ الْـقَطَـا هَـلْ مَـنْ يُعِيرُ جَنَاحَهُ؟ لَعَـلِّي إِلَى مَـنْ قَـدْ هَـوِيْتُ أَطِـيرُ

ويطلب الشاعر هنا من جماعة الطيور أن تعيره جناحها؛ ليذهب إلى من يحب، وهو أمر مستحيلٌ فى الواقع. والْـقَطَا هو الْـيَمَامُ (طائر أصغر من الحمام) جاء فى الحديث.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**مَنْ بَنَى لله مَسْجِدًا وَلَوْ كَمَفْحَصِ قَطَاةٍ لِبَيْضِهَا بَنَى اللَّـهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْـجَنَّةِ**» رواه أحمد.

المفحص: الموضع الذى تجلس فيه القطاة وهى اليمامة وتبيض.

القَطَاة: الْـيَمَامَةُ، واحدته «قطاة» وهو نوع من اليمام يفضِّل الحياة في الصحراء، ويطير جماعات، ويقطع مسافات شاسعات.

واستعمل الشاعر أداتين لِلتَّمَنِّي في البيت السابق (هل - لعل)، وهاتان الأداتان ليستا للتمنى أَصْلًا، إلاَّ أنّ الشاعر استعملهما مُعَبِّرًا عن التمنى.

وقول الله: ﴿ **وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَـٰهَـٰمَـٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ** ﴿٣٨﴾ ﴾ [القصص: ٣٨].

وهذه الأداة ليست للتمنى أَصْلًا، إلاَّ أَنَّها اسْتُعْمِلَتْ للتمنى.

لو:

هو حرف امتناع الجواب بسبب امتناع الشرط، والمراد أن الجواب لم يحدث لأن الشرط لم يتحقق، ويستخدمها الأديب لبيان صعوبة المطلوب.

مثل قول الله عز وجل على لسان الكافرين: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ [البقرة: ١٦٧].

قال جرير:

وَلَّى الشَّبَابُ حَمِيدَةً أَيَّامُهُ ... لَوْ كَانَ ذَلِكَ يُشْتَرَى أَوْ يَرْجِعُ

والأداة المستعملة في هذا التمنّي حرفُ (لو) وتمنَّى جرير أن تعود أيام الشباب، وَيُشْتَرَى هذا الشبابُ بالمال ليشتريَه، أَوْ أَنْ يعود مَرَّةً أُخْرَى.

ودلَّ على هذا التمنّي قول الله - سبحانه وتعالى - على لسان الكافرين: ﴿وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الشعراء: ٩٩- ١٠٢].

والأداة المستعملة في هذا التَّمنِّي حرف (لو) إذْ لدى هؤلاء بعض أَمَلٍ ضعيفٍ باستجابة طلبهم، أو أرادوا إظهاره في صورة الممكن عزيز المنال.

عسى:

وتَرجَّى الشاعر أن يُفرّج الله عنه الكرْبَ النّازلَ عَلَيْهِ، فقال:

عَسَى الكَرْبُ الَّذِي أمْسَيْتُ فِيهِ ... يَكُونُ وَرَاءَه فَرَجٌ قَرِيبُ

هذا الكلام من قسم الإنشاءِ الطَّلَبي، وهو من نوع الترجّي؛ لأنّ الفرج أمْرٌ مترقّبٌ مطموع فيه. وأداة الترجّي فيه كلمة «عَسَى».

ملاحظة:

كل من: (لعل - عسى) أداتان للرجاء، وهو طَلَبُ أَمْرٍ مَحْبُوبٍ يُمْكِنُ حُصُولُهُ. مثل: (أَجْتَهِدُ فِي الدِّرَاسَةِ لَعَلَّ اللَّـهَ يَكْتُبُ لِي النَّجَاحَ - عَسَى اللَّـهُ أَنْ يَأْتِي بالنَّصْرِ).

❁ ❁ ❁

النداء

تعريفه:

هُوَ جَهْرُ الصَّوْتِ بدَعْوَةِ أَحَدٍ ليحضر؛ ولذلك كانت حروف النداء نائبة مناب «أدعو».

أو هو دعوة المخاطب وطَلَبُ الإقبالِ منه بحرف من حروف النداء أو ما يَنُوبُ مَنابَ (أدعو).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّـهِ ﷺ قَالَ: «**إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ، وَلَهُ ضُرَاطٌ حَتَّى لَا يَسْمَعَ التَّأْذِينَ، فَإِذَا قَضَى النِّدَاءَ أَقْبَلَ، حَتَّى إِذَا ثُوِّبَ بِالصَّلَاةِ أَدْبَرَ، حَتَّى إِذَا قَضَى التَّثْوِيبَ أَقْبَلَ، حَتَّى يَخْطِرَ بَيْنَ الْـمَرْءِ وَنَفْسِهِ، يَقُولُ: اذْكُرْ كَذَا اذْكُرْ كَذَا لِمَا لَمْ يَكُنْ يَذْكُرُ حَتَّى يَظَلَّ الرَّجُلُ لَا يَدْرِي كَمْ صَلَّى**» رواه البخاري.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ أَعْمَى فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّـهِ إِنَّهُ لَيْسَ لِي قَائِدٌ يَقُودُنِي إِلَى الْـمَسْجِدِ، فَسَأَلَ رَسُولَ اللَّـهِ ﷺ أَنْ يُرَخِّصَ لَهُ فَيُصَلِّيَ فِي بَيْتِهِ فَرَخَّصَ لَهُ، فَلَمَّا وَلَّى دَعَاهُ فَقَالَ: «**هَلْ تَسْمَعُ النِّدَاءَ بِالصَّلَاةِ؟**» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «**فَأَجِبْ**». رواه مسلم.

وأدوات النداء ثمان: أَ - أَيْ - يَا - آ - آي - أَيَا - هَيَا - وَا .

فـ (أَ - أَيْ) لِنِدَاء القريب.

و(أَيَا - هَيَا - آ - يا) لِنِدَاءِ البعيد.

و(وَا) للنّدْبة، وهيَ الَّتي يُنَادَى بها المندوبُ الْـمُتَفجَّعُ عليه، أو المتفجع منه.

وكثيرًا ما تُحذَفُ أداة النداء ولا سيما في نداء الله ودُعائه، فتكون مقدَّرة، مثل:

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ [البقرة: ١٢٦].

وقوله تعالى: ﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا ﴾ [نوح: ٢٨].

وقوله تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾ [طه: ١١٤].

والأداةُ التي تُقدَّرُ عند الحذف هي: (يا) فيما ذكر النحاة.

إنَّ حَذْفَ أَدَاةِ النِّدَاءِ لَهُ دلالةٌ في نفس البليغ، وهي أنَّ الْـمُنَادَى هو في أَقْرَبُ منازل القرب من المنادِي،حتَّى لَمْ يَحْتَجْ إلى ذِكْرِ أَدَاةِ نداءٍ لَهُ لشدّةِ قُربِهِ، وهذا يَلِيقُ بمَقَامِ دُعاءِ الله تعالى، فإذا قال الدَّاعِي (يَاربّ) فهو يُعَبِّرُ بذكر أداة النداء عن شِدَّةِ حاجةِ نفسه لما يدعو به، أو يعبّر عن أَلَمِهِ أو اسْتَغَاثَتِهِ أو ضِيقِ صَدْرِهِ، أو نحو ذلك من المعاني.

لذلك نجد في القرآن أنَّ كلَّ نِدَاءٍ فيه دُعَاءٌ للربّ قد حُذِفَتْ منه أداة النداء، باستثناء نِدَاءَيْنِ نَادَاهُما الرسُول ﷺ ، فقد ذكر فيهما أداةَ النداء (يا) تعبيرًا عن حالة نفسه الحزينة من أجل قومه الذين اتَّخَذوا القرآن مهجورًا بعد أن بلَّغهم ما أُنْزِل عليه منه، وأَسْمَعَهُمْ آياتِهِ، وأعادَهَا عليهم مَرَاتٍ ليفهموا دلالاتها فأصرُّوا على كُفْرهم وعنَادهم حتَّى رأى أَنَّهُمْ لا يُؤْمِنُون مَهْمَا ذكَّرَهُمْ وأقنعهم وحذَّرَهُمْ وأَنْذَرَهُمْ.

قول الله: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [الفرقان: ٣٠].

فذكَر الرسول حرف النداء (يا) مع أنه يُنَادِي ربَّهُ الذي هو أقرب إليه من حبل الوريد، ليعبّر بمدّ صوته بأداة النداء عن حزنه منْ أجل قومه، وتلَهُّفِهِ لاستجابتهم، وحِرْصِه على نجاتِهِمْ من عذاب ربّهم في جهنم دار عذاب الكافرين يوم الدين.

وقوله: ﴿ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٨].

أي: تَصَلَّبُوا على العناد والكفر، فَهُمْ لاَ يتحرَّكونَ حركة جديدةً يُشْعِرُون فيها باقترابهم من الإِيمان، فعبّر بأداة النداء عن تلهُّفِهِ لإِيمانِهم ونجاتهم، وتوجُّعِ قلبه من أجلهم.

قال الزمخشري: «كثُر في القرآن النداء بـ(يا أيُّها) دون غيرها لأنَّ فيها أوجهًا من التأكيد، وأسبابًا من المبالغة، منها:

١ - ما في (يا) من التأكيد والتنبيه.

٢ - ما في (ها) من التنبيه.

٣ - وما في التدرّج من الإِبهام في (أي) إلى التوضيح.

والْـمَقَامُ يُنَاسِبُ الْـمُبَالَغَةَ والتأكيدَ؛ لأنَّ كلَّ ما نَادَى اللَّـهُ لهُ عَبادَهُ من أَوَامِرِهِ، ونواهِيه، وَعَطَائِهِ، وَزَوَاجِرِهِ، وَوَعْدِهِ، وَوَعِيدِهِ، ومن اقتصاصِ أخبارِ الأُمَمِ الماضيةِ، وغير ذلك مِمَّا أَنْطَقَ اللَّـهُ بِهِ كِتَابِهِ، أمورٌ عظامٌ، وخطوبٌ جسام، ومعانٍ واجبٌ عليهم أن يتيقظُوا لها، ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم إليها، وهُمْ غافلون، فاقتضى الحال أن يُنَادَوْا بالآكد الأبلغ» .

ونلاحظ في خطاب الله لعباده في القرآن أنّه يُنزِّلُهُم مَنْزِلَة البعيدين عنه، فيناديهم بحرف النداء (يا) مع أنّه أقربُ إليهم من حبْلِ الوريد، مراعاةً لمقام الربوبيَّةِ الرفيع، في الأمر والنهي والتوجيه، إذْ هو سبحانه العليُّ الأعْلَى.

فجاء في النصوص القرآنية: ﴿ يَٰعِبَادِيَ ﴾ ، ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ ﴾ ، ﴿ يَٰيَحۡيَىٰ ﴾ ، ﴿ يَٰعِيسَىٰٓ ﴾، ﴿ يَٰدَاوُۥدُ ﴾، ﴿ يَٰزَكَرِيَّآ ﴾، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ﴾ ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ﴾ ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ﴾ .

مثل قول الله: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝ ﴾ [المزمل: ١ - ٤].

وافتتاح الكلام بالنداء إذ كان المخاطب واحدا ولم يكن بعيدا يدل على الاعتناء بما سيلقى إلى المخاطب من كلام.

والأصل في النداء أن يكون باسم المنادى العلم إذا كان معروفا عند المتكلم فلا يعدل من الاسم العلم إلى غيره من وصف أو إضافة إلا لغرض يقصده البلغاء من تعظيم وتكريم، مثل: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ﴾ .

أو تلطف وتقرب مثل: يا بني ويا أبت، أو قصد تهكم، مثل قوله: ﴿ **وَقَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۝** ﴾ [الحجر: ٦] .

فإذا نُودِيَ المنادِي بوصْفِ هَيْئَتِهِ من لُبْسِهِ أو جِلْسَةٍ أو ضَجْعَةٍ كان المقصودُ في الغالبِ التلطُّفَ بِهِ وَالتَّحَبُّبَ إليه وَلِهَيْئَتِهِ، ومنه قول النبيِّ ﷺ لِعَلِيّ بْنِ أبي طالبٍ، وقد وَجَدَهُ مُضْطَجَعًا فِي الْـمَسْجِدِ وَقَدْ عَلِقَ ترابُ المسجدِ بجنبِهِ «**قُمْ أَبَا تُرَابٍ**» وقوله لحذيفة بن اليمان يوم الخندق: «**قم يا نومان**» ، وقوله لعبد الرحمن بن صخر الدوسي، وقد رآه حاملا هِرَّةً صَغِيرَةً فِي كُمِّهِ «**يا أبا هريرة**» .

فنداء النبي بـ ﴿ **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ** ﴾ ، نداء تلطف ورفق ورحمة، ومثله قوله تعالى: ﴿ **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ** ﴾

نُودِيَ النَّبِيُّ ﷺ بوصفِهِ حالَةً خاصةً تَلَبَّسَ بها حين نزولِ السورة، وهي أنه لما رأى الملك بين السماء والأرض فرق من رؤيته فرجع إلى خديجة، فقال: «**دَثِّرُونِي دَثِّرُونِي**، أو قال: **زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي**» فَدَثَّرُونِي، على اختلاف الروايات.

والنداء من الإنشاء؛ لأنك تريد أن تنشئ شيئًا من عندك، فلو قُلْت: (يا محمد) فأنت تريد أن تنشئ إقبالًا عليك، فالنداء إذن طلبُ الإقبال عليك، إنك لا تنادى إلا البعيد عنك الذي تريد أن تستدنية منك .

فكيف تنادِي ربَّك تبارك وتعالى، وهو أقرب إليك من حبل الوريد؟ وكيف تناديه سبحانه وهو يسمعك حتى قبل أن تتكلم؟ فإذا كان إقباله عليك موجودًا في كل وقت، فما الغرض من النداء هنا ؟

نقول: الغرض من النداء: الدعاء.

ووَصْف الله النداء بأنه: ﴿ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴾ [مريم: ٣]؛ لأنه ليس كنداء الخَلْق للخَلْق، يحتاج إلى رَفْع الصوت حتى يسمع، إنه نداء لله تبارك وتعالى الذى يستوي عنده السر والجهر، وهو القائل: ﴿ وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [الملك: ١٣] .

ومن أدب الدعاء أنْ ندعوَه سبحانه كما أمرنا: ﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٥].

وهو سبحانه ﴿ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ [طه: ٧] أي: وما هو أَخْفى من السر؛ لأنه سبحانه قبل أن يكون سِرًّا، علم أنه سيكون سرًّا.

وهو سبحانه ﴿ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الفرقان: ٦] لذلك، جعل الله سبحانه أحسن الدعاءِ الدعاءَ الخفي؛ لأن الإنسان قد يدعو ربه بشيء، إنْ سمعه غيره ربما استنقصه، فجعل الدعاء خَفيًّا بين العبد وربه حتى لا يُفتضحَ أمره عند الناس.

أما الله سبحانه فهو يحب الستر حتى على العاصين، وكذلك ليدعو العبد رَبَّه بما يستحي أنْ يذكره أمام الناس، وليكون طليقًا في الدعاء فيدعو ربه بما يشاء؛ لأنه ربُّه ووليه الذي يفزع إليه. وإنْ كان الناس سيحزنون ويتضجرون إن سألتهم أدنى شيء، فإن الله تعالى يفرح بك إن سألته.

الفائدة الحقيقية للنداء :

هى طلبُ الإقبالِ والْـمَجِيءِ والانتباهِ. **مثل:** يا طالبُ أَقْبِلْ - يَاظَالِمُ أَدْبِرْ . والنداء الحقيقي لا بلاغة فيه.

الفوائد البلاغية للنداء:

قد يخرج النداء عن فائدته الحقيقية إلى فوائد أخرى. منها:

١ - التعظيم:

مثل قول الشاعر:

يَـا أُمَّـة مِـنْ تُـرَاثِ الدَّهْـرِ خَالِـدَة مَـضَتْ وَلَمْ تَقْتَـبِسْ آثَارُهَـا الأُمَـم

ومثل قول الشاعر:

يَـا سَـمَاءَ الـشَّرْقِ طُـوفِي بالـضِّيَاءِ وَانْـشُرِي شَمْـسَكَ فِي كُـلِّ سَـمَاء

٢ - الحسرة:

مثل قول الشاعر:

أَيَـا قَـبْرَ هَـذَا الـضَّيْفِ آمَـال أمـه فَهَلِّـلْ وَكَـبِّرْ وَأَلْـقِ ضَـيْفًا حَاثِـيًا

ومثل قول الشاعر في ابنه الفقيد محمد:

مُحَمَّـدُ مَـا شَيءٌ تُـوهِّمَ سَـلْوَةً لِقَلْبِـي إِلا زَادَ قَلْبِـي مِـنَ الْـوَجْدِ

٣ - التمني:

إذا كان النداء للجماد أو لغير العاقل، مثل قول الخنساء:

أَعَيْنَـيَّ جُـودَا وَلاتَجْمُـدَا أَلا تَبْكِـيانِ لِـصَخْرِ الـنَّدَى

ومثل: يا نِيلَ مِصْرَ هَنِيئًا لَكَ.

٤ - التوبيخ:

مثل قول الشاعر:

يَـا أَيُّهَـا الـرَّجُلُ الْـمُعَلِّمُ غَـيْرَهُ هَـلا لِنَفْـسِكَ كَـانَ ذَا التَّعْلِـيمُ

حيث يطلب الشاعر من المخاطب أن يعلم نفسه قبل غيره.

ملاحظات:

١ - معرفة الغرض البلاغي للنداء تعتمد على ذوق القارئ أو السامع إلى جانبي ما يحمله التعبير من مضمون .

٢ - قد تستعمل أداة نداء القريب لنداء البعيد. **مثل**: (أصديقي بالهند.كيف حالك ؟) والغرض البلاغي هنا هو بيان قرب المنادى من نفس المتكلم.

٣ - وقد تستعمل أداة نداء البعيد لنداء القريب، **مثل**: (هَيَا جَارِي المخلص، نعم الرجل أنت - هيا جاري اللئيم، بئس الرجل أنت).

فالغرض البلاغي هنا في المثال الأول تعظيم المنادى ورفعة شأنه.

وتجده في المثال الثاني تحقير المنادى وانحطاط قدره؛ لأنَّ هذا راجع إلى الناحية النفسية كما ترى في السياق.

❁ ❁ ❁

الإنشاء غير الطلبي

تعريفه:

هو ما لا يراد به طلب شيء. ويشمل أربعة أشياء:

١ - التعجب.

٢ - المدح.

٣ - الذم.

٤ - القسم.

❖ ❖ ❖

التعجب

تعريفه:

هو انفعالٌ أو دَهْشَةٌ دَاخِلَ النَّفْسِ بسببِ وُجُودِ صِفَةٍ بارزةٍ حُسْنًا أو قُبْحًا.

هل التعجّب من الخبر أو من الإنشاء؟

اختلف العلماء في التعجب، هل هو من أقسام الخبر أو من أقسام الإنشاء، ورجّح الكثيرون أنّه من أقسام الخبر؛ لأنّه إخبارٌ عن حالة التَّعجُب القائم في النفس.

والقائلون بأنّه من أقسام الإنشاء لاحظوا أنّه صيغةٌ كلاميَّةٌ يُطْلَبُ بها تعظيم الأمر في نفس السَّامع.

نوعا التعجب:

تنقسم أساليب التعجب إلى قسمين:

١ - نوعٌ يُفْهَمُ بالقرينة، وَيُدْرِكُهُ صَاحِبُ الفَصَاحَةِ والبَلاغَةِ وَاللغَةِ، ولَهُ عِبَارَاتٌ وَطُرُقٌ تَدُلُّ عَلَيْهِ.

مثل قوله: ﴿ **كَيْفَ يَهْدِي ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾** ﴾ [آل عمران: ٨٦].

والمعنى: أَتَعَجَّبُ مِنْ هداية الله لقوم كافرين بعد أن ذاقوا حلاوة الإيمان وبعد أن جربوا صدق الرسول ﷺ.

مثل قول الله: ﴿ **كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ** ﴾ [البقرة: ٢٨].

والمعنى: أَتَعَجَّبُ مِنْ كُفْرِكُمْ باللَّـهِ.

عَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيٍّ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ مُعْتَكِفًا فَأَتَيْتُهُ أَزُورُهُ لَيْلًا فَحَدَّثْتُهُ ثُمَّ قُمْتُ فَانْقَلَبْتُ فَقَامَ مَعِي لِيَقْلِبَنِي وَكَانَ مَسْكَنُهَا فِي دَارِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ فَمَرَّ رَجُلَانِ مِنَ الْأَنْصَارِ فَلَمَّا رَأَيَا النَّبِيَّ ﷺ أَسْرَعَا فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «**عَلَى رِسْلِكُمَا إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ**» فَقَالا: سُبْحَانَ اللَّـهِ يَا رَسُولَ اللَّـهِ؟! قَالَ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا سُوءًا أَوْ قَالَ شَيْئًا**» رواه البخارى.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ لَقِيَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي طَرِيقٍ مِنْ طُرُقِ الْـمَدِينَةِ وَهُوَ جُنُبٌ فَانْسَلَّ فَذَهَبَ فَاغْتَسَلَ فَتَفَقَّدَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَلَمَّا جَاءَهُ قَالَ: «**أَيْنَ كُنْتَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟**» قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّـهِ لَقِيتَنِي وَأَنَا جُنُبٌ فَكَرِهْتُ أَنْ أُجَالِسَكَ حَتَّى أَغْتَسِلَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ : «**سُبْحَانَ اللَّـهِ إِنَّ الْـمُؤْمِنَ لَا يَنْجُسُ**» رواه مسلم.

عَنْ صُهَيْبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ : «**عَجَبًا لِأَمْرِ الْـمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**»رواه مسلم.

ومثل قول العرب: للَّـهِ دَرُّهُ فَارِسًا.

والدَّرّ: اللبن الكثير، وحين تقول: (لله دَرُّهُ فَارِسًا) فكأنَّ هذا الفارسَ رَضع لَبَنًا غَيْرَ عَادِيٍّ، أعده الله له.

والمعنى: أَتَعَجَّبُ من هذا الفارس.

لله: جار ومجرور خبر مقدم.

دَرُّهُ: مبتدأ مؤخر، مرفوع، وعلامة رفعه الضمة، والهاء ضمير مبنى على الضم فى محل جر مضاف إليه.

فَارِسًا: تمييز منصوب، وعلامة نصبه الفتحة.

٢ - **نوع قياسى أو اصطلاحى**، وله صيغتان: مَا أَفْعَلَهُ - أَفْعِلْ بِهِ.

وهذان الوزنان يستعملان عند إرادة التعجب من شىء تنفعل به النفس على الوجه الذى شرحناه.

مثل: مَا أَجْمَلَ السَّمَاءَ !

ما: تعجبية مبنية على السكون، في محل رفع مبتدأ.

أجمل: فعل ماض مبنيٌّ على الفتح، لا محل له من الإعراب، والفاعل ضمير مستتر وجوبا تقديره:(هو) يعود على (ما).

السماء: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الفتحة، والجملة من الفعل والفاعل في محل رفع خبر للمبتدأ (ما).

ومثل: أَجْمِلْ بالسَّمَاءِ !

أَجْمِلْ: فعل ماضٍ، جاء على صورة الأمر؛ لإفادة التعجب.

بالسماء: الباء حرف جر زائد، (السماء): فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة المقدرةَ على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، فهو مجرور لفظًا مرفوع محلا.

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: جَاءَتْ امْرَأَةٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِبُرْدَةٍ، فَقَالَ سَهْلٌ لِلْقَوْمِ: أَتَدْرُونَ مَا الْبُرْدَةُ ؟ فَقَالَ الْقَوْمُ: هِيَ الشَّمْلَةُ، فَقَالَ سَهْلٌ: هِيَ شَمْلَةٌ مَنْسُوجَةٌ، فِيهَا حَاشِيَتُهَا، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَكْسُوكَ هَذِهِ ؟ فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ ﷺ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا فَلَبِسَهَا، فَرَآهَا عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الصَّحَابَةِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَحْسَنَ هَذِهِ فَاكْسُنِيهَا، فَقَالَ: «**نَعَمْ**» فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ ﷺ لَامَهُ أَصْحَابُهُ، قَالُوا: مَا أَحْسَنْتَ حِينَ رَأَيْتَ النَّبِيَّ ﷺ أَخَذَهَا مُحْتَاجًا إِلَيْهَا ثُمَّ سَأَلْتَهُ إِيَّاهَا وَقَدْ عَرَفْتَ أَنَّهُ لَا يُسْأَلُ شَيْئًا فَيَمْنَعَهُ، فَقَالَ: رَجَوْتُ بَرَكَتَهَا حِينَ لَبِسَهَا النَّبِيُّ ﷺ لَعَلِّي أُكَفَّنُ فِيهَا» رواه البخارى.

ما: تعجبية مبنية على السكون، في محل رفع مبتدأ.

أحسن: فعل ماض مبنيٌّ على الفتح، لا محل له من الإعراب، والفاعل ضمير مستتر وجوبا تقديره:(هو) يعود على (ما).

هذه: اسم إشارة مبنى على الكسر فى محل نصب مفعول به منصوب،والجملة من الفعل والفاعل في محل رفع خبر للمبتدأ (ما).

وللعلماء في تعريف التعجّب أقوال:

قال الزمخشري: معنى التعجُّب تعظيم الأمر في قلوب السامعين؛ لأنّ التعجُّبَ لا يكونُ إلاَّ من شيءٍ خارجٍ عن نظائره وأشكاله.

والتعجُّبُ يكون بصِيَغٍ تَدُلُّ عليه من لفظ المتعجِّب منه، وبصِيَغٍ أُخْرَى منْ غير لفظه.

فالصِّيَغُ الّتي يُتَعجَّبُ بهَا من لفظ المتعجّب منه تأتي على وَزْنِ: (مَا أفْعَلَهُ) مِثْل:

ما أَكْرَم الصَّدِيقَ !

مَا أَشْجَعَ الْـمُجَاهِدَ !

وعلى وَزْنِ: (أَفْعِلْ به) مثل: أَكْرِمْ بالصَّدِيقِ ! أَشْجِعَ بالْـمُجَاهِد !

ومثل قول الله: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ۖ لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [مريم: ٣٧، ٣٨].

أي: ما أشدَّ سَمْعَهُمْ ! وما أشدَّ بَصَرَهُمْ ! يَوْمَئِذٍ.

قول الشاعر:

مَا أَحْسَنَ الدِّينَ والدُّنْيَا إِذَا اجْتَمَعَا ... وأَقْـبَحَ الْـكُفْـرَ والإِفْلاَسَ بِالرَّجُلِ

قولنا: مَا أَجْمَلَ الصِّدْقَ - أَكْرِمْ بالْـعَفِيفِ الشَّرِيفِ.

قال المحقّقون: إذا ورد التعجّبُ في كلام الله صُرِفَ إلى المخاطبين، ولهذا يُعَبِّر بعض العلماء بالتعجيب بدل التعجُّب، أي: هو تعجيب من الله للمخاطبين.

قول الله: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِۚ فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ ﴾ [البقرة: ١٧٥].

أي: هؤلاء ينبَغِي أنْ تَتَعَجَّبُوا من شدّة صَبْرِهِمْ على عذاب النار.

وقول الله عز وجل: ﴿ أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ يَوۡمَ يَأۡتُونَنَاۖ لَـٰكِنِ ٱلظَّـٰلِمُونَ ٱلۡيَوۡمَ فِي ضَلَـٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٣٨﴾ ﴾ [مريم: ٣٨].

أي: تَعَجَّبُوا من شدّة سَمْعِهِمْ ومِنْ شِدَّةِ بَصَرِهِمْ.

❁ ❁ ❁

الْمَدْحُ وَالذَّمُّ

هناك ألفاظٌ تَدُلُّ على الْـمَدْحِ والذَّم، ومن ذلك أفعال المدح، وهي: (نِعْمَ - حَبَّذَا)، وأفعال الذم، وهي: (بِئْسَ - سَاءَ - لا حَبَّذَا).

وكلُّ أفعالِ الْـمدحِ والذَّمِّ ماضية جامدة.

إذا أردنا مدحَ الصّدقِ، نقولُ: نِعْمَ الخلقُ الصّدقُ.

نعمَ: فعلٌ جامدٌ لإنشاءِ المدحِ مبنيٌّ على الفتح.

الخلقُ: فاعلٌ مرفوعٌ وعلامة رفعه الضمة، والجملةُ في محلِّ رفعٍ خبرٌ مقدمٌ.

الصّدقُ: مبتدأٌ مؤخّرٌ مرفوعٌ وعلامةُ رفعه الضّمّةُ الظّاهرةُ، (مخصوصُ بالمدحِ). أو تقول: حبَّذا الصّدقُ.

حبَّ: فعلٌ ماض للمدحِ.

ذا: اسم إشارةٍ مبنيٌّ على السّكونِ في محلِّ رفعٍ فاعلٌ. والجملةُ خبرٌ مقدمٌ.

الصّدقُ: مبتدأٌ مؤخرٌ مرفوعٌ وعلامةُ رفعه الضّمّةُ. وهو مَخْصُوصٌ بالمدح.

إذا أردنا ذَمَّ الْـكَذِب، نقولُ: بِئْسَ الْـخُلُقُ الْـكَذِبُ.

بِئْس: فعلٌ جامدٌ لإنشاءِ الذَّمِّ مبنيٌّ على الفتح.

الخلقُ: فاعلٌ مرفوع وعلامة رفعه الضمة، والجملةُ في محلِّ رفعٍ خبرٌ مقدمٌ.

الْـكَذِبُ: مبتدأٌ مؤخّرٌ مرفوعٌ وعلامةُ رفعه الضّمّةُ الظّاهرةُ، (مخصوصُ بالذّمّ).

أو تقول: لاحبَّذا الْـكَذِبُ.

لا حبَّ: فعلٌ ماضٍ للذمِّ.

ذا: اسم إشارةٍ مبنيٌّ على السّكونِ في محلِّ رفعٍ فاعلٌ. والجملةُ خبرٌ مقدمٌ.

الْـكَذِب: مبتدأٌ مؤخرٌ مرفوعٌ وعلامةُ رفعه الضّمّةُ. وهو مَخْصُوصٌ بالذّمّ.

لغات فى (نِعْمَ - بِئْسَ):

١- كَسْرُ الأولِ مع سكونِ الثاني، مثل: نِعْمَ ـ بِئْسَ.

٢ - فَتْحُ الأَوَّلِ معَ كَسْرِ الثاني، مثل: نَعِم - بَئِسَ.

٣- فَتْحُ الأَوَّلِ مَعَ سُكُونِ الثَّانِي، مثل: نَعْمَ ـ بَئْسَ.

٤ - كَسْرُ الأَوَّلِ والثاني، مثل: نِعِمَ ـ بِئِسَ.

إذا قُصِدَ بـ (نعم ـ بئس) المدح والذم. فإنها تعرب أفعالًا جامدة ماضية مبنية على الفتح. أما إذا لم يقصد بهما المدح والذم منها فعلان ماضيان متصرفان لباقي الأزمنة.

الفعل الجامد: هو الفعل الذي يلزم صورةً واحدةً، ولا يَتَحَوَّلُ من هذه الصورة إلى صورةٍ أخرى، لكنه يبقى كما هو، مثل: لَيْسَ ـ عَسَى..، فهذان فعلان ماضيان جامدان، ولا يتحولان إلى المضارع.

الفعل المتصرف: هو الذي يمكنه التحول من صورة إلى أخرى لأداء المعاني في أزمنتها المختلفة. حيث يقال: (نَعِمَ ـ يَنْعَمُ فهو ناعم) ويقال: (بَئِسَ - يِبْأَس - فهو بائِس). كل من «ناعم» و «بائس» هي صيغة اسم فاعل.

مثل قول الله: ﴿ **وَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴿٤٠﴾** ﴾ [الأنفال: ٤٠].

المولى: فاعل للفعل (نعم) مرفوع، وعلامة رفعه الضمة.

النصير: فاعل للفعل (بئس) مرفوع، وعلامة رفعه الضمة.

ومثل قوله: ﴿ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَـٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾ ﴾ [هود: ٩٩].

الرفد: فاعل للفعل (بئس) مرفوع، وعلامة رفعه الضمة.

عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْـمُؤْمِنِينَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ سَأَلَهُ نِسَاؤُهُ عَنِ الْـجِهَادِ فَقَالَ: «**نِعْمَ الْـجِهَادُ الْـحَجُّ**» رواه البخارى .

الْـجِهَادُ: فاعل للفعل (نعم) مرفوع، وعلامة رفعه الضمة.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: بِئْسَ الطَّعَامُ طَعَامُ الْـوَلِيمَةِ يُدْعَى إِلَيْهِ الْأَغْنِيَاءُ وَيُتْرَكُ الْـمَسَاكِينُ فَمَنْ لَمْ يَأْتِ الدَّعْوَةَ فَقَدْ عَصَى اللَّـهَ وَرَسُولَهُ. رواه مسلم.

الطَّعَامُ: فاعل للفعل (بئس) مرفوع، وعلامة رفعه الضمة.

الفعل (ساء):

يستعمل الفعل (ساء) للدلالة على الذم، ويكون بمعنى: (بئس).

مثل قول الله: ﴿ **وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾** ﴾ [الفرقان: ٦٥، ٦٦].

ساءت: فعل ماضٍ جامد يدل على الذَّمِّ مبنيٌّ على الفتح، والفاعل ضمير مستتر وجوبًا تقديره: هى.

مستقرًّا: تمييز منصوب، وعلامة نصبه الفتحة.

حبذا - لا حبذا:

١ - الفعل (حبَّذا):

وهو فعلٌ يُسْتَعْمَلُ لِلْمَدْحِ، مثل (نِعْمَ)، وفاعِلُهُ كلمة (ذا) وهي اسمُ إشارةٍ مثل: أَحْتَرِمُ الطُّلابَ حَبَّذَا الْـمُتَفَوِّقُ.

والْـمَعْنَى للفعل (حَبَّ) هو المدح مع الْـحُبِّ والتَّقْرِيبِ من الْـقَلْبِ؛ لأنه مشتق من مادة (الْـحُبّ)، وفاعله اسم إشارة للقريب. حَبَّ + ذَا = حَبَّذَا.

مثل: أُحِبُّ الْـفَاكِهَةَ حَبَّذَا الْـعِنَبُ.

حبذا: حب فعل ماضٍ جامد لإنشاء المدح، (ذا) اسم إشارة مبنى على السكون في محل رفع فاعل.

العنب: مخصوص بالمدح مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه الضمة. والخبر جملة فعلية جملة (حبذا).

❁ ❁ ❁

الْقَسَمُ

تعريفه:

الْـحَلْفُ (الْـحَلِفُ) أو اليمين.

مكوناته:

أسلوب القَسَم يتكون من:

١ - **حُرُوفُ الْـقَسَمِ**، وهي: (الواو - الباء - التاء).

٢ - **مُقْسَمٌ بِهِ**، وهو كُلُّ عَظِيم يقسم به كلفظ الجلالة (الله).

٣ - **مُقْسَمٌ عَلَيْهِ**، وهو جواب القسم.

مثل: وَاللَّـهِ إِنَّ الإِسْلامَ حَقٌّ.

حَرْفُ الْـقَسَمِ هو: (الواو).

مقسم به، وهو كُلُّ عَظِيم يقسم به كلفظ الجلالة (الله).

مقسم عليه، وهو جواب القسم، وهو: (إِنَّ الإِسْلامَ حَقٌّ).

إعراب: (وَاللَّـهِ إِنَّ الإِسْلامَ حَقٌّ).

وَاللَّـهِ: الواو حرف جر وقَسَم مبنيٌّ على الفتح لا محل له من الإعراب، الله: **لفظ الجلالة** اسم مجرور بالباء، وعلامة جره الكسرة، والجار والمجرور متعلق بفعل محذوف تقديره: أقسم.

إِنَّ: حرف ناسخ.

الإِسْلامَ: اسم (إِنَّ) منصوب، وعلامة نصبه الفتحة.

حَقٌّ: خبر (إِنَّ) مرفوع، وعلامة رفعه الضمة.

والجملة من (إِنَّ + اسمها + خبرها) لا محل لها من الإعراب جواب القسم.

تدريبات

(١) حدد الغرض البلاغي لصيغ الأمر فيما يلي:

١ - قول الله: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ ﴾ [البقرة: ٢٠١].

٢ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ: «لَا تَدْخُلُونَ الْـجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ» رواه مسلم.

٣ - قول الله: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ ﴾ [طه: ٢٥ - ٢٧].

٤ - عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْـيَمَنِ فَقَالَ: «اتَّقِ دَعْوَةَ الْـمَظْلُومِ فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّـهِ حِجَابٌ» رواه البخارى .

٥ - قولك لزميل لك: أعطني الكتاب.

٦ - قولك: اتركني ومن يهملون فسوف أريهم عاقبة أمرهم.

٧ - قول الله: ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

٩ - قول الشاعر:

أَرُونِي بَخِيلًا نَالَ مَجْدًا بِبُخْلِهِ ... وَهَاتُوا كَرِيمًا مَاتَ مِنْ كَثْرَةِ الْبَذْلِ

١٠ - قولك: اتَّقِ اللَّـهَ فِينَا يَا أَمِيرَ الْـمُؤْمِنِينَ.

١١ - عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ

ﷺ : «يَا ابْنَ آدَمَ اعْمَلْ كَأَنَّكَ تُرَى وَعُدَّ نَفْسَكَ مَعَ الْـمَوْتَى وَإِيَّاكَ وَدَعْوَةَ الْـمَظْلُومِ» رواه أحمد.

(٢) اجعل الأفعال التالية صورًا مختلفة للأمر:

(يصبر - يخلص - نهض - استيقظ - صدق - يفتح) .

(٣) عين صيغ النهي فيما يلي ووضح الغرض البلاغي:

١ - قول الله عز وجل: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ﴾ [آل عمران: ٨].

٢ - قول الخنساء:

أَعَيْنَيَّ جُودَا وَلاتَجْمُدَا   أَلا تَبْكِيَانِ لِصَخْرِ النَّدَى

٣ - لا تَكُنْ رَطْبًا فَتُعْصَرَ، ولا يَابِسًا فَتُكْسَرَ.

٤ - لا تَحْتَجِبْ عَنِ العُيونِ أَيُّهَا الْـقَمَرُ.

٥ - لا تُمْطِري يَا سَمَاءُ.

٦ - والدِي العَظِيم لا تَتْرُكْنِي دُونَ نَصِيحَةٍ.

٧ - يا زَمِيلِي لا تُخْلِفِ الْـعَهْدَ.

٨ - لا تهملُوا واجبَكُمْ يَا أَبْنَائِي.

٩ - لا تَخَفْ فَأَنْتَ بَطَلٌ عَظِيمٌ.

١٠ - رَبِّ لا تُعَذِّبْنِي فَأَنْتَ عَلَيَّ قَادِرٌ.

(٤) عين كل استفهام فيما يلي، وبين الغرض البلاغي له:

١ - هل تُنْصِتُ لِي حَتَّى أُعَلِّمَكَ طَرِيقَ النَّجَاحِ؟

٢ - قول الشاعر:

أَلَمْ تَـرَى أَنْ اللَّــهَ أَعْطَـاكَ سُــورَةً تَـرَى كُـلَّ مَلِـكٍ دُونَهَـا يَـتَذَبْذَبُ

٣ - قول الله: ﴿ قُل فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴾ [الفتح: ١١].

٤ - قول الشاعر:

أَيْـنَ الـرِّوَايَةُ بَـلْ أَيْـنَ النُّجُومُ وَمَا صَـاغُوهُ مِـنْ زُخْـرُفٍ مِنْهَا وَمِنْ كَذِبِ

٥ - أتزور مكة والمدينة ولا تتوبُ ؟

٦ - هل تستوِي الظلماتُ والنُّورُ؟

٧ - أتدرون من نحن ؟ نحن من نسل الكرام الأشراف.

٨ - أتهمل دروسك وأنت طالب ثانوية؟

(٥) عين أساليب النداء وبين أغراضها البلاغية فيما يلي:

١ - قول الشاعر:

يَـا ابْـنَةَ الْـيَمِّ مَـا أَبُـوكِ بَخِـيلٌ مَـا لَـهُ مُـولَعًا بِمَـنْعٍ وَحَـبْسٍ ؟!

٢ - قول المتنبي يخاطب سيف الدولة:

لـقـد تـركت أمـير المؤمنين بـهـا للـنار يـومًا ذلـيل الـصخر والخشب

غادرت فيها بهيم الليل وهو ضحي يـشـاد وسـطـها صبـح من اللـهـب

٣ - قول الشاعر:

يـا أعـدل الـناس إلا في معاملتـي فـيك الخـصام وأنتم الخصم الحكم

(٦) عين الأساليب الإنشائية فيما يلي، مع ذكر الغرض البلاغي:

١ - قول الشاعر عن الوطن:

كـيف يمـشي في ثـراها عاصـبي ... مـلأ الأفـق جـراحًا وأنيـنًا؟

٢ - قول أبي القاسم الشابي:

فـما لـك تـرضى بـذل القـيود ... وتحنـي لمـن كـبلوك الحـياة؟
أتخـشي نـشيد الـسماء الجمـيل ؟ ... أتـرهب نـور الفـضا في ضـحاه؟
ولا تخـش شـيئا وراء الـتلاع ... فـما ثـم إلا الـضحي في صـباه

٣ - قول الشاعر أحمد هيكل:

يـا بـناة النـصر صـناع الـسلام ... يـا حمـاة الحـق مـن بغـي اللـئام

٤ - قول الشاعر:

يـا أخـي لا تمـل بـوجهك عنـي ... مـا أنـا فحمـة ولا أنـت فـرقد
لا يكـن للخـصام قلـبك مـأوى ... إن قلبـي للحـب أصـبح معـبد

٥ - قول إبراهيم ناجي:

سـلامًا شـباب النـيل في كل موقف ... على الدهر يجني المجد أو يجلب الفجرا
تعالـوا نقـل الـصعب أهـلا فإنـنا ... شـباب ألفـنا الصعب والمطلب الوعرا

٦ - قول الشاعر عن القدس:

مـاذا نقـول غـدًا لأجيـال لـنا ... في الغـيب تـرتقب النـهار وتنظـر؟
وطنـي الكبـير أسـامع أم يـا ترى ... صُـمَّتْ بـك الآذان لا تـتـأثـر ؟!

٧ - قول الشاعر:

ودع هريـــرة إن الـــركب مـــرتحل وهـــل تطـيق وداعًـا أيهـا الــرجل

٨ - هل لي من صديق مخلص ؟!

٩ - ليت لي مالًا فأبني مسجدًا.

١٠ - قول الشاعر:

بكماؤكـما يشفي وإن كان لا يجدي فجـودا فقـد أودي نظـيركما عندي

توخـى حمـام الموت أوسط صبيتي فللـه كـيف اخـتار واسطة العقد؟

١١ - قول الله: ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

١٢ - قول الشاعر:

يـــا لـــيل طـــل يـــا نـــوم زل يـــا صـــبح قـــف لا تطلـــع

١٣ - ليت السماء تمطر ذهبًا.

١٤ - قول الشاعر:

إن يـــشف هـــذا الجـــسم طـــيب هوائها أيلطف النيران طيب هواء؟

١٥ - اظْلِمْ كَمَا تَشَاءُ يَاظَالِمُ فَاللَّـهُ مُطَّلِعٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ .

١٦ - انْقُلِ الأَهْرَامَاتِ مِنَ الْـجِيزَةِ إِلَى مَدِينَةِ نَصْرٍ .

١٧ - مثل قولك: قِفْ مَكَانَكَ فَلَسْتَ أَهْلًا لِلْمَجْدِ .

١٨ - مثل قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

١٩ - مثل: لا تُهْمِلْ شَعْبَكَ يَا سِيَادَةَ الرَّئِيسِ.

٢٠ - قول الشافعي:

إِذَا نَطَقَ السَّفِيهُ فَلا تُجِبْهُ ... فَخَيْرٌ مِنْ إِجَابَتِهِ السُّكُوتُ

٢١ - قولك: لا تَصْعَدْ إلى الْمَجْدِ فَلَسْتَ أَهْلًا لَهُ.

٢٢ - قول الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝١٠ ﴾ [الصف: ١٠].

٢٣ - قول الله عز وجل: ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ۝٥٦ ﴾ [الحجر: ٥٦].

٢٤ - قول الله: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر: ٩].

٢٥ - قول الشاعر:

نحن هل تدرون من نحن هنا ؟ ... نحن صناع الغد المبتسم

٢٦ - قول الشاعر:

وَمَنْ الَّذي تُرْضى سَجَايَاهُ كُلُّها ... كَفَى الْمَرْءَ نُبْلًا أَنْ تُعَدَّ مَعَايِبُهُ؟

٢٧ - قول الله: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ ﴾ [الشرح: ١].

٢٨ - قول الله: ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ٨٥].

الإِيْجَازُ وَالإِطْنَابُ

الإِيْجَازُ لُغَةً:

اختصار الكلام، وتقليل ألفاظه مع بلاغته، يقالُ لغة: أَوْجَزَ الكلامَ إذا جعله قصيرًا ينتهي من نطقه بسرعة.

ويقال: كلامٌ وجيز، أي: خفيفٌ قصير. ويقال: أَوْجَزَ في صَلاتِهِ إذا خفَّفها، ولم يُطِلْ فيها، فالمادّة تدور حول التخفيف والتقصير.

والقصر في الصلاة هو أن يؤدي المؤمن كُلاًّ من صلاة الظهر والعصر والعشاء ركعتين بدلًا من أربع ركعات، أما الصبح والمغرب فكلاهما على حاله، الصبح ركعتان، والمغرب ثلاث ركعات.

وفي الحديث أنَّ رَجُلًا قال للرسول ﷺ: عِظْنِي وأوجِزْ، أي: قُلْ لي كلامًا خفيفًا قصيرًا أَحْفَظُهُ عنك فيه موعظةٌ لي.

عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: عِظْنِي وَأَوْجِزْ، فَقَالَ: «**إِذَا قُمْتَ فِي صَلَاتِكَ فَصَلِّ صَلَاةَ مُوَدِّعٍ، وَلَا تَكَلَّمْ بِكَلَامٍ تَعْتَذِرُ مِنْهُ غَدًا، وَاجْمَعْ الْإِيَاسَ مِمَّا فِي يَدَيْ النَّاسِ**» رواه أحمد وابن ماجة.

فوعظه الرسولُ ﷺ بهذه الجُمَلِ الثلاث، وأَوْجَزَ له فيها.

الإيجاز في اصطلاح البلاغيين:

هو التعبيرُ عن المراد بكلامٍ قَصِيرٍ نَاقِصٍ عن الألفاظ التي يُؤَدَّى بها عادةً في متعارف الناس، مع وفاء بالدّلالة على المقصود.

أو هو صياغة كلام قصير يدلُّ على معنًى كثير وافٍ بالمقصود، عن طريق اختيار التعبيرات ذات الدَّلالات الكثيرات، كالأمثال، وجوامع الكلم.

فإذا كان الكلام غير وافٍ بالدّلالة على المراد كان الإيجاز فيه إيجازًا مُخِلاًّ؛ إذ رافق التقصير في الألفاظ تقصيرٌ في المعنى الذي أراد المتكلّم التعبيرعنه.

أو هو العبارة عن الغرض بأقل ما يمكن من الحروف، وأَوْجَزْتُ الكلام: قَصَرْتُه.

وأَوْجَزَ أَي: أَسْرَعَ واقْتَصَرَ. وتَوَجَّزْتُ الشيء: مثل تَنَجَّزْتُه. ورجل مِيْجاز: يُوجِزُ في الكلام والجواب. وأَوْجَزَ القولَ والعطاء: قَلَّلَهُ.

قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: عَجِبْتُ لِمَنْ لاحَنَ الناسَ كيف لا يَعْرِفُ جَوامِعَ الكلم؛ معناه كيف لا يَقْتَصِر على الإيجاز، ويَترك الفُضُولَ من الكلام، وهو من قول النبي، ﷺ: أُوتِيتُ جَوامِعَ الكَلِم، يعني القرآن، وما جمع الله - عز وجل - بلطفه من المعاني الـجَمَّةِ في الأَلفاظ القليلة، كقوله تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝١٩٩ ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

وفي صفته ﷺ: أَنه كان يتكلم بجَوامِعِ الكَلِم، أَي أَنه كان كثير المعاني قليل الأَلفاظ.

وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: كَانَ رسُولُ الله ﷺ يَسْتَحِبُّ الجَوَامِعَ مِنَ الدُّعَاءِ، وَيَدَعُ مَا سِوَى ذَلِكَ. رواه أَبُو داود بإسناد جيدٍ.

الجوامع من الدعاء: هي التي تجمع الأغراض الصالحة والمقاصد الصحيحة، أو تجمع الثناء على الله تعالى وآداب المسألة.

والخيرُ أنْ يكونَ التطويلُ في مكانِهِ، والتقصيرُ في مَكَانِهِ، فقد قيل: إنَّ الإيجازَ إذا كان كافيًا كان التطويلُ غثًّا، وإن كان التطويلُ وَاجِبًا كان التقصيرُ عَجْزًا. وَحَدَّدَ بعضُ العلماء الإيجازَ فقال: هو تقليلُ الكلامِ من غيرِ إخلالٍ؛ كأنه إقلالٌ بلا إخلالٍ.

وقد يفكر إنسان في أن يكتب خطابًا، ثم يقول لنفسِهِ: سأرسلُ بَرْقِيَّةً فِي الموضوع نفسه. وهنا لا بد أن يَخْتَزِلَ الكلمات ويَخْتَصِرُها؛ لتحملَ معانيَ كثيرةً فِي ألفاظٍ موجزةٍ.

والإسهابُ أو الإطنابُ - كما نعلم - لا يأخذ من الوقت مثلما يأخذ الإيجاز؛ فعندما يريد الإنسانُ الإيجازَ فهو يَعْصِرُ ذِهْنَهُ - في وقت أطول - ليصلَ إلى المعاني في كلمات أقل.

ويحكى عن سعد زغلول - زعيم ثورة ١٩١٩ المصرية - أنه كتب رسالة لصديق فأطال، وأنهى رسالته بهذه الكلمات: وإني أعتذر إليك عن التطويل، فليس عندي الوقت الكافي للإيجاز.

ويحكي التاريخُ عن الخليفةِ المسلم الذي أراد أن يُهَدِّدَ قائدَ الرُّومِ..، فكتب إليه؛ أما بعد: فسآتيك بجيشٍ أولُهُ عندكَ، وآخِرُهُ عندِي. وهكذا أوجز الخليفة حجم الخطر الداهم الذي سيواجه ملك الروم من جيش عرمرم سيملأ الأرض..، إلخ.

والإيجاز تتسم به اللغة العربية والذي لا شبيه له في سائر لغات العالم والذي يُعدّ معجزةً لغويةً كما قال البيروني.

قالت المستشرقة الألمانية زيفر هونكة: «كيف يستطيعُ الإنسانُ أنْ يُقاومَ جَمَالَ هذه اللغةِ ومنطقَها السليم وسحرَها الفريد ؟! فَجِيرَانُ العربِ أنفسهم في البلدانِ التي فَتَحُوهَا سَقَطُوا صَرْعَى سِحْرَ تلكَ اللغةِ، فلقد اندَفَعَ الناسُ الذين بَقَوْا على دينِهِم في هذا التيار يتكلمونَ اللغَةَ العربيةَ بِشَغَفٍ، حَتَّى إِنَّ اللغَةَ الْـقِبْطِيَّةَ مثلًا ماتَتْ تَمَامًا؛ بل إنَّ اللغةَ الآراميةَ لُغَةَ الْـمَسِيحِ قد تَخَلَّتْ إِلى الأبَدِ عَنْ مَرْكَزِهَا لِتَحْتَلَّ مَكَانَهَا لُغَةُ مُحَمَّدٍ». كتاب (شمس العرب تسطع على الغرب).

قال المستشرق الألماني كارل بروكلمان: «بَلَغَتِ العربيةُ بفضْلِ القرآنِ منَ

الاتساعِ مَدًى لا تكاد تعرفُهُ أَيُّ لُغَةٍ أخرَى من لُغَاتِ الدنيا، والمسلمون جميعًا مؤمنون بأن العربية وحدَهَا اللسانُ الذي أُحِلّ لَهُمْ أن يستعملوه في صلاتهم..». (من قضايا اللغة العربية المعاصرة – المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم).

إن كان ما يدور في عقل الإنسان من أفكار ومشاعر يمكن أن يعبر عنه بإحدى الطرق التالية:

١ – **الايجاز**: وهو لفظٌ قَلِيلٌ مختصرٌ يَحْمِلُ معانِيَ كَثِيرَةً. وهذا النَّوْعُ يتناسب مع الأذكياء.

٢ – **الإطناب**: وهو تأدية المعنى بأكثر من عبارة. بحيث يكون اللفظ زائدًا عن المعنى. وهذا النوع يَتَنَاسَبُ مع الأَغْبِيَاءِ.

٣ – **المساواة**: وهي أن تكون المعاني مساويةً للألفاظ. والألفاظُ مساويةٌ للمعاني. فلا يزيد بعضها على بعض. وهذا النوع يتناسب مع متوسطي الذكاء.

أولا: الإيجاز:

تقدم أن الإيجاز هو التعبير عن المعاني الكثيرة بألفاظ قليلة، وهو نوعان:

١ – الإيجاز بالحذف:

يتم هذا النوع بحذف كلمة. أو حذف جملة. أو أكثر من جملة.

مثل قولك: (أَكَلْتُ فَاكِهَةً وَمَاءً)، والتقدير: «أَكَلْتُ فَاكِهَةً وَشَرِبْتُ مَاءً» .

ومثل قولك: (دَخَلْت الامْتِحَانَ وَنَجَحْتُ)، والتقدير: دَخَلْتُ الامْتِحَانَ. وَقَرَأْتُ الأَسْئِلَةَ. وفَكَّرْتُ فِيهَا، وَبَدَأْتُ في الإجابة. ثم ..، ثم ...،..وَنجحْتُ.

ومثل: (دَرَسْتُ ثمَّ دَخَلْتُ الْـجَامِعَةَ فَعَمِلْتُ بالتَّدْرِيسِ)، والتقدير: دخلت الثانوية..، فاجتهدت..، وامتحنت..، ونجحت..، ثم قدمت أوراقي ...، ثم..، ثم عملت بالتدريس.

ومثل قول الله عن قوم نوح: ﴿ مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ ﴾ [نوح: ٢٥].

والتقدير: أغرقوا..، فماتوا..، فحوسبوا..، فعوقبوا ..، فأدخلوا نارًا؛ فالذى يغرق يسقط فى الماء، لا يسقط فى النار.

ومثل قولك: (آسِفٌ) لمن تعتذر له، والتقدير: أَنَا آَسِفٌ.

ومثل قوله تعالى: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [يوسف: ٨٢].

أي: واسأل أهل القرية.

ومثل قوله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ ﴾ [المائدة: ٣].

أي: حُرِّمَ عليكم تناولها.

ومثل قول الله: ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ ﴾ [الإنسان: ٥، ٦].

إنّ الفعل: (يَشْرَبُ) يُعَدَّى لغةً بحرف (مِنْ) لكنّه جاء في الآية هنا متعدّيًا بحرف (الباء) فَلِماذا ؟

بالتأمُّل يظهر لنا أنّ الفِعْلَ (يشرب) ضُمِّنَ معنَى الفِعْلِ: (يتلَذّذ) أو (يَرْتَوِي) الذي يُعَدَّى بحرف (الباء) فَعُدّي تعديته، والتقدير: عينًا يَشْرَبُ منها مُتَلَذّذًا بها عبادُ الله، فأغنى (يَشْرَبُ بها) عن عبارة: يشربُ منها ويتلّذذ بها يشرب عباد الله.

وقول الله: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الشورى: ٢٥] إنّ الفعل (يَقْبَلُ) يتعدَّى لغة بحرف (من)، فيقال: قَبِل الله منه توبته.

ولكنْ عُدّيَ هنا بحرف (عَنْ)؛ لأنَّه ضُمِّنَ معنى الفِعْلِ (عَفَا) أو (صَفَحَ) فَعُدِّي تعديته، والتقدير: وهو الذي يَقْبَلُ التوبَةَ من عباده؛ إذْ يَعْفُو ويَصْفَحُ عنهم.

٢ - الإيجاز بالقصر:

يتم هذا النوع بواسطة تضمين الألفاظ القصيرة معاني كثيرة بدون حذف.

وللقرآن الكريم في ذلك المنزلة العظيمة. مثل قول الله: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [البقرة: ١٧٩] ، فإنَّ معناهُ كثيرٌ، ولفظهُ يسيرٌ، إذِ المرادُ بأنَّ الإنسانَ إذا علم أنه متى قتَلَ قُتِلَ امتنعَ عن القتلِ، وفي ذلك حياتُه وحياةُ غيره؛ لأنَّ القتلَ أنفَى للقتلِ وبذلك تطولُ الأعمارُ، وتكثرُ الذريةُ، ويقبِلُ كلُّ واحدٍ على ما يعودُ عليهِ بالنفعِ، ويتمُّ النظامُ، ويكثرُ العمرانُ، فالقصاصُ هو سببُ ابتعادِ الناسِ عن القتلِ، فهو الحافظُ للحياةِ.

ومثل قول الله: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ ﴾ [البقرة: ١٦٤].

فقد استوعبت تلك الكلمات القليلة أنواع المتاجر وصفوف المرافق .

وكذلك قول الله: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

فإن الآية الكريمة جمعت مكارم الأخلاق؛ لأن قوله: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ ﴾ أمرٌ بإصلاح قوة الشهوة، فإن العفوَ ضِدُّ الـجهلِ والطيشِ.

وقوله: ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴾ أمر بإصلاح قوة الغضب، أي: أَعْرِضْ عن السفهاء، واحلم عنهم، ولا تُجَازِهِمْ عَلَى أفعالِهِمْ.

﴿ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ ﴾ أي: بالمعروف والجميل من الأفعال، ولهذا قال جعفر الصادق رضي الله عنه: أَمَرَ اللَّـهُ نَبِيَّهُ بمكارم الأخلاق، وليس في القرآن آيةٌ أجمع لها من هذه الآية.

ولهذا كان الأوائل السابقون من أصحاب الفصاحة والبيان أَعْرَفَ الناسِ بكتاب الله، فها هو ذا أحدهم يقول: لو لَمْ يَأْتِ من القرآن إلا قولُه: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ لَوَسِعَتِ الناسَ وَكَفَتْهُمْ، لِمَا فيها من أحكام الدين التي جُمِعَتْ.

وقوله تعالى: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فهذه الآية قد جَمَعَتْ أُمُورًا كثيرة جدًّا، وانطوى تحتها كل دقيق وجليل.

كما للسُّنَّةِ النبوية من ذلك الحظ الأوفر، في قوله ﷺ حيث خَرَّجَ أبو يعلى المَوصلي من حديثِ عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قال: «إِنِّي أُوتِيْتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ وَخَوَاتِمَهُ، وَاخْتُصِرَ لِي الْكَلامُ اخْتِصَارًا» أخرجه أحمد في مسنده، وعبد الرزاق والبيهقي.

مواضع يفضل فيها الإيجاز:

١ - رسائل الملوك والرؤساء إلى الولاة والعمّال، خاصةً في أوقات الحروب، وفي الشدائد والأزمات.

٢ - الأوامر والنواهي السُّلطانية.

٣ - كتب الوعد والوعيد.

٤ - الاعتذار، والتنصُّل من تُهْمة الذّنْب وتَبِعَاته.

٥ - العتاب بين المحبّين والأصحاب.

٦ - مخاطبة الأذكياء الذين يكفيهم التَّلْمِيحُ، وتُقْنعهم الإشارة.

٧ - المواطن التي يَحْسُنُ فيها الرّمز لإخفاء المقاصد عن غير من يوجّه له القول، من رقباء أو ذوي فضول.

الفائدة البلاغية للإيجاز:

الاختصار، وإثارة الذهن، وتوفير الوقت.

ثانيًا: الإطناب:

الإِطناب في اللُّغة:

يدور حول معنى الإِطالة والإِكثار والطول والكثرة والزيادة عن المعتاد. يقال لغة: أطْنَبَ النهرُ إذا طال مجراه. وأطنبت الرّيحُ إذا اشتدت مثيرةً غبارًا. وأطنبتِ الدّواب، إذا تَبِعَ بعضُها بَعْضًا في السّير، وطالَ تتابُعُها.

وأطْنَب الْـعَدَّاء في عَدْوه، إذا بالَغَ فيه وابتعد.

ويقال أيضًا: أطنب الرجل في الكلام أو الوصف أو الأمر، إذا بالَغَ وأكثر وزاد في ذلك.

الإِطناب في اصطلاح البلاغيين:

كوْنُ الكلام زائدًا عمّا يُمْكن أنْ يُؤَدَّى به من المعاني عند الفصحاء، لفائدة تُقْصَد. ويقال للمتحدِّث بالكلام الذي فيه إطناب: أطنب في كلامه فهو مُطْنِبٌ.

واحْتُرِز بقيد: (لفائدة تُقْصَدُ) لإِخراج الزيادة في الكلام دون فائدة تُقْصَد لدى البلغاء، وقد يطلق على هذه الزيادة لفظ «الإِسهاب» . والزيادةُ في الكلام بلا فائدة تُقْصَد تكون بالتطويل: كذكر المترادفين، أو بالحشو، وكلاهما أمران مَعِيبان، وَأُضِيفَ هنا أنّ الحشو قد يكون حشوًا غير مفسد للمعنى، فهو كالتطويل، وقد يكون مفسدًا للمعنى وهو حينئذٍ حشوٌ ساقط.

هو ما لو حذف منه شيءٌ بالنسبة إلى حال المخاطب به لفهم المراد فهمًا تامًّا، دون كدٍّ ذهني، ولا تأمّل طويل، ولَمَا حدث لديه أيّ ارتباك فكريّ أو غموض، ولَمَا نقص لديه من الفهم شيءٌ.

مثل قول الله: ﴿ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ كَـٰفِرُونَ ﴾ [فصلت: ٦، ٧]. من الإِطناب؛ لأنّ المشركين لا يُزَكُّونَ.

والداعي لهذا الإِطناب حثُّ المؤمنين على أداء الزكاة، وتحذيرهم من المنع إذْ أبان الله أَنَّهُ من صفات المشركين، وفيه دلالة على أنَّ من آثار الشرك جَفَافَ الرحمة على ذوي الحاجات، فهم لا يشعرون بمشاعر ذوي الحاجات، بخلاف المؤمنين بالله واليوم الآخر؛ إذ الإِيمان يولّد في قلوبهم خلق الرحمة، وعاطفة حبّ العطاء ومساعدة ذوي الحاجات.

وقول الله: ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝ ﴾ [القدر: ٤].

إنّ عبارَة: (والرُّوح) وهو جبريل عليه السلام من الإِطناب بالزيادة؛ لأنّ جبريل داخلٌ في عموم الملائكة، ولكنّها زيادة ذاتُ فائدة، إذ الغرضُ من تخصيصه بالذكر بعد دخوله في عموم الملائكة الإِشعارُ بتكريمِهِ وتعظيمِ شأنه، حتَّى كأَنَّهُ جنْسٌ خاصٌّ يُعْطَفُ على الملائكة.

تقدم أن الإطناب هو تأدية المعنى بعبارت زائدة، سواء أكانت الزيادة كلمة أم جملة .... بشرط أن تحقق هذه الزيادة غرضًا بلاغيًّا، وإلا كان حشوًا يُنْقِصُ من قيمة الأسلوب ، وللإطناب صور منها:

١ - ذكر الخاص بعد العام:

مثل قوله: ﴿ حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ۝ ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

نلاحظ أنّ الصَّلاة الوسْطى - وهي في أظهر الأقوال صلاةُ الْـعَصْر - داخلةٌ في عموم لفظ (الصَّلَوات) لكن خُصَّتْ بالذكْر وعُطِفَتْ على عموم الصلوات اهتمامًا بشأنها، وتوجيهًا لتخصيصها بعناية فائقة خاصّة، وهذه فائدة الإِطناب

بذكرها، إذْ هي داخلةٌ في عموم لفظ (الصّلوات) الوارد قبلها في النص. هذا المثال من عطف الخاص على العام.

وقوله: ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [البقرة: ٩٨].

فذكر الله – سبحانه – جبريلَ وميكال مع دخولهما في عموم الملائكة؛ تحذيرًا لليهود من معاداتهم له، وضُمَّ إليه ميكائيل لقيامه بوظيفة أرزاق العباد التي بها حياة الأجساد، مقابل قيام جبريل بوظيفة الوحي الذي به حياة القلوب والنفوس. هذا المثال من عطف الخاصّ على العامّ أيضًا.

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّـهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّـهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْـحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ» رواه البخاري.

حيث ذكر العام، وهو قوله: (خمس)، ثم جاء الخاص بعد هذا العام، وهو:

١ – شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّـهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّـهِ.

٢ – وَإِقَامِ الصَّلَاةِ.

٣ – وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ.

٤ – وَالْـحَجِّ.

٥ – وَصَوْمِ رَمَضَانَ.

٢ – ذكر العام بعد الخاص:

مثل قول الله: ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾ ﴾ [إبراهيم: ٤١].

لقد خَصَّ نوح - عليه الصلاة والسلام - نفسه بطلب المغفرة من ربّه، وأَتْبَعَهُ بطلب المغفرة لوالديه، وأَتْبع ذلك بطلب المغفرة للمُؤْمنين، فكأنّه شَملَهم بالدّعاء الأخير، فأفاد هذا التعميم بعد التخصيصي تأكيد الدعاء وتكريره لمن ذُكِرُوا سابقًا.

عَنْ عَبْدِ اللَّـهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّـهِ ﷺ يَقُولُ: «**كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْإِمَامُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْـمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْـخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**»، قَالَ: فَسَمِعْتُ هَؤُلَاءِ مِنْ رَسُولِ اللَّـهِ ﷺ وَأَحْسِبُ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**وَالرَّجُلُ فِي مَالِ أَبِيهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**» رواه البخاري.

حيث أجمل الرسول بقوله: (**كُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**)، ثم فَصَّلَ بقوله: (**الْإِمَامُ، وَالرَّجُلُ، وَالْـمَرْأَةُ، وَالْـخَادِمُ**)، ثم أجمل مرة أخرى فقال: (**فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**).

مثل قول الله عز وجل: ﴿ **فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَـٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ** ﴾ [البقرة: ١٩٦].

جاءت في هذه الآية عبارة: ﴿ **تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ** ﴾ إجمالًا بَعْدَ تفصيل، لرفع توهُّم أن (الواو) في عبارة ﴿ **وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ** ﴾ هي بمعنى (أو) فتكون الثلاثة داخلة في السبعة، فجاء ذكر الأيّام كلّها مجملةً بعبارة ﴿ **تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ** ﴾.

٣ - التَّكْرَارُ:

مثل قول الله: ﴿ **كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝** ﴾ [النبأ: ٤، ٥].

وقوله تعالى: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ جاء إحدى وثلاثين مرّة خطابًا للإِنْسِ والجنّ المخلوقين للامتحان في ظروف الحياة الدنيا.

والمعنى، أي: فبأيّ نِعَمِ رَبّكُمَا عَلَيْكُما تُكذّبان. إنّ نِعَمَ الله على العباد لا يستطيع العباد إحصاءها، ومع كلّ فقرة من فقرات حياتهم بتتابع السّاعات والأوقات تمرُّ على كلِّ فَرْدٍ منْهُمْ نِعَمٌ كثيرة وجليلة، وانصرافه الدائم إلى الاستمتاع بها دون ملاحظة خالقها والمتفضِّل على عباده بها يحتاجُ تذكيرًا بها، ليقوم بحقّ اللَّـهِ عليه في مقابلها، بالإيمان والطاعة والْـحَمْدِ والشّكر.

ففي هذا التكرير عقب ذكْرِ كُلِّ فقرة من فقرات آيات صفاتِ الله في كونه، المشتملة على بعض نِعَمِه، أو الإِنْذار، بعقابه وعذابه، تنبيهٌ على حاجة العبد المبتَلَى أن يَذْكُرَ نِعَمَ اللَّـهِ عَلَيْهِ دَوامًا عند كلِّ فقرة من فقرات حياته، ومَوْجَةٍ من موجات نهرها الجاري، لئلاَّ تَجُرَّهُ الغفلات إلى النسيان، فالمعصية، فاحتيال الشياطين لِفِكْرِه ونَفْسِه وعَواطِفه، ودفعه إلى السُّبُلِ المزلقة إلى الشقاء، فالعذاب، فنار جهنّم.

فجُعِلَتْ هذه العبارة فاصلة في السّورة، ولهذه الفاصلة تأثير فَنِّيّ جماليّ مستطرف، مع ما تشتمل عليه من معنًى يدلُّ على حاجَةِ العباد إلى ذكر نعم الله عليهم مع كلّ موجةٍ من موجات نَهَرِ حياتهم، سواءٌ أكانت ممّا يحبّون أو ممّا يكرهون، ممّا يَطْمَعُون فيه أو ممّا يحذرون منه.

وقوله: ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ جاء تسْعَ مرّات، إِنْذارًا للمكذبين بيوم الدّين، وترهيبًا من عذاب جهنم الذي سيلاقونه، إذا أَصَرُّوا على كفرهم وتكذيبهم وماتوا على ذلك دون توبة.

٤ ـ الاعتراض:

وهو أن يؤتى في أثناء الكلام بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب.

مثل قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴾ [النحل: ٥٧].

ومثل: (كان أبي - حفظه الله - رجلًا فاضلًا)، و(كان الشيطان - لعنه الله - عدوًّا لآدم)، و(كان علي رضي الله عنه رابع الخلفاء الراشدين)، فكل من: (سبحانه - حفظه الله - لعنه الله - رضي الله عنه) جملة اعتراضية فيها إطناب.

٥ - التذييل:

وهو تعقيب جملة بجملة أخرى مستقلة تشتمل على معناها تأكيدًا لها.

مثل قول الله: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾ [الإسراء: ٨١].

وقوله: ﴿ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ ﴾ [سبأ: ١٧].

مواضع يفضل فيها الإطناب:

١ - الحاجة إلى الإقناع في مشكلات القضايا الفكرية، وفي تعليم مسائل العلوم الدقيقة الخفيَّة الصعبة الفهم.

٢ - الوعظ بالترغيب والترهيب.

٣ - الخطب فى الحماسة، وفى إثارة مشاعر الحبّ أو الكراهية، وفي استجلاب الرضا، أو استثارة الغضب، وذلك لأنّ تحريك العواطف واستثارتها يحتاج إطنابًا، وبيانًا مفصّلًا مبسوطًا.

٤ - كتابة التاريخ وتدوين الحوادث.

٥ - الْـخُطَبُ في الصلح بين المتخاصِمين، لإِصلاح ذات البين، وإخراج ما في النفوس من ضغائن وأحقاد.

٦ - بعض مجالات المدح لمستحقّيه.

٧ - تعبيرات العشاق والمحبّين عن مشاعرهم وأشواقهم.

٨ - تعبيرات ذوي الأحزان والآلام عن مشاعرهم.

٩ - كتابة العقود في البيوع والمداينات ونحوها، إذ ينبغي فيها التفصيل الدقيق، لأمن الخلاف والتلاعب.

١٠ - شرح المعلم الدرس .

الفائدة البلاغية للإطناب:

توضيح المعنى في ذهن السامع أو القارئ.

ثالثًا: الْمُسَاوَاة:

الأصل في الكلام أنْ يُؤْتَى بِه مساويًا للمعاني الّتي يدلُّ عليها، دون أن تكون أَلْفاظُهُ زائدةً ولا ناقصة.

أمّا القدرةُ على المطابقة التامّة بين الْـجُمَل المنطوقة والمعاني المرادة منها، فهي من القدرات النادرة في المتكلمين من الناس؛ لأنَّ الناسَ في النّسْبَةِ العظمى منهم:

إمّا أن يكونوا من ذَوِي القدرة على الكلام والرغبة فيه مع تَمَتُّعِهم بذاكرة كلاميّة واسعةٍ وفيّاضة، فتفيض لديهم منابع القول، وبذلك يزداد المنطوق من كلامهم عمّا يريدون التعبير عنه من المعاني.

وقد يصلُ بعض هؤلاء إلى مُسْتَوَى الإسرافِ والتَّبْذِيرِ في القول، والثرثرة بلا طائل، وللنساءِ النّصيبُ الأكبرُ من هذا.

ومن أمثلة مراعاة مقتضيات الأحوال بكلّ من «المساواة والإيجاز والإطناب» قول الله: ﴿ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن

تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْـَٔلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِي ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ ﴾ [الكهف: ٦٦- ٧٨].

نلاحظ في هذا النص أنّ الخضر قال لموسى عليهما السلام في بدء الأمر: ﴿ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ هذا كلام مؤكّد مُسَاوٍ للمعنى المقصود بيانه، لا إطناب فيه ولا إيجاز.

وحين اعترض موسى عليه السلام الاعتراض الأول على الخضر بشأن خرقه السفينة، قال له الخضر: ﴿ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ هذا أيضًا كلامٌ مُؤَكَّدٌ ومُسَاوٍ للمعنى المقصود بيانه، لا إطناب فيه ولا إيجاز.

وحين اعترض موسى عليه السلام الاعتراض الثاني على الخضر بشأن قتله الغلام، قال له الخضر: ﴿ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾.

فَأَطْنَبَ إذْ أضاف عبارةَ ﴿ لَّكَ ﴾ مع أنَّ هذه الزّيادة لا لزوم لها في الكلام المساوي، فعبارة ﴿ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ بأسلوب الخطاب تَدُلُّ على أنّ الخطاب قَدْ وَجَّهَهُ الخضِرُ، فما الداعي لأنْ يقول لَهُ: ﴿ أَلَمْ أَقُل لَّكَ ﴾ ؟

الجواب: إنّ الدَّاعِيَ البلاغيَّ لهذا الإطناب هو أنَّ مُوسَى عليه السلام تصرَّفَ

تَصَرُّف من لم يُدْرِكْ أنّ الْـخِطَابَ قَدْ كان مُوَجّهًا له فيما سبق، فاعترض، فاقتضى حالُهُ أَنْ يقولَ لَهُ الخضر: إِنِّي كُنْتُ وجَّهْتُ الخطابَ لَكَ بأَنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا.

وحين اعترض موسى عليه السلام الاعتراض الثالث على الخضر بشأن إقَامَتِهِ الجدار المائل فى قريَةٍ أَبَى أَهْلُها أنْ يُضَيِّفوهُما، قال له الخضر: ﴿ هَـٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ﴾ ، فأوجز فى كلامِهِ، إذْ طوى من اللّفظ عبارة: لأَنَّكَ لم تَسْتَطعْ معِيَ صبرًا، وقد انتهت مُدَّة الاتفاق على مصاحبتي.

وبعد أن أبان الخضر لموسى عليهما السلام التأويل الحكيم للأحداثِ التي أجراها بأمْرِ الله أو إذْنه قال له: ﴿ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾.

فَأَوْجَزَ في بيانه حتى في كلمة (تَسْتَطعْ) إذْ قال: (تَسْطعْ) بحذف التاء التي بعد السين.

إنّ مقتضى الحال بعد انتهاء أجل المصاحبة، إذْ لم يلتزم موسَى عليه السلام بشروطها، أنْ يكون الكلامُ مُوجزًا جدًّا، إذْ لا داعِيَ للإطناب ولا للمُسَاوَاةِ، ومِثْلُ موسى عليه السلام يكفيه من الكلام عبارة: ﴿ هَـٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ﴾ فهو الخبير بإخلاله بشروط المصاحبة المتَّفق عليها.

مواضع يفضل فيها المساواة:

١ - مُتُونُ العلوم المحرَّرة.

٢ - نُصُوصُ الموادّ القانونيَّة والتشريعيَّة.

٣ - نُصُوص المعاهداتِ بين الدُّول.

٤ - القرارات والمراسيم.

٥ - بيانات أحكام الدين، ومطالب الشريعة المحدّدة.

٦ - بيانات الحقوق والواجبات.

ملحوظة:

عَلَى الدُّعَاةِ أَنْ يكونوا علَى بَصِيرَةٍ بِمَحَاسِنِ الإيجازِ والإطنابِ بيْن الجمل في الكلام، حتّى يكون كلامُهم أرفعَ أَدَبًا، وأعظمَ تأثيرًا، وأعظم معلِّم لمحاسن الإيجاز والإطناب بيْن الجمل فى كِتاب الله ثم أقوال الرسول ﷺ.

رُوِيَ أنّ الخليل بن أحمد الفراهيدي أحد أئمة اللّغة والأدب قال: «يُخْتَصَرُ الكِتَابُ ليُحْفَظَ، ويُبْسَطُ لِيُفْهَم» .

وقيل لأبي عَمْرو بن العلاء «وهو أحد أئمة اللّغة والأدب، وأحد القرّاء ووُصف بأنّه أعلم الناس بالأدب والعربيّة والقرآن والشعر»: هل كانت العربُ تُطِيل؟ قال: «نعم، كانت تُطِيلُ لِيُسْمَعَ مِنْها، وتُوجِزُ ليُحْفَظَ عنها» .

ورُوِيَ أن جعفر بن يحيى البرمكيّ «أحد الموصوفين بفصاحة المنطق وبلاغة القول» قال: «متَى كان الإيجاز أبْلَغَ كانَ الإكثَارُ عِيًّا، ومتَى كانت الكِفايَةُ بالإكثار كان الإيجاز تقصيرًا» .

وقال الزمخشري: «كما يجب على البليغ فى مَظَانِّ الإجمال أن يُجْمِلَ ويُوجِزَ، فكذلِكَ الواجب عليه فى موارد التفصيل أنْ يُفَصّل ويُشْبِع» .

وقالوا: «لكلّ مقامٍ مقال» .

ممّا هُو مُتّفَقٌ عليه لزوم اختيار أسلوب (المساواة) بَيْنَ الألفاظ والمعاني، حتَّى تكونَ الأَلفاظ مساويةً للمعاني دون زيادة ولا نقصان، في عِدَّةِ مجالاَتٍ.

تدريبات

(١) عين الإيجاز في الشواهد والأمثلة التالية:

١ - قوله تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

٢ - قولك: أكلت فاكهة وماء.

٣ - قولك (دخلت الامتحان ونجحت).

٤ - قول الله: ﴿ مِّمَّا خَطِيٓـَٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا ﴾ [نوح: ٢٥].

٥ - قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ﴾ [يوسف: ٨٢].

٦ - قوله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ ﴾ [المائدة: ٣].

٧ - قول الله: ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [البقرة: ١٧٩].

٨ - قوله تعالى: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٤].

٩ - أكلتُ فاكهةً و ماءً.

١٠ - عَنْ عَبْدِ اللَّـهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّهُ قَدِمَ رَجُلاَنِ مِنَ الْـمَشْرِقِ، فَخَطَبَا، فَعَجِبَ النَّاسُ لِبَيَانِهِمَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ: «**إِنَّ مِنَ الْـبَيَانِ لَسِحْرًا أَوْ إِنَّ بَعْضَ الْـبَيَانِ لَسِحْرٌ**» رواه البخاري.

(٢) عيّن الإطناب في الشواهد والأمثلة التالية:

١ - عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّـهِ ﷺ يَقُولُ: «**عَيْنَانِ لَا**

تَمَسُّهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّـهِ وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّـهِ» رواه الترمذي.

٢ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّـهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الْإِمَامُ الْـعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْـمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّـهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّـهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّـهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ» رواه البخاري.

٣ - قول الله: ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾ ﴾ [إبراهيم: ٤١].

٤ - قول الله: ﴿ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ [فصلت: ٦، ٧].

٥ - قول الله: ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القدر: ٤].

٦ - قوله تعالى: ﴿ حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

٧ - وقوله عز وجل: ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [البقرة: ٩٨].

٨ - قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴾ [النحل: ٥٧].

٩ - عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّـهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّـهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْـحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ» رواه البخاري.

١٠ - عَنْ عَبْدِ اللَّـهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّـهِ ﷺ يَقُولُ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْإِمَامُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْـمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْـخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»، قَالَ فَسَمِعْتُ هَؤُلَاءِ مِنْ رَسُولِ اللَّـهِ ﷺ وَأَحْسِبُ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «وَالرَّجُلُ فِي مَالِ أَبِيهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» رواه البخاري.

١١ - عَنْ عَبْدِ اللَّـهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا أَوْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ أَرْبَعَةٍ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا؛ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ». رواه البخاري.

١٢ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ : «ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ وَالْإِمَامُ الْـعَادِلُ وَدَعْوَةُ الْـمَظْلُومِ يَرْفَعُهَا اللَّـهُ فَوْقَ الْـغَمَامِ وَيَفْتَحُ لَهَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ وَيَقُولُ الرَّبُّ وَعِزَّتِي لَأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ» رواه الترمذي.

التوكيد والقصر

التوكيد في اللغة:

التقوية، تقول: (أَكَّدْتُ الشيءَ)، وتقول: (وَكَّدْتُهُ) أيضًا: إذا قويتَه.

الْمُخَاطَبُ لَهُ ثلاثةُ أحوالٍ:

١- أنْ يكونَ الْـمُخَاطَبُ غَيْرَ مُتَرَدِّدٍ، ولا مُنْكِرٍ:

وَفِي هَذِهِ الْـحَالِ لا يُؤَكَّدُ لَهُ الكلامُ، لعدم الحاجةِ إلى التوكيد، مثل قوله تعالى: ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ ﴾ [الكهف: ٤٦].

٢ - أنْ يكونَ المخاطبُ مُتَرَدِّدًا في الخبرِ، شَاكًّا فيه:

وَفِي هَذِهِ الْـحَالِ يُفَضَّلُ تأكيدُ الكلامِ؛ تقويةً للحُكم، ليتمكَّنَ من نفسِهِ، ويُلْقِيَ الشَّكَّ وَرَاءَ ظَهْرِهِ، مثل: إِنَّ الامْتِحَانَ قَرِيبٌ.

٣ - أنْ يكونَ المخاطَبُ منكرًا للخبرِ وجاحدًا له:

وَفِي هَذِهِ الْـحَالِ يَجِبُ تأكيدُ الكلامِ له بمؤكدٍ أو مؤكدينِ أو أكثرَ، على حسبِ حالِهِ من الإنكارِ، قوةً وضعفًا، مثل: (إِنَّ الامْتِحَانَ قَرِيبٌ) .

حَيْثُ أَكَّدَ الكلامَ بِمُؤَكِّدٍ واحدٍ، وَهُو: (إِنَّ).

ومثل: (إِنَّ الامْتِحَانَ لَقَرِيبٌ)؛ حَيْثُ أَكَّدَ الكلام بِمُؤَكِّدَيْنِ، وَهُمَا:

١ - أداة التوكيد (إِنَّ).

٢ - اللام الْـمُتَّصِلَةُ بـ(قريب).

ومثل: (وَاللَّـهِ إِنَّ الامْتِحَانَ لَقَرِيبٌ)؛ حَيْثُ أَكَّدَ الكلامَ بثلاثةِ مُؤَكِّدَات، وَهِي:

١ - الْـقَسَمُ (والله).

٢ - أداة التوكيد (إنَّ).

٣ - اللام الْـمُتَّصِلَةُ بـ (قريب).

ومثل: (وَاللَّـهِ إِنَّ الامْتِحَانَ إِنَّ الامْتِحَانَ لَقَرِيبٌ).

حَيْثُ أَكَّدَ الكلامَ بأربعةِ مُؤَكِّدَات، وَهُى:

١ - الْـقَسَمُ (واللَّـهِ).

٢ - أداة التوكيد (إنَّ).

٣ - اللام الْـمُتَّصِلَةُ بـ(قريب).

٤ - التوكيد اللفظى(إِنَّ الامْتِحَانَ إِنَّ الامْتِحَانَ).

ومثل: (وَاللَّـهِ إِنَّ الامْتِحَانَ إِنَّ الامْتِحَانَ لَقَرِيبٌ قُرْبًا شَدِيدًا).

حَيْثُ أَكَّدَ الكلامَ بِخَمْسَةِ مُؤَكِّدَات، وَهُى:

١ - الْـقَسَمُ (واللَّـهِ).

٢ - أداة التوكيد (إنَّ).

٣ - اللام الْـمُتَّصِلَةُ بـ(قريب).

٤ - التوكيد اللفظى(إِنَّ الامْتِحَانَ إِنَّ الامْتِحَانَ).

٥ - المفعول الْـمُطْلَقُ «قُرْبًا».

ومثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ﴾ [البقرة: ١٢٠].

حيث أكد الله - سبحانه وتعالى - الآية بالضمير المنفصل (هو).

ومثل قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ﴾ [الرعد: ٦].

حَيْثُ أَكَّدَ اللّـهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - الآيَةَ بِمُؤَكِّدَيْنِ، وَهُمَا:

١ - أداة التوكيد (إِنَّ).

٢ - اللام الْـمُتَّصِلَةُ بـ (ذُو).

ومثل قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الرعد: ٦].

حَيْثُ أَكَّدَ اللّـهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - الآيَةَ بِمُؤَكِّدَيْنِ، وَهُمَا:

١ - أداة التوكيد (إِنَّ).

٢ - اللام الْـمُتَّصِلَةُ بـ (شديد).

واعلمْ أنهُ كما يكونُ التأكيد في الإثباتِ، يكون في النفي أيضًا.

مثل: (مَا رَبُّكَ بِظَالِمٍ)؛ حَيْثُ أَكَّدَ الكلامَ بِمُؤَكِّدٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ:

حَرْفُ الْـجَرِّ الزائد (الْـبَاء).

ومثل: (وَاللّـهِ مَا رَبُّكَ بِظَالِمٍ)؛ حَيْثُ أَكَّدَ الكلامَ بِمُؤَكِّدينِ، وَهُمَا:

١ - الْـقَسَمُ (واللّـهِ).

٢ - حَرْفُ الْـجَرِّ الزَّائِد (الْـبَاء).

ولتوكيدِ الكلام أدوات كثيرة، أشهرُها: (إِنَّ - أَنَّ - لام الابتداءِ - أحرفَ التنبيه - القسمِ - نونا التوكيد - حروف الْـجَرّ الزائدة - التَّكْرَار - قدْ - أمَّا الشرطيةُ - إنما - ضمير الفصل - والتَّقْدِيم والتَّأخير).

تقسيمُ الخبر إِلَى جملةٍ فعليةٍ وجملةٍ اسميةٍ:

١ - الجملةُ الفعليةُ:

هي ما تَرَكَّبَتْ مِنْ (فِعْل + فَاعِل)، مثل: يُكْرِمُ اللّـهُ الصَّادِقِينَ.

أو(فعل + نائب فاعل)، مثل: يُنْصَرُ الْـمَظْلُومُ.

٢ - الجملةُ الاسميةُ:

هي ما تركبتْ من (مبتدأ + خبر)، **مثل:** الإِسْلامُ دِينُ اللّـهِ.

مؤكّداتُ الجملةِ الاسميةِ:

١ - **لامُ الابتداءِ:** وهيَ لامٌ مفتوحةٌ تأتي في بدايةِ الجملةِ الاسميّةِ لتوكيد مضمونها، هكذا: لـ + جملة اسمية = لَـمُحَمَّدٌ نَاجِحٌ - ﴿ **وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ** ﴾ [الضحى: ٤].

٢ - **إنّ:** مثل: إِنَّ الْـبُخْلَ مَذْمُومٌ.

٣ - **أنّ:** مثل: عَلِمْتُ أَنَّ الْـبُخْلَ مَذْمُومٌ.

٤ - **القسمُ:** وَاللّـهِ إِنَّ الْـبُخْلَ مَذْمُومٌ.

مؤكداتُ الجملةِ الفعليةِ:

١ - **نونُ التّوكيدِ:** لا تَظْلِمَنَّ أَحَدًا.

٢ - **القسمُ واللامُ الواقعةُ في جَوَابِ الْـقَسَمِ، هَكَذَا:** (قَسَمٌ + لـ + فعل)، مثل: وَاللّـهِ لأَصْنَعَنَّ الْـخَيْرَ.

يكونُ الفعلُ المضارعُ واجبَ التّوكيدِ بشروط: إذا اتّصل باللّام، وسُبِقَ بالقَسَمِ، وكان مثبتًا، ويدلُّ على المستقبلِ، كالمثالِ السَّابِقِ.

ويكونُ جائزَ التّوكيدِ إذا دلَّ على طلبٍ (أَمْر - نَهْي - استفهام - تَمَنٍّ - رَجَاء)، وهذا هو التَّفْصِيل.

أَمْر: مثل: اُكْتُبَنَّ الدَّرْس.

نَهْي: مثل: لا تُهْمِلَنَّ الدَّرْسَ.

استفهام: مثل: هَلْ تَعْمَلَنَّ الْـخَيْرَ ؟.

تَمَنٍّ: مثل: لَيْتَكَ تَصْدُقَنَّ.

رَجَاء: مثل: لَعَلَّ الْـحَاكِمَ يَصْدُقَنَّ.

٣ – قَدْ: قبلَ الفعلِ الماضي، مثل: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ﴾ [المؤمنون: ١].

٥ – حرفا التّنبيه: (أَمَا – ألا).

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَمَا يَخْشَى أَحَدُكُمْ أَوْ لا يَخْشَى أَحَدُكُمْ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ قَبْلَ الْإِمَامِ أَنْ يَجْعَلَ اللَّـهُ رَأْسَهُ رَأْسَ حِمَارٍ أَوْ يَجْعَلَ اللَّـهُ صُورَتَهُ صُورَةَ حِمَارٍ» رواه البخاري.

ومثل قول الله: ﴿ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَـٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝ ﴾ [المطففين: ٤].

٦ – أمّا: وهيَ حرفُ شرطٍ وتفصيلٍ وتوكيدٍ، مثل قول الله: ﴿ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝ ﴾ [الضحى: ١٠].

٧ – الأحرفُ الزّائدة:

(إِنْ) بعدَ النّفيِ، مثل: (مَا إِنْ تَكَلَّمْتُ إلا صِدْقًا).

و(أَنْ) بعد (لَمَّا)، مثل: (وَلَمَّا أَنْ جَاءَ الضَّيْفُ أَكْرَمْتُهُ).

و(مَا) بعد (إذا)، مثل: (إِذَا مَا أَخْلَصْتَ أَكْرَمَكَ اللَّـهُ).

و(مِنْ) بعدَ النّفيِ، مثل: (مَا جَاءَ مِنْ أَحَدٍ).

و(مِنْ) بعد (هَلْ) الاستفهاميّةِ، مثل: (هَلْ مِنْ تَائِبٍ ؟).

و(الْـبَاءُ) بعدَ (النَّفْي)، مثل: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَـٰكِمِينَ ۝ ﴾ [التين: ٨].

وقول الله: ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [فصلت: ٤٦]. أو في فاعلِ كفى، مثل قول الله: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلاً ﴾ [النساء: ٨١].

وقوله تعالى: ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾ [النساء: ٦]، وقوله: ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [الفتح: ٢٨].

عَنْ حَفْصِ بْنِ عَاصِمٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ: «**كَفَى بِالْـمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ**» رواه مسلم.

انتبه !

هناك ألفاظ تتضمن معنى التوكيد. مثل: (لاشَكَّ - لا رَيْبَ - لا جِدَالَ - حَقًّا - صِدْقًا - يَقِينًا - لابُدَّ - لا مِرَاءَ ..).

مثل قول الشاعر:

إِذَا الـشَّعْبُ يَـوْمًا أَرَادَ الْـحَـيَاة فَـلا بُـدَّ أَنْ يَـسْتَجِيبَ الْـقَـدَرْ

حَيْثُ أَكَّدَ الشَّاعِرُ كَلامَهُ بـ (لا بُدَّ)، إلا أنَّ هذا الكلامَ يُنَافِي عَقيدةَ الإيمانِ بالقضاءِ والقدرِ التي هي ركنٌ من أركان الإيمانِ؛ فإرادةُ البشرِ تابعةٌ لإرادةِ اللَّـهِ - تعالى - وليس العكس، قال الله تعالى: ﴿ **وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ** ﴾ [التكوير: ٢٩]. وقال تعالى: ﴿ **وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا** ﴾ [الفرقان: ٢].

عَنْ عَبْدِ اللَّـهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْـعَاصِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّـهِ ﷺ يَقُولُ: «**كَتَبَ اللَّـهُ مَقَادِيرَ الْـخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْـمَاءِ**» رواه مسلم.

ولكن هذا لا ينافي الأخذ بالأسباب والعمل بجد واجتهاد.

فعَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِي جَنَازَةٍ، فَأَخَذَ شَيْئًا، فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِهِ الأَرْضَ، فَقَالَ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ وَمَقْعَدُهُ مِنَ الْـجَنَّةِ**» ، قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّـهِ: أَفَلاَ نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا، وَنَدَعُ الْـعَمَلَ؟ قَالَ: «**اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ**» رواه البخارى ومسلم.

عن المغيرة بن أبي قرة السدوسي قالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النبيِّ ﷺ وَتَرَكَ نَاقَتَهُ بِبَابِ الْـمَسْجِدِ فَسَأَلَهُ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ عَنْهَا، فَقَالَ أَطْلَقْتُهَا وَتَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّـهِ قَالَ: «**اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ**» رواه الترمذي وحسنه الألباني.

فَجَعَلَ إرادةَ الله - سبحانه - تبعًا لإرادةِ الشَّعْبِ التي لا يمكن أن تتخلف، ولا يمكن للخالق أن يردها ..! وهذا غيرُ مقبولٍ؛ لأن الله تعالى فعالٌ لما يريد، ويحكم بما يريد، ولا مُكْرِهَ له على شيءٍ لا يريده، وإرادته تعالى غير مقرونة بأي إرادة أو قدرة، تعالَى عما يصفون .

الْفَائِدَةُ الْبَلاغِيَّةُ لِلتَّوْكِيد:

يُقَوِّي الْـمَعْنَى، وَيُزِيدُ تَأْثِيرَهُ فِي النَّفْسِ .

❁ ❁ ❁

الْقَصْرُ

الْقَصْرُ لُغَةً:

هُوَ الْـحَبْسُ والتَّخْصيص، مثل قول الله: ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ ﴾ [الرحمن: ٧٢].

أي: قَصَرْنَ وَخَصَّصْنَ وَحَبَسْنَ أَنْفُسَهُنَّ لأَزْوَاجِهِنَّ فَلَمْ يَطْمَحْنَ إِلَى غَيْرِهِنَّ.

وقَصَر الشيءَ على نفسه، إذا خصَّ نفسَه به، فلم يجعل لغيره منه شيئًا.

الْقَصْرُ اصْطِلاحًا:

هو تخصيصُ أَمْرٍ بأَمْرٍ آخَرَ من خلال وسيلةٍ من وسائل القصرِ، مثل: (لا إِلَهَ إِلاَّ الله)، أي: لا يُوجَدُ في الوجود كُلّه معبودٌ بِحَقٍّ سوى الله.

أسلوب القصر يتكون من:

١ - الْـمَقْصُور.

٢ - المقصور عليه.

٣ - أداة القصر.

مثل: إِنَّمَا حَاتِمُ الطَّائِي كَرِيمٌ.

أداة القصر: إنّما.

المقصور: حاتم الطائى.

المقصور عليه: كريم.

والمقصور والمقصور عليه هما طرفا القصر.

طُرُقُ الْقَصْرِ:

١ - **النفى والاستثناء**: يقع المقصور عليه بعد أداة الاستثناء، مثل: (ما طَارِقٌ إلا وَزِيرٌ). فقد قَصَرَ (طارق)، وهو الموصوف على الْـوِزَارَةِ، وهى الصفة.

٢ - **إنما**: يأتى بعدها المقصور. أما المقصور عليه فيأتى مؤخرًا، مثل: (إِنَّمَا طَارِقٌ وَزِيرٌ).

٣ - **تقديم ما حَقُّهُ التأخير**: ويكون المقصور عليه هو المقدم، مثل قول الله: ﴿ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ ﴾ .

٤ - **العطف بـ (لا) أو (بل) أو (لكن)**:

مثل: الإِنْسَانُ بِإِيمَانِهِ لا بِشَكْلِهِ - لَيْسَ طَارِقٌ مُهَنْدِسًا بَلْ وَزِيرًا - مَا الْـعَاصِي مَحْبُوبٌ لَكِنْ الطَّائِع.

فإذا كان العطف بـ (لا) كان المقصور عليه ما قبلها، مثل: (الإِنْسَانُ بِإِيمَانِهِ لا بِشَكْلِهِ). وإن كان العطف بـ (بل) أو(لكن) كان المقصور عليه ما بعدهما، مثل: لَيْسَ طَارِقٌ مُهَنْدِسًا بَلْ وَزِيرًا - مَا الْـعَاصِي مَحْبُوبٌ لَكِنْ الطَّائِع.

أقسام أسلوب القصر:

ينقسم أسلوب القصر إلى أقسام كثيرة، باعتبارات مختلفة، وذلك على التفصيل التالى:

أ - القصر من حيث الطرفين:

١ - قصر موصوف على صفة، مثل قولنا: (إِنَّمَا النَّاجِحُ عُمَرُ)، فنحن في هذه الحالة قَصَرْنا النَّجَاحَ على (عُمَر). وعندما تقصر إنسانًا على وَصْفٍ فذلك (قَصْرُ مَوْصُوفٍ عَلَى صِفَةٍ).

ومثل: (مَا شَوْقِي إلا شَاعِرٌ)، فقد قَصَرَ شوقي، وهو الموصوف على الشاعرية، وهي الصفة.

٢ - قصر صفة على موصوف، مثل: قولك: (إِنَّمَا حَمْزَةُ كَاتِبٌ)، فهذا يعني أن (حَمْزَةَ) كَاتِبٌ فَقَطْ، وهو ليس بطبيبٍ أو مُهَنْدِسٍ أو ضابطٍ.

أما إن قلت: (إِنَّمَا الكَاتِبُ حَمْزَةُ)، فهذا يعني أنه لا يُوجَدُ كَاتِبٌ إلا حَمْزَة؛ فكأَنَّكَ نَفَيْتَ عَنِ الآخَرِينَ أنهم كُتَّابٌ، وأن حَمْزَةَ فقط هو الكَاتِبُ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ طَبِيبًا وَخَطِيبًا وَعَالِمًا مَعَ كَوْنِهِ كَاتِبًا.

ومثل: (لا شَاعِرَ إِلا شَوْقِي)، فَقَدْ قَصَرَ الشاعريةَ، وهي الصفة على شَوْقِي وهو الموصوف.

وحينما تقول: (لا إِلَه إلاّ الله) فَقَدْ قَصَرْتَ وَصْفَ الإِلَهِيّة الْـحَقِيقِية على موصوف، وهو الله وحده، وهذا من قَصْرِ الصِّفَةِ على الْـمَوْصُوفِ.

وحينما تَقُولُ: (مَا لإِبْلِيسَ مِنْ عَمَلٍ فِي النَّاسِ إلاَّ الْـوَسْوَسَةُ وَالإِغْوَاءُ)، فإِنَّنا قَصَرْتَ عَمَلَ إِبْلِيسَ فِي النَّاسِ عَلَى صِفَتَي الْـوَسْوَسَةِ وَالإِغْوَاءِ.

عَمَلُ إبليسَ فِي النَّاسِ موصوفٌ، والوسوسةُ والإِغواء كل منهما صفةٌ، وهذا من قصر الموصوف على الصفة.

ب- القصر من حيث الحقيقة والواقع:

١ - القصر الحقيقي:

وهو أن يكون المقصور خاصًّا بالمقصور عليه، **مثل:** (لا نَعْبُدُ إلا اللَّـهَ)، فهو قَصْرُ صِفَةٍ عَلَى موصوف، وإذا تأملت الصفة عرفت أنها لا تفارق؛ لأَنَّ الْـعِبَادَةَ لا تكون إلا لله، فهو قَصْرٌ حَقِيقِي.

٢ - القصر الإضافي:

هو أن يكون القصر فيه ليس حقيقيًّا، وإنما بحسب القياس إِلَى شَيءٍ مُعَيَّنٍ،

مثل: (إِنَّمَا الشَّاعِرُ زُهَيْرٌ) فَقَدْ قَصَرَ الصِّفَةَ(الشَّاعِرِيَّة) عَلَى الْـمَوْصُوفِ (زُهَيْر)، وليس معنى أن هذه الصفة لا توجد فى أحد غير خالد، بل بالقياس إلى شخص آخر، مثل: إبراهيم ومحمد وطارق ومريم ..، ولذلك يُسَمَّى القَصْر قَصْرًا إِضَافِيًّا.

أَمْثِلَةٌ عَلَى الْقَصْرِ:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ [الفاتحة: ٥] قَصَرَ الْـعِبَادَةَ عَلَى ذاته الكريمة..؛ لأنه لو قال: (نعبدك وحدك) فهي لا تؤدي المعنى نفسه..؛ لأنك قد تقول: نعبدك وحدك ومعك كذا وكذا.

ولكن إذا قلت: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ وقدمت إياك ..، تكون قَدْ حَسَمْتَ الأَمْرَ بأن العبادة لله وحده، فلا يجوز العطف عليها. فهى تنفي العبودية لغير الله ..، أي لا نعبد غير الله، ولا يعطف عليها أبدًا..

إذن: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ أَعْطَتْ تخصيص العبادة لله وحده لا إله غيره ولا معبود سواه.

وقول الله: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، فهذا أسلوبُ قَصْرٍ؛ لأَنَّهُ - سبحانه وتعالى - يقصر محمدًا عَلَى الرَّسَالةِ. فإذا قُصِرَ محمدٌ ﷺ على الرسالة، فهذا يعني أن بعض المعاصرين له كانوا يعتقدون أن محمدًا أكبرُ من رسولٍ ولا يموتُ.

قول الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٩٠ ﴾ [المائدة: ٩٠].

فكلمة: ﴿ إِنَّمَا ﴾ تُسَمَّى فِي اللغة (أَدَاةَ قَصْرٍ)، مثل قولنا: (إِنَّمَا يُوسُفُ مُجْتَهِدٌ)، وهذا يعني أننا قَصِرَنْا (يُوسُف) على الاجتهاد.

لكن إذا قلنا: (إِنَّمَا الْـمُجْتَهِدُ يُوسُفُ)، فنحن في هذه الحالة قَصَرْنا الاجتهاد

على (يُوسُف) . وعندما تقصر إنسانًا على وصفٍ فذلك يسمونه: (قَصْر مَوْصُوفٍ عَلَى صِفَةٍ).

وعندما نقول: (إِنَّمَا عَنْتَرَةُ شَاعِرٌ)، فهذا يعني أن (عَنْتَرَة) شَاعِرٌ فَقَطْ، وهو ليس بكاتبٍ أو خطيبٍ. أما إن قلت: (إِنَّمَا الشَّاعِرُ عَنْتَرَةُ)، فهذا يعني أنه لا يُوجَدُ شَاعِرٌ إلا عَنْتَرَة؛ فكأنك نَفَيْتَ عَنِ الآخَرِينَ أنهم شعراءُ، وأن عَنْتَرَةَ فقط هو الشَّاعِرُ، ويحتمل أن يكون كاتبًا وَخَطِيبًا وَعَالِمًا مَعَ كَوْنِهِ شَاعِرًا.

قول الله: ﴿ وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٧].

﴿ وَأَنفُسَهُمْ ﴾: مفعول به تَقَدَّمَ عَلَى عَامِلِهِ الفعل ﴿ يَظْلِمُونَ ﴾ وحين تجد معمولًا تقدم على عامله فاعلمْ أنَّ هذا أسلوبُ قَصْرٍ، وقد نقول: (يظلمون أنفسهم)، ويصح أن تعطف قائلًا: ويظلمون الناس. ولكن حين نقول: أنفسهم يظلمون، فمعنى ذلك أنه لا يتعدى ظلمهم أنفسهم، ويكون الكلام فيه قصر وتخصيص.

مثلما نقول: (لله الأمر)، أي أن الأمر لا يتعدى إلى غيره أبدًا.

وقول الله: ﴿ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [يونس: ٨٥].

فإذا تقدم الجار على المجرور فذلك أسلوبُ قَصْرٍ وحَصْرٍ للأمر، وهنا قَصَر وَحَصَرَ التوكل على الله تعالى، ولا توكل على سواه. ومن الْـمُمْكِنِ أن يقال: (تَوَكَّلْنَا عَلَى اللَّـهِ)، إلا أَنَّ هَذَا لا يَنْفِى التَّوَكُّلَ عَلَى غَيْرِهِ، فَيَصِحُّ الْـعَطْفُ، فَيُقَالُ: تَوَكَّلْنَا عَلَى اللَّـهِ وَعَلَى غَيْرِهِ، فإذا أَرَدْتَ أَنْ تُغْلِقَ هَذَا الْـبَابَ، فقدِّمْ وَأَخِّرْ، فَقُلْ: (عَلَى اللَّـهِ تَوَكَّلْنَا) عَلَى الْـقَصْرِ.

عَنْ أَبِى الدَّرْدَاءِ رضى الله عنه قَالَ قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَالَ إِذَا أَصْبَحَ

وَإِذَا أَمْسَى: حَسْبِيَ اللَّـهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْـعَرْشِ الْـعَظِيمِ سَبْعَ مَرَّاتٍ كَفَاهُ اللَّـهُ مَا أَهَمَّهُ صَادِقًا كَانَ بِهَا أَوْ كَاذِبًا» رواه أبو داود.

فالرسول لَمْ يَقُلْ: (توكلت عليه)؛ ولكنه قال: (عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ) والفارق بين القَوْلَيْنِ كبير، فحين تقول: (عليه توكلت) فأنت تَقْصر التوكُّل عليه وحده؛ ولكن إنْ قُلت: (توكلت عليه)، فأنت تستطيع أن تضيف وتعطف عددًا آخر مِمَّنْ يمكنك التوكل عليهم.

ومنه قول الله: ﴿ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [التوبة: ١٢٩].

وقوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ ﴾ [هود: ١٢٣].

فهذا أسلوبُ قَصْرٍ بتقديم الْـجَار والْـمجرور، أي قَصر غيبَ السموات والأرض عليه سبحانه، فلو قلنا مثلًا: (غيب السموات والأرض لله)، فَيُحْتَمَلُ أن يقول قائل: ولغير الله، أما: ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ ﴾ أي: له وحده لا شريك له.

وقوله تعالى: ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ [يوسف: ٤٠].

أسلوب قَصْرٍ، يفيد قَصْرَ العبادة وإثباتها لله وحده، بحيث لا يشاركه فيها أحد. فلو قالت الآية: (وقضى ربك أن تعبدوه)، فَرُبَّ قائلٍ يقول: ونعبدُ غيرَهُ؛ لأنَّ بَابَ الْـعَطْفِ هنا مفتوحٌ لَمْ يُغْلَقْ، كما لو قُلْت: ضَرَبْتُ فلانًا وفلانًا وفلانًا. هكذا باستخدام العطف. لكن لو قلت: ما ضَرَبْتُ إلا فلانًا، فقد أغلقت باب العطف.

إذن: جاء التعبير بأسلوب القصر ليقول: اقصروا العبادةَ عَلَيْهِ سبحانه، وَانْفُوهَا عَنْ غَيْرِهِ.

الْفَائِدَةُ الْبَلاغِيَّةُ لِلْقَصْرِ:

يقوي المعنى، ويزيد تأثيره في النفس.

الأُسْلُوبُ

تعريفه:

هو الطريقة التي يُعَبِّرُ بها الأديب (الشاعر - النَّاثر) عما يدور فِي نفسه من أفكار ومشاعر.

أقسامه:

وينقسم الأسلوب من حيث النوع إلى:

١ - أسلوب علمي.

٢ - أسلوب أدبي.

٣ - أسلوب علمي متأدب.

أولاً: الأسلوب العلمي:

هو ذلك الأسلوب الذي يعبر به الكاتب، أو الْـمُؤَلِّفُ عن حقائق علمية ثابتة لا تقبل الجدل، وليس فيها صورٌ بلاغية. ويكون بطريقة خالية من المشاعر والأحاسيس.

مميزاتِ الأسلوبِ العلميِّ:

أظهرُ ميزات هذا الأُسلوب الوُضوحُ، فهدفُه إظهارُ الحقائقَ وَكَشْفُهَا للسامعِ أو القارئِ، ويمتازُ بالدقةِ والتحديد، والترتيبِ المنطقيِّ، واستخدام الأدلةِ والبراهينَ، ويبتعد عن الخيالِ والعاطفة؛ لأَنه يُخَاطِبُ العقلَ، ويناجي الفكر، ويَشرَحُ الحقائق العلمية التي لا تخلو من غموضٍ وخفاءٍ، وتتخللُه مصطلحاتٌ علميةٌ متصلةٌ بالموضوع الذي يتناولهُ.

وَكُتُبُ الدراسةِ كالعلوم والحساب والطب..، على هذا النحو من الأساليب.

نموذج للأسلوب العلمي:

١- الربيع أحد فصول السنة الأربعة. يبدأ من يوم (٢١) مارس، وينتهي في يوم (٢١) يونية. وتكون الشمس عموديةً على خط الاستواء، ويتساوى فيه الليل والنهار.

٢ - الْـحُمَّى أَثَرٌ لِجَرَاثيمَ تَدْخلُ الجسم، فترفعُ درجةَ حرارتِهِ، وَتُسَبِّبُ له رِعْشَةً وَرِعْدَةً، حتى إذا فَرغت نوْبَتها تَصَبَّبَ الْـجِسْمُ عَرَقًا.

٣ - في فناءِ القصر بِرْكةٌ كبيرة، يزيدُ اتساعها عن مائة متر طولًا في مثلِها عرضًا، وحولَها سورٌ متوسطُ الارتفاعِ، يستطيعُ الإنسانُ أن يجلِسَ على حافتهِ، ويرى ماءَ البركةِ الذي يتدفقُ إليها بشدةٍ من النهرِ المجاور، وهو ماءٌ صافٍ، لا يحجبُ قرارَ البركةِ عن العينِ.

ثانيًا: الأسلوب الأدبي:

وهو ذلك الأسلوب الذي يعبر به الكاتب، أو الْـمُؤَلِّفُ، أو الأديب عن أفكارٍ أدبيةٍ بألفاظٍ موحيةٍ، وصورٍ بلاغيةٍ رائعةٍ وعاطفة قوية تُؤثر في النفس.

أهمُّ مُمَيِّزَاتِ الأُسْلُوبِ الأَدَبِيِّ:

هدفُه إثارةُ عاطفةِ السامع أو القارئِ والتأثيرُ في نفسه، ويمتازُ باختيارِ الألفاظ والتأثيرِ فيها، ويمتازُ بامتزاجِ الفكرةِ بالعاطفةِ، ويمتازُ بالعنايةِ بصورِ البيانِ من تشبيهٍ واستعارةٍ وكنايةٍ، ويمتازُ بالحرصِ على موسيقيةِ العبارةِ، لتصوِّرَ الإحساسَ وتهزَّ المشاعرَ، فالجمالُ أبرزُ صِفات الأسلوب الأدبي.

فالمتنبي يرَى الحُمَّى، كما يُصوِّرُها في الأَبيات الآتية:

وَزَائِـــرَتي كَـــأنّ بهَـــا حَـــيَاءً فَلَـــيسَ تَـــزُورُ إلاّ في الظّـــلامِ

يريد حمى كانت تأتيه ليلا يقول كأنها حيية إذ كانت لا تزورني إلا في ظلام الليل.

بَــذَلْتُ لَهَــا المَطَــارِفَ وَالحَــشَايَا فَعَافَــتْهَا وَبَاتَــتْ في عِظامِــي

يقول هذه الزائرة يعني الحمى لا تبيت في الفراش، وإنما تبيت في عظامي.

يَـضِيقُ الجِلْـدُ عَـنْ نَفَـسي وَعَـنْـهـا فَتُوسِـعُهُ بِأنْـوَاعِ الـسّقَامِ

يقول جلدي لا يسعها، ولا يسع أنفاسي الصعداء، والْـحُمَّى تُذْهِبُ لَحْمِى، وتوسع جلدي بما تورده عليّ من أنواع السقام.

إِذَا مَـا فَارَقَتْنِـي غَـسَلَتْنِي كَأَنَّـا عَاكِفَـانِ عَـلَى حَـرَامِ

يريد أنه يعرق عند فراقها، فكأنها تغسله لعكوفهما على ما يوجب الغسل، وإنما خص الحرام لحاجته إلى القافية، وإلا فالاجتماع على الحلال كالاجتماع على الحرام في وجوب الغسل.

وَفَارقْـتُ الحَبِـيبَ بِـلا وَداعٍ وَوَدّعْـتُ الـبِلادَ بِـلا سَـلامِ

أي وربما فارقت الحبيب بلا وداع يريد أنه قد هرب من أشياء كرهها دفعاتٍ فلم يقدر على توديع الحبيب ولا على أن يسلم على أهل ذلك البلد الذي هرب منه

يَقُـولُ لِيَ الطّبِـيبُ أَكَلْـتَ شَـيئًا وَداؤكَ في شَرَابِـكَ وَالطّعَـامِ

أي الطبيب يظن أن سبب دائي الأكل والشرب، فيقول: أَكَلْتَ كَذَا وكذا مِمَّا يَضُرُّ.

تَمَـتّعْ مِـنْ سُـهَادٍ أَوْ رُقَـادٍ وَلا تَأمُـلْ كَـرًى تحـتَ الـرِّجَامِ

الرجام: القبور المبنية من حجارة واحدها رجم يقول ما دمت حيا فتمتع من حالتي السهاد والنوم فلا ترج النوم في القبر.

نموذج الأسلوب الأدبي:

مَا أَجْمَلَ الرَّبِيعَ الفَتَّانَ ! فَصْلَ السحرِ والْـجمالِ. تتراقص فيه الأزهار. وتتمايل فيه الأغصان، وَتَكْتَسِي بِأَجْمَلِ حُلِيِّهَا الأشجار. وتستيقظ الورود من سُبَاتِهَا. وتظلُّ السماءُ فِي أَبْهَى صَفَائِها؛ لتكون الدنيا فِي أروع زينتِهَا وَبَهَائِهَا.

ثالثًا: الأسلوب العلمي المتأدب:

هو ذلك الأسلوب الذي يعبر به الكاتب، أو الْـمُؤَلِّفُ، أو الأديبُ عن أفكار واضحة في صياغة أدبية؛ ليكون وسطًا بين الأدبي والعلمي. كما ترى في بعض الكتب كالتاريخ والاجتماع والفلسفة.

نموذج الأسلوب العلمي المتأدب:

١ - الدين في بلادنا هو الدين الذي أنزله الله على رسوله، قبل أن يوحيه إلى محمد ﷺ. فمنا المسيحيون الذين يؤمنون برسالة عيسى عليه الصلاة والسلام. ومنا المسلمون الذين يؤمنون برسالة محمد ﷺ. ومنا الذين يؤمنون بالدين الذي أنزله الله على موسى. كل هؤلاء يعيشون في البلاد العربية إخوة متآلفين. لهم مُثُلٌ عليا واحدة مشتركة بينهم في أمور حياتهم الدنيوية والأخروية. مثلهم الأعلى قد أنزله الله في قلوبهم ووضعه في أعماق نفوسهم.. جعل من الأمة العربية وحدة يتم بعضها بعضًا. أزال الفرقة. ومحا الخصومات.

٢ - **قال الجاحظُ يصفُ نوعًا من الثعابينِ:** «زعموا أنها إذا انتصَفَ النهارُ واشتدَّ الحرُّ في رمالِ بلعنبرِ، وامتنَعتِ الأرضُ على الحافي والمنتعلِ، ورَمِضَ الجندبُ، غمستْ هذه الحيَّةُ ذنبَها في الرَّملِ، ثم انتصبَتْ كأنها رُمحٌ مركوزٌ، أو عودٌ ثابتٌ فيجيءُ الطائرُ الصغيرُ أو الجرادةُ، فإذا رأى عودًا قائمًا وكرِهَ الوُقُوعَ على الرَّملِ لشدَّة حرِّه، وقَعَ علَى رأسِ الحيَّة، على أنّها عُودٌ، فإذا وقَعَ على رأسها قبَضَتْ

عليهِ، فإنْ كان جرادةً أو جُعَلًا أو بَعْضَ ما لا يُشْبعها مثلُهُ، ابتلعتْهُ وبقيتْ على انتصابِها، وإنْ كان الواقعُ على رأسِها طائرًا يُشبِعها مثلُه أكلتْهُ وانصرفَتْ..».

ملاحظة:

يعتمد الأسلوب الأدبي على إثارة القارئ والسامع من خلال الألفاظ الفخمة والكلمات الضخمة والعبارات المشرقة والتعبيرات المتألفة.

أما الأسلوب العلمي فإنه لا يهتم بالثياب المزخرفة والملابس المزركشة ذات الألوان الزاهية. وإنما يعتمد على الحقائق الناصعة يربطها تفكير سليم ومنطق قديم.

فالأسلوب الأدبي مثل نبات الخروب. في ثمره قنطار خشب. ودرهم حلاوة. والأسلوب العلمي كالتفاحة كلها شبع وري.

❊ ❊ ❊

قال غير العرب عن العربيّة

العربية والإسلام:

قال المستشرق المجري عبد الكريم جرمانوس: «إنّ في الإسلام سَنَدًا هَامًّا للغة العربية أَبْقَى على رَوْعَتِهَا وَخُلُودِهَا فَلَمْ تَنَلْ مِنْهَا الأجيالُ الْـمُتَعَاقِبَةُ عَلَى نَقِيضِ مَا حَدَثَ للغَاتِ الْـقَدِيمَةِ الْـمُماثِلَةِ، كاللاتينية حيثُ انْزَوَتْ تَمَامًا بين جُدْرَانِ الْـمَعَابِدِ.

ولقد كان للإسلامِ قُوَّةُ تحويلٍ جَارِفَةٌ، أَثَّرَتْ فِي الشعوبِ التِي اعْتَنَقَتْهُ حَدِيثًا، وكَانَ لأُسْلوبِ القرآنِ الكريمِ أثرٌ عميقٌ فِي خيالِ هذِه الشعوبِ، فاقْتَبَسَتْ آلافًا من الكلماتِ العربية، ازدانت بها لغاتها الأصلية، فازدادت قوةً ونماءً.

والعنصر الثاني الذي أبقَى على اللغة العربية هو مرونتها التي لا تُبارى، فالألماني المعاصر مثلًا لا يستطيع أن يفهم كلمةً واحدةً من اللهجة التي كان يتحدث بها أجداده منذ ألف سنة، بينما العرب المحدثون يستطيعون فهم آداب لغتهم التي كتبت في الجاهلية قبل الإسلام» .

قال المستشرق الألماني يوهان فك: «إنَّ العربيةَ الفصحى لتدينُ حتَّى يومِنا هذا بمركزِها العالَمِي أساسيًّا لهذه الحقيقةِ الثابتةِ، وهي أنها قد قامت في جميعِ البُلدانِ العربية والإسلامية رمزًا لغويًّا لوحدة عالم الإسلام في الثقافة والمدنية، لقد بَرْهَنَ جَبَرُوتُ التراثِ العربيّ الخالد على أنه أقوَى من كل محاولة يقصد بها زحزحة العربية الفصحى عن مقامها المسيطر، وإذا صدقت البوادر، ولم تخطئ الدلائل فستحتفظ العربية بهذا المقام العتيد من حيث هي لغة المدنية الإسلامية».

قال جوستاف جرونيباوم: عندما أوحَى اللَّـهُ رِسَالَتَهُ إِلَى رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ أنزلها (قرآنًا عربيًّا) والله يقول لنبيّه: ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ

بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ [مريم: ٩٧] وما مِنْ لُغَةٍ تستطيعُ أن تطاول اللغة العربية في شرفها، فهي الوسيلةُ التي اختيرت لتحمل رسالة الله النهائية، وليست منزلتُها الروحية هي وحدها التي تسمو بها على ما أودع الله في سائر اللغات من قوة وبيان، أما السّعَةُ فالأمر فيها واضح، ومن يتّبع جميع اللغات لا يجد فيها على ما سمعته لغة تضاهي اللغة العربية، ويُضاف جمال الصوت إلى ثروتها المدهشة في المترادفات.

وَتَزَيُّنُ الدقةِ ووجازة التعبير لغة العرب، وتمتازُ العربية بها بها من كنايات ومجازات واستعارات لِيَرْفَعَهَا كثيرًا فوقَ كلِّ لغةٍ بشريةٍ أخرَى، وللغة خصائص جمّة في الأسلوب والنحو ليس من المستطاع أن يكتشف له نظائر في أي لغة أخرى، وهي مع هذه السعة والكثرة أخصر اللغات في إيصال المعاني، وفي النقل إليها، يبيّن ذلك أن الصورة العربية لأيّ مثل أجنبيّ أقصر في جميع الحالات، وقد قال الخفاجي عن أبي داود المطران - وهو عارف باللغتين العربية والسريانية - أنه إذا نقل الألفاظ الحسنة إلى السرياني قبُحت وخسّت، وإذا نُقل الكلام المختار من السرياني إلى العربي ازداد طلاوةً وحسنًا، وإن الفارابي على حقّ حين يبرّر مدحه العربية بأنها من كلام أهل الجنّة، وهو المنزّه بين الألسنة من كل نقيصة، والمعلّى من كل خسيسة، ولسان العرب أوسط الألسنة مذهبًا وأكثرها ألفاظًا[1].

العرب والمعاجم:

قال المستشرق الألماني أوجست فيشر: إذا استثنينا الصين فلا يوجدُ شعبٌ آخرُ يحقّ له الفَخارُ بوفرةِ كتبِ علومِ لغتِه، وبشعورِه المبكرِ بحاجته إلى تنسيقِ مفرداتها، بحَسْبِ أصولٍ وقواعدَ غيرَ العرب»[2].

(١) (الفصحى لغة القرآن - أنور الجندي ص ٣٠٦).
(٢) (مقدمة المعجم اللغوي التاريخي - أوغست فيشر).

قال هايوود: إنَّ العربَ في مجال المعجم يحتلّون مكان المركز، سواءً في الزمان أو المكان، بالنسبة للعالم القديمِ أو الحديثِ، وبالنسبة للشرقِ أو الغربِ.

شمول العربية واكتمالها:

قال المستشرق الألماني نولدكه عن العربية وفضلها وقيمتها: «إن اللغة العربية لم تَصِرْ حقًّا عالميةً إلا بسبب القرآن والإسلام، وقد وضع أمامنا علماءُ اللغة العرب باجتهادهم أبنيةَ اللغة الكلاسيكية، وكذلك مفرداتها في حالة كمالٍ تامٍّ، وأنه لا بدّ أن يزداد تعجب المرء من وفرة مفردات اللغة العربية، عندما يعرف أن علاقات المعيشة لدى العرب بسيطةٌ جدًّا، ولكنهم في داخل هذه الدائرة يرمزون للفرق الدقيق في المعنى بكلمةٍ خاصّةٍ، والعربية الكلاسيكية ليست غنيّةً فقط بالمفردات ولكنها غنيةٌ أيضًا بالصيغ النحوية، وتهتمّ العربية بربط الجمل ببعضها..، وهكذا أصبحت اللغة (البدويّة) لغةً للدين والمنتديات وشئون الحياة الرفيعة، وفي شوارع المدينة، ثم أصبحت لغةَ المعاملات والعلوم، وإن كلَّ مؤمنٍ غالبًا جدًّا ما يتلو يوميًّا في الصلاة بعض أجزاء من القرآن، ومعظم المسلمين يفهمون بالطبع بعض ما يتلون أو يسمعون، وهكذا كان لا بُدّ أن يكون لهذا الكتاب من التأثير على لغة المنطقة المتّسعة ما لم يكن لأيّ كتابٍ سواه في العالم، وكذلك يقابل لغة الدين ولغة العلماء والرجل العادي بكثرة، ويؤدّي إلى تغيير كثيرٍ من الكلمات والتعابير في اللغة الشعبية إلى الصحّة».

قال المستشرق الفرنسي رينان: من أغرب المُدْهِشات أن تنبتَ تلك اللغةُ القوميّةُ وتصل إلى درجة الكمال وسطِ الصحاري عند أمّةٍ من الرُّحّل، تلك اللغة التي فاقت أخواتها بكثرةِ مفرداتها ودقّةِ معانيها وحسنِ نظامِ مبانيها، ولم يُعرف لها في كلّ أطوار حياتها طفولةٌ ولا شيخوخةٌ، ولا نكاد نعلم من شأنها إلاّ فتوحاتها وانتصاراتها التي لا تُبارى، ولا نعرف شبيهًا بهذه اللغة التي ظهرت للباحثين كاملةً من غير تدرّج وبقيت حافظةً لكيانها من كلّ شائبة .

قال المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون: استطاعت العربية أن تبرز طاقة الساميين في معالجة التعبير عن أدق خلجات الفكر سواءً كان ذلك في الاكتشافات العلمية والحسابية أو وصف المشاهدات أو خيالات النفس وأسرارها.

واللغة العربية هي التي أدخلت في الغرب طريقة التعبير العلمي، والعربية من أنقى اللغات، فقد تفرّدت بتفرّدها في طرق التعبير العلمي والفني، إنّ التعبير العلمي الذي كان مستعملًا في القرون الوسطى لم يتناوله القدم ولكنه وقف أمام تقدّم القوى المادية فلم يتطوّر.

أما الألفاظ المعبّرة عن المعاني الجدلية والنفسانية فإنها لم تحتفظ بقيمتها فحسب بل تستطيع أن تؤثر في الفكر الغربي وتنشّطه.

ثمّ ذلك الإيجاز الذي تتسم به اللغة العربية والذي لا شبيه له في سائر لغات العالم والذي يُعدّ معجزةً لغويةً، كما قال البيروني .

قالت المستشرقة الألمانية زيفر هونكة: كيف يستطيع الإنسان أن يُقاوم جمالَ هذه اللغة ومنطقَها السليم وسحرَها الفريد؟ فجيران العرب أنفسهم في البلدان التي فتحوها سقطوا صرعى سحر تلك اللغة، فلقد اندفع الناس الذين بقوا على دينهم في هذا التيار يتكلمون اللغة العربية بشغفٍ، حتى إن اللغة القبطية مثلًا ماتت تمامًا، بل إن اللغة الآرامية لغة المسيح قد تخلّت إلى الأبد عن مركزها لتحتلّ مكانها لغة محمد.

قال المستشرق الألماني كارل بروكلمان: بلغت العربية بفضل القرآن من الاتساع مدًى لا تكاد تعرفه أيُّ لغةٍ أخرى من لغات الدنيا، والمسلمون جميعًا مؤمنون بأن العربية وحدها اللسانُ الذي أُحِلّ لهم أن يستعملوه في صلاتهم .

قال د. جورج سارتون: وهبَ اللّـهُ اللغة العربية مرونةً جعلتها قادرةً على أن تدوّن الوحي أحسن تدوين .. بجميع دقائق معانيه ولغاته، وأن تعبّر عنه بعباراتٍ عليها طلاوة وفيها متانة .

أكّد المستشرق أستاذ اللغات الشرقية بجامعة أستنبول: أن اللغة العربية أسهل

لغات العالم وأوضحها، فمن العبث إجهاد النفس في ابتكار طريقةٍ جديدةٍ لتسهيل السهل وتوضيح الواضح، إن الطلبة قبل الانقلاب الأخير في تركيا كانوا يكتبون ما أمليه عليهم من المحاضرات بالحروف العربية وبالسرعة التي اعتادوا عليها - لأن الكتابة العربية مختزلةٌ من نفسها - أما اليوم فإن الطلبة يكتبون ما أمليه عليهم بالحروف اللاتينية، ولذلك لا يفتأون يسألون أن أعيد عليهم العبارات مرارًا، وهم معذورون في ذلك؛ لأن الكتابة الإفرنجية معقّدةٌ والكتابة العربية واضحةٌ كلّ الوضوح، فإذا ما فتحتَ أيّ خطابٍ فلن تجدَ صعوبةً في قراءةِ أردأ خطٍّ به، وهذه هي طبيعة الكتابة العربية التي تتسم بالسهولة والوضوح.

العالم اللغوي أفرام نعوم تشومسكي Afram Noam Chomsky ابن معلم اللغة العبرية وأحد خريجي جامعة بنسلفانيا (وهو أستاذٌ في معهد ماساشوست ومفكرٌ يهوديٌّ كبير) فإنه أقرّ بالحق العربي وبمكانة العربية، وقد تزعّم الدراسات اللغوية المعاصرة وكوّن نظريةً جديدةً قلبت الفكر اللغوي رأسًا على عقب، أصدر كتابه الأول في التراكيب النحوية Syntactic Structure في سنة ١٩٥٧م نقد فيه مدرسة علم اللغة الوصفي Descriptive Linguistics التي كانت سائدةً في الغرب حتى عهدٍ قريبٍ، وقد ميّز بين بنيتين في الجملة هما البنية العميقة والتركيب السطحي، وأوضح أن البنية الأولى هي أساس الثانية.

نوّه تشومسكي في معرض ردّه على استفسارٍ وُجّه إليه في سنة ١٩٨٩م بأن تأثيراتِ النحو العربي كبيرةٌ على نظريته في دراسة اللغة، وأنه قرأ كتاب سيبويه كمرجعٍ له.

أشاد ماريو بِلْ مؤلف كتاب (قصة اللغات The Story of Language p155.277.) بأن العربية هي اللغة العالمية في حضارات العصور الوسطى، وكانت رافدًا عظيمًا للإنكليزية في نهضتها وكثيرٍ من الأوربيّات، وقد أورد قاموس Littre قوائمَ

بما اقتبسته هذه اللغات من مفرداتٍ عربيةٍ، وكانت أولها الإسبانية ثم الفرنسية والإيطالية واليونانية والمجرية وكذلك الأرمنية والروسية وغيرها، ومجموعها ٢٧ لغة، وتقدر المفردات بالآلاف.

قال المستشرق الألماني فرنباغ: ليستْ لغةُ العربِ أغَنَى لغات العالم فحسب، بل إن الذين نبغوا في التأليف بها لا يكاد يأتي عليهم العدّ، وإن اختلافنا عنهم في الزمان والسجايا والأخلاق أقام بيننا نحن الغرباء عن العربية وبين ما ألفوه حجابًا لا يتبيّن ما وراءه إلاّ بصعوبة .

قال الأستاذ ميليه: إن اللغة العربية لم تتراجع عن أرض دخلتها لتأثيرها الناشئ من كونها لغة دين ولغة مدنية، وعلى الرغم من الجهود التي بذلها المبشرون، ولمكانة الحضارة التي جاءت بها الشعوب النصرانية لم يخرج أحد من الإسلام إلى النصرانية، ولم تبق لغة أوربية واحدة لم يصلها شيء من اللسان العربي المبين، حتى اللغة اللاتينية الأم الكبرى، فقد صارت وعاءً لنقل المفردات العربية إلى بناتها .

قال الفرنسي جاك بيرك: إن أقوى القوى التي قاومت الاستعمار الفرنسي في المغرب هي اللغة العربية، بل اللغة العربية الكلاسيكية الفصحى بالذات، فهي التي حالت دون ذوبان المغرب في فرنسا، إن الكلاسيكية العربية هي التي بلورت الأصالة الجزائرية، وقد كانت هذه الكلاسيكية العربية عاملًا قويًّا في بقاء الشعوب العربية .

قال وليم ورك: إن للعربية لينًا ومرونةً يمكنانها من التكيف وفقًا لمقتضيات العصر.

تطبيقاتٌ عامَّةٌ

التطبيق الأول

عَنِ النُّعْمَانَ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَثَلُ القَائِمِ فِي حُدُودِ اللَّـهِ وَالْـوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاهَا، وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِي فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْـمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤذِ مَنْ فوقَنا ؟ فَإِنْ تَرَكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا وَهَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا» رواه البخاري، وللترمذي نحوها.

الاستهام: طلب السهم والنصيب، والمراد به: الاقتراع.

أخذوا على أيديهم: يقال: أخذتُ على يد فلان: إذا منعتَه عما يريد أن يفعله.

ما يتعلق بهذا الحديث الشريف من الجوانب البلاغية والنحوية وغيرها مما يتعلق بالدراسات اللغوية، وقد قدمت بيان المعنى الإجمالي للحديث، ثم شرحت بعض مفرادته، ثم ذكرت بعض ما فيه من الجوانب النحوية، ثم بينت ما فيه من الجوانب البلاغية.

شرح إجمالي للحديث:

هذا مثل عظيم يُشبه فيه الرسول صلى الله عليه وسلم حال الناس وموقفهم مما يكون في المجتمع من منكرات بحال قوم ركبوا سفينة فاقتسموا أماكنهم فيها بطريق القرعة، فكان من نصيب بعضهم الجزء الأعلى من السفينة، وكان من نصيب الآخرين الجزء الأسفل منها، وكان لابد لأهل السفل من الماء، فكانوا يصعدون لأعلى السفينة ليستقوا الماء، ولما كان ممرهم على أهل العلو فقد تأذوا بهم؛ إذ ربما أصابهم شيء من رشاش الماء أو أُقلقوا وقت راحتهم أو غير ذلك، فلما رأى أهل

السفل تأذي أهل العلو بهم عزموا على أن ينقبوا في نصيبهم نقبًا يحصلون منه على الماء دون الحاجة إلى إيذاء من فوقهم، ولم يدر هؤلاء أن هذا الخرق الصغير سيؤدي إن تُرك إلى هلاك الجميع ويكون معنى (أصغر خرق).

ويبين الرسول الكريم ﷺ أن الأمر لا يخلو حينئذ من إحدى نتيجتين: إما أن يقوم أهل العلو بواجبهم في منع هذه الكارثة فينجو الجميع؛ وإما أن يتركوهم وشأنهم بدعوى أن هذا نصيبهم يفعلون فيه ما يشاءون، وحينئذ تكون النتيجة الحتمية هي هلاك الجميع.

والحديث الشريف يبين أنه هكذا تكون حال الناس في المجتمع فإنه لا يخلو مجتمع من بعض صور المنكر والفساد التي يقدم عليها ضعاف الإيمان، وقد يلتمس بعضهم لنفسه مبررًا في ما يفعل كأن يقول هذه حرية شخصية، وأنا حر أصنع في ملكي ما أشاء، فإن قام أهل الرشد بواجبهم في إنكار هذه المنكرات والأخذ على أيدي الظالمين صلح المجتمع ونجا الجميع من غضب الله عز وجل، وأما إن تقاعسوا عن هذا الواجب وغلبت كلمة المداهنين فإن العقوبة الإلهية تعم الجميع. وتلك سنة إلهية لا تتغير، قال الحافظ: «وهكذا إقامة الحدود يحصل بها النجاة لمن أقامها وأقيمت عليه، وإلا هلك العاصي بالمعصية والساكت بالرضا بها» (فتح الباري).

أولا: الدراسة اللغوية: (معاني المفردات):

المَثَل والمِثْل والمثيل: واحد ومعناه الشبيه.

حدود الله: المراد بالحدود هنا ما نهى الله عنه، وأصل الحد في اللغة المنع والفصل بين الشيئين، ومنه حد الدار وهو ما يمنع الغير من الدخول فيها، والحداد الحاجب والبواب.

استهموا: اقترعوا، والسهم في الأصل واحد السهام التي يضرب بها في الميسر وهي القداح، ثم أطلق على ما يأخذه الفائز في الميسر، ثم كثر حتى سمي كل نصيب سهمًا.

خرقنا في نصيبنا خرقًا: الخرق هو الشق أو الثقب.

أخذوا على أيديهم: أي منعوهم.

مسائل نحوية:

من المسائل النحوية التي يمكن الوقوف عندها في هذا الحديث ما يلي:

١ - قوله: (مَثَلُ) مرفوع بالابتداء، وأما الخبر فإننا إذا اعتبرنا الكاف في قوله: (كمثل) اسمًا فإنها تكون هي الخبر، وأما إذا اعتبرناها حرفًا فإن الخبر يكون محذوفًا تقديره مستقر أو موجود، وذلك مثل ما قيل في إعراب قوله تعالى: ﴿ **مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا** ﴾ [البقرة: ١٧]، أنه يمكن أن يكون الخبر في الكاف.

٢ - قوله ﷺ: «**لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا**»: أسلوب شرط ، جوابه محذوف تقديره: لكان خيرًا أو نحو ذلك، أو يكون قولهم (لم نؤذ) هو الجواب، وتكون الواو زائدة. وذلك كما قيل في قوله تعالى: ﴿ **فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾** ﴾ [يوسف: ١٥]، فقد ذكروا أن جواب لما محذوف تقديره: (فعلوا به ما فعلوا)، أي: (لَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا فَعَلُوا بِهِ مَا فَعَلُوا)، وقيل: إن الجواب هو (أوحينا) والواو مقحمة، ومثله قوله تعالى: ﴿ **فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾** ﴾ [الصافات: ١٠٣] أي: (ناديناه).

٣ - قوله ﷺ: (**فإن يتركوهم**): إن شرطية جوابها هلكوا، وضمير الرفع (الواو) عائد على أهل العلو في السفينة، وضمير النصب (هم) عائد على أهل السفل.

٤ - قوله ﷺ: (**وما أرادوا**)، الواو بمعنى مع، و(ما) مصدرية أو موصولة، فعلى الأول يكون المعنى: (وإرادتهم)، وعلى الثاني يكون المعنى: (والذي أرادوا).

٥ - قوله ﷺ: (**هلكوا جميعًا**)، الواو في (هلكوا) تعود على الفريقين معًا، و(جميعًا) حال.

٦ - قوله ﷺ: (**نَجَوا ونجوا جميعًا**)، الواو في (نجوا) الأولى عائد على الآخذين، وفي نجوا (الثانية) عائد على المأخوذين.

٧ - قوله ﷺ: في كتاب الشهادات: (**فكان الذي في أسفلها يمرون**)، وكذا ما جاء في بعض الروايات في كتاب الشركة (فكان الذي في أسفلها إذا استقوا مروا)، فيه إشكال من حيث إن قوله: (الذي) مفرد، فكيف قال في شأنه يمرون أو مروا، ولم يقل يمر أو مر؟

ويمكن أن يجاب عن ذلك بأحد الأجوبة التالية:

أ - أن يقال: إن (الذي) يقع عند بعض العرب للواحد والجمع؛ أي تكون بمعنى: (من - ما) فيعود الضمير إليه تارة بلفظ المفرد وتارة بلفظ الجمع، قال القرطبي: «قال ابن الشجري هبة الله بن علي: ومن العرب من يأتي بالجمع بلفظ واحد، كما قال الشاعر:

وإن الـذي حانـت بفلـج دماؤهم ... هـم القـوم كـل القـوم يـا أم خالد

وقيل في قول الله تعالى: ﴿ **وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ** ﴿٣٣﴾ ﴾ [الزمر: ٣٣]، إنه بهذه اللغة، وكذلك قوله: ﴿ **مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى** ﴾ [البقرة: ١٧] قيل: المعنى كمثل الذين استوقدوا، ولذلك قال: ذهب الله بنورهم، فحمل أول الكلام على الواحد وآخره على الجمع» (تفسير القرطبي).

ب - أن يقال: إن الذي هنا مخففة من الذين، وقد قال الزمخشري ما حاصله

أن الذي لكونه اسم موصول يحتاج إليه في وصف كل معرفة بجملة، ويتكاثر وقوعه في كلامهم، فإنه يقبل التخفيف، فكذا يقبل جمعه(الذين) التخفيف، كما أن الياء والنون في (الذين)، ليستا كالياء والنون في جمع المذكر السالم في قوة الدلالة على الجمع؛ لذا ساغ حذفها ولم يمتنع كما هو الحال في جمع المذكر السالم وأشباهه. (الكشاف).

ج - غير أنه يمكن توجيه قوله (الذي) في الحديث الذي بين أيدينا توجيهًا آخر، وهو أن تكون (الذي) هنا صفة لموصوف مفرد اللفظ، ولكنه جمعٌ في المعنى وذلك كلفظ (الجمع) فكأنه قال: (فكان الجمع الذي في أسفلها يمرون) فلما اعتبر لفظه وصف بالذي، ولما اعتبر معناه أعيد عليه ضمير الجماعة، أفاد ذلك صاحب المصابيح، وقال فيما نقله عنه القسطلاني في شرحه على صحيح البخاري: «وهو أولى من أن يجعل الذي مخففًا من الذين بحذف النون» .

نظرات بلاغية

لا يخفى أن الرسول الكريم ﷺ هو أفصح البشر لسانًا، وأبلغهم بيانًا، فقد كان كلامه كما قال الجاحظ: «هو الكلام الذي قل عدد حروفه، وكثر عدد معانيه..، ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعًا، ولا أصدق لفظًا، ولا أعدل وزنًا، ولا أجمل مذهبًا، ولا أكرم مطلبًا، ولا أحسن موقعًا، ولا أسهل مخرجًا، ولا أفصح عن معناه، ولا أبين عن فحواه من كلامه ﷺ .

ووصف الرافعي - رحمه الله - كلامه ﷺ من الناحية البيانية بأنه: حسن المعرِض، بيّن الجملة، واضح التفصيل، ظاهر الحدود، جيد الرصف، متمكن المعنى، واسع الحيلة في تصريفه، بديع الإشارة، غريب اللمحة، ناصع البيان، ثم لا ترى فيه إحالة ولا استكراهًا، ولا ترى اضطرابًا، ولا خطلًا، ولا استعانة من عجز، ولا توسعًا من ضيق، ولا ضعفًا في وجه من الوجوه.

وقد حق علينا أن ننظر في هذا الحديث الشريف من الناحية البلاغية، لنحاول أن نكشف بحول الله عن بعض ما تضمنه من جوانب البلاغة العظيمة التي تعجز عن أن تدانيها فصاحة الفصحاء وبلاغة البلغاء.

وسوف ننهج في هذا المضمار نهج علماء البلاغة حيث نذكر ما في الحديث من هذه العلوم الثلاثة.

أولاً: المعاني:

الأسلوب في هذا الحديث أسلوب خبري يخبر الرسول ﷺ فيه بحال الناس، ويشبههم براكبي سفينة، غير أن هذا الأسلوب الخبري قد خرج على خلاف مقتضى الظاهر، فليس المراد من الخبر هنا مجرد إفادة السامع بالخبر، ولا إفادته أن المتكلم عالم بالخبر، وإنما الغرض منه الحث وتحريك الهمة نحو القيام بواجب الأمر والنهي.

ثانيًا: البديع:

في الحديث من المحسنات المعنوية: الطباق في جمعه بين (القائم) و(الواقع)، وبين: (أعلاها) و (أسفلها)، وبين: (هلكوا) و (نجوا).

والطباق هنا من نوع طباق الإيجاب، وهو الذي يُعرِّفه البلاغيون بأنه ما جُمع فيه بين الشيء وضده؛ فالقائم ضد الواقع، والأعلى ضد الأسفل، والهلكة ضد النجاة.

وليس من شك في أن هذا الطباق قد أبرز المعنى وزاده وضوحًا، فإن الضد - كما يقولون - يُظهر حسنَه الضد، ويزيد من حسنه أنه أتى في كلامه ﷺ عفوًا لا يحس المرء فيه شيئًا من التكلف المذموم، فإنَّ تكلف المحسنات البديعية وتعمدها مما يفقد الكلام سلاسته ويحبس المعاني والأفكار.

ثالثاً: البيان:

اشتمل الحديث من الصور البيانية على ما يلي:

١ - **الاستعارة** في قوله: (القائم على حدود الله)، وهي استعارة مكنية، شبهت فيها المعاصي بوهدة من الأرض محدودة بحدود وحولها رجال يحرسونها، ويمنعون الناس من الوقوع فيها، ثم حذف المشبه به وأتى بلازمة من لوازمه وهي الحدود.

ونفس الشيء يقال في قوله: (الواقع فيها).

وهذا تعبير يوحي بمدى الهوة السحيقة التي يهوي إليها أصحاب المنكر المخالفين لأمر الله، ومدى خطورة الواجب الملقى على عاتق المصلحين في الأمة فهم حراس الفضيلة القائمون على حدود بئر الرذيلة، مانعين الناس من التساقط فيها.

٢ - **الكناية** في قوله ﷺ: (**أخذوا على أيديهم**)، فإن الأخذ على اليد كناية عن استعمال الشدة والقوة، والتعبير بعلى يفيد الاستعلاء والفوقية، كما ذكر الحافظ ابن حجر في حديث: (**انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا**)، حيث قال: قوله: (تأخذ فوق يديه) كنى به عن كفه عن الظلم بالفعل إن لم يكف بالقول، وعبر بالفوقية إشارة إلى الأخذ بالاستعلاء والقوة.

٣ - **التشبيه التمثيلي** في قوله: (**مثل القائم على حدود الله**...) إلخ، وهو تشبيه معقول بمحسوس؛ شبهت فيه الهيئة الحاصلة من قيام المسلمين بواجبهم في تغيير المنكر بالهيئة الحاصلة من قيام أهل السفينة بمنع من يريد خرقها من الإقدام على ما يريد، كما شبهت الهيئة الحاصلة من التقاعس عن تغيير المنكر بحال أهل السفينة إن تركوا من يريد خرقها يفعل ما يشاء.

ووجه الشبه هنا صورة منتزعة من متعدد؛ وهي منتزعة في الحالة الأولى من هيئة النجاة المترتبة على قيام قوم بما يجب عليهم، وفي الحالة الثانية من هيئة الهلاك الناجم عن تقصيرهم في ما يجب عليهم؛ فكما أن أهل السفينة سينجون إن أخذوا على يد من يريد خرقها، فإن النجاة ستكون مصير الجميع في مجتمع يأخذ أهله على يد العابثين، وكما أن الغرق سيكون مصير أهل السفينة إن تركوا مريد الخرق يفعل ما يريد فإن مجتمع المداهنين الساكتين عن أهل المنكر سيؤول إلى هلاك محتم.

ومن أجل هذا قلنا إن هذا التشبيه هو من نوع تشبيه التمثيل، وذلك جريًا على اصطلاح جمهور البلاغيين الذين يرون أن التشبيه التمثيلي ما كان وجه الشبه فيه منتزعًا من متعدد.

التطبيق الثاني

قال الشاعر:

كـذا صــاغك الله يابن الوجــود وألقــتك فى الكــون هــذه الحــيــاه
فمــا لك ترضى بــذل القـــيود وتحـنـــى لمـــن كـــبلوك الجـــباه
ألا انهــض وسر فى طــريق الحــياه فمـــن نـــام لم تنتظــره الحــيــاه

(١) ما الذى ينكره الشاعر على الإنسان ؟ وبم نصحه ؟

(٢) هات مرادف (صاغك - وكبلوك)

(٣) عين فى البيت الثالث أسلوبًا وبين الغرض منه، ووضح ما فى قوله: (تحنى لمن كبلوك الجباه) من بيان.

(٤) ما العلاقة بين الشطر الأخير من البيت الثالث والشطر الأول منه ؟

(٥) ألقتك فى الكون هذه الحياه، أكد هذه الجملة بمؤكدين .

الإجابة

(١) ينكر الشاعر على الإنسان أن يقبل حياة الذل والاستعباد وأن يرضى بحياة العبودية وقهر المستعمرين.

(٢) مرداف (صاغك): خلقك، و(كبلوك): قيدوك.

(٣) الأسلوب الإنشائى قول الشاعر (انهض - وسر)، وهو أمر الغرض منه النصح والحث والإرشاد.

وفى قوله: (وتحنى لمن كبلوك الجباه): كناية عن الذل والهوان والحياة الوضيعة التى يعيشها المغلوب على أمره، كما تفيد شدة بطش المستعمرين وظلمهم.

(٤) العلاقة وطيدة بين الشطر الأخير من البيت الثالث والشطر الأول منه فقد نصح الشاعر من يعيش ذليلًا مقيدًا أن ينهض وأن يخلص من قيوده ليعيش حياته الكريمة ويتبوأ مكانته تحت الشمس ثم نراه فى الشطر الأخير يبين له نتيجة القانعين والخاملين الذين يحاولون الوصول إلى الحياة الكريمة وكيف أن الحياة تلفظهم ولا تحفل بهم.

(٥) لقد ألقتك فى الكون هذه الحياه.

التطبيق الثالث

قال العباس بن الأحنف:

وإني لأستهدي الرياح سلامتكم ... وإذا أقبلت من نحوكم بهبوب
وأسألها حمل السلام إليكم ... فإن هي يومًا بلغت فأجيبي
أرى البين يشكوه المحبون كلهم ... فيا رب قرب دار كل حبيب

(١) ما لون العاطفة المسيطرة في الأبيات ؟ وما أثرها في ألفاظ الشاعر؟

(٢) عين من الأبيات أسلوبًا خبريًّا. وآخر إنشائيًّا. وبين الغرض البلاغي لكل منهما.

(٣) استخرج من الأبيات صوره بلاغية. ووضحها. وبين أثرها في المعنى.

(٤) عين ماورد في الأبيات من مؤكدات.

الإجابة

(١) **العاطفة المسيطرة في الأبيات** عاطفة صادقة. وهي عاطفة الشوق، والحنين. مما جعل الشاعر في حيرة واضطراب من أمره، وقد كان لها أثر في ألفاظه، فجاءت موحية، **مثل**: (أستهدي الرياح - أسألها حمل السلام - أجيبي - البين - يارب قرب ..) .

(٢) **الأسلوب الخبري**: «وإني لأستهدي الرياح» وهو خبري إنكاري. أكد بأكثر من مؤكد واحد والغرض منه التحسر. والاستعطاف. وإظهار الحيرة والضعيف.

الأسلوب الإنشائي: (يارب قرب دار كل حبيب)، وهو نداء الغرض منه الالتماس والاستعطاف.

(٣) **الصورة البلاغية:** (أستهدي الرياح سلامكم) استعارة مكنية تصور الرياح إنسانًا يحمل السلام. ثم يقول: (إذا أقبلت)، وذلك ترشيح لها .

أثرها في المعني: توضيح المعنى بتشخيص الرياح. وجعلها إنسانا.

(٤) من المؤكدات: (إن) في: (إني لأستهدى). و(كل) في (المحبون كلهم).

التطبيق الرابع

قال الشاعر:

سأحمل روحي على راحتي | وألقي بها في مهاوى الردى
فإما حياة تسر الصديق | وإما ممات يغيظ العدا
ونفس الشريف لها غايتا | ن، ورود المنايا، ونيل المنى

(١) ما العاطفة المسيطرة على الشاعر في الأبيات؟ وما أثرها في تعبيره؟

(٢) اشرح الأبيات في عبارة أدبية بأسلوبك .

(٣) عين في الأبيات صورة بلاغية. ومحسنًا بديعيًا. واذكر أثر كل منهما.

(٤) لنفس الشريف غايتان، أكد هذه الجملة بإن. واكتبها صحيحة.

الإجابة

(١) العاطفة المسيطرة على الشاعر: عاطفة حب شديد لوطنه. دفعته إلى شرف الدفاع عن الوطن وطنه السليب «فلسطين» فَنَفْسُهُ أَبِيَّةٌ. وشجاعته فائقه. وقد جاءت ألفاظه معبرة عن مشاعره، من ذلك (أحمل روحي - مهاوي الردى - حياة - ممات - نفس الشريف - المنايا - المنى).

(٢) **شرح الأبيات:** لقد عِقدت العزم على الدفاع عن أرضي وأهلي.

لأحقق إحدى غايتين: إما حياة حرة كريمة تسر الأحباب والأصدقاء. وإما موت شريف يغضب الأعداء. ويغيظهم.

والجدير بالذكر: أن الشاعر فاز بشرف الاستشهاد في حرب فلسطين سنة ١٩٤٨.

(٣) **الصورة الخالية**: الكناية في قول الشاعر (أحمل روحي على راحتي. ألقي بها في مهاوى الردى): كناية عن الشجاعة، والبطولة.

والمحسن البديعي في البيت الثاني: الطباق. والمقابلة في شطريه. وقد أثار ذلك الانتباه. وأيقظ الشعور. وأكد المعنى. وعمقه في النفس، كما أحدث إمتاعًا فنيًّا.

(٤) إن لنفس الشريف غايتين.

التطبيق الخامس

قال الشاعر:

خلقت طليقًا كطيف النسيم ... وحرًّا كنور الضحى في سماه
تغرد كالطير أين اندفعت ... وتشدو بما شاء وحي الإله
كذا صاغت الله يابن الوجود ... وألقتك في الكون هذي الحياه
فما لك ترضى بذل القيود ... وتحني لمن كبلوك الجباه
ألا انهض وسر في سبيل الحياة ... فمن نام لم تنتظره الحياه

(١) ما الفكرة التي تناولها الشاعر؟ وكيف وُفِّقَ في اختيار الألفاظ لها ؟

(٢) اختر الإجابة الصحيحة من بين كل قوسين فيما يلي:

١ - ما لك ترضي: استفهام غرضه:

(التحسر - التَّعَجُّب والاستنكار - الحث) .

٢ - ألا انهض: أمر غرضه:

(التوبيخ - الحث - التمني - التعجيز) .

٣ - ابن الوجود:

(تشبيه - مجاز مرسل - استعارة - كناية) .

(٣) فمن نام لم تنتظره الحياه، ما علاقة هذه الحكمة بما قبلها ؟

(٤) استخرج من الأبيات ما يلي:

- تقديمًا واذكر قيمته.

- تشبيهًا واستعارة وكناية واشرح كلا منهم، وبين قيمته .

الإجابة

(١) يوجه الشاعر حديثه إلى كل إنسان ملفتًا نظره إلى أهمية الحرية والحرص عليها. فبدونها لا تتحقق السعادة. فقد خلق الله الإنسان متمتعًا بالحرية. فيجب عليه ألا يتخلى عنها.

(٢)

١ – ما لك ترضى؟: استفهام غرضه التعجب والاستنكار.

٢ – ألا انهض، أمر غرضه: الحث.

٣ – ابن الوجود: كناية عن موصوف وهو الإنسان.

(٣) فمن نام لم تنتظره الحياة: علاقة هذه الحكمة بما قبلها تعليل، وفيها تصوير الذليل الذي يضيع فرصة الحرية بالنائم الذي لا يهتم بما حوله من كفاح ونضال.

(٤) **التقديم**: وألقتك في الكون هذى الحياة: فيها تقديم الجار والمجرور على الفاعل. وتحنى لمن كبلوك الجباه: فيها تقديم الجار والمجرور على المفعول به للتوكيد والتخصيص.

من **التشبيهات**: تغرد كالطير أين اندفعت: تشبيه الإنسان الحر بالطير المنطلق الذي يغرد ويشدو كيفما شاء. وهو يوحي بأهمية الحرية. وكذا صاغك الله: صور الإنسان بقطعة فنية تحتاج إلى دقة في صناعتها؛ لأن الصياغة تقتضي الدقة. وهذه الصورة توحي بأن الله خلق الإنسان في أحسن تقويم.

تدرِيبَاتٌ عَامَّةٌ

التدريب الأول

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لما بويع بالخلافة:

أَيّهَا النّاسُ فَإِنّي قَدْ وُلّيت عَلَيْكُمْ وَلَسْت بِخَيْرِكُمْ فَإِنْ أَحْسَنْت فَأَعِينُونِي؛ وَإِنْ أَسَأْت فَقَوّمُونِي؛ الصّدْقُ أَمَانَةٌ، وَالْكَذِبُ خِيَانَةٌ وَالضّعِيفُ فِيكُمْ قَوِيّ عِنْدِي حَتّى أُرِيحَ عَلَيْهِ حَقّهُ إنْ شَاءَ اللّهُ وَالْقَوِيّ فِيكُمْ ضَعِيفٌ عِنْدِي حَتّى آخُذَ الْحَقّ مِنْهُ إنْ شَاءَ اللّهُ.

لا يَدَعُ قَوْمٌ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللّهِ إلّا ضَرَبَهُمُ اللّهُ بِالذّلّ وَلَا تَشِيعُ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطّ إلّا عَمّهُمْ اللّهُ بِالْبَلَاءِ أَطِيعُونِي مَا أَطَعْت اللّهَ وَرَسُولَهُ فَإِذَا عَصَيْتُ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَلَا طَاعَةَ لِي عَلَيْكُمْ. قُومُوا إلَى صَلَاتِكُمْ يَرْحَمُكُمُ اللّهُ.

(١) أخرج من الخطبة ما يلى:

١ - مُؤَكِّدَينِ.

٢ - أسلوبَ قَصْرٍ.

٣ - محسنين بديعين.

٤ - أسلوبًا إنشائيًا.

(٢) وضح الصورة الخيالية فى قوله: ضربهم الله بالذل.

(٣) اشرح الخطبة بأسلوبك.

(٥) ظهر التواضع فى الخطبة، وَضِّح ذلك.

التدريب الثانى

قال شوقي:

قــم للمعلــم وفــه التبجــيلا كــاد المعلــم أن يكــون رســولا
أعلمـت أشرف أو أجل من الذي يبنــي وينــشئ أنفــسا وعقــولا ؟
ســبحانك اللهــم خــير معلــم علمــت بــالقلم القــرون الأولى
أخـرجت هـذا العقـل مـن ظلماته وهديــته الــنور المبــين ســبيلا

(١) أشاد شوقي بالمعلم. ما الصفات التي وصفه بها في إيجاز.

(٢) تخير الإجابة الصحيحة من بين كل قوسين:

قم للمعلم: أمر، غرضه: (النصح - المدح - الالتماس).

في الشطر الثاني من البيت الأول (كناية - استعارة - تشبيه).

(٣) في البيت الثاني أسلوب إنشائي، بين نوعه. وحوله إلى خبري .

(٤) من ظلماته: وضح الصورة الخيالية، واذكر قيمتها الفنية.

(٥) اشرح الأبيات بأسلوبك.

التدريب الثالث

قال الشاعر:

لـو لم تكـن مـصر العريقة موطني … لغرسْـتُ بـين تـرابها وجـداني
وسلكت درب الحب مثل طيورها … وغـدوت زهـرا في ربـا بـستان
وجعلـت مـن عطر الزمان قلائدا … ونـسجت بـين قـبائها إيـماني

(القباء = الثوب الذي يلبس، والجمع (أقبية).

(١) ما الأفكار التي تضمنتها الأبيات؟ وما مدى ملاءمتها للعاطفة ؟

(٢) تأثرت عبارات الشاعر بوجدانه ..، وضح ذلك.

(٣) في البيت الأول صورة خيالية، وضحها. وبين قيمتها الفنية.

(٤) عطر الزمان - دار الزمان، أي التعبيرين أجمل ؟ ولماذا؟

التدريب الرابع

قال البحتري:

أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكا   من الحسن حتى كاد أن يتكلما
وقد نبه النيروز في غسق الدجى   أوائل ورد كن بالأمس نوما
يفتقها برد الندى، فكأنه   يبث حديثا كان قبل مكتما

(١) ما الجو النفسي الذي يعيشه الشاعر؟ وما أثره في اختيار الألفاظ ؟

(٢) اذكر ما توحي به الكلمات: (يختال - يفتقها - يبث) .

(٣) في البيتين الآخرين محسنات، حددها وبين سر جمالها .

التدريب الخامس

قال أبو القاسم يخاطب طغاة الاستعمار:

ألا أيهـــا الظـــالم المســـتبـد حبـيـب الفـــناء عــدو الحـــياة
سـخرت بـأنـات شعب ضعيف وكفــك مخـــضوبة مـــن دمــــاه
وعـشت تـدنس سـحر الوجـــود وتـــبذر شـــوك الأســـى فى ربـــاه

(١) عبر بإيجاز عن أفكار الشاعر.

(٢) ما الجو النفسى الذى يعيشه الشاعر ؟

(٣) ما قيمة التعبير بكلمات (سخرت - الأسى - المستبد)؟

(٤) أى الكلمتين (مخضوبة - ملوثة) أجمل ؟ ولماذا ؟

(٥) ما الأسلوب الإنشائى فى البيت الأول، وما غرضه؟

(٦) (شوك الأسى) تعبير خيالى: (استعارة - تشبيه - كناية).

التدريب السادس

لأبى العتاهية:

يـــا نفـــس قـــد أزف الـــرحيل وأظلـــك الخطـــب الجلـــيل

فتأهبـــي يـــا نفـــس. لا يلـــعـــبن بـــك الأمـــل الطـــويل

فلتنـــزلن بمنـــزل ينـــسى الخلـــيل بـــه الخلـــيل

وليركـــبن علـــيك فـــيه مـــن الثـــرى ثـــقـــل ثـــقـــيل

(١)هات جمع (الخليل) في جملة وابدأ به .

(٢) **تأهبي**: أسلوب إنشائي أمر غرضه: (التحذير - النصح - الالتماس).

يا نفس: أسلوب إنشائي نداء غرضه: (الحسرة - التمني - التهديد) .

يلعبن بك الأمل: خيال: (تشبيه - مجاز مرسل - استعارة) .

حدد الإجابة باختيار الكلمات المناسبة مما بين كل القوسين .

(٣) في الأبيات أساليب توكيد، اذكرها. ووضح الهدف منها .

(٤) في البيت الأخير ضعف في التعبير وضحه .

التدريب السابع

قال أبو العلاء:

سر إن استطعت في الهواء رويدا لا اختيالا على رفات العباد

رب لحد قد صار لحدا مرارا ضاحك من تزاحم الأضداد

تعب كلها الحياة. فما أعجب إلا من راغب في ازدياد

(١) ضع مكان كلمة (رويدا) كلمة أخرى بمعناها، واذكر مضاد (اختيالا) في جملة من أسلوبك.

(٢) وضح الصورة الخيالية في البيت الثاني، وبين ما توحي به.

(٣) في البيت الثالث أسلوب توكيد، ما طريقته ؟ وما سر الجمال فيه ؟

(٤) **تخير الإجابة الصحيحه مما بين كل قوسين .**

(سر إن استطعت): أمر غرضه: (النصح - التهديد - التمني).

(ضاحك) المراد بها: (مبتسم - سعيد - ساخر).

التدريب الثامن

فـيم التناحـر و الخلائـق إخـوة   والعـيش حـق للجمـيع مـباح
والدهـر سـمح. والحـياة خـصيبة   والـرزق جـم. والـبلاد فـساح
أنظـل في الدنـيا يفـرق بينـنا بغـي   ويجمعـنا وغـى وكفـاح

(١) ما التجربة التى يتحدث عنها الشاعر ؟ وإلام يدعو؟

(٢) أيها أجمل أن يقول: ويجمعنا وغى وكفاح - وغي وسلاح؟ ولماذا ؟

(٣) عين في الأبيات صورة خيالية. ووضحها.

(٤) الخلائق إخوة. أَكِّدْهَا.

(٥) ما الغرض من الاستفهام في كل من البيت الأول. والأخير ؟

التدريب التاسع

قـل للشباب: دع التلهي وانصرف ... للمجـد واسـتلهم خطـا الآبـاء

بالمجـد تـبلغ مـا أردت. ولن ترى ... شـعبا تخـاذل عـد في الأحـياء

صوت الشباب من الزئير وإن دعا ... هـز الـرواسي عـند كـل دعـاء

(١) ما نوع الأسلوب في البيت الأول ؟

(٢) ما العاطفة من الأبيات؟ وما دليلها من الألفاظ ؟

(٣) عين من الأبيات لونًا بيانيًّا. ومحسنًا بديعيًّا. وبين نوعهما. وأثرهما في المعني.

(٤) ما القيمة التعبيرية لقوله: (عد في الأحياء - هز الرواسي) ؟

التدريب العاشر

قال الأديب الشاعر مصطفى صادق الرافعي:

بلادي هواها في لساني وفي دمي ... يمجدها قلبي. ويدعو لها فمي
ولا خير فيمن لا يحب بلاده ... ولا في حليف الحب إن لم يتيم
ومن تؤوه دار فيجحد فضلها ... يكن حيوانًا فوقه كل أعجم

(١) ما العاطفة المسيطرة على الشاعر. وما أثرها في اختيار ألفاظه ؟

(٢) ما نوع الأسلوب في الأبيات ؟ وما الغرض البلاغي منه ؟

(٣) استخرج من الأبيات صورة بلاغية. وبين أثرها البلاغي ؟

(٤) بين البيتين الأول والثالث رباط في المعنى . وضح ذلك .

التدريب الحادى عشر

لأحمد شوقي في عمر المختار:

ركــزوا رفاتــك في الــرمال لــواء يــستنهض الــوادي صــباح مــساء
يــا ويحهــم نــصبوا مــنارًا من دمي وحـــي إلى جـــيل الغـــد البغـــضاء
مــا ضر لــو جعلــوا العلاقة في غد بـــين الـــشعوب مـــودة وإخـــاء

(١) ما الذي يوحي به كل من (ركزوا - يستنهض) ؟

(٢) ما نوع الأسلوب في البيت الأخير؟ وما القيمة الجمالية له.

(٣) عين في الأبيات محسنًا بديعيًا. وبين نوعه.

(٤) ما العاطفة التي سيطرت على الشاعر في هذه الأبيات ؟

(٥) جاءت الأبيات أسلوبًا خبريًا. ما الغرض البلاغي له ؟

(٦) استخرج ما يلي:

١ - محسنًا بديعيًّا، واذكر نوعه.

٢ - إيجازا .

٣ - تقديمًا، واذكر غرضه.

التدريب الثانى عشر

قال الشاعر:

أمتـــي إني أرى مـــستقبلا مـشرق الـوجه عظـيم المـوكب
أمتـي إني لمـا أبدعـته مـن بطـولات الـدم المنـسكب
وانتفاضـات عـلى أغلالـنا واثـق مـنْ نـصرك المقـترب

(١) ما الأفكار فى الأبيات ؟ وما القيمة الفنية لكلمة (المنسكب) ؟

(٢) وضح الخيال في البيت الأول. وبين أثره.

(٣) في البيت الأخير تقديم. بينه. ووضح أثره .

(٤) استخرج من الأبيات أسلوبًا خبريًّا. وآخر إنشائيًّا. وبين الغرض منهما.

(تمت بحمد الله)

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، و الصلاة والسلام على النبي الكريم، سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد انتهى - بفضل الله - وتوفيقه كتاب «**الكافى فى البلاغة**» وأسأل الله - سبحانه - لهذا العمل الرضا والقبول، وأن ينتفع به الطلاب والدارسون، والأساتذة والباحثون، قَدْرَ ما تعبت فيه، وأن يكون ذُخْرًا لي في الآخرة، وأرجو من الله الكريم المنان أن يغفر لي ولوالدي ولأساتذتي الأجلاء، ولكل مشتغل بالعلم الشريف.

ولعل دعوةً صالحةً تنالني من أخٍ كريمٍ، يغفرُ الله بها الزلل، ويعفو عن الخطل، ويسد الخلل، ويقيل العثراتِ، ويصفح عن السيئات، ويزيد من الحسنات.

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وصل اللهم وسلم وبارك على محمد، وعلى آله وصحبه وسلم
والحمد لله رب العالمين

❁ ❁ ❁

كتب صدرت للشارح:

- الموسوعة الشاملة فى النحو والصرف .
- المعجم الكافى لبيان الدلالات اللفظية على المتشابهات .
- النحو الكافى .
- الصرف الكافى .
- الكافى لتعليم القراءة والكتابة .
- الكافى لتعليم خط النسخ .
- الكافى فى سيرة الرسول .
- الكافى فى مهارات المعلم وأخلاقيات المهنة .
- الكافى فى شرح الآجرومية .
- فنون الإملاء والكتابة العربية .
- الأيمان والنذور فى ضوء القرآن والسنة .
- الكافى فى شرح البلاغة العربية .
- الكافى فى إعراب القرآن وتفسيره (ينتظر قريبًا).
- الكافي في شرح ألفية ابن مالك
- ملخص قواعد اللغة العربية

نرحب بتعليقات السادة القرَّاء على:

Abosharef2000@yahoo.com

الفهرس

البَابُ الثانِى عِلمُ البَيَانِ

الباب الثالث عِلمُ البَديع: المُحَسّناتُ البَديعيَّةُ

تَطبيقَاتٌ عَامَّةٌ

تَدْرِيبَاتٌ عَامَّةٌ